T. C.
MİLLİ [illegible] BAKANLIĞI
RAGIP P[illegible] [illegible]TAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 137/1

سورة الفاتحة ٢	سورة البقرة ٥	سورة العمران ٧٣	سورة النساء ١٠٣
سورة المائدة ١٣٤	سورة الانعام ١٥٦	سورة الاعراف ١٧٧	سورة الانفال ٢٠١
سورة التوبة ٢١٣	سورة يونس ٢٢٤	سورة هود ٢٤٠	سورة يوسف ٢٥٣
سورة الرعد ٢٦٤	سورة ابراهيم ٢٧٤	سورة الحجر ٢٨١	سورة النحل ٢٨٦
	سورة الاسرى ٢٩٧	سورة الكهف ٣٠٩	

استعينك اللهم فيما اروم الحمد لله الذي انزل القران كلاما مولفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا
وبالاستعاذة مختتما واوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصله سورا وسوره آيات وميز بينهن بفصول وغايات
وما هي الا صفات مبتدا مبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان من استاثر بالاولية والقدم ووسم كل شيء سواه بالحدوث
عن العدم انشاه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات وحجج قرانا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع
الدينية والدنيا وية مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين
سائر الكتب على كل لسان في كل مكان افحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وابكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم
يتصد للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على انهم كانوا اكثر
من حصى البطحاء واوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالافراط في المضادة والمضارة والقائهم
الشراشر على المعازة والمعارة ولقائهم دون المناضلة عن احسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ان اتاهم احد بمفخرة
اتوه بمفاخر وان رماهم بماثرة رموه بماثر وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف اخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف
القاضب مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حده فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد زخر فطم على الكواكب وان الشمس قد
اشرقت فطمست نور الكواكب والصلوة على خير من اوحي اليه حبيب الله ابي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي
اللواء المرفوع في بني لؤي وذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل
النبي الامي المكتوب في التورية والانجيل وعلى آله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين والانصار
اعلم ان متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية واقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية ان سبق العالم العالم
لم يسبقه الا بخطى يسيرة او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب
ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم فيه التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد وترقى الى ان عد الف
بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض اسرار محتجبة وراء استار
لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحديهم واخصهم والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها باحداقهم عناة في يد
التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم ثم ان املأ العلوم بما يغمر القرائح وانهضها بما يبهر الالباب القوارح من غرائب

نكت يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ
في كتاب نظم القران فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام و
حافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ والنحوي وان كان
انحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق
الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقران وهما علم المعاني و علم البيان وتصالح وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير
عنهما ازمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ان يكون اخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا
ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل
القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شانها منتبها على الرمزة وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا
متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف
طالما دفع الى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد رايت اخواننا في الدين من افاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين
علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الي في تفسير اية فابرزت لهم بعض الحقائق من الحجب افاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا
شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك حتى اجتمعوا الي مقترحين ان املي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل
في وجوه التاويل فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي
حداني على الاستعفاء على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه الزمان
من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان تترقى الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فامليت
عليهم مسالة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال طويل الذيول وانما حاولت به التنبيه
على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله
فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملى
متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رايت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا
انا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام شرف آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي الحسن علي بن حمزة
ابن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم
حشا واوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاق بقطع الفيافي وطي
المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت على المستعفي الحيل وعيت به العلل ورايتني
قد اخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سماها العرب دقاقة الرقاب فاخذت في طريقة اخصر من الاولى
مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر الصديق رضي الله
عنه وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلثين سنة وما هي الا اية من ايات هذا البيت المحرم وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم

لمعظم اسالله ان يجعل ما تعبت فيه منه سببا يحببني ونورا لي على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسئول

سورة فاتحة الكتاب مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة وبالمدينة اخرى وتسمى

ام القران لاشتمالها التي في القران من الثناء على الله بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلاة فاضلة او مجزية بقراتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس وقراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القران ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القران لما اثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله فان قلت بم تعلقت الباء قلت بمحذوف تقديره بسم الله اقرا او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروٌ كما ان المسافر اذا حل وارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى باسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدا في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدا له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله تعالى في تسع ايات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع ايات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست او نكحت ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم فريق يحسد الانس الطعاما فان قلت لم قدرت المحذوف متاخرا قلت لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدءون باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما فعل في قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجريها ومرسيها فان قلت فقد قال اقرا باسم ربك فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم فان قلت ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدا فيه باسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق به تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرا وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن فان قلت فكيف قال الله عز وجل متبركا باسم الله اقرا قلت هذا مقول على السنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثير من القران على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فان قلت من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت اما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد الاسماء

العشرة التي بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دابهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبر قشر النخلة الاعلى فان قلت فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله باسم ربك الاعلى قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم والله اصله الاله قال معاذ الاله ان تكون كظبية ونظيره الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله واله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر فان قلت اسم هو ام صفة قلت بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وايضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح فان قلت هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي فقال اليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى فقال هذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم فان قلت كيف تقول الله رحمن اتصرفه ام لا قلت اقيسه على اخواته من بابه اعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا اصرفه فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر ذلك ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذن لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظايره فان قلت ما معنى وصف

الله بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فان قلت فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف الحمد لله الحمد والمدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي عن كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي ينصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابرهيم صلوات الله عليه حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرا الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرا ابرهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنين واشف القراءتين قراءة ابرهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن رب الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفين لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرا زيد بن علي رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض فان قلت لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فان قلت فهو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام

وقرا ابو حنيفة رحمه الله ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرا ابو هريرة رضي الله عنه مالك بالنصب وقرا غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرا مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا فان قلت ما هذه الاضافة قلت هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم فان قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه بما هو اهله اياك ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله تامروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى ~~على الظرف ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن~~ نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله لانه مولي اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فان قلت لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلث التفاتات في ثلثة ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به فان قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما

يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة
اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة
ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام
واخذ بعضه بحجزة بعض وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر النون اهدنا هدى اصله ان يتعدى باللام
او بالى كقوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى
قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان
في الرتبة وقرأ عبد الله ارشدنا **الصراط المستقيم** السراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما
لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاهن
اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق
وهو ملة الاسلام **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا
صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم
قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين فيكون ذلك شهادة لصراط
المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل
من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم
الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل فكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير
مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا
اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى عليه السلام قبل ان يغيروا وقيل هم الانبياء وقرأ ابن مسعود صراط من انعمت عليهم
غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة
على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة
وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم
والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي يابى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله
تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب الله قلت هو ارادة
الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضب الله ونسأله
رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم الاولى وعليهم الثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية
ولا الضالين فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا

غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي
رضي الله عنهما انهما قرآ وغير الضالين وقرأ ايوب السختياني ولا الضألين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء
الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة **آمين** صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات
سمي بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال
افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القران بدليل انه لم يثبت في المصاحف و
عن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله
بن مغفل وانس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الشافعي رحمه الله يجهر بها وعن وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة
والانجيل والقران مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة
بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب
الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وست وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **الم**

اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة اي المفردة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم تسمى به
ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا
كاساميها وهي حروف وحدان والاسامي عدد حروفها مرتق الى الثلثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها
وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها
في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحولقة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة
كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه الف
وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا كل اسم عمدت الى تأدية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها
فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف
تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا فان قلت لم قضيت لهذه
الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء
غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح اشكال
في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف ومستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على اوسط حروف
قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في
غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير و

الجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المنصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك
قال سيبويه قال الخليل يوما وسال اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل
نقول باكاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في ياسين وامالة يا انهم قالوا
يا زيد في النداء فاما الواو ان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا الايمال من الحروف من اجل اليا فلان يميلوا الاسم الذي هو
ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها فان قلت من اي قبيل هي من الاسماء امعربة ام مبنية قلت بل هي اسماء
معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف
وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت فلم
لفظ المتهجي بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة
فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في ان قصرت متهجاة ومدت
حين مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فان قلت قد تبين انها اسماء لحروف المعجم وانها
من قبيل المعربة وان سكون اعجازها عند الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح السور قلت فيه اوجه احدها و
عليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب اسماء السور
وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتاتى فيه اعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها
على زنة مفرد كحاميم وطاسين وياسين فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طاسين ميم يتاتى فيها ان تفتح نونها وتصير ميم مضموما
الى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا واما النوع الثاني فسايغ فيه الامران الاعراب والحكاية
قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح ابن اوفى العبسي يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب حاميم و
منعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتانيث والحكاية ان تجيء بالقول
بعد نقله على استبقاء صورته الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدات بالحمد لله وقرات سورة انزلناها وقال وجدنا في كتاب بني
تميم احق الخيل بالركض المعار وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال الاخر تنادوا بالرحيل
غدا وفي ترحالهم نفسي وروي منصوبا ومجرورا ويقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رايت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من
العرب لا من اين يا فتى فان قلت فما وجه قراءة من قرا صاد وقاف ونون مفتوحات قلت الوجه ان يقال ذاك نصب وليس بفتح
وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس
وياسين لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرا ياسين ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرا من قرا ولا
الضالين فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن على حذف حرف الجر
واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة الا رب من قلبي لها الله ناصح وقال الاخر اذا ما الخبز تادمه بلحم فذاك امانة الله الثريد قلت ان
القران والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال
الخليل في قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما

الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل
فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالاول على شيء لجاز ان يستعمل
كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الاخرة
واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم هاهنا بمنزلة الواو وهذا ولا سبيل فيما نحن بصدده الى ان
تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله
لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير
الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما رووا عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اقسم الله بهذه الحروف
فان قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط
من غلواء الحركات ان الوقف لما استمر بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة
معاملة الآن واخرى معاملة هؤلاء فان قلت هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من ارادة معنى القسم قلت لا عليك
في ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وعلا حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين
انا جعلناه واما قوله صلى الله عليه حم لا ينصرون فيصلح ان يقضى له بالجر والنصب جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت
فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة قلت كان المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة التركيب
من مسميات هذه الالفاظ كما قال عز من قايل قرآنا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف انفسها لا
على صور اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب
كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء وتقع في الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك الشاكلة المالوفة في كتابة هذه الفواتح وايضا فان
شهرة امرها واقامة السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير
ما هو عليه من مورده امنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء
ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه
في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ
ويسقط عنه ما اسقطه والوجه الثاني ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن
تحدي بالقران وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه
كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن ان ياتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة
وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم
يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بذت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء و
لم يقع وراء مطامح اعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول
بمنزل ولناصره على الاول ان يقول ان القران انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز

ما سمّوا به مجموع اسمين ولم يُسمّ احدٌ منهم بمجموع ثلثة اسماء واربعة وخمسة والقول بانها اسماء السور حقيقةً يخرج الى ما ليس
في لغة العرب ويؤدّي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمّى واحدًا فان اعترضت عليه بانه قول مقولٌ على وجه الدهر وانّه لا سبيل الى
ردّه اجابك بان له محملًا سوى ما يذهب اليه وانّه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه
ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله نور السموات والارض وليست هذه بجمل
باسامي هذه القصائد وهذه السور والآي وانما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة والاية التي تلك
فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة
وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه الاول ان يقول التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن
اذا جعلت اسمًا واحدًا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية
بما حقها ان يحكى حكاية كما سمّوا بتأبط شرًّا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمّي بزيد منطلق او ببيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه
بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السورة
كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمّى واحدا لانها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا
منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمّى واحدًا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمّى مفردا والوجه الثالث
ان ترد السور مصدّرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان
النطق بالحروف نفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميّون منهم واهل الكتاب وتعلّم منهم وكان مستغربا مستبعدًا
من الامّيّ التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال الله عزّ وجلّ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك اذا
لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئًا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي
لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة
من غير ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تأملت ما اورده الله عزّ سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف
المعجم اربعة عشر سواءً وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف
والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف
بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء و
القاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد
والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية
نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون
ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس
المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقّت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء وجلّه ينزل منزلة كله وهو
المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكان الله عزّ اسمه عدّد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكر

من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمّد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام
لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمن والسجدة
والاعراف والرعد ويونس وابرهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عُدّدت باجمعها في اول القرآن وما لها جاءت مفرّقة على
السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدّى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقرّ له في الاسماع
والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره فان قلت
فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم
والر وطسم على ثلثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم في
اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك
سُلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه
والمبادئ كلها في تادية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمّى الرجل بعض اولاده زيدا
والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولذلك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل اية سلكت وكذلك لا
يقال لم سمّي هذا الجنس بالرجل وذلك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود فان
قلت ما بالهم عدّوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال فيه للقياس كمعرفة السور اما الم فاية
حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص اية والمر لم تعدّ آية والر ليست باية في سورها الخمس وطسم آية في
سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست باية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص اية واحدة وص وق
ون ثلثتها لم تعدّ هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدّوا شيئا منها اية فان قلت فكيف عدّ ما هو في حكم كلمة واحدة
آية قلت كما عدّ الرحمن وحده ومدهامّتان وحدها آيتين على طريق التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف قلت يوقف
على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق
بالاصوات وجعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله عزّ وجلّ الم الله اي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو
فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم يحتمل الاوجه الثلثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مرّ
من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة
وللمفردات المعدّدة فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضّى
والمتقضّي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدّث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك
كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع
في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به فان قلت لم ذكّر اسم
الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في
معناه ومسمّاه مسمّاه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في التأنيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير

الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا و
قال الذبياني نبئت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري فان قلت اخبرني عن تاليف ذلك الكتاب مع الم
قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم مبتدا وذلك مبتداء ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتداء الاول
ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي
الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة
ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتداء محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة و
ان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتداء خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل
هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدا محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرا
عبد الله الم تنزيل الكتاب **لا ريب فيه** وتاليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس
واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك
ريبة وان الصدق طمانينة اي فان كان الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه
ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء فان قلت كيف نفى الريب
على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة
وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فما ابعد
وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضائل
دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في
قوله تعالى لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما
كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول
تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرا ابو الشعثاء
لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن
نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا باس وهي
كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه **هدى للمتقين** الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة
الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال لعلى هدى او في ضلال
مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو
غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك
الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو انه سماهم عند
مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس اذا اراد احدكم الحج

فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه
قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين فريقان
فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة
فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام
باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن
واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس
واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يولمه وهو في
الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغاير وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع
مكفرة عن مجتنب الكباير وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل
الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف وخبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتداء اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه
ويجوز ان ينصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا
وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى
للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق و
ذلك لمجيئها متاخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك
انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا
من اعضاده ثم نفي عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص
انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر
عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل
كل واحدة من هذه الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى
الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف
وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا
الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه **الذين يؤمنون بالغيب** ~~ويقيمون الصلوة ومما~~
~~رزقناهم ينفقون~~ الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني
الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما منقطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا
كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان منقطعا كان وقفا تاما فان قلت ما هذه الصفة أواردة بيانا وكشفا للمتقين
ام مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها ام جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا قلت يحتمل ان
ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد

انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لان هاتين اما العبادات البدنية
والمالية وهما العيار على غيرهما الم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر
ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة
كان من شانهما استجرار ساير العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بان استغنى عن عد الطاعات بذكر
ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم تتوقف اخواته ان تقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين واما
الترك فكذلك الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل ان لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها
دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان
بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لانافتها على سايرها يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان
افعال من الامن يقال امنته وامننيه غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى
اقر واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون وطمانينة
وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي يعترفون به او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع
الحال اي يؤمنون غايبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب
ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان
بينا لمن رآه والذي لا اله الا هو ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الاية فان قلت فما المراد بالغيب ان جعلته
صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته صلة كان بمعنى الغايب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد
بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى
وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان يكون فيعلا فخفف
كما قيل قيل واصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا
دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث و
النشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان
يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن
ويقيمون الصلوة
اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة الصلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرايضها وسننها وآدابها من اقام العود
اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا الذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من
وَاَقامها
قامت السوق اذا نفقت واقامها قال ابو الطيب اذا قيل اقامت سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق
الذي تتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه والتجلد
والتشمر لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الامر
وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبطوا اداؤها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام

وبالركوع

وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبحين والصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى
كتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا طاطا راسه و
انحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد و
اسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله ويسمى رزقا منه وادخال من
التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض
المال الحلال بالتصدق وجاز ان تراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة وان تراد هي وغيرها
من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول كل منفق وانفق الشيء وانفده اخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد
واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تاملت والذين يؤمنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون فان قلت والذين يؤمنون اهم غير الاولين ام هم الاولون وانما وسط العاطف كما يوسط
بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث
الصابح فالغانم فالآيب قلت يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين آمنوا فاشتمل ايمانهم
على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالاخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان
النار لن تمسهم الا اياما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشاة الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم فرقتين
منهم من قال تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون فزعموا ان ذلك انما
احتيج اليه في هذه الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم
والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف
عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه فان قلت فاذا اريد
بهؤلاء غير اولئك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا قلت ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة المتقين
مشتملة على الزمرتين من مؤمني اهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون
بما انزل اليك فان قلت قوله بما انزل اليك ان عنى به القرآن باسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف
قيل انزل بلفظ المضي وان اريد المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع سالفه
ومترقبه واجب قلت المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب
المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغايب فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر
النزول جعل كان كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان
كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشيء الا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي
منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك
على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الاخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الاخرة على خلاف

حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما انزل اليك وما انزل من قبلك والايقان اتقان العلم بانتفاء
الشك والشبهة عنه والآخرة تانيث الآخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات
الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض وقرأ ابو حية النميري
يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو وكانها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه لحب المؤقدان الي مؤسي وجعدة
اذا اضاءهما الوقود اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون اولئك على هدى الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون
بالغيب فقد ذهب به مذهب الاستئناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين فاختص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه
لسائل ان يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته كانه جواب لهذا السؤال المقدر
وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم
اي الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب رسول الله الانصار الذين
قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل للمحبة وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف على اولئك كانه قيل ما
للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى
عاجلا وبالفلاح آجلا واعلم ان هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد
زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستئناف باعادة
الصفة احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه فان قلت هل يجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثاني
على الابتداء واولئك خبره قلت نعم على ان يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول
الله وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه
فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب
تعديدها بقوله فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل
لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا
بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من قبله
وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ
كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اي هدى كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي فلا وابي الطير المربة
بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم والنون في من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي
عن ابن كثير لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم
الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تميزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت
مميزة على حيالها فان قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون
قلت اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم

بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد
بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك
ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب
من اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا
ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط
الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر
اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك
لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا
بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر
ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بامرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته
في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون لما قدم ذكر اوليائه وخالصة
عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم
العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول
وسكوته فان قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي
الكثيرة قلت ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين
وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف
فان قلت هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على المتقين فاما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في
صفة اضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي ان الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وانه مبني على
تقدير سؤال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في
الذين كفروا يجوز ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان يكون للجنس
متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم و
سواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء
للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وءانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو
عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او يكون ءانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما
بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان فان قلت الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه في هذا الكلام قلت
هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا
من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من

عطف الاسم على الفعل والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى هذا على
حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا
استفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استوائهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن
اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب واكثر وتخفيف
الثانية بين بين وتوسيط الف بينهما محققتين وتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على
الساكن قبله كما قرئ قد افلح فان قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية الفا قلت هو لاحن خارج من كلام العرب خروجين احدهما الاقدام
على جمع الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف
لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها
كهمزة راس الانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فان قلت ما موقع لا يؤمنون قلت اما ان تكون جملة مؤكدة للجملة قبلها
او خبر لان والجملة قبلها اعتراض خَتَمَ اللّٰهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ الختم والكتم اخوان لان
في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا
غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار قلت لا
ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان
تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها
تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات الله المعروضة
ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك واما التمثيل
فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع
بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس على
الكلام بقادر واذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نافر فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على
المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد
نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشاء ونظائر ذلك
مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله تعالى فلينبه على ان هذه الصفة
في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا او مفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات
عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم
ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطالت به الغيبة و
ليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال
من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في

حلوها

خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم انفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له
عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون
الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر و
الزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك
لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء
دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر
جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها
فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل
الى المسبب ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي عليهم
الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى
ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في
التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد
لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي
ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى
تاتيهم البينة فان قلت اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول قلت على دخولها
في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم فان قلت اي فائدة
في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية
على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك
اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر
لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرا ابن
ابي عبلة وعلى اسماعهم فان قلت هلا منع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد قلت لان
الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كان فيها كسرتين وذلك اعون شيء على الامالة وان يمال له ما لا يمال والبصر
نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتامل وكانهما جوهران
لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع و
غشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع
من العشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب

لانه يقمع العطش ويرده بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته
على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل ألم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير
ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث
جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء
التعامي عن ايات الله ولهم من بين الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم اجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك
يا واسع المغفرة ﴿ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين﴾ افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله و
واطأت فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث
بالذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء
وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء
وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في ايتين وحال الذين نافقوا
في ثلث عشرة اية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم
وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن اخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف
الجملة على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس
ويشهد لاصله انسان واناس واناسي وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا
ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا ترى انك تقول في وزن قه افعل وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع
كرخال واما نويس فمن المصغر الاتي على خلاف مكبره كانيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز ان يكون للعهد والاشارة
الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم
على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كانه قيل و
من الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون
النبي فان قلت كيف يجعلون بعض اولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا
وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الاخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء
لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما
تاتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فان قلت لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الاخر قلت اختصاصهما
بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن
الله وكذلك ايمانهم باليوم الاخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم امنا بالله وباليوم الاخر خبثا مضاعفا وكفرا
موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة
للمسلمين واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد اوهموا في هذا المقال

انهم

انهم اختاروا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله واخره وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين
على صفة الصحة والاستحكام فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم امنا بالله وباليوم الاخر والاول في ذكر شان الفعل
لا الفاعل والثاني في ذكر شان الفاعل لا الفعل قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادى الى الغرض المطلوب
وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية
لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما
انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو ابلغ من
قولك وما يخرجون منها فان قلت فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول قلت يحتمل ان يراد التقييد ويترك
لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الاخر ولا من الايمان
بغيرهما فان قلت ما المراد باليوم الاخر قلت يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتاخره
عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات
المحدودة الذي لا حد للوقت بعده ﴿يخادعون الله والذين امنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون﴾ والخدع ان يوهم
صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج
من باب اخر فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا تخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي
لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله واستمطروا من قريش كل منخدع
وقول ذي الرمة ان الحليم وذا الاسلام يختلب فقد جاء النعت بالانخداع ولم يات بالخدع قلت فيه وجوه احدها ان يقال
كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر
باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك
صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثاني ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم
ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا
بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه
خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه
باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين
قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد
اطاع الله والرابع ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص
ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله
ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا بنفسه لانه كان معلوما له قديما كانه
قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح قلت

وجهان يقال عني به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه وتعضده قراة من قرا يخدعون الله والذين امنوا وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون فان قلت هم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعونهم عن اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلو اطهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة فان قلت ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه غير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين اصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد في الامر واتجه له رايان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعيي النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس هاهنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في

قوله

قوله قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسوءهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد كانوا اصطلحوا على ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب له كما اسنده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا او كلما زاد الله رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضاء وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرا ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما يروى عن ابرهيم صلوات الله عليه انه كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه ومن كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص او بمعنى الكثرة كقولك موتت البهائم وبركت الابل ومن قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول امنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول اوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طي حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته

وانما لقصر الحكم على شيء كقولك انما ينطلق زيدا ولقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد والامر كبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله تعالى اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلايعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي ابكى واضحك رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادل على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستيناف وما في كلتا الكلمتين الا وان من التاكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون اتوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ فان قلت كيف صح ان يسند قيل الى لا تفسدوا وآمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك الف ضرب من ثلاثة احرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز ان تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما آمن رسول الله ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم ومن ابناء جنسهم اي كما آمن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية او جعل المومنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول اوقد فعل السفيه ويجوز ان يكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرق في الناس في السفه فان قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولانهم كانوا في رياسة وبسطة في قومهم ويسار وكان اكثر المومنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم فان قلت لم فصلت هذه الاية بلا يشعرون قلت لان امر الديانة والوقوف على ان المومنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ مساق هذه الاية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة

عن

عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المومنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقي ومراوقي وقرا ابو حنيفة رحمه الله عليه واذا لاقوا وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية بالمومنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن اسمائه الباطل انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم المومنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس ما خاطبوا به المومنين جديرا باقوى الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التوراة والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المومنين ربنا اننا آمنا واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رايج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت انى تعلق قوله انما نحن مستهزئون بقوله انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزئون رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزئون والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزا يهزا مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لاهزان على مكاني وناقته تهزا به اي تسرع وتخف اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ فان قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العبث والجهل الا ترى الى قوله قالوا اتتخذنا هزوا قال

اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه
الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك
وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شانهم وازدراء امرهم والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر
منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز ان يراد به ما مر في يخادعون من انه يجرى عليهم احكام المسلمين في الظاهر
وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
فان قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة
وفيه ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته
لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا
يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن
قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه
النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار
وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما
في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش وامده اذا زاده والحقه
به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما
بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان
قلت لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والاملاء والامهال قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد
قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام
كاملى له فان قلت فكيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشيطان الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم
في الغي قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه
بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا واسند
الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما ان يسند فعل الشيطان الى الله
تعالى لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال
وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسند الى
الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد بصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب
الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما
من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره
في ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرأ زيد بن علي

رضي الله عنه في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فان قلت اي نكتة في اضافته اليهم قلت
فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله برئ منه ردا لاعتقاد الكفرة
القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد اليه انه لو لم يضف الطغيان اليهم ان
الطغيان فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذي ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع
في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة في
قوله واخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد
لا يدري اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق وسلك ارضا عمهاء لا منار بها أولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها
به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات
الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بني اسرائيل
تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فان قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا
على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كأنه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به و
لان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد
وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على راس
المال ولذلك سمى الشف من قولك شف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر و
هو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرا ابن ابي عبلة تجاراتهم فان قلت كيف
اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها قلت هو من الاسناد المجازي وهو ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو له في
الحقيقة كما تلبست التجارة بالمشترين فان قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازي قلت نعم اذا
دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رأيت اسدا وانت تريد المقدام ان لم تقم حال دالة لم تصح فان قلت هب ان شراء الضلالة
بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة البديعة
التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما
احسن منه ديباجة واكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كأن اذني قلبه خطلاوان وجعلوه
كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة
الحمار مشاهدة معاينة ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر
والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في امه فما ام الردين وان ادلت بعالمة
باخلاق الكرام اذا الشيطان قصع في قفاها تنفقناه بالحبل التؤام اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه
من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد اذا حردت واساءت الخلق اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها

استعار التقصيع اولا ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التوام فكذلك لما ذكر سبحانه الشري اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فان قلت فما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت معناه ان الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة راس المال والربح وهولاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له راس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العاملون بما يربح فيه ويخسر **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون** لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شان ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولامر ما اكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله وكلام الانبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير فان قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه احد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجائبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة اي صفتهم وشانهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان فان قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسماء الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون وانما ذلك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته وقل في الجبل اذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها والاضاءة

فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية وتحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء وتعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت وفيه وجه اخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدال عليه وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار فان قلت فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع واما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم قلت اذا طفئت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد ووجه اخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث فاطفاها الله وخيب امانيهم فان قلت كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون فان قلت فلم وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به اذا لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقرا اليماني اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله واذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزءين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك

ان تفعل كذا اى ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرا الحسن ظلمات بسكون اللام وقرا اليمانى فى
ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذى لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل
المقدر المنوى كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون فى قوله ويذرهم فى طغيانهم يعمهون فان قلت فيم شبهت حالهم
بحال المستوقد قلت فى انهم غب الاضاءة خبطوا فى ظلمة وتورطوا فى حيرة فان قلت واين الاضاءة فى حال المنافق
وهل هو ابدا الا حائر خابط فى ظلمات الكفر قلت المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء
استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التى ترمى بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب
الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد
الطبع لقوله صم بكم عمى وفى الاية تفسير آخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل
ليمثل هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التى اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله
بنورهم وتركه اياهم فى الظلمات وتنكير النار للتعظيم صم بكم عمى فهم لا يرجعون كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا
عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا باعينهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم
وانتقضت بناها التى بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء
عندهم اذنوا اصم عما ساءه سميع اصم عن الشئ الذى لا اريده واسمع خلق الله حين اريد فاصممت عمرا واعميته عن
الجود والفخر يوم الفخار فان قلت كيف طريقته عند علماء البيان قلت طريقته قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء
الا ان هذا فى الصفات وذاك فى الاسماء وقد جاءت الاستعارة فى الاسماء والصفات والافعال جميعا تقول
رايت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق فان قلت هل يسمى ما فى الاية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون
على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار
له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير لدى
اسد شاكى السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون
عن توهمه صفحا قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة فى السماء ولبعضهم لا تحسبوا ان فى سرباله رجلا ففيه
غيث وليث مسبل مشبل وليس لقائل ان يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه
فى حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج اسد على وفى الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر ومعنى لا يرجعون
انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او ارادا انهم بمنزلة المتحيرين
الذين بقوا جامدين فى مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤوا منه او كصيب
من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين
ثنى الله سبحانه فى شانهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ فى مظان الاجمال
والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه فى موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ يرمون بالخطب الطوال

وتارة وحى الملاحظ خيفة الرقباء ومما ثنى من التمثيل فى التنزيل قوله وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور
ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات الا ترى الى ذى الرمة كيف صنع فى قصيدته اذاك ام ممش بالوشى
اكرعه اذاك ام خاضب بالسى مرتعه فان قلت قد شبه المنافق فى التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة
وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه فى التمثيل الثانى بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق وبالصواعق قلت لك
ان تقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه
من الوعد والوعيد بالبرق والرعد وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى
او كمثل ذوى صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فان قلت هذا تشبيه اشياء باشياء فاين
ذكر المشبهات وهلا صرح به كما فى قوله وما يستوى الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ وفى
قول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى قلت كما جاء ذلك صريحا فقد
جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذى عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين
جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شئ يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل
بيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذلك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ
القيس وجاء فى القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها
كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا الى آخر الاية الغرض تشبيه حال اليهود فى جهلها
بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار فى جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوى الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة
وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء
انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض
ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين فى ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت
حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها فى ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء فى الليلة
المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فان قلت الذى كنت تقدره فى المفرق من التشبيه من حذف المضاف
وهو قولك او كمثل ذوى صيب هل تقدر مثله فى المركب منه قلت لولا طلب الراجع فى قوله يجعلون اصابعهم فى آذانهم
ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لانى اراعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا على اولى حرف التشبيه
مفرد يتاتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الاية كيف ولى الماء الكاف وليس الغرض تشبيه
الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين فى هذا قول لبيد وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها و
غدوا بلاقع لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم وفناءهم بحلول اهل الديار فيها ووشك
نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية فان قلت اى التمثيلين ابلغ قلت الثانى لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته

ولذلك اخّروهم يتدرّجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الآخر بحرف الشك
قلت او في اصلها للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس
الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيّان في استصواب ان يجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا اي الآثم والكفور
متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيّب معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة بكيفيتي هاتين القصتين
وان القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثّلتها فانت مصيب وان مثّلتها بهما جميعا فكذلك
والصيّب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيّب ايضا قال الشماخ وأسحم دان صادق الرعد صيّب و
تنكير صيّب لانه اريد نوع من المطر شديد هائل كما نكّرت النار في التمثيل الاول وقرئ كصائب والصيّب ابلغ والسماء
هذه المظلّة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت قوله من السماء معرّفة فنفى ان يتصوّب من سماء اي من افق واحد من
بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء في قوله تعالى واوحى في كل سماء امرها والدليل
عليه قوله ومن بُعدِ ارضٍ بيننا وسماءِ والمعنى انه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء وكما جاء بصيّب وفيه مبالغات من جهة
التركيب والبناء والتنكير امدّ ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها ياخذ ماءه لا كزعم من يزعم
انه ياخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزّل من السماء من جبال فيها من برد فان قلت بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف
على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كان اجرام السحاب تضطرب وتنتقض
اذا حدتها الريح فتصوّت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع فان قلت
قد جعل الصيّب مكانا للظلمات فلا يخلو ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات السحاب
فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع
القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل فان قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا
كانا في اعلاه ومصبّه وملتبسين في الجملة به فهما فيه الا تراك تقول فلان في البلد وما هو منه الا في حيّز يشغله جرمه فان
قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات
قلت فيه وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا
روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه
الاشياء منكّرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون
الى اصحاب الصيّب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيّب كما قال او هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا
ترى الى حسان كيف عوّل على بقاء معناه في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفّق بالرحيق السلسل حيث ذكّر
يصفّق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول
فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق
فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤوس الاصابع هو الذي يجعل في الاذن فهلا قيل اناملهم قلت هذا من الاتساعات

في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق
والذي الى الرسغ وايضا ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فالاصبع التي تسدّ بها الاذن
اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لان السبابة فعّالة من السب فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن
الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبّحة والسبّاحة والمهلّلة والدعّاءة فان قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات
قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون
اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في آذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها
شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع
حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق
اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخرّ موسى صعقا وقرا الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق
لان كلا البناءين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على راسه وصقع
الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها اما ان يكون
صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرا ابن ابي ليلى حذار الموت
وانتصب على انه مفعول له كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه
احساس معاقب للحيوة واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه
الجملة اعتراض لا محل لها يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ اَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا اَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَاِذَا اَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ
اَبْصَارِهِمْ اِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ والخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد يخطِف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود يختطف
وعن الحسن يَخَطِّف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يِخِطِّف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يُخَطِّف
من خطّف وعن ابيّ يتخطّف من قوله ويتخطّف الناس من حولهم كلما اضاء لهم استئناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف
يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيّب وما هم فيه
من غاية التحيّر والجهل بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك
الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيّدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف
الرعد فاصمّهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعدّ بمعنى كلما نوّر لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف
واما غير متعدّ بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي
جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتدّ فهو سعي واذا ازداد فهو عدو فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام
اذا قلت لانهم حراص على وجود ما همّهم به معقود من امكان المشي وتاتّيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك
التوقف والتحبّس واظلم يحتمل ان يكون غير متعدّ وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد
بن قطيب اُظلِم على ما لم يسمّ فاعله وجاء في شعر حبيب بن اوس هما اظلما حالي ثمّت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب

وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كنحو قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان يتخذ ولدا واراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وقرا ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التانيث من التذكير الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكانه قيل ان الله على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم ولم تدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه فان قلت مم اشتقاق القدير قلت من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز **يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء** لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المومنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لك ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه لا يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الاذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابرهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله اي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا فان قلت فما بال الداعي يقول في جواره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل

المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وتلبيته واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو اي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة فان قلت لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت لاستقلاله باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المومنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمومنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم متلبسون به وهل هو الا كقول القائل فلو اني فعلت كنت كمن تسأله وهو قائم ان يقوما واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المومنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المامور بالصلوة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا لشيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا آخر فان قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرا ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرا ابو السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك ولعل للترجي والاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري اطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا يكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما القيت اليك وايضا

فمن دَيدن الملوك وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطّنون انفسهم على انجازها على
ان يقولوا عسى ولعلّ ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالةً او يظفر منهم بالرمزة والابتسامة او النظرة الحلوة فاذا
عُثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك
ذي العزّ والكبرياء او يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة
نصوحًا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم فان قلت فلعلّ التي في الاية ما معناها وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه في شيء
لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله
على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الاية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده
ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في
ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة
والعصيان كما ترجحت حال المرتجى بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما
يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبّه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار فان قلت كما خلق المخاطبين لعلهم
يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلّب
المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا فان قلت فهلّا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان
تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى
امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعث
على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال
ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا
لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة
اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم
الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلَّبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا
القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلّة والمظلّة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه
النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد و
الاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه
المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له
اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او
على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا
ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده

فان

فان قلت هل فيه دليل على ان الارض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش
وسواء كانت على شكل السطح او على شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد
اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبناء مصدر
سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا
عليها خباء جديدا فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته قلت المعنى انه جعل الماء سببا
في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس
الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها
لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته
ليس في انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله
فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية كانه قيل وانزلنا من السماء
بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات
ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت فبم انتصب رزقا قلت
ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج فان قلت فالثمر المخرج بماء
السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في
قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي
مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء
ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما
للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم
فلا تجعلوا لله اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب
فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا
وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي حفظكم بهذه الآيات العظيمة و
الدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير اتيما
تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند يند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند
ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا
يزعمون انها تخالف الله وتناويه قلت لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة
مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بان
جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه اربا واحدا ام الف رب

ادين اذا تقسمت الامور وقرا محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فان قلت ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم و
صفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدها
والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في
استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ
فيه آكد اي انتم العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية
سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها
لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من
مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين لما احتج عليهم بما اثبت الوحدانية وحققها وابطل الاشراك وهدمه
وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف
على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القران معجزة واراهم كيف يتعرفون
اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه
واهل جلدته فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو
من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا
نجوما سورة بعد سورة وايات غب ايات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر
من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم
ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال
الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل و
تدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او ايات شتى مفتريات وهذه غاية
التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله وامته والسورة الطائفة من القران المترجمة التي اقلها ثلث
ايات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القران محدودة محوزة على حيالها
كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما ان تسمى
بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور بمنزلة
المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضا في نفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها في
الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القران كالسؤرة التي هي البقية من الشيء و
الفضلة منه فان قلت ما فائدة تفصيل القران وتقطيعه سورا قلت ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله
التورية والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن
كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل

وافخم

وافخم من ان يكون بابا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز
لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا
او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزا القراء القران اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها
ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه
ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرا البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة
في الصلوة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل بسبب تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ
المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من مثله والضمير
لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد فان قلت وما مثله حتى ياتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فاتوا
بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرا
الكتب ولم ياخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم
مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا
يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القران
لا ياتون بمثله ولان القران جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن
ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا يفك عنه برد الضمير الى غيره
الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القران منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان
الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرانا من مثله ولانهم اذا خوطبوا
جميعا وهم الجم الغفير بان ياتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات
واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى
الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها
لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذلك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا
اصله خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف
والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد رآه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز
حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين
الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله ولم تناليها لم يقك غيره ومن دون
الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون
لكم يوم القيمة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه
اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة

القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم اوادعوا شهداءكم من دون الله اى من دون اوليائه ومن غير المومنين ليشهدوا
لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد
وفرسان المقاولة والمناقلة تابى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد
البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه
ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقول العاجز عن اقامة
البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز
لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم هذا
تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له
قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد
وهو بينكم وبين اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس
الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس و
الجن الآية فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين لما ارشدهم الى الجهة التي
منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله قال لهم فاذا
لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا
العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا
يعلمه الا الله فان قلت انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون ان الذي للشك قلت فيه وجهان
احدهما ان يساق القول معهم على حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم
لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم به كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة
على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة
في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك
اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت
به ويعد كيفيات وافعالا فتقول بئسما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ
الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة فان قلت ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية
فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا
فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل في انا مقيم وانى مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء
لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتاكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه
اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه

مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثف عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان
معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله قلت انهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة
صح عندهم صدق رسول الله واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار
فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد
من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا
سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب
البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شان العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في صورته
مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال
سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب وقرا عيسى بن عمر
الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما تقول فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حيوة المصباح السليط
اى ليست حياته الا به فكان نفس السليط حياته فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف
علم اولئك ان نار الآخرة توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من
رسول الله او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت
النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وها هنا معرفة قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه
الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت معناه
انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء
الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما
يحرق ويحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها فان
قلت انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد
بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا الآية فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم
نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن
الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله
اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه
فقوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم
المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بها ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها
الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم
وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم

وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل اعدت هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون من عادته عز وعلا في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب فان قلت من المأمور بقوله وبشر قلت يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون كل احد كما قال عليه السلام بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة لم يأمر بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مأمور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوءه واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتيني والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت اي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع قلت اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد به بعضه لا الى الواحد لان وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فان قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فان قلت الجنة مخلوقة الآن ام لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة ومجيئها في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب

كلها

كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فان قلت اما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان يندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة جري الانهار من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطي الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت آنق شيء واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله بذكر الجنات مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطأهم الطريق وصيد عليه يومان فان قلت لم نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الآية وقوله كلما رزقوا لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه أثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله فان قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فان قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف

يكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقناه من قبل وشبهه بدليل
قوله واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته فان قلت الام
يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر
ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا
على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد فان قلت لاي غرض تتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر
الجنة لم تكن اجناسا اخر قلت لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل واذا راى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه
ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه الف وراى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه
وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو
كان جنسا لم يعهده وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة فيه حق التبين فحين ابصروا
الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن
والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما راوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون
الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب
من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها
دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم
ويستدعي تبجحهم في كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت
مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به الى الرزق كما
ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة
فياكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام
والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها
فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو هو فان قلت كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام
قلت هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل وراى من الراي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها
اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير الازواج ان طهرن
مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته
الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما ياخذنه من اعراق السوء
والمناصب الردية والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة
كالموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت
الحماسة واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرا زيد بن علي

مطهرات وقرا عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة اي
فاتطهر به تطهرة فان قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا
طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم والخلد الثبات الدائم و
البقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس
الا انعم صباحا ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت
باوجال ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها سيقت هذه الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء
واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار
والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من
المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب
به المثل اذن الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق
لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة
التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت
اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي
من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتكمه ويستدعيه
ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل
هذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل
على عقولهم وغضبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف
والعادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب
زيادة هدى للمتقين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون
الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم و
بواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واصرد من جرادة واضعف
من فراشة وآكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض وكلفني مخ البعوض ولقد ضربت
الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثيل
بهذه الاشياء وباحقر منها مما لا تغني استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا
يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار
المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت
في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله هذه الآية والحياء تغير وانكسار

يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس اذا
اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحيوة كما قالوا فلان هلك
حياء من كذا ومات حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا فان قلت كيف جاز
وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل
مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى
قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة
في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب
على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب ومنه قول ابي تمام شعر من مبلغ افناء يعرب كلها • اني بنيت الجار
قبل المنزل • وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته
فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع
تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم
مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه شعر اذا ما استحين الماء يعرض نفسه • كرعن بسبت في اناء من
الورد • وقرا ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته
وهما محتملتان هنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اصطرب رسول الله خاتما
من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد
اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا
نصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما
على الذي احسن ووجه آخر حسن جميل وهو ان تكون ما التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات
قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي
بما وهب ما دينار ودينارين والمعنى ان الله ان يتمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل
بالجزء الذي لا يتجزي او بما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من
لا شيء في العدد ولقد الم به قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج
وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراءة
الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن
النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين مجري ضرب مجري جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع و
العضب يقال بعضه البعوض وانشد شعر لنعم البيت بيت ابي دثار • اذا ما خاف بعض القوم بعضا • ومنه بعض

الشيء

الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه معنيان احدهما فما
تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم
هو فوق ذلك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كانه قصد بذلك
رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته
يشح بادنى شيء فقال فلان بخيل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل فيه وهو
الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابراهيم
عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عايشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب
فسطاط فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه قال ما من مسلم
يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة و
هي نحو نخبة النمل في قوله عليه السلم ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما
هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية
في الصغر قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله مثلا للدنيا و
في خلق الله حيوان اصغر منها ومن جناحها ربما رايت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر
الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان
من يدرك صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل
في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون
وانشدت لبعضهم شعر يا من يرى مد البعوض جناحها • في ظلمة الليل البهيم الاليل • ويرى عروق نياطها في نحرها
والمخ في تلك العظام النحل • اغفر لعبد تاب من فرطاته • ما كان منه في الزمان الاول فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من
ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام
ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه
منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين
بيان كونه توكيدا وانه في معنى الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون والذين كفروا
يقولون احماد عظيم لامر المومنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم
بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق
محكم النسج • وماذا فيه وجهان ان تكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فتكون كلمتين وان تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين
اسما واحدا فتكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب
المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب

السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رأيت خيرا اي المرئي خير وفي جواب ما الذي رأيت
خيرا اي رأيت خيرا وقرئ قوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والارادة نقيض الكراهة
وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها
يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم على ان للباري مثل صفة المريد منا التي هي
القصد وهو امر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله هو انه فعلها وهو غير ساه ولا
مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر بها والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب وفي قولهم ماذا
اراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب
على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او
على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين قوله يضل به كثيرا ويهدي
به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين
به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وان الجهل
بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم
وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله قلت اهل الهدى
كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين
كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل
وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم
تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى
ما نحن فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة
فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك وقرأ زيد بن علي يضل به كثير وكذلك وما يضل به الا الفاسقون و
الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة يصف نوقا فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله
بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا ان اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة
واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن اشياعه وكونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه
ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل له شهادة ومذهب
مالك بن انس والزيدية ان الصلوة لا تجزئ خلفه ويقال للخلعاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمال
في كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون الذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون النقض الفسخ وفك التركيب فان قلت
من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات

الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها
فنخشى ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر
الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس
اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما
اسد وبحر وعلى المرأة بانها فراش والعهد الموثق وعهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه
واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا فان قلت فما
المراد بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى واخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه
واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدم به من الكتب المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل
لعيسى صلوات الله عليه ساتر عليك كتابا فيه نباء بني اسرائيل وما اريته اياهم من الآيات وما انعمت عليهم وما نقضوا
من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهده اليهم وحسن صنعه للذين قاموا بميثاق الله واوفوا بعهده ونصره
اياهم وكيف انزل باسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا
باسم محمد صلى الله عليهما من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم
ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى الخلق ثلثة عهود العهد الاول الذي اخذه على جميع
ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك من بني آدم وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين
ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون
بمعنى توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى اي من بعد توثقته عليهم او
من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين
وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر
قلت هو طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه
شبه بآمر يأمره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به كما قيل له شان والشان الطلب والقصد يقال شأنت
شأنه اي قصدت قصده هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها
كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك
اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف
تطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر
من الامانة والاحياء قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت فعند

تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تبيع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت كيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة وباولها وآخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال في جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما تصح فيه الحيوة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحيوة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها قلت من حيث اشتمالها على آيات بينات تصرفهم عن الكفر وعلى نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر قلت يحتمل الامرين جميعا لان ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذ من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت

هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ما فسرت به معنى الاستواء الى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة قلت ثم هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا آخر فان قلت اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما قوله في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته فان قلت فهلا قيل خلائف او خلفاء قلت اريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة **قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ** اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ ويسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من

اسفك وسفك ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك والواو في نحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان و
التسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الأرض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد و
بحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن
من عبادتك قال اني اعلم ما لا تعلمون اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك
المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض
ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم آدم الاسماء واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من
العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآذر و
عازر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا
عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا فان قلت هلا زعمت
انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم آدم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعلقه
بالاسماء لا بالمسميات كقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء
لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت فما معنى تعليمه اسماء المسميات
قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها
من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء اي عرض المسميات وانما ذكر لان في
المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنباهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين يعني في زعمكم
اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي
اصول الفوائد كلها ما يستاهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم
في قوله اني اعلم ما لا تعلمون قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انباهم
باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء
به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ ابي عرضها والمعنى
عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة
فيهما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة
لآدم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء
للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس استثناء متصل
لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد
منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك
ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه وقلنا يا آدم اسكن السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار

وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه
الشجرة فتكونا من الظالمين وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اطلق
لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات
من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة
او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه
كرههما وقال يقرأ بها برابرها مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او
نصب جواب للنهي فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض
مستقر ومتاع الى حين الضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما
عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن اكل وعن شرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما
عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فازالهما مما كانا فيه من
النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان
الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها فان قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج
منها فانك رجيم قلت يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة
ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروي انه اراد الدخول فمنعته
الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل اهبطوا خطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح
انه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله تعالى
قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون و
الذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم
لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض مستقر
موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم القيمة وقيل الى الموت فتلقى آدم من ربه
كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ
بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان قلت ما هن قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا
الآية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك
وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني
بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك
قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت
تبعا له كما طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع

عليه بالرحمة والقبول قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون و
الذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فان قلت لم كرر قلنا اهبطوا قلت للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله
فاما ياتينكم مني هدى فان قلت ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت
اليك والمعنى فاما ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا باياتنا
في مقابلة قوله فمن تبع هداي فان قلت فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان
الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتاب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان
به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فان قلت الخطيئة
التي اهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع
اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم
العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي
اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له
ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء الماثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة
وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف
بعهدكم واياي فارهبون اسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة
ابرهيم واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائل واسرال اذكروهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها
ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم الله به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون
وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه
وسلم المبشر به في التورية والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت
عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه ومعنى واوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني
عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله تعالى ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك
زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ اوف بالتشديد اي ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله
من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة
والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي
ثمنا قليلا واياي فاتقون اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا
حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين
بزمان من اوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على

العكس

العكس كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني
من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا
كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله تعالى
اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا وقوله فاني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا باياتي
ثمنا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بايات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما
بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى
على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا او يحرفوا
ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون الباء التي في الباطل ان كانت صلة مثلها في قولك لبست
الشيء بالشيء وخلطته كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى
لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق
ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو
بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن فان قلت لبسهم وكتمانهم
ليسا بفعلين متميزين حتى نهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لان
لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد او
حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون في حال علمكم
انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين
واقيموا الصلوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلوتهم وقيل الركوع
الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان يصلى
مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين اتامرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون اتامرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير و
المعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر
من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا
بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا
لهم قد كنتم تامروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من
البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التوراة وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم

او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم
عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبوا العقول لان العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف
لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون
انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان
تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس
ومراعات الاداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار
السموات ليسئل فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها او واستعينوا
على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه
امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال
فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات
ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء وان يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء
والابتهال الى الله في دفعه وانها الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور التي امر بها بنوا اسرائيل
ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم
اليه فان قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها
فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي
مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون
واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله
من وعد على بعض الاعمال والصنائع اجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة
لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم
وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا بالصلوة والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة
واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها
شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون واني فضلتكم نصب عطف
على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله تعالى باركنا فيها للعالمين يقال رأيت
عالما من الناس يراد الكثرة يوما يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابي بردة
تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون
شيئا ومن قرأ لا تجزي من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرأ ابو السرار الغنوي

لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين العائد منها الى الموصوف قلت هو
محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي ترى او تجي احدا ان تقبلي اي ما احدا بان تقبلي فيه ومنهم من ينزل
فيقول اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان
نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل
منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا
فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود
تزعم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا فان قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه
نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان تقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة
فان قلت الضمير في ولا تقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها
عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت
لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة
من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلثة انفس واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء
العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اصل ال اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا
وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك واشباههم ولا يقال ال الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة
كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم قد جاء الموسى
الكلوم فزاد في قصي تفرعنه وفرط عرامه وقرئ انجيناكم ونجيتكم يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو
بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم
سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء في الاصل مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما
ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره يذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك
ترك العاطف كقوله يضاهئون قول الذين كفروا من قبل وقرأ الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب و
قطعتها وقرأ عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه
كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون و النعمة
ان اشير به الى الانجاء واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون فرقنا فصلنا بين بعضه
وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك
كانت اثني عشر على عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند
سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما توسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون
في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل

قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على
اخلاقهم السيئة فاوحي اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم
وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه وَاِذْ وٰعَدْنَا مُوسٰى اَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ
وَاَنْتُمْ ظَالِمُونَ لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه
التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ وعدنا
لان الله وعده الوحي ووعد المجيء للميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثُمَّ عَفَوْنَا
عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَاِذْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ثم عفونا عنكم حين
تبتم من بعد ذلك ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم
الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة كقولك رايت الغيث
والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعني
الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد و
غيرهما من الايات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين
عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا
اِلٰى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ حمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع
وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده
وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا
بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او
رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية فكشفت السحابة
ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما الفرق بين الفاآت قلت الاولى
للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله
تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم و
الثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فيتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم
واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم فان قلت
من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم
الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقرة التي هي مثل في الغباوة
والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفكك ما ركبه من خلقهم وينثر ما

نظم

نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها وَاِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسٰى لَنْ
نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُونَ قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم جهرة عيانا
وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها
وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة
وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى راددهم القول وعرفهم
ان رؤية ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض فرادوه
بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة كما سلط على اولئك
القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت من السماء
فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى
عليه السلم لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون و
قرأ علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَاَنْزَلْنَا
عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوٰى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِنْ كَانُوا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد
الموت او نعمة الله بعدما كفرتموها اذا رايتم باس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت وظللنا وجعلنا الغمام يظلكم
وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم تظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ
ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر
عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما
ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه وَاِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا
الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها
بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى امروا
بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع
واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم حطة فعلة من الحط كالجلسة
والركبة وهي خبر مبتدإ محذوف اي مسألتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت
لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل و
قيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها فان قلت هل يجوز ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا
على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا وقرئ يغفر لكم
على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان
مسيئا كانت له توبة ومغفرة فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَاَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ

اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما
امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ آخر
مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك
وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما
عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم
لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروي انه مات
منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين عطشوا في التيه فدعا
لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري
حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط
الذي امران يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى
شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبرئيل
يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له
الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا
الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا
ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام
وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل راس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان
في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا
في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان كل اناس
كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا على ارادة القول من رزق الله مما رزقكم الله من الطعام وهو المن و
السلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزرع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب والعثي اشد الفساد فقيل لهم
لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض
من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما
سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء على طعام واحد اراد
ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف
ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا ياكل فلان الا طعاما واحدا يراد

بالوحدة

بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف
ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك
ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع
والكرفس والكراث واشباهها وقرئ وقثائها بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه
قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل اوفق الذي هو ادنى الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب
يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة
يريدون الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبي ادنأ بالهمزة من الدناءة اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه
من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا
في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه كقوله
ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف
عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرايم فعرب وضربت عليهم الذلة جعلت
الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب
الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم
خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وباؤا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته
له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب اي ذلك
بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير
الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم
ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي رضي
الله عنه ويقتلون بالتشديد ذلك تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل
شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء
على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات
وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن
بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
ان الذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود و
تهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامراة نصرانة قال
نصرانة لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا لانهم نصروا المسيح والصابئين وهو من صبا اذا خرج من
الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة

الاسلام دخولا اصليا وعمل صالحا فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من آمن قلت الرفع
ان جعلته مبتدا خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما
وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا
مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق
وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها
فامر جبرئيل فقلع الطور من اصله فرفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول
ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه
لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا
ما آتيناكم وتذكروا واذكروا وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ السبت مصدر سبتت اليهود اذا
عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد
وذلك ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تأتيهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت
الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين
بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ فجعلناها يعني المسخة
نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل القيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون
لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او اريد بما بين يديها ما بحضرتها
من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين للذين نهوهم
عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متقي سمعها وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو اخيه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون
بديته فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله قالوا أتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان هزؤ او اهل
هزؤ او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين لان الهزؤ في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا
بضمتين وهزءا بسكون الزاي نحو كفؤا وكفوا وقرأ هزوا بضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واد واحد
قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ في قراءة
عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا
عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر والفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة لعمري
لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وكأنها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت

آخرها والبكر الفتية والعوان النصف قال نواعم بين ابكار وعون وقد عونت فان قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا
فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز
ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام
كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله كما تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة
كما تقول له ما احسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط
من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذاك ويلك
والذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي
بمعنى الجمع ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر
كضرب الامير قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ
الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض
يقق ولهق واحمر قانئ وذريحي واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني وارمك رداني فان قلت فاقع هنا واقع
خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع
الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها فان قلت فهلا قيل
صفراء فاقعة واي فائدة في ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة
صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من
جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر
الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه
صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب قَالُوا ادْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها
واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد
الله عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم
فكتب اليه بايهما ابدا فقال ان قلت لك بقطع الشجر سألتني باي نوع منها ابدا وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطي
فلانا شاة سألتني اضأن ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك
بشيء فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسألته ان البقر تشابه علينا اي
ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها
في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرأ محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه بالياء والتشديد جاء في الحديث
لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي

علينا من امر القاتل قالَ إنّه يقولُ إنّها بقرةٌ لا ذلولٌ تثيرُ الأرضَ ولا تسقي الحرثَ مسلّمةٌ لا شيةَ فيها قالوا
الآنَ جئتَ بالحقِّ فذبحوها وما كادوا يفعلون لا ذلولٌ صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب
واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يُسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان
المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول
بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان
اي فيهم او حيث هم وقرئ تُسقي بضم التاء من أسقى مسلّمة سلّمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلّمها اهلها منه كقوله
او مُعَبَّر الظهر ينبي عن وليّته ما حجّ ربّه في الدنيا ولا اعتمرا او مخلّصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من
الالوان لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر و
شاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشّى القوائم الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال
في امرها فذبحوها اي فحصّلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم
واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط
إسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي انه كان في بني
اسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبّت وكانت من
احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا
طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فان قلت كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة
بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل
جائز على ان الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له وكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا
وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادّارأتم فاختلفتم واختصمتم في شأنها لان المتخاصمين
يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او لان الطارح
في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه
مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت قد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط
ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادّارأتم فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى
وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ والضمير في اضربوه إما ان يرجع الى النفس والتذكير على تأويل الشخص والانسان
واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها
وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين
والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما
وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى إما ان يكون

خطابا للذين حضروا حيوة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم آياته ودلائله على انه قادر على
كل شيء لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم
الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله فان قلت هلا احياه الله ابتداء ولم
شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت في الاسباب والشروط حِكَم وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة
من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم
من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال
ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالوالدين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا
يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختاره فتي السن
غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريّا من العيوب يونق من نظر اليه وان يغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه انه ضحى
بنجيبة بثلثمائة دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكا
نه لادائه الى البداء وليعلم بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب لان
الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة فان قلت فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم
ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة و
اضربوه ببعضها قلت كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها
ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين
متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس
المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة
واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها ان
وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين انهما قصتان
فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى
البقرة ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا
يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ معنى ثم
قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة
والغلظ مثل لنبوّها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الآيات
المعدودة فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل اشد
قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وتعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او
هي في نفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها

شبهتها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة فان قلت لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل
وفعل التعجب قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه اخر وهو انه لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة
بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك
زيد كريم وعمرو اكرم وقوله وان من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ
وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي يلزمها اللام الفارقة ومنها قوله وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة
والكثرة وقرا مالك بن دينار ينفجر تشقق يتشقق وبه قرا الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق
منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا يهبط يتردى من اعلى الجبل
وقرئ بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل
ما امرت به وقرئ تعملون بالتاء والياء وهو وعيد **افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون**
كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون افتطمعون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه والمؤمنين ان
يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة فيمن
سلف منهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التورية ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله وآية الرجم وقيل كان
قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهي ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره
انا استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد
ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا
فلهم سابقة في ذلك **واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما**
فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون يعني اليهود قالوا لئلا ثبتنا بانكم على الحق وان محمدا
هو الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح
الله عليكم بما بين لكم في التورية من صفة محمد او قال المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا
عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل
ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو
عند الله هكذا بمعنى واحد **اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا**
اماني وان هم الا يظنون يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون لا يحسنون
الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم
ويرحمهم ولا يواخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما تمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة
وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فقبلوها على التقليد قال اعرابي لابن داب في شيء حدث به اهذا شيء
رويته ام تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقرؤون من قوله تمنى كتاب الله اول ليله والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني

يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدر ان كلمة كذا بعد كذا والا اماني من الاستثناء المنقطع
وقرئ اماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على
انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم **فويل للذين**
يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم
وويل لهم مما يكسبون وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن
يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها **اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون**
واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى و
المساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون
يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه مما
يكسبون من الرشى اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف
سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما فلن يخلف الله متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله
عهده وام اما ان تكون معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان يكون منقطعة
بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات
يعني كبيرة من الكبائر واحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتقض عنها بالتوبة وقرئ خطاياه
وخطيئاته وقيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسال رجل الحسن عن الخطيئة المحيطة فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية
وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل آية نهى الله عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة لا
تعبدون اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه
سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه
ايضا قوله وقولوا وقوله وبالوالدين احسانا اما ان يقدر وتحسنون بالوالدين او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق
بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع
كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغا وتدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان تكون ان فيه
مفسرة وان تكون مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا
به وبالياء لانهم غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى ثم توليتم على
طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم قوم
عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية **واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون** لا يفعل ذلك بعضكم ببعض
جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه بالميثاق واعترفتم

على انفسكم بلزومه ثم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر
اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض
الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب
وما الله بغافل عما تعملون ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم و
شهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة
تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى
الذين وقرئ تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون اي تتعاونون عليهم
وقرئ تفدوهم وتفادوهم واسرى واسارى وهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب
اي بالفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكان
كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا اخربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم
العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا
والخزي قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل منهم ذلك الى اشد العذاب لان عصيانه
اشد وقرئ تردون ويردون ويعملون وتعملون بالياء والتاء اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف
عنهم العذاب ولاهم ينصرون فلا يخفف عنهم العذاب عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد بالدفع
عنهم وكذلك عذاب الآخرة ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات و
ايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون الكتاب التورية آتاه
اياه جملة واحدة ويقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اذا اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره
الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير و
حزقيل والياس واليسع ويونس وزكرياء ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية
من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح
الفاء لم يثبت نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات
وقرئ وآيدناه ومنه آجده بالجيم اذا قواه تعالى الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح
المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة
وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبرئيل وقيل بالانجيل كما قال في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم
الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم افكلما جاءكم رسول منهم بالحق
استكبرتم عن الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد آتيناهم ما

آتيناهم

آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبختهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر فان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين
ان تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد
لانكم حولتم قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر
تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون غلف جمع اغلف اي هي خلقة
وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في
اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم
وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف
التي تكون لمتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز
ان يكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره و
روي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين كتاب من عند الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه
وقرئ مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه و
قد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون على الذين
كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية
ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون
يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسالون انفسهم الفتح عليهم كالسين
في استعجب واستسخر او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة
على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس
ويدخلوا فيه دخولا اوليا بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده
فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم
والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل وعلى ان ينزل
اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله فباؤا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب
مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك
من انواع كفرهم وإذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم
قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون
وإذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل
بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما

انزل علينا مقيد بالتورية ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الحق مصدقا لما
معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء
مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون
العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى
مع ما فيه من التوكيد واسمعوا اما امرتم به في التورية قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت كيف طابق قوله جوابهم قلت
طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة واشربوا في قلوبهم
العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون
في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة العجاجيل واضافة الامر الى
ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تامرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مومنين تشكيك في ايمانهم و
قدح في صحة دعواهم له قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن
يتمنوه ابدا خالصة نصب على الحال من الدار الاخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح
قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت لان من ايقن انه من اهل الجنة
اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما كان علي رضي الله
عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط
الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين
الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبي صلى الله عليه لو تمنوا الموت لغص
كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد وما
جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر
به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادريك انهم لم يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا النقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من
اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل ذلك فان قلت التمني من اعمال القلوب
انما هو قول الانسان ليت لي كذا فاذا قاله فقد تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو
كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم
لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير
مصدقين فيه ومما لا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه
مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون
كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين
اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون هو من وجد بمعنى علم المتعدي

الى

الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم احرص فان قلت لم قال على حيوة بالتنكير قلت لانه اراد حيوة
مخصوصة وهي الحيوة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحياة ومن الذين اشركوا محمول على
المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر
لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين
اشركوا لا يومنون بعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص
من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم
بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون
لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدا
اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مشار به الى
اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل
الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء فان
قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم
قلت هي حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك
حلف بالله ليفعلن قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى
للمومنين روي ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل
فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لامنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر
فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم
يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة
وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما
اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره في كتابكم ثم سألهم
عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام
فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن
كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا
لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رايتني في دين الله
بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قفعليل وجبريل بحذف الياء وجبرئل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال
بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله الضمير
في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشان صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه و

يكنى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظكه وفهمكه باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام
ان يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك
فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه
لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم
والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك الكتاب مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته
لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسات اليه من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير في
الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل
وميكئيل كميكعيل قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على
ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى
من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون الا الفاسقون الا
المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس
قال ابن صوريا لرسول الله صلعم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس
والاحسن ان تكون اشارة الى اهل الكتاب اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون اوكلما الواو للعطف على
محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأ ابو السمال بسكون الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا
فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر
ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم
ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرأ عبد الله نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض
بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به ولما جاءهم رسول من عند
الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون
كتاب الله يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه
بعدما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا
ونبذه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين
ايديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفين ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه
واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على
الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين
المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله واتبعوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين

يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمن اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا
يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس
وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم
وبه تسخر الانس والجن والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر
والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم
واضلالهم وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل
هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم
وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما
ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما
علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلمان الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا
تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه
اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده
الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه ربما
احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه
اصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية ولقد علموا اعلم هؤلاء اليهود ان من اشتراه لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا
الشياطين على كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها وقرأ الحسن الشياطون
وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما
هروت وماروت وهما اسمان عجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ
طلحة وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسره مع الهمزة والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج
واجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الاعمش وما هم بضاري بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت
كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار جزءا من المجرور فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على
سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون
عنه ولو انهم آمنوا برسول الله والقرآن واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله وقرئ
لمثوبة كمشورة ومشورة خير لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت
الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في
سلام عليكم لذلك فان قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا
تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير يا ايها الذين

امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول
الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما
سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو في
معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا
على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى
الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم
به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا
ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تأكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء
الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها
فنزلت وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
ان ينزل عليكم من خير من ربكم من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك
الرحمة كقوله اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء
من الوحي والله يختص برحمته من يشاء بالنبوة ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل
العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا ما ننسخ من آية او ننسها روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يأمر اصحابه
ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ او
ننساها وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقرأ
حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها ونسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يأمر جبريل عليه السلام
بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب
والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نأت بخير منها
اي بآية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ام تريدون ان تسألوا رسولكم
كما سئل موسى من قبل فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم
انه مالك امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به
فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحته آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عليهم
وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها
واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم

روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم
ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا
شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبأ وقال حذيفة واما انا فقد رضيت
بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه واخبراه
فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت فان قلت بم تعلق قوله من عند انفسهم قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى
انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم
ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من
اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى يأتي الله بأمره الذي
هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم
واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير من حسنة من صلوة او صدقة او غيرها تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده
ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل الضمير في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى
كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا
او نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل فان قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم
على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين وقرأ ابي بن كعب الا من كان يهوديا
او نصرانيا فان قلت لم قيل تلك امانيهم وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا
ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم
وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض او اريد امثال تلك الامنية
امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية افعولة
من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا
اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء في معنى احضر بلى من اسلم
وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة
من اسلم وجهه لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله اجره الذي يستوجبه فان قلت من اسلم وجهه كيف
موقعه قلت يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون
من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون
مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة

لان الحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا
كقولهم اقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب
وحق من حمل التوراة او الانجيل او غيرهما من كتب الله وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد
بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال
الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم
لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه اتاهم احبار
اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى
لهم ما انتم على شيء فكفروا بموسى والتورية فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب
الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها
اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم
ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل بالآيات وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف
الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله
مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم
غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت
فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام قلت لا باس بان يجيء
الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وعلا ويل
لكل همزة لمزة والمنزل فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع
العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى والمشركين اولئك المانعون ما كان لهم ان
يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا
بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم
وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب في اللوح المحفوظ انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين روي انه لا
يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا و
ابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله عليه السلام الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله الا
خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد
الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزي قتل
وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطنية ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه
الله ان الله واسع عليم ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها فاينما

تولوا

تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما
كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام
او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية
ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على
عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة
على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا اخطاءهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة
وقرأ الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات
والارض كل له قانتون وقالوا وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه
تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون
منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون
من جنس الوالد والتنوين في كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا
له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع
قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له
كن فيكون وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى
المبدع كما ان السميع في قول عمرو يؤرقني واصحابي هجوع امن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر كن فيكون
من كان التامة اي احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله اذ قالت الانساع للبطن
الحقي والمعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما ان المامور المطيع
الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة
كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير في له وقرأ المنصور بالنصب
على المدح وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم
قد بينا الآيات لقوم يوقنون وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم
لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا او تاتينا آية جحودا لان يكون ما
اتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الآيات
لقوم يوقنون ينصفون فيوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها انا ارسلناك
بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله
هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير انا ارسلناك لان

تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم
على الكفر ولا تسأل عن اصحاب الجحيم لا نسألك عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله
فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهي وروي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن
احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع
في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه
ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الاولى قراءة
عبد الله ولن تسأل وقراءة ابي وما تسأل كأنهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا
منهم لرسول الله عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال تعالى قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم
عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه
هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع
بعد الذي جاءك من العلم من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك
يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته ومن
يكفر به من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني
فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين
ابتلى ابراهيم ربه بكلمات اختبره باوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه
العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ ابو حنيفة رحمة الله عليه وهي قراءة ابن عباس ابراهيم ربه رفع ابراهيم
ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فان قلت الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل
في التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر قلت الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابراهيم فاما ابتلى ابراهيم ربه او ابتلى
ربه ابراهيم فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني
فابراهيم فيه متقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابراهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن
في فاتمهن في احدى القراءتين لابراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم
الذي وفى وفي الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل
ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا فان قلت ما العامل في اذ
قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك فان قلت فما موقع قال قلت هو على الاول
استئناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها او
يجوز ان يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك

في قوله

في قوله اذ قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات هن خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق و
خمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه من شرايع الاسلام بثلثين سهما
عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله والذين هم على
صلواتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر و
الشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والامام اسم من يؤتم به على زنة الآلة كالازار لما يؤتزر به اي يأتمون بك في دينهم
ومن ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون اي من كان ظالما من ذريتك لا يناله
استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من كان عادلا بريا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة و
كيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلوة وكان ابو حنيفة رحمة الله عليه يفتي
سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليه وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي
واشباهه وقالت له امرأة اشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك و
كان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط
وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من
استرعى الذئب ظلم واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم و
اسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا
للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم وموضع امن كقوله حرما آمنا و
يتخطف الناس من حولهم ولان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم
سواء العاكف فيه والباد واتخذوا على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار
والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى
يريد افلا نؤثره لفضله بالصلوة فيه تبركا وتيمنا بموطئ قدم ابرهيم عليه السلام فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت
وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه
ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه
الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابرهيم وعن عمر رضي الله عنه انه سأل المطلب بن ابي وداعة هل
تدري اين كان موضعه الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام في هذه
المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان
ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا امرناهما ان طهرا بيتي بان طهراه او اي طهرا
والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لا يغشاه غيرهم والعاكفين
المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلوة كما

قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيآت المصلي وإذ
قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن
كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير أي اجعل هذا البلد وهذا المكان بلدا
ذا أمن كقوله في عيشة راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نائم ومن آمن منهم بدل من اهله يعني وارزق المومنين من اهله خاصة و
من كفر عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فان قلت لم خص ابرهيم صلوات الله عليه المومنين حتى رد
عليه قلت قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي وابعد الناس عن
النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر فأمتعه ويجوز ان يكون
ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فأمتعه جوابا للشرط اى ومن كفر فانا أمتعه وقرئ فأمتعه فاضطره فالزه الى عذاب
النار لزّ المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرأ أبي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فاضطره
بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس فأمتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابرهيم دعا ربه بذلك فان قلت فكيف تقدّ
الكلام على هذه القراءة قلت في قال ضمير ابرهيم اى قال ابرهيم بعد مسألته اختصاص المومنين بالرزق ومن كفر فامتعه
قليلا ثم اضطره وقرأ ابن محيصن فاطّره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطّجع في اضطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد
من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر وإذ يرفع ابرهيم القواعد من
البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي
الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعّدك الله اي اسأل الله ان يقعدك اي يثبتك و
رفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز
ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه
اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اى استوطأ يعني جعل
هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان مؤسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس وروي ان الله تعالى انزل البيت
ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم
من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا برّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من
ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله
امر ابرهيم ببنائه وعرّفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودي أن ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من
خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاءه جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو
قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسودّ وقيل كان ابرهيم
عليه السلم يبني واسمعيل يناوله الحجارة ربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه
يرفعانها قائلين ربنا انك انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا فان قلت هلا قيل قواعد البيت واي فرق بين العبارتين

قلت

قلت في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشأن المبيّن ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم
مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا
اخلاصا واذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كأنهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا
واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم فان قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء
قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير
الا ترى ان المقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى
الله عليه وارنا منقول من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصّرنا متعبداتنا في الحج او عرّفناها وقيل
مذابحنا وقرئ وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذلت لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها
اجحاف وقرأ ابو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغائر او استتابا لذريتهما ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم
وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا
صلى الله عليه قال عليه السلم انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من
دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك و
سائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد
اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب
عن الحق الواضح الذي هو ملة ابرهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب
كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على
التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا اجب الظهر ليس له سنام
وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر
ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها
كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطأ رأي من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين بان كان صفوته وخيرته
في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال له ربه اسلم قال
اسلمت لرب العالمين اذ ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على
ما ذكر من حاله كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له اسلم اخطر بباله
النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اي فنظر وعرف وقيل اسلم اي اذعن واطع وروي ان عبد الله بن
سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا

اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدي ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت **ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون** قرئ واوصى وهي في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة او الجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب عطف على ابراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلته ويعقوب يا بني على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين متعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفي قراءة ابي وابن مسعود ان يا بني اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في حال الصلوة فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف النفي على الصلوة وليس بمنهي عنها قلت النكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الاية اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها **ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون** ام كنتم شهداء وهي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ احضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قال لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالاية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان تكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا شاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز ان يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات وابراهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لابائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة ابائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية ابائي وقال ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت

نبيهما كا لا تفاوت م

ثقيف بعروة بن مسعود وقرا ابي واله ابراهيم بطرح ابائك وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابراهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو والنون قال وفديننا بالابينا الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او على الاختصاص اي نريد باله ابائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الهاء اليه في له ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وان يكون جملة اعتراضية مؤكدة اي ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون **تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون** تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متاخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بابائهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم **وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين** بل ملة ابراهيم بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين يريد من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ ملة ابراهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابراهيم وهو على الشرك **قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون** قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابراهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه **فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون** بمثل ما امنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين آخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان امنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان امنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الراي الصواب فان كان عندك راي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رايت لا راي وراءه ويجوز ان لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي امنتم بها وقرا ابن عباس وابن مسعود بما امنتم به وقرا ابي بالذي امنتم به وان تولوا عما

تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم الا في شقاق اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء او وان تولوا عن الشهادة
والدخول في الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول الله عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء
بني النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تاخر الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما
يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم ما نيتك وما تريده من اظهار
دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك صبغة الله مصدر موكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله
عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس
والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فاذا فعل الواحد منهم
بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا
وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة
على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن من الله صبغة يعني
انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون عطف على آمنا
بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من
فك النظم واخراج الكلام عن التيامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر موكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت
حذام قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ۝ ام تقولون ان
ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم
ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ۝ تلك امة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون قرا زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون والمعنى اتجادلوننا في شان الله واصطفائه
النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا
في انا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا
كان اهلا للكرامة ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء
الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا
ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان
ام تقولون يحتمل فيمن قرا بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة في حكم الله ام ادعاء
اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة
للانكار ايضا وفيمن قرا بالياء لا تكون الا منقطعة قل ءانتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان
ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد
وهي شهادة لابرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها

والثاني

والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر
شهاداته ومن في قوله شهادة من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله سيقول
السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم سيقول السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون
لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فان قلت اي فائدة في
الاخبار بقولهم قبل وقوعه قلت فائدته ان مفاجاة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من
توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن
قبلتهم وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها يهدي من يشاء من اهلها الى صراط
مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع
الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم
وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك
استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه السلم انظروا الشجرة هي الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا
بالشجرة وهو وسط الظهر الا انه الحق تاء التانيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل
والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكترى
بمكة جمل اعرابي للحج فقال اعطني من سطاتهنه اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب
من بعض لتكونوا شهداء على الناس روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم
قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلعم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على
لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلم فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فان قلت هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن
على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد
وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم
بعدالتكم فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا قلت لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر
اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة
التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى الصخرة بيت المقدس بعد الهجرة
تالفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تحب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك
اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله

وماجعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان
تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك
هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت
قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلم
علما يتعلق به الجزاء وهو ان نعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله و
المؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال الله ليميز الله الخبيث
من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير
في كانت لما دل عليه قوله وماجعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة والتحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة
الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع
ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم
لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضايعة عن ابن عباس لما وجه رسول
الله الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرؤف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى
عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته
واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا
عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرا اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان
يكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام والاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع
بالتشديد قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون
قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في
جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم عليه الصلوة والسلم وادعى للعرب الى
الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك
من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل
اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال واطعن بالقوم شطر الملوك
وقرا ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه
الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من
صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على
الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام

دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق اي التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم
برسول الله انه يصلي الى القبلتين يعملون قرئ بالتاء والياء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك
وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين ما تبعوا
جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل اية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك
ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم لما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم
لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم و
قرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم
كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وعلا عن تصلب كل حزب فيما هو
فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت اهواءهم
بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنه في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا
بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع
لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان
لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة الذين اتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون ابناءهم لا
يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال
لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ابني فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل
عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوم بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القران
او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام فان قلت لم اختص الابناء قلت لان الذكور
اشهر واعرف وهم لصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق وقال فريقا منهم استثناء لمن امن منهم او لجهال لهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا
يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق او مبتدا خبره من ربك وفيه وجهان ان يكون اللام
للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وان
يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه
اهل الكتاب فهو الباطل فان قلت اذا جعلت الحق خبر مبتدا فما محل من ربك قلت يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرا
علي رضي الله عنه الحق من ربك على الابدال من الاول اي يكتمون الحق الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم
او في انه من ربك ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير
ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة ابي ولكل قبلة هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو الله تعالى اي الله موليها

اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت وزيد ابوه ضاربه وقرا ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو ان يراد ولكل منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المامور به وقرئ يعملون بالياء والتاء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى الفصلة بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا المعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء فان قلت اي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة ابيه ابرهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة فان قلت كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرا زيد بن علي رضي الله عنه الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف منبها فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري وما رايته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداكم امرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون كما ارسلنا اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول واما بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون اموات بل احياء هم اموات بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حيوتهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء

الشهيد

الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي صلى الله عليه من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفئ سراج رسول الله فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله او لكل من يتاتى منه البشارة وعن الشافعي رحمه الله عليه الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرافة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رافة ورحمة رؤوف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف فان قلت كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما قلت كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامراة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا كقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التوراة من البينات من الآيات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه

والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التورياة لم ندع فيه موضع اشكال
ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى
منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمومنون من الثقلين واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم
فكتموه او بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ
الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ان الذين كفروا يعني الذين ماتوا من هولاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا
وقرا الحسن والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد
ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله ومن يعتد بلعنه وهم المومنون وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا خالدين
فيها في اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا ولا هم ينظرون هو من الانظار اي لا يمهلون ولا يوجلون ولا
ينتظرون ليعتذروا ولا ينظر اليهم نظر رحمة وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ
الْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها ولا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن
الرحيم المولي لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شي سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه قيل كان للمشركين حول
الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار اعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الاخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي
ينفعهم مما يحمل فيها او بنفع الناس فان قلت قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا قلت الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة
لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشي الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها
كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا و
تصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح وقيل تارة بالرحمة
وتارة بالعذاب والسحاب المسخر لتسخير الرياح تقلبه في الجو بمشية الله يمطر حيث شاء لايات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم
ويعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها
وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ
آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ اندادا امثالا
من الاصنام وقيل من الروساء الذين يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من
الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اي كما يحب الله على انه مصدر
من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون

بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم
يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هولاء شفعاونا عند الله
ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الاههما من حيس عام المجاعة الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد
اي ولو يعلم هولاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شي من الثواب والعقاب دون اندادهم ويعلمون
شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم و
ضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار وقولهم لو رايت فلانا والسياط تاخذه وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول
او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ
اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا اذ تبرا بدل من اذ يرون العذاب اي تبرا المتبوعون وهم الروساء من الاتباع وقرا مجاهد الاول
على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرا الاتباع من الروساء وَرَأَوُا الْعَذَابَ الواو للحال اي تبرأوا في حال رويتهم العذاب
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ عطف على تبرا والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب و
المحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا
لو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرا منهم كَذَٰلِكَ مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم
اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل ارى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عَلَيْهِمْ فلا يرون الا
حسرات مكان اعمالهم وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند
اليهم لا على الاختصاص يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا مفعول كلوا او حال مما في الارض طَيِّبًا طاهرا من كل شبهة وَلَا
تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس
بماكول وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطوات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات
بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة
يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ظاهر العداوة لا خفاء به إِنَّمَا يَأْمُرُكُم
بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يامركم بخير قط انما يامركم بِالسُّوءِ بالقبيح وَالْفَحْشَاءِ وما يتجاوز الحد في القبح
من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير
علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه فان قلت كيف كان الشيطان امرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه
وبعثه على الشر بامر الامر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك
قال ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان
يطيعها فيعطيها ما اشتهت وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا
ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هولاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله
الى الاسلام اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل

نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون
شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء لا بد من مضاف محذوف
تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في
انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا
تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد
بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه
ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على
ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق ام باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا
دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الاخطل
فانعق بضأنك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا واما نعق الغراب فبالغين المعجمة صم هم صم وهو رفع على الذم بكم عمي
فهم لا يعقلون يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي
رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولي النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني
والجن والانس في نبإ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير قرئ حرم
على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية
باسم اللات والعزى فمن اضطر غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم
فان قلت في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه احلت لنا ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس
ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الوهم الى
الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة وقال الله تعالى لتأكلوا
منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا
فان قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه
شحيم ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه واكل
في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي
هي بدل منه قال أكلت دما ان لم أرعك بضرة وقال يأكلن كل ليلة إكافا اراد ثمن الإكاف فسماه إكافا لتلبسه بكونه ثمنا له
ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم
بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم الله بما يحبون ولكن
بنحو قوله اخسؤوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في
التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه

لا يتعرض

لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا
اصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي انه قال اخبرني قاضي اليمن بمكة اختصم اليه رجلان من العرب فحلف احدهما على حق
صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب
ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي
شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا
فيه من المشركين فقال بعضهم هو سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جرؤوا على
ان يكفروا ليس البر البر اسم للخير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم
الآخر والملائكة والكتاب والنبيين الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل
المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه
الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر
القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف
الهمة اليه بر من آمن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرأ عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر
للتأكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من آمن على تأويل حذف المضاف اي بر من آمن او يتأول البر بمعنى ذي البر او كما قالت
فانما هي اقبال وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع و
لكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله او القرآن وآتى المال على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه
ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله
وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه وقدم ذوي القربى لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على
المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح واطلق ذوي القربى واليتامى
والمراد الفقراء منهم لعدم الالباس والمساكين المسكين الدائم السكون وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له
كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه للسائل حق
وان جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى
واقام الصلاة وآتى الزكاة فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكاة فهل دل ذلك على ان في المال حقا
سوى الزكاة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكاة وتلا هذه الآية ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكاة
او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكاة
والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ~~اولئك الذين صدقوا~~ والموفون
عطف على من آمن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر
الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة اولئك الذين صدقوا

كانوا صادقين جادين في الدين **واولئك هم المتقون يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى** وعن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الاية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله ان النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التورية وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والانثى ويستدلون بقوله عليه السلم المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباوؤا **فمن عفي له من اخيه شيء** معناه فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله عليه السلم واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فان قلت لم قيل شيء من العفو قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية **فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان** فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه **ذلك** الحكم المذكور في العفو والدية **تخفيف من ربكم ورحمة** لان اهل التورية كتب عليهم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا **فمن اعتدى بعد ذلك** التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل والقتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله **فله عذاب اليم** نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا تقبل منه الدية لقوله عليه السلم لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية **ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب** كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة

وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة ومن اصابة محز البلاغة تعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود وكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في القرآن حيوة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة **لعلكم تتقون** اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة **كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت** اذا دنا منه وظهرت اماراته **ان ترك خيرا** مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد اخر ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلثة الاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال **الوصية للوالدين والاقربين** فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعدما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله عليه السلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وتلقي الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الاحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين وقيل ما هي بمخالفة لاية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى الله به من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم **بالمعروف** بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث **حقا** مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا **على المتقين فمن بدله** فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود **بعد ما سمعه** وتحققه **فانما اثمه على الذين يبدلونه** فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريان من الحيف **ان الله سميع عليم** وعيد للمبدل **فمن خاف** فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم **من موص جنفا** ميلا عن الحق بالخطاء في الوصية **او اثما** او تعمدا للحيف **فاصلح بينهم** بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع **فلا اثم عليه** حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم **ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصيلة ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم **لعلكم تتقون** بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلم فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم

وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه
خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين
يوما كفارة لتحويله عن وقته **اياما معدودات** وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها
حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله
احل لكم ليلة الصيام الاية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر
بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة **فمن كان منكم مريضا**
او على سفر او راكب سفر **فعدة من ايام اخر** فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب
عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون مرض
كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك لكل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع
اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد والصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض
الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي رضي الله عنه لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف
ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم
في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم رضي الله عنهم انه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة ابي
فعدة من ايام اخر متتابعات فان قلت فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات قلت لما قيل
فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر ان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤثر عدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة
وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان افطروا **فدية طعام مسكين** نصف صاع من بر
او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم
فرخص لهم في الافطار والفدية وقرا ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه و
يقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه و
اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان
وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز
وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم و
طاقتهم ومبلغ وسعهم **فمن تطوع خيرا** فزاد على مقدار الفدية **فهو خير له** فالتطوع اخير له او الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع
وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم **خير لكم** من الفدية وتطوع الخير **ان كنتم تعلمون** ويجوز ان
ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي والصيام خير لكم **شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى للناس و**
بينات من الهدى والفرقان الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما
ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان

قلت

قلت لم سمي شهر رمضان قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا
لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق
هذا الشهر ايام رمض الحر فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو
قوله عليه السلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال بما
اعيا النطاسي حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدا خبره الذي انزل فيه القران او على انه بدل من الصيام في قوله كتب
عليكم الصيام او على انه خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على
انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القران ابتدى فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم
نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شانه القران وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى الله
عليه وسلم نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقران لاربع وعشرين وهدى
للناس وبينات نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى
بعد قوله هدى للناس قلت ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية
الهادية الفارقة بين الهدى والضلال **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه
ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر
كلاهما شاهدان للشهر **ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**
يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم
فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة و
قرئ اليسر والعسر بضمتين الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم**
تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في
اباحة الفطر فقوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم
تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان
وانما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى قوله ولعلكم
تشكرون وارادة ان تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا
ما تعلمون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والاول
اوجه فان قلت فما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال **واذا سالك**
عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة
من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله عليه السلام هو بينكم وبين اعناق
رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت **فليستجيبوا لي** اذا

دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون وقرئ يرشَدون ويرشِدون بفتح
الشين وكسرها احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء
الاخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله
بعد صلوة العشاء الاخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك
من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال عليه السلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء
فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اي احل الله وقرا عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ
النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم • وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا • فقيل له ارفثت
فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكني به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك فان قلت
لم كنى عنه هاهنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لمستم النساء
دخلتم بهن فاتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه
اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى قلت لتضمينه معنى الافضاء هن لباس لكم وانتم لباس لهن لما كان الرجل
والمراة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي • اذا ما الضجيع ثنى عطفها
تثنت فكانت عليه لباسا • فان قلت ما موقع قوله هن لباس لكم قلت هو استيناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم و
بينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم
حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في
اللوح من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن
العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله
لكم من الاباحة بعد الحظر وقرا ابن عباس واتبعوا وقرا الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب
ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل
شبها بخيطين ابيض واسود قال ابو داود • فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا • وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفي
به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان تكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت اهذا من باب الاستعارة
ام من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان
قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط
المستعار ان تدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من ان
يكون استعارة فان قلت كيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادي

فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله فاخبرته فضحك
وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك
عرض رسول الله صلى الله عليه قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدتني بعض البدويات • عريض القفا ميزانه
في شماله • قد انحص من حسب القرا ربط شاربه • فان قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من
الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا
لهم فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه
المراد اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذن الا الحقيقة وهي غير مرادة قلت اما من لا
يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول
ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا
فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال ولا تباشروهن وانتم
عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل
لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالان باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن لشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك
اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امراته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه
دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد
الثلثة وقيل في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد جماعة وقرا مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا
تقربوها فلا تغشوها كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها
ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع
في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا
عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع
فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود
لا تقرب ولا تاكلوا اموالكم بينكم ولا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه وتدلوا بها ولا تلقوا امرها
والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان
المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له
على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي
لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة
وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم
بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا

مثل الخيط ثم تزيد حتى تمتلي وتستوي ثم لا تزال تنقص حتى تعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة فنزلت يسألونك عن الأهلة
قل هي مواقيت للناس والحج مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم
وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها
كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في
ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من
دخول الباب ولكن البر من اتقى ما حرم الله فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانهم قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن
الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله عز وعلا لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا
في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت
للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من ترك باب البيت ودخله
من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم
قال وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر
عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة
ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقاتلوا في
سبيل الله المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين
وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله
صلى الله عليه يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان
والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل
لما صد المشركون رسول الله عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف
المسلمون ان لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت واطلق لهم قتال الذين
يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين بابتداء القتال
او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة
واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف
اي سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود وأخرجوهم من حيث أخرجوكم اي من مكة
وقد فعل رسول الله صلى الله عليه بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى
يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان ويتعذب به اشد عليه من القتل
وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها
الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الاخرة ذوقوا فتنتكم

وقيل

وقيل الشرك اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي
هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم
او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه
فيهم يقال قتلتنا بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فإن انتهوا عن
الشرك فلا عدوان إلا على الظالمين فلا تعدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع
على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام
وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام
اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اي وكل حرمة
يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو
ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين
في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين
الباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم
اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه
بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر
نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا من المهاجرين
حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الاية وانما انزلت فينا
صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما نصره الله اردنا ان نرجع الى اهالينا واموالنا ونصلحها ونقيم فيها فكانت
التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد
قال فدل هذا من قول ابي عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان
التنضبة والتنقلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلك فابدلت من الكسرة ضمة
كما جاء الجوار في الجوار وأتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان
يقع منكم فيهما قال تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم
الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تفرد
لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد رحمه الله حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان يكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة
ولا تشوبهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل

في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يومر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع فان قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال له هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال لحج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب واما حديث عمر رضي الله عنه فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلوة والدليل الذي ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في انك تامره بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود والشعبي رضي الله عنهم والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب **فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ** يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول وحصر اذا حبسه عدو عن المضي او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده واصده وكذلك قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه قول ابي حنيفة رحمه الله كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما منع العدو وحده وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل **فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** فما تيسر منه قال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدي وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة فان قلت اين ومتى ينحر هدي المحصر قلت ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة رحمه الله يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امار وعندهما في ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا وما استيسر رفع بالابتداء اي فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر **وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ** الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة رحمه الله فان قلت فان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث احصر قلت كان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا** فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق **أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ** وهو القمل والجراحة فعليه اذا احتلق **فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ** ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق راسك وصم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول في نزلت هذه الاية وروي انه مر به وقد قرح راسه فقال كفى بهذا اذى وامره

ان

ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن او نسك بالتخفيف **فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ** الاحصار يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع اي استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا احل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج **فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة رحمه الله ويأكل منه وعند الشافعي يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته **فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ** فمن لم يجد الهدي فعليه صيام ثلثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزه الا الدم وعند الشافعي لا يصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله هو الرجوع الى اهاليهم وقرأ ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما فان قلت ما فائدة الفذلكة قلت الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا فائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تأكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تأمره به وكان منك بمنزل الله لا تنقصه وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وفي قراءة ابي فصيام ثلثة ايام متتابعات **ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واصحابه اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضرو المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة وعنده اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة **وَاتَّقُوا اللَّهَ** في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ** اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر قلت فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه فان قلت فكيف كان الشهران وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلاثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا او على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما رآه في ساعة منها فان قلت ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت

الي ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تاخير طواف الزيارة الي آخر الشهر معلومات معروفات
عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن الزم
نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفه وعند الشافعي بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام
ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال في الحج ولا مراء مع الرفقاء
والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة
والتطريب في قراءة القران والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلث بالنصب والرفع
وقرا ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا
فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف
سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويوخرونه سنة وهو النسيء فرد
الي وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق
دون الجدال بقوله عليه السلام من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه
الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال
الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله وتزودوا
فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الاخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون
ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا
الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي يا اولي الالباب يعني ان
قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم عطاء
منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتاثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع
والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة
وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا فرفع عنهم الجناح
في ذلك وابيح لهم وانما يباح لهم ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكرى في هذا الوجه وان قوما يزعمون
ان لا حج لنا فقال سال رجل رسول الله صلى الله عليه عما سالت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج
وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرا ابن عباس
فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا في ان تبتغوا فاذا افضتم من عرفات دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله
افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقرا
وهو يحرش بعيره بمحجنه ويقال افاضوا في الحديث وهضبوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كاذرعات فان قلت هلا منعت الصرف
وفيها السببان التعريف والتانيث قلت لا يخلو التانيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في

سعاد

سعاد فالتي في لفظها ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها
لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المونث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء التانيث في بنت لان التاء التي هي بدل من
الواو لاختصاصها بالمونث كتاء التانيث فابت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابرهيم عليه السلم فلما ابصرها
عرفها وقيل ان جبرئيل حين كان يدور به في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها ادم وحواء فتعارفا وقيل
لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا
ان تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي صلى الله عليه الحج عرفة
فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء
عند المشعر الحرام والمشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي
المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر
ان النبي صلى الله عليه لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم
يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل
الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند
المشعر والمشعر المعلم لانه معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نظر الى الناس ليلة
جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان ادم اجتمع فيها مع حواء وازدلف
اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله
اي يتقربون بالوقوف فيها واذكروه كما هديكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة واذكروه
كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه و
تعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس ولا تكن
من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن
اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك
احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما
فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احداهما صواب
والثانية خطا وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ
من حيث افاض الناس بكسر السين اي الناسي وهو آدم عليه السلم من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني ان
الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه واستغفروا الله ان الله غفور رحيم من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك
من جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله
وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين

الجبل فيعدون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم اباءكم كما تقول كذكر قريش اباءهم او قوم اشد منهم ذكرا وفي موضع نصب عطف على اباءكم بمعنى او اشد ذكرا من ابائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ من طلب خلاق وهو النصيب او ما لهذا الداعي في الاخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا والحسنتان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الاخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار امراة السوء وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَٰئِكَ الداعون بالحسنتين لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا ولهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الاخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الاخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه وروي انه يحاسب الخلائق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيآن مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعدين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تاخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل لاجل المتاني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تاخر حتى رمى في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر وعند الشافعي لا يجوز فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتاخر جميعا قلت دلالة على ان التعجل والتاخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تاخروا فان قلت اليس التاخر بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتاخر اثما فورد القران بنفي الماثم عنهما جميعا لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثاما في الاقدام عليه لان ذا

التقوى

التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلولي السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله في الحيوة الدنيا قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الاخرة كما يراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذن في الدنيا لا في الاخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الاخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يوذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي ويستشهد الله وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الدا على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى هو اشد الخصوم خصومة وَإِذَا تَوَلَّىٰ واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرا الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يابى وروى عنه ويهلك على البناء للمفعول وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ يبيعها اي يبذلها في الجهاد وقيل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ فَإِنْ زَلَلْتُمْ السلم بكسر السين وفتحها وقرا الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج منكم احد يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم امنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع على ان المومنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة

او فى شعب الاسلام وشرايعه كلها وان لا يخلوا بشئ منها وعن عبد الله بن سلام انه استاذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرا من التورية فى صلوته من الليل وكافة من الكف كانهم كفوا عن ان يخرج منهم احد
باجتماعهم فان زللتم عن الدخول فى السلم من بعد ما جاءتكم البينات اى الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه
هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بحق وروى ان قاريا قرا الله غفور
رحيم فسمعه اعرابى فانكره ولم يقرا القران وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل
لانه اغراء عليه وقرا ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت هل ينظرون الا ان ياتيهم الله اتيان الله
اتيان امره وباسه كقوله او ياتى امر ربك فجاءهم باسنا ويجوز ان يكون الماتى به محذوفا بمعنى ان ياتيهم الله بباسه او بنقمته
للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز فى ظلل جمع ظلة وهى ما اظلك وقرئ ظلال وهى جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل من الغمام
والملائكة وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل وعلى الغمام فان قلت
لم ياتيهم العذاب فى الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا
جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير
ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين فى كتاب الله
قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضى الامر واتم امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرا معاذ بن جبل رضى الله عنه
وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل و
المفعول بالتانيث والتذكير فيهما سل بنى اسرائيل امر للرسول ولكل واحد وهذا السؤال سؤال تقريع كما يسئل الكفرة
يوم القيمة كم اتيناهم من اية بينة على ايدى انبيائهم وهى معجزاتهم او من اية فى الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ومن
يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب ونعمة الله اياته وهى اجل نعمة من الله لانها اسباب
الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم
رجسا الى رجسهم او حرفوا ايات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه فان قلت كم استفهامية او خبرية قلت يحتمل الامرين
ومعنى الاستفهام فيها للتقرير فان قلت ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها
غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف زين للذين كفروا الحيوة الدنيا المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها
فى اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها
او جعل امهال المزين تزيينا وتدل عليها قراءة من قرا زين للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من
الذين امنوا كان الكفرة يسخرون من المومنين الذين لا حظ لهم فى الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم اى لا يريدون
غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم فى عليين من السماء
وهم فى سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم فى كرامة وهم فى هوان او هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما
يتطاول هؤلاء عليهم فى الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء

بغير

بغير حساب بغير تقدير يعنى انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم
من جهة الله لما فيها من الحكمة وهى استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياؤه المومنون احق بها منكم فان قلت
لم قال من الذين امنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك انه لا يسعد عنده الا المومن المتقى وليكون بعثا للمومنين على التقوى
اذا سمعوا ذلك كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين يريد فاختلفوا
فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفى قراءة عبد الله كان الناس امة
واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس
امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه فان قلت متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق
قلت عن ابن عباس انه كان بين ادم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه فى السفينة
وانزل معهم الكتاب بالحق يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم بين الناس ليحكم الله او الكتاب او النبى
المنزل عليه فيما اختلفوا فيه فى الحق ودين الاسلام الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه فى الحق الا الذين
اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اى ازدادوا فى الاختلاف
لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا فى شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم فهدى الله الذين
امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم بغيا بينهم حسدا بينهم
وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه اى فهدى الله الذين امنوا للحق الذى
اختلف فيه من اختلف ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده
لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجئ البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وللمومنين على
الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لاياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة
الالتفات التى هى ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهى فى النفى نظيرة قد فى الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك
متوقع منتظر ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التى هى مثل فى الشدة مستهم بيان للمثل وهو استيناف
كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم الباساء والضراء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما
اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين امنوا معه الى الغاية التى قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله
اى بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفى هذه الغاية
دليل على تناهى الامر فى الشدة وتماديه فى العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم
فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية فى الشدة التى لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على ارادة القول يعنى
فقيل لهم ذلك اجابة الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له
وبالرفع على انه فى معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجئ البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية يسئلونك ماذا
ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله

به عليم فان قلت كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما انفقتم وهم قد سالوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف
قلت قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة
لا يعتد بها الا ان تقع موقعها قال ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس انه جاء
عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض
الزكوة وعن الحسن هي في التطوع كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا
وهو شر لكم كره من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف
مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز
بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرا السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى
الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها
وعلى قوله عسى ان تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو
خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير بعث رسول الله صلى الله عليه عبد الله بن جحش على سرية
في جمادي الاخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا
العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادي الاخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر
الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه العير وعظم ذلك على اصحاب
السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول
الله الغنيمة والمعنى يسالك الكفار والمسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله
عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم وقرا عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير اي اثم كبير وعن عطا
انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما
نسخت واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد
الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله وصد عن سبيل الله مبتدا واكبر خبره يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد
الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر
الحرام على سبيل الخطاء والبناء على الظن والفتنة اكبر من القتل والفتنة الاخراج او الشرك والمسجد الحرام عطف على
سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على الهاء في به فان قلت كيف صح العطف قبل الفراغ من المعطوف عليه وقد منعوا من ذلك قلت
وكفر به في معنى الصد عن سبيل الله فاتحادهما هو الذي سوغ ذلك كانه لا فصل وكانه قيل وصد عن سبيل الله والمسجد
الحرام هذا وجه والوجه الاخر موضع قوله وكفر به عقيب قوله والمسجد الحرام الا انه قدم لفرط العناية عليه كما في قوله لم يكن
له كفوا احد كان من حق الكلام ان يقال ولم يكن احد كفوا له الا انه قيل ولم يكن له لفرط العناية فكذلك هاهنا ولا يزالون
يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم

وحتى

وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم وان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم
كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على رده اليه فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون لما يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها
والموت عليها من ثواب الاخرة وبها احتج الشافعي رضي الله عنه على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي
حنيفة رضي الله عنه انها تحبطها وان رجع مسلما ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله روي ان عبد الله بن جحش
واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم
عن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب يسئلونك عن
الخمر نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي
لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة
للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا
فام بعضهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا
عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار
فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا
شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو
وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلا لم ارعه وعن ابن عمر
رضي الله عنهما لو ادخلت اصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد
وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد
ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة وعن بعض اصحابه
لان اقول مرارا هو حلال احب الي من ان اقول مرة هو حرام ولان اخر من السماء فاتقطع قطعا احب الي من ان اتناول
منه قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت
سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما وكانها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع
للناس واثمهما اكبر من نفعهما والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه
من اليسر لانه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله قال اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني
اي يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالميسور فان قلت كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقدح وهي الازلام والاقلام
الفذ والتوام والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور
ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا لثلثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم لي في الدنيا سهام

ليس فيهن ربح. واساميهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة
وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم
رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح
مما لا نصيب له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها و
يفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي
صلى الله عليه اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر
وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسئلونك عما في تعاطيهما بدليل قوله **فيهما اثم كبير** وعقاب الاثم في تعاطيهما
اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشرتهم والنيل
من مطاعمهم ومشاربهم وعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة واثمهما
اقرب من نفعهما ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة **ويسئلونك ماذا ينفقون**
قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد و
استفراغ الوسع قال. خذي العفو مني تستديمي مودتي. ويقال للارض السهلة العفو وعن النبي صلى الله عليه ان رجلا
اتاه ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه فاتاه من الجانب
الايمن فقال مثله فاعرض ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها فخذفه بها خذفا لو اصابه
لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى **في الدنيا والآخرة**
اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتاخذون بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو
اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما
اكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب
العظيم واما ان يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون **ويسئلونك عن اليتامى**
قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا
مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم
على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ
ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة **والله يعلم المفسد من المصلح** اي لا يخفى على الله من داخلهم
بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح **ولو شاء الله لاعنتكم** لحملكم على العنت
وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرا طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح اليهم وقرئ لاعنتكم
بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه **ان الله عزيز** غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم و
لكنه **حكيم** لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن** وقرئ بضم التاء اي لا تتزوجوهن او

ولا تزوجوهن والمشركات الحربيات والآية ثابتة وقيل المشركات الكتابيات والحربيات جميعا لان اهل الكتاب
من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة
بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي
وروي ان رسول الله صلى الله عليه بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في
الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم و
لكن ارجع الى رسول الله فاستامره فنزلت **ولامة مؤمنة خير من مشركة** ولامراة مؤمنة حرة كان او مملوكة وكذلك ولعبد
مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه **ولو اعجبتكم** ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع
ذلك **ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار**
اولئك اشارة الى المشركات والمشركين اي يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين
الا المناصبة والقتال **والله يدعو الى الجنة** يعني اولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة **والمغفرة** وما يوصل اليهما فهم
الذين يجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم **باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون** باذنه بتيسير الله وتوفيقه
للعمل الذي يستحق به الجنة والمغفرة وقرا الحسن والمغفرة باذنه بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره **ويسئلونك عن**
المحيض المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا **قل هو اذى** اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي
من يقربه نفرة منه وكراهة له **فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن** فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي ان
اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود
والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد و
الثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه السلم انما امرتم ان
تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون
بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة
وابو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة ان عبد
الله بن عمر سالها هل يباشر الرجل امراته وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روي زيد بن اسلم
ان رجلا سال النبي صلى الله عليه ما يحل لي من امراتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا قول
ابي حنيفة وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عائشة انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرئ يطهرن بالتشديد اي
يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرا عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم
الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل
وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وذهب الشافعي الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فيجمع بين
الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله **حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله** به وحلله لكم وهو القبل **ان**

الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور وقوله فاتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اي فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اي شق اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فاتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها في كلام الله اداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتادبوا بها ويتكلفوا امثالها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطي واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتى الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصيل في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تاتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض فان قلت ما بال يسألونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وكذا ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الاية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما يحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس فان قلت بم تعلقت اللام في لايمانكم قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله

معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه لكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لا يؤاخذكم باللغو في ايمانكم للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر قرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدي بمن وهو معدى بعلى قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مولين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابرهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطي ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ابي حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنهما لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاؤا فان فاؤا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاؤا فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي رضي الله عنه معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول فان قلت ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء فان قلت كيف جاز ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت

بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في احدما يصلح له كالاسم المشترك فان قلت فما معنى الاخبار عنهن
بالتربص قلت هو خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار
بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك
الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده ايضا فضل
تاكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل يتربصن ثلثة قروء كما قيل تربص اربعة اشهر
وما معنى ذكر الانفس قلت في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان
يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء
جمع قرء او قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم
يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار
ولان الغرض الاصيل في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي تستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء
من الامة بالحيضة ويقال اقرأت المراة اذا حاضت وامراة مقرئ وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها
اي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فان قلت فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق الشرعي انما هو في الطهر
قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلث وعدتهن الحيض الثلث فان
قلت فما تقول في قول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت اراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القرء عندهم في
الاعتداد بهن اي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن اهله كل عام لاقتحامه في الحروب و
الغارات وانه تمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعن فيها او اراد من اوقات نسائك فان القرء والقارئ
جاء آ في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا فان قلت فعلام انتصب ثلثة قروء قلت على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص
الغلاء اي يتربصن مضي ثلثة قروء او على انه ظرف اي يتربصن مدة ثلثة قروء فان قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة
التي هي الاقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله
بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال
منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلثة شسوع وقرا الزهري ثلثة قرو بغير همز وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ
من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت المراة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق
على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز ان يراد اللائي
يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه إِنْ
كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم وَبُعُولَتُهُنَّ والبعول
جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة
يعني واهل بعولتهن أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ برجعتهن وفي قراءة ابي بردتهن فِي ذَلِكَ في مدة ذلك التربص فان قلت كيف جعلوا

احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها قلت المعنى ان الرجل ان اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله على قولها وكان
هو احق منها لا ان لها حقا في الرجعة إِنْ أَرَادُوا بالرجعة إِصْلَاحًا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن
وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بِالْمَعْرُوفِ بالوجه الذي لا
ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه
والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان
يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ زيادة في الحق
وفضيلة قيل المراة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها الطَّلَاقُ بمعنى التطليق
كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي مَرَّتَانِ تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم
يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثانية
التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ
تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح
الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلث فامساك بمعروف اي برجعة او تسريح
باحسان اي بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة
في الطهر الثالث وروي ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة
واصحابه رحمهم الله الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي
في حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل طهر تطليقة وعند الشافعي
لا باس بارسال الثلث لحديث العجلاني الذي لاعن امراته فطلقها ثلثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه فلم ينكر عليه وروي
ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه فقالت يا
رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعتب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه
بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها
حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام فان قلت لمن الخطاب في قوله وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا ان قلت للازواج
لم يطابقه قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا باخذين منهن ولا بمؤتيهن قلت يجوز الامران
جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وان يكون الخطاب
كله للائمة والحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ
مما اعطيتموهن من الصدقات شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله
فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فلا جناح على
الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر و

الخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروي ان امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها
في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال لزوجها
اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا وقرئ
الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان لا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة
حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا وتعضده قراءة عبد الله الا ان تخافوا وفي قراءة ابي الا ان يظنا ويجوز
ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون يريدون اظن تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن
يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان
طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح
يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كما التزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل
بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها ان
امراة رفاعة قالت لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني
فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه فاتت ابا بكر رضي الله عنه
فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال لقد عهدت رسول الله صلى الله عليه حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر
رضي الله عنه قالت مثله لعمر رضي الله عنه فقال لا ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها فان قلت فما تقول في النكاح المعقود
بشرط التحليل قلت ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وهو جائز عند ابي حنيفة مع الكراهة
وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا اوتي
بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما
ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق
الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن هاهنا بالعلم فقد وهم من
طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا
وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون وإذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على
المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من الا
الغاية والى لانتهاء الغاية وقال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد
اذا شارفه وداناه ويقال قد وصل ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد
تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة
او سرحوهن بمعروف واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المراة و
يتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن

وقيل لتلجؤهن الى الافتداء ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي جدوا
في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب
وهازئ ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلى
الله عليه ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم
به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم وإذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا
تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اما ان يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية
الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما
ان يخاطب به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع
الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل
لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت
بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة
وان قصائدي لك فاصطنعني ... عقائل قد عضلن عن النكاح
وبلوغ الاجل
على الحقيقة وعن الشافعي رضي الله عنه دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب والنساء بينهم
بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر
مثلها فللاولياء ان يعترضوا فان قلت لمن الخطاب في قوله ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر
قلت يجوز ان يكون لرسول الله صلى الله عليه ولكل واحد ونحوه ذلك خير لكم واطهر ذلكم ازكى لكم واطهر من ادناس الآثام
وقيل ازكى لكم واطهر والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون او والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام
والشرائع وانتم تجهلونه والوالدات يرضعن اولادهن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد حولين كاملين توكيد
كقوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه فتقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما لمن اراد ان يتم الرضاعة وقرئ الرضاعة
بكسر الراء والرضعة وان تتم الرضاعة وان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما في التاويل فان قلت كيف اتصل
قوله لمن اراد بما قبله قلت هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاع
وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك
بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده
اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا
تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من
نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فان قلت فما بال الوالدات مامورات بان يرضعن اولادهن
قلت اما ان يكون امرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم توجد له ظئر او كان الاب

عاجزا عن الاستيجار وقيل اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في غير المغضوب عليهم فان قلت لم قيل المولود
له دون الوالد قلت ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للاباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وانشد
للمامون بن الرشيد فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللابناء اباء فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا
ارضعن ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن
ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار
والدة بولدها ولا مولود له بولده واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون
وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها
وقرأ لا تضار بالفتح اكثر القراء وقرأ الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبنائين ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر
ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرأ ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الاعرج
لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نوى ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن
كاتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما
ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول بعدما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه
ذلك ولا يضار مولود له امراته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد ارضاعه
ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج
من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان يكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه
وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها
فتقصر هي في حق الولد فان قلت كيف قيل بولدها وبولده قلت لما نهيت المراة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا
لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود
له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل
ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت
من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه وعند
ابي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ
والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان
له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا فان ارادا
فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد
وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق

بالتربية

بالتربية وهي اعلم بحال الصبي وقرئ فان راد وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم استرضع منقول من
ارضع يقال ارضعت المراة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى
ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين
لم يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله اذا قمتم الى الصلوة وقرئ ما اتيتم من
اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده ماتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله و
اقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى
ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من اهنا ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا
لشان الصبي واحتياطا في امره فامرنا بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم
امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن
تفريطهن بقطع معاذيرهن واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم و
يذرون ازواجا على تقدير حذف المضاف اراد وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن
منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان
يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على ان امره بان
يضع كتابا في النحو يناقضه هذه القراءة يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر
وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول
صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ان لبثتم الا يوما فاذا بلغن اجلهن فاذا
انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف
بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح والله بما
تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء وهو ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة
ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها
عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد
ابن سليمان عن خالته قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وحق جدي علي
وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول
الله صلى الله عليه وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر
لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة فان قلت اي فرق
بين الكناية والتعريض قلت الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كقولك طويل النجاد والحمائل لطويل القامة وكثير
الرماد للمضياف والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر

الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا • وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما تريده اَوْ اَكْنَنْتُمْ فِي اَنْفُسِكُمْ اوسترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين عَلِمَ اللّٰهُ اَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فان قلت اين المستدرك بقوله وَلٰكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح لانه مما يسر قال الاعشى ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح اِلَّا اَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا فان قلت بم يتعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن اى لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة اولا تواعدوهن الا بان تقولوا اى لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث ولا افحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اى في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب مما يستحيى من المجاهرة به وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تواثقها ان لا تتزوج غيرك وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام حَتّٰى يَبْلُغَ الْكِتَابُ اَجَلَهُ يعني ما كتب وفرض من العدة وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا فِي اَنْفُسِكُمْ من العزم على ما لا يجوز فَاحْذَرُوهُ ولا تعزموا عليه وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ لا يعاجلكم بالعقوبة لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ لا تبعة عليكم من ايجاب مهر اِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ ما لم تجامعوهن اَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي صلى الله عليه انه قال لرجل من الانصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب مَتَاعًا تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بِالْمَعْرُوفِ بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة حَقًّا صفة لمتاعا اى متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا عَلَى الْمُحْسِنِينَ على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه

وَاِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ اِلَّا اَنْ يَعْفُونَ يريد المطلقات اَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَاَنْ تَعْفُوا اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ اِنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فان قلت اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب ويعفو عطف على محله والذي بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان تعفو المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا او يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق المهر اليها كاملا وهو مذهب ابي حنيفة والاول الظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل والفضل التفضل اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ولا تستقصوا وقرأ الحسن او يعفو الذي بسكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيها لهما بالالف لانهما اختاها وقرأ ابو نهيك وان يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلٰوةِ الْوُسْطٰى اى الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلوة العصر وعن النبي صلى الله عليه انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلم انها الصلوة التي شغل سليمان بن داود عنها حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه يقرأها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر وروي عن عائشة وابن عباس والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين احديهما الصلوة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلوة اشد على اصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلوتي النهار وصلوتي الليل وعن قبيصة بن ذويب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلث وقرأ عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرأت عائشة والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوصطى بالصاد وَقُومُوا لِلّٰهِ في الصلوة قَانِتِينَ ذاكرين الله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلوة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصا او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا فَاِنْ خِفْتُمْ فان كان بكم خوف من عدو او غيره فَرِجَالًا اَوْ رُكْبَانًا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل

رجلا اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال المشي والمسايفة
ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال والراكب يومئ ويسقط عنه التوجه الى القبلة **فاذا امنتم** فاذا زال
خوفكم **فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون** من صلوة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة
كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن **والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا**
وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج تقديره فيمن قرا وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون او وحكم
الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم وفيمن قراها بالنصب والذين يتوفون يوصون
وصية كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير او والزم الذين يتوفون وصية ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية
لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرا ابي
متاع لازواجهم متاعا وروي عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل
وعلى قراءة ابي متاعا نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضربك زيدا ضربا
شديدا وغير اخراج مصدر موكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات
والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق
عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا
وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة
واصحابه لا سكنى لهن **فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن** من التزين والتعرض للخطاب **من معروف**
مما ليس بمنكر شرعا **والله عزيز حكيم** فان قلت كيف نسخت الاية المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون الاية متقدمة
في التلاوة وهي متاخرة في التنزيل كقوله سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء **وللمطلقات**
متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون عم المطلقات بايجاب
المتعة لهن بعدما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين
وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت الاية التمتيع الواجب والمستحب جميعا و
قيل المراد بالمتاع نفقة العدة **الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم**
الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان
هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين
فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت
عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر
اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا
من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل

ثلثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير الوف متالفون جمع الف كقاعد وقعود فان قلت ما معنى قوله فقال
لهم الله موتوا قلت معناه فاماتهم وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله و
مشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله انما امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه
مفر فاولى ان يكون في سبيل الله **ان الله لذو فضل على الناس** حيث بصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر اولئك
وكما بصركم باقتصاص خبرهم **ولكن اكثر الناس لا يشكرون** او لذو فضل على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا ويفوزوا
ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل
الله **وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع** يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون **عليم** بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة
في نفسها واما النفقة في سبيل الله **فيضاعفه له اضعافا كثيرة** قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثرة لا يعلم كنهها الا الله
والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدل لكم الضيقة بالسعة **واليه ترجعون**
فيجازيكم على ما قدمتم **الم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم** هو يوشع او شمعون او
اشمويل **ابعث لنا ملكا** انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان
يفعل رسول الله صلى الله عليه من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر
الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم **نقاتل في سبيل الله** قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون و
الرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استينافا فكانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل
بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا **قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا** وخبر عسيتم الا
تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم
ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير
وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل اتى على الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين و
هي ضعيفة **قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله** واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه **وقد اخرجنا من ديارنا**
وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر **والله**
عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم**
طالوت ملكا طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف به
من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني
وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشمالاها رخمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان احد سبطيه

التجبر لكونه عبرانيا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال
كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له فان قلت ما الفرق بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت قلت الاولى للحال والثانية
لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا لا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود
من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب
والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين
طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفيه عليكم وزاده
بسطة في العلم والجسم يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين
انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب
ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك لان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل
مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد
وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال راسه والله يؤتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء
من يستصلحه للملك والله واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك
وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك ال موسى وال هرون تحمله الملائكة
ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين التابوت صندوق التورية وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن
نفوس بني اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمانينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس كراس
الهر وذنب كذنبه وجناحان فتأن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن
علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة
وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك اية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى
ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار وكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك
طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة
الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء
وهي لغة الانصار فان قلت ما وزن التابوت قلت لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سلس و
قلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه
الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرأ بالهاء فهو فاعول
عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التانيث وقرأ
ابو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء فان قلت من ال موسى وال هرون قلت الانبياء من بني يعقوب
بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان اولاد يعقوب آلهما ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون والال مقحم

لتفخيم شانهما فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه
واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون
فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل
بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع
اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بنهر بما اقترحتموه
من النهر فمن شرب منه فمن ابتدأ شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني
كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه فانه مني ومن لم يذقه من طعم
الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم والنقاخ
ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما
عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما روي عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فان قلت مم استثنى قوله
الا من اغترف غرفة بيده قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتاخرة الا انها قدمت للعناية
كما قدم والصابئون في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع
والدليل عليه قوله فشربوا منه اي فكرعوا فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف و
قرأ ابي والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان
معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال الا مسحت
او مجلف كانه قال لم يبق من المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا فلما جاوزه هو
والذين امنوا معه يعني القليل قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين اعينهم
لقاء الله وايقنوه او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة
وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا الكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا بذلك والنهر
بينهما يظهر اولئك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين
شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل
ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب
من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله
وقتل داود جالوت كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم
فاوحي الى شمويل ان داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلثة احجار دعاه كل واحد منها
ان احملني وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده

وأراد قتله ثم تاب وآتاه الله الملك في مشارق الأرض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الأرض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الأرض تلك آيات الله نتلوها يعني القصص التي اقتصها من حديث الألوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي عليك بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف واكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد ابرهيم ومحمدا وغيرهما من اولي العزم من الرسل صلوات الله عليهم وعن ابن عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابرهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء فدخل فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها فان قلت فلم خص موسى وعيسى عليهما السلم من بين الانبياء بالذكر قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه هو الذي اوتي منها ما لم يؤت احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من

كفر لاعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى تسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثم في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون ارادوا التاركون الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع الله لا اله الا هو الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم لا تأخذه سنة ولا نوم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم اي لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما ومنه حديث موسى عليه السلام انه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية أينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوتين فاخذهما والقى الله عليه النعاس فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى اليه قل لهؤلاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء الا بما علم وسع كرسيه السموات والارض الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وهو العلي الشان العظيم الملك والقدرة فان قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره فان قلت لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله

عليه السلام ما قرئت هذه الاية في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة
يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول
من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها
اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القران فقال لهم علي
اين انتم عن اية الكرسي ثم قال لي رسول الله صلعم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان
وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران
وسيد القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسي قلت لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه
وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف
العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه فان العرانين تلقاها
محسدة لا اكراه في الدين اي لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله تعالى
ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اى لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه
لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر
بالطاغوت ويؤمن بالله فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام والايمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
لا انفصام لها والله سميع عليم من الحبل الوثيق المحكم المامون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال
بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا
تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب خاصة
لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى
الله عليه ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله فقال الانصاري
يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما الله ولي الذين امنوا اي ارادوا ان يؤمنوا يلطف بهم حتى
يخرجهم بلطفه وتاييده من الظلمات الى النور من الكفر الى الايمان والذين كفروا اى صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك
اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون او الله
ولي الذين امنوا يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين
كفروا اولياؤهم الطاغوت الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة الم تر الى الذي
حاج ابرهيم في ربه تعجيب من محاجة نمروذ في الله وكفره به ان اتيه الله الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان اتاه الله
الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه
من الشكر على ان اتاه الله الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان
يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان اتاه الملك فان

قلت

قلت كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر قلت فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب
والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده واذ قال نصب بحاج او بدل من ان آتاه اذا جعل بمعنى الوقت ابرهيم ربي الذي يحيي
ويميت قال انا احيي واميت يريد اعفو عن القتل واقتل قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات
بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابرهيم عليه السلام
لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز
الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقرئ فبهت الذي كفر اي فغلب ابرهيم الكافر وقرا ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت
هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمروذ ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي
ويميت او كالذي مر على قرية معناه او ارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجب ويجوز ان يحمل على المعنى
دون اللفظ كانه قيل ارايت كالذي حاج ابرهيم او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه
مع نمروذ في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي وقيل هو عزير او الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة
كما طلبه ابرهيم وقوله انى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس
حين خربه بختنصر وقيل هي التي خرج منها الالوف وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته
الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت بناء على الظن روي انه مات
ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض
يوم وروي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله مائة عام
فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة على
الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك ان الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل اصله يتسنن من الحماء المسنون فقلبت نونه حرف
علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم تلبث مائة سنة
وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسنن وقرا ابي لم يسنه بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف
تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الايات ان
يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك اية للناس فعلنا ذلك يريد
احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التورية فاخذ يهذها
هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرا التورية ظاهرا احد قبل عزير فذلك
كونه اية وقيل رجع الى منزله فراى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام
هي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها وقرا الحسن ننشرها من نشر الله الموتى
بمعنى انشرهم فنشروا وقرئ بالزاء بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال
اعلم ان الله على كل شيء قدير وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله

على كل شيء قدير فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيداً او بجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني
امر احياء الموتى وقرأ ابن عباس فلما تُبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الأمر وقرأ عبد الله قيل اعلم فان
قلت فان كان المار كافراً كيف يسوغ ان يكلمه الله قلت كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافراً واذ قال ابرهيم
رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن فان قلت كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايماناً
قلت ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين قال بلى وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت و
لكن ليطمئن قلبي ليزيد سكوناً وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب
وازيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فاراد بطمأنينة القلب
العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك فان قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك
ارادة طمأنينة القلب قال فخذ اربعة من الطير قيل طاووساً وديكاً وغراباً وحمامة فصرهن اليك بضم الصاد
وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه
على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرأ ابن عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره
اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضاً ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً يريد ثم
جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل
وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعياً ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن
على ارجلهن واعلم ان الله عزيز حكيم فان قلت ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان يأخذها قلت ليتأملها ويعرف اشكالها
وهيآتها وحلاها لئلا يلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعياً وروي انه امر
بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤوسها ثم امر
ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعاً من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى
صارت جثثاً ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن كل جثة الى رأسها وقرئ جزؤاً بضمتين وجزاً بالتشديد ووجهه انه خفف
بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
كمثل حبة لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة انبتت سبع سنابل
في كل سنبلة مائة حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سبباً اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض
والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقاً يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير
للاضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر فان قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت بل هو موجود في الدخن
والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحاً على
سبيل الفرض والتقدير فان قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر قلت
هذا لما قدمت عند قوله ثلاثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم

اي

اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع مائة ويزيد عليها اضعافها
لمن يستوجب ذلك الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا مناً ولا اذى لهم اجرهم عند
ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب
عليه حقاً له وكانوا يقولون اذا اصطنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم وان امرأ اسدى الي صنيعة وذكرنيها مرة
لبخيل وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيها طعم الآلاء احلى من المن وهي امر من الآلاء
مع المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان
تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيراً من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت اي فرق
بين قوله لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول ههنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة
المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف رد جميل ومغفرة
وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة السائل
لانه اذا رده رداً جميلاً عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة
والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما
اتبعه يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس اي لا
تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله ولا يؤمن بالله لا يريد بانفاقه رضى الله ولا ثواب الآخرة واليوم
الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس
عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلداً اجرد نقياً من التراب
الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثوراً والله لا يهدي
القوم الكافرين ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال
لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان
فكأنه قيل كمن ينفق ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من انفسهم وليثبتوا
منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس
اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس
فكان انفاق المال تثبيتاً لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقاً للاسلام وتحقيقاً للجزاء من اصل انفسهم
لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير
الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسداً من عند
انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتاً من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد
وتبييناً من انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله

ودرجة معا فهم الذين ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم **كمثل جنة** والمعنى ومثل نفقة
هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان **بربوة** بمكان مرتفع وخصها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا
أصابها وابل مطر عظيم القدر **فآتت أكلها** ثمرتها **ضعفين** مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل **فإن لم يصبها وابل**
فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل
والطل وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها
وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات
الثلث وأكلها بضمتين **والله بما تعملون بصير أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها**
الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت
كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون الهمزة في أيود للإنكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والإعصار
الريح التي تستدير في الأرض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله
فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار فبلغ
الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عنها الصحابة
رضوان الله عليهم أجمعين فقالوا الله أعلم فغضب وقال قولوا لا نعلم أو نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين
قال قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لأي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان
فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه
أفقر ما كان إلى جنته وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا فإن قلت كيف قال جنة من نخيل و
أعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل
الجنة منهما وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز أن يريد بالثمرات
المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من أعناب وحففناهما بنخل فإن قلت علام عطف قوله
وأصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر وقيل يقال وددت أن يكون كذا وودت
لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من**
طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم **ومما أخرجنا لكم من الأرض** من الحب والثمار والمعادن وغيرها فإن قلت
هلا قيل وما أخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الأرض قلت معناه ومن طيبات ما
أخرجنا لكم من الأرض إلا أنه حذف لذكر الطيبات **ولا تيمموا الخبيث** ولا تقصدوا المال الرديء **منه تنفقون** تختصونه
بالإنفاق وهو في محل الحال وقرأ عبد الله ولا تأمموا وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء في معنى
قصده **ولستم بآخذيه** وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم **إلا أن تغمضوا فيه** إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا
فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أي لا تستقص كأنك لا تبصر وقال الطرماح

لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالإغماض وقرأ الزهري تغمضوا وأغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم
الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه وقيل إلا أن
توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون
بحشف التمر وشراره فنهوا عنه **واعلموا أن الله غني حميد الشيطان يعدكم الفقر** أي يعدكم في الإنفاق الفقر ويقول
لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى من
ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا **ويأمركم بالفحشاء** ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور والفاحش عند
العرب البخيل **والله يعدكم** في الإنفاق **مغفرة منه** لذنوبكم وكفارة لها **وفضلا** وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم
أو ثوابا عليه في الآخرة **والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء** يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم
العامل **ومن يؤت الحكمة** وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الأعمش **فقد أوتي خيرا**
كثيرا تنكير تعظيم كأنه قال فقد أوتي أي خير كثير **وما يذكر إلا أولوا الألباب** يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على
العمل بما تضمنت الآي في معنى الإنفاق **وما أنفقتم من نفقة** في سبيل الله أو في سبيل الشيطان **أو نذرتم من نذر**
في طاعة الله أو في معصيته **فإن الله يعلمه** لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه **وما للظالمين** الذين يمنعون الصدقات أو
ينفقون أموالهم في المعاصي ولا يوفون بالنذور أو ينذرون في المعاصي **من أنصار** ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه
إن تبدوا الصدقات فنعما هي نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما شيئا إبداؤها وقرئ بكسر النون و
فتحها **وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء** وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء **فهو خير لكم** فالإخفاء خير لكم والمراد
الصدقات المتطوع بها فإن الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنه صدقات السر في التطوع تفضل
علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وإنما كانت المجاهرة بالفرائض
أفضل لنفي التهمة حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل والمتطوع إن أراد أن يقتدى به
كان إظهاره أفضل **ونكفر عنكم من سيئاتكم** قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء أو على أنه خبر مبتدأ
محذوف أي ونحن نكفر أو على أنه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط
وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله أو للإخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء
والنصب بإضمار أن ومعناه إن تخفوها يكن خيرا لكم وأن يكفر عنكم **والله بما تعملون خبير ليس عليك هداهم**
لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك
إلا أن تبلغهم النواهي فحسب **ولكن الله يهدي من يشاء** يلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه
وما تنفقوا من خير من مال **فلأنفسكم** فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول
عليهم **وما تنفقون** وليست نفقتكم **إلا ابتغاء وجه الله** ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي
لا يوجه مثله إلى الله **وما تنفقوا من خير يوف إليكم** ثوابه أضعافا مضاعفة **وأنتم لا تظلمون** فلا عذر لكم في أن ترغبوا

عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يرضخوا قراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره للفقراء الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض للكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن المسئلة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال لا يسئلون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الالحاف الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف ومعناه انهم ان سألوا تلطفوا ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة رضي الله عنه كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية الذين يأكلون الربوا الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس اي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير اتساق كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم وان الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص واخبار وعجائب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات فان قلت بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون

من الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا فاربأه الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا فان قلت هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل قلت جيء به على طريقة المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تأنيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرأ ابي والحسن فمن جاءته يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وان كثر الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب كل كفار اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا اخذوا ما شرطوا على الناس من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روي انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقرأ الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طيء وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب فاعلموا بها من أذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرأ الحسن فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة من الله ورسوله فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا ابلغ لان المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فان قلت هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا قلت قالوا يكون ما لهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرأ عثمان ذا عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطا فناظرة بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو

عُسْرٍ وذو بغل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وباسره بها الى ميسرة الى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وقوله تعالى واقام الصلوة وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار كقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء واتقوا يوما ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرا عبد الله تردون وقرا ابي تصيرون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبرئيل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا بدين الى اجل مسمى فاكتبوه والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واي حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فان قلت ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية وليكتب بينكم كاتب بالعدل بالعدل متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مامون على ما يكتب يكتب بالتسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا ولا يأب كاتب ولا يمتنع واحد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب فان قلت اي فرق بين الوجهين قلت ان علقته بان يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره به والاملاء والاملال لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا من الحق شيئا والبخس النقص وقرئ شيا وشيا بالتشديد فان كان الذي عليه الحق

سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس فليملل وليه بالعدل الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا يجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة ويجوز عند ابي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة رحمه الله فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون من الشهداء ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احديهما ان لا تهتدي احديهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل فتذكر احديهما الاخرى فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وقرئ فتذاكر وقرا حمزة ان تضل احديهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله وقرئ ان تضل احديهما على البناء للمفعول والتانيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احديهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت ولا تسأموا ان تكتبوه كني بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان الحق من صغر او كبر كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير في تكتبوه ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان يكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذي اتفق فيه الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط عند الله واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى ان لا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها فان قلت مم بني افعلا التفضيل اعني اقوم واقسط قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما فان قلت ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان

تتبايعوا بيعاً ناجزاً يداً بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارةٌ حاضرةٌ بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارةً حاضرةً كقوله

بني اسد هل تعلمون بلاءنا . اذا كان يوماً ذا كواكب اشنعا . اي اذا كان اليوم يوماً **واشهدوا اذا تبايعتم** امر بالاشهاد على التبايع مطلقاً ناجزاً او كالياً لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل **ولا يضار كاتب ولا شهيد** لا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارِر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارَر بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرأ الحسن ولا يضارِّ بالكسر **وان تفعلوا** وان تضاروا **فانه** فان الضرار **فسوق بكم** وقيل وان تفعلوا شيئاً مما نهيتم عنه **واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر** وان كنتم مسافرين **ولم تجدوا كاتباً** وقرأ ابن عباس وابيّ كتاباً وقال ابن عباس ارأيت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ابو العالية كتباً وقرأ الحسن كتّاباً جمع كاتب **فرهان مقبوضة** فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهُن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وقرئ فرهانٌ فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذاً بظاهر الاية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول دون القبض **فان امن بعضكم بعضاً** فان امن بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه به وقرأ ابيّ فان اومن اي امنه الناس ووصف المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله **فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه** حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن به وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او ياء فتقول الذ اؤتمن او الذيتمن وعن عاصم انه قرأ اللذتّمن بادغام الياء في التاء قياساً على اتّسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتّزر عامي وكذلك ريّا في رؤيا **ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم** آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثماً مقترفاً بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما

عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولان لا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبَه بالفتح كقوله سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة اثّم قلبه اي جعله آثماً **لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه** يعني من السوء **يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء** لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر **ويعذب من يشاء** من استوجب العقوبة بالاصرار **والله على كل شيء قدير** فلا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفاً على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشاً وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوماً على البدل من يحاسبكم كقوله . متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا . تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا . ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيداً رأسه واحببت زيداً عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان **آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله** والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعاً الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكلٌّ اتوه داخرين وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء فاما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع **لا نفرق بين احد من رسله** يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو ولا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين **وقالوا سمعنا** اجبنا **واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير** غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون **لا يكلف الله**

إلا وسعها الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون
مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته
ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرا ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها
فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة
اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم يكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة
فيه على الاعتمال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا بالنسيان والخطاء ان فرطنا فان قلت النسيان
والخطاء متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطاء والمراد بهما ما هما مسببان عنه
من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس
فيكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على
وجه النسيان والخطاء فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان
والخطاء مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطاء والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء
من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الاصر العبء
الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة
من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد فان قلت اي فرق بين
هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من
قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع
من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا سيدنا
ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك
او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس ان رسول الله لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد
فعلت وعنه عليه السلام من قرا الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه عليه السلام اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز
تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من
قراهما بعد العشاء الآخرة اجزاتاه عن قيام الليل فان قلت هل يجوز ان يقال قرات سورة البقرة او قرات البقرة
قلت لا باس بذلك وقد جاء في حديث النبي عليه السلام من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وعن علي رضي الله عنه
خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من هاهنا والذي لا اله غيره رمى
الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة واذا قيل قرات

البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله تعالى واسئل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال قرات السورة التي
يذكر فيها البقرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة
وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم ميم حقها
ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة
القيت عليها حين اسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام
فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت
وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على
الدال فان قلت هلا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولهم
هذا ابرهيم وداود واسحق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء
الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين
فاذا جاء ساكن ثالث لم يكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم
ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم
ان حركتها حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد رحمه الله بالكسر قلت هذه
القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه
وانزل التوراة والانجيل من قبل التوراة والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة
وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرا الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم
في اوزان العرب فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرا
الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس اي لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون
بشرائع من قبلنا فسره على العموم وانزل الفرقان فان قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان
يفرق بين الحق والباطل او الكتب التي ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه
او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القرآن بما هو
نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا للفضل ان الذين كفروا
بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم
ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر
وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرا طاوس
تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلت مالا اذا جعلته اثلة اي اصلا وتاثلته اذا اثلته لنفسك وعن سعيد

بن جبير هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا كانه نبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات محكمات احكمت عباراتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات هن ام الكتاب اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يامر بالفحشاء امرنا مترفيها فان قلت فهلا كان القرآن كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة ماخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتامل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا راى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمانينة الى معتقده وقوة في ايقانه فاما الذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه التاويل الذي يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم اي لا يهتدي الى تاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدي والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استاثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتاويل يقولون آمنا به اي بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين وقرا عبد الله ان تاويله الا عند الله وقرا ابي ويقول الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا وارشدتنا لدينك او لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا وهب لنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة انك انت الوهاب وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اي تجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الاصل ان الله لا يخلف الميعاد معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم قرا علي رضي الله عنه لن تغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين من الله شيئا من في قوله من الله مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما

عندك

عندك واولئك هم وقود النار وفي معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ وقود بالضم بمعنى اهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير كداب آل فرعون والذين من قبلهم الداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره داب هؤلاء الكفرة كداب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناس كداب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم وان فلانا لمحارف كداب ابيه تريد كما حورف ابوه كذبوا باياتنا تفسير لدابهم مما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف على قل لهم قولي لك سيغلبون فان قلت اي فرق بين القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كانه قال ادّ اليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون ويحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم فان قلت فهذا مناقض لقوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم قلت قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسؤلون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعدما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكان الكافرون ثلاثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرا ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اي يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص او على الحال من الضمير في التقتا راي العين

يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ كما ايد
اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ زُيِّنَ لِلنَّاسِ المزين هو الله سبحانه للابتلاء كقوله
انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زَيَّنَ للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان
والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ
مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ جعل الاعيان التي ذكرها
شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات
لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات
ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس
فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال
الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا
والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي
العلامة او المطهمة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الازواج الثمانية ذَٰلِكَ المذكور مَتَاعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ كلام مستانف
فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل ادلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان
يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرا جنات
بالجر على البدل من خير تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ
يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الَّذِينَ يَقُولُونَ
نصب على المدح او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ
الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ والواو المتوسطة بين الصفات
للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقد مر الكلام في ذلك وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام
الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في
اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من اياته
الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص واية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار
الملائكة واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليهم قَائِمًا بِالْقِسْطِ مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والاجال ويثيب
ويعاقب وما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه
كقوله وهو الحق مصدقا فان قلت لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم

قلت

قلت انما جاز هذا لعدم الالباس كما جاز في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب
ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورية او على المدح فان قلت اليس من حق المنتصب على المدح ان يكون
معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معاشر الانبياء لا نورث انا بني نهشل لا ندعي لاب قلت قد جاء نكرة
كما جاء معرفة وانشد سيبويه مما جاء منه نكرة قول الهذلي ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي
فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون
في الفصل بين الصفة والموصوف فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله
الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها
كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك
انتصابه على المدح فان قلت هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية
قلت نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة واولوا العلم انه لا اله
الا هو وانه قائم بالقسط وقرا عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من هو او خبر مبتدا محذوف وقرا ابو حنيفة قيما
بالقسط لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي
لا يغالبه اله اخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم الله هذا التعظيم
حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج
الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ وقرئ انه بالفتح وان
الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة
للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت فائدته ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه
قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد اذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده
في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم
يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو الاول في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الاسلام هو العدل والتوحيد وقرئ الاول بالكسر
والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل
والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرا عبد الله ان لا اله الا هو وقرا ابي ان الدين عند الله للاسلام
وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على
هم شهداء لله فان قلت فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة واولوا العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع
الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا
تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعدما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين
كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل

وما اختلف الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد
والعدل الا من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا
احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب وهذا تجوير لله تعالى بغيا بينهم اي ما كان ذلك
الاختلاف وتظاهر هولاء بمذهب وهولاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا و
استتباع كل فريق ناسا يطاوون اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد عليه الصلوة والسلام
حيث آمن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم
اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام حين احتضر استودع التورية سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء
عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعدما جاءهم علم التورية بغيا بينهم وتحاسدا
على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله ومن
يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فان جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي لله
اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعني ان ديني دين التوحيد
وهو الدين القويم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن
معه من المومنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل
ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين والذين
لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل
اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته
فهل فهمتها لا ام لك ومنه قوله عز وجل فهل انتم منتهون بعدما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام
استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد
تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل انتم منتهون
بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا
من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور وان تولوا لم يضروك شيئا فانما عليك البلاغ فانك رسول منبه ما عليك
الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى والله بصير بالعباد ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم وقرا الحسن يقتلون النبيين
وقرا حمزة ويقاتلون الذين يامرون وقرا عبد الله وقاتلوا وقرا ابي يقتلون النبيين والذين يامرون وهم اهل الكتاب
قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله والمومنين لولا عصمة الله وعن
ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر

بمعروف ونهى عن منكر ثم قراها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة
واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من
آخر النهار اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة وما
لهم من ناصرين فان قلت لم دخلت الفاء في خبر ان قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم
بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت او لعل لامتنع
ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا
وافرا من التورية ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم
يدعون الى كتاب الله وهو التورية ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم
فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت قال على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال
لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله
القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى
كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد
ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا
اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك
ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله ذلك التولي والاعراض
بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار
بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم
كما غرت اولئك شفاعة رسول الله في كبائرهم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه فكيف يصنعون فكيف يكون
حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم
وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود
فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يرجع الى
كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسي قل اللهم الميم في اللهم عوض من يا
ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام
التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك مالك الملك اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك
فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع
الملك ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان
من الكل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود

هيهات هيهات من ابن محمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من ذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير فان قلت كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الاخر وعطف عليه رزقه بغير حساب في قوله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك بيدي ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر الاية والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان اولياء من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء اي ومن يوالي الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله راسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال

تود عدوي ثم تزعم انني … صديقك ليس النوك عنك بعازب

الا ان تتقوا منهم تقية الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقي تقية وتقاة كقولهم ضرب الامير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصي كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا

ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة او تقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من ولاية الكفار وغيرها مما لا يرضى الله يعلمه الله ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجترئ احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ في امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة فما بال من علم ان العالم بالذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم تجد منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي يوم القيمة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا ويجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان يكون ما شرطية لارتفاع تود فان قلت فهل يصح ان تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت قلت لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والامد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤوف بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق

بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه
وطربه ونعرته وصعقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق
وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رايت المني قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه
قد ملؤا اردانهم بالدموع لما رققهم من حاله وقرئ تحبون ويحببكم ويحبكم من حبه يحبه قال ٣ احب اباثروان
من حب تمره. واعلم ان الرفق بالجار ارفق. ووالله لولا تمره ما حببته. ولا كان ادنى من عبيد ومشرق قل اطيعوا
الله والرسول فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول
لهم فان الله لا يحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما و
آل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف وثماني
مائة سنة على العالمين ذرية بدل من آل ابراهيم وآل عمران بعضها من بعض يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة
متشعب بعضها من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي
من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشي بن يهوذا
بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله عليه السلام وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله تعالى
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء او يعلم ان بعضهم من بعض
في الدين او سميع عليم لقول امراة عمران ونيتها اذ قالت منصوب به وقيل باضمار اذكر وامرات عمران هي امراة
عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى عليه الصلوة والسلام وهي حنة بنت فاقوذ وقوله اذ قالت امراة عمران
بن ماثان ام مريم على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى عليه السلام والقول الآخر
يرجحه ان موسى يقرن بابرهيم كثيرا في الذكر فان قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون
ولعمران بن ماثان مريم البتول فما دراك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران ابي مريم التي هي اخت موسى
وهرون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد
وقد تزوج زكريا بنته ايشاع اخت مريم فكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة رب اني نذرت لك ما في بطني
روي انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت
نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون
من سدنته وخدمته فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه
ولا اشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ
الغلام خير بين ان يفعل وبين ان لا يفعل فتقبل مني انك انت السميع العليم وعن الشعبي رضي الله عنه
محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير وطلبت ان ترزق ذكرا فلما
وضعتها الضمير لما في بطني وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على تاويل الحبلة او النفس والنسمة

قالت

قالت رب اني وضعتها انثى فان قلت كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك
وضعت الانثى انثى قلت الاصل وضعته انثى وانما انث لتانيث الحال لان الحال وذا الحال لشيء واحد كما انث
الاسم في من كانت امك لتانيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تاويل الحبلة او النسمة فهو ظاهر
كانه قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى فان قلت فلم قالت اني وضعتها انثى وما ارادت الى هذا القول قلت
قالته تحسرا على ما رات من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا
ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما
لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور
وان يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنه والله
اعلم بما وضعت على خطاب الله لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره و
قرئ وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا او حكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت فما معنى قوله وليس
الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم قلت هو بيان لما في قوله و
الله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام
فيهما للعهد فان قلت علام عطف قوله واني سميتها مريم قلت هو عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان
كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم فان قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت
بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف
اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه
حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع
الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما لقوله لاغوينهم اجمعين الا
عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا
ممن اغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي. لما تؤذن الدنيا به من صروفها. يكون بكاء الطفل ساعة يولد. واما حقيقة
المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس نخسهم لامتلات الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من
نخسه فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء
كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى في ذلك
او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشا وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها
الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال
لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا اقلامهم

فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى
فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك
تعجله بمعنى استعجله وتقضاه بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه قال
القطامي وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها في
اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها
وكفلها زكريا وقرئ وكفلها زكريا بوزن علمها وكفلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا والفعل لله تعالى بمعنى
وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة ابي واكفلها من قوله اكفلنيها وقرا مجاهد
فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلثة ونصب ربها تدعو به للتاي فاقبلها يا ربها و
ربها واجعل زكريا كافلا لها كلما دخل عليها زكريا المحراب قيل بنى لها زكريا عليه السلام محرابا في المسجد
اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت
المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده واذا كان خرج غلق عليها
سبعة ابواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط وكان يجد عندها فاكهة الشتاء
في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء قال يا مريم انى لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في
غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت
وهي صغيرة كما تكلم عيسى عليه السلام وهو في المهد وعن النبي عليه السلام انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رضي
الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها فقال لها عليه السلام وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق
فاذا هو مملو خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها عليه السلام انى لك هذا فقالت هو من عند الله
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع
رسول الله علي ابن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة
على جيرانها ان الله يرزق من يشاء من جملة كلام مريم عليها السلام او من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب
بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد
عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وحيث وثم للزمان دعا زكريا ربه لما راى حال مريم في كرامتها
على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا
عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما راى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر قال رب هب لي
من لدنك ذرية ولدا والذرية يقع على الواحد والجمع طيبة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة وهو
قائم يصلي في المحراب قرئ فناداه الملائكة وقيل ناداه جبرئيل وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل
ان الله يبشرك بيحيى بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقرئ يبشرك و

يبشرك من بشره وابشره ويبشرك بفتح الياء من بشره ويحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف
والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مؤمنا
به قيل هو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا
بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا الذي يسود قومه
اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فايقا لقومه وفايقا للناس كلهم في انه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة وسيدا
وحصورا والحصور الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم
في الميسر قال الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار فاستعير لمن لا يدخل في اللعب
واللهو وقد روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشيا من
الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين قال رب
انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية و
المعنى اثر في الكبر واضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر قال كذلك
الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر
او كذلك الله مبتداء وخبر اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة
للعادات قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال آيتك
الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه
يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا
وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة فان قلت لم حبس لسانه
عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها
الذي طلب الآية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب
واوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة بيد او رأس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز
اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا
بفتحتين جمع رامز كخدم وخادم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف
اليتيك وتستطارا بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول
الشمس الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار
يقال اتيته بكرا بفتحتين فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه قلت لما ادى مؤدى الكلام
وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا واذ قالت الملائكة يا مريم روي انهم كلموها
شفاها معجزة لزكريا عليه السلام وارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام ان الله اصطفيك اولا حين تقبلك

من امثالك وربّاك واختصّك بالكرامة السنيّة وطهّرك مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود واصطفيك
آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء يا مريم اقنتي لربك
واسجدي امرت بالصلوة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيآت الصلوة واركانها ثم قيل لها واركعي مع
الراكعين بمعنى ولتكن صلوتك مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين فكوني معهم في عدادهم
ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلوته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان
تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك من انباء الغيب اشارة الى ما سبق من نبإ زكريا ويحيي ومريم وعيسى
نوحيه اليك يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير
شبهة وترك نفي استماع الانباء من حفاظها وهو موهوم وما كنت لديهم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا
انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة
فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما
كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم ازلامهم وهي قداحهم
التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التورية اختاروها للقرعة تبركا بها وما كنت
لديهم اذ يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها فان قلت ايهم يكفل مريم بم يتعلق قلت بمحذوف دل عليه
يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله
يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق
واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع و
مشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء فان قلت اذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من واذ قالت الملائكة و
يجوز ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا فان قلت
لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم قلت لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه
يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت
لان المسمى بها مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن
فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع
هذه الثلثة وجيها في الدنيا والآخرة حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم الناس في المهد
وكهلا ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة و
الوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه
الى السماء وصحبته للملائكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه ويكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير
تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء قالت رب انى يكون

لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
ومن بدع التفاسير ان قولها رب نداء لجبريل بمعنى يا سيدي ونعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل
ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم ونعلمه عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدأ وقرأ
عاصم ونافع ويعلمه بالياء فان قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدي
وقرأ اليزيدي رحمه الله ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل
اني اخلق لكم من الطين وانى اخلق نصب بدل من انى قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هي اني اخلق لكم
وقرئ اني بالكسر على الاستيناف اي اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل
لهيئة الطير فيكون فيصير طيرا باذن الله كسائر الطيور حيا طيارا وقرأ عبد الله فانفخها قال مولى الربيع قرنه و
جبهته كالنهر في تنحى ينفخ الفحا وقيل لم يخلق غير الخفاش وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى الاكمه الذي
ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي
انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده
وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم وروي انه احيى سام بن نوح
وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف
ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التورية ولاحل لكم بعض الذي حرم
عليكم ولاحل رد على قوله باية من ربكم اي جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه ايضا
اي جئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم
عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم
على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التورية او الله عز وجل او موسى عليه السلام لان ذكر التورية دل عليه ولانه كان
معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قولي ان الله ربي وربكم لان جميع
الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف
جعل هذا القول آية من ربه قلت لان الله تعالى جعل له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في
ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله وجئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق
الطير والابراء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله
وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات واطيعوني فيما ادعوكم اليه ثم ابتداء فقال ان الله ربي و
ربكم ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم
باية على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس عيسى منهم الكفر فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس

قال من انصاري الى الله الى الله من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني او يتعلق بمحذوف حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه قال الحواريون نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال الشاعر فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح وفي وزنه الحوالي وهو الكثير الحيلة امنا بالله واشهد بانا مسلمون وانما طلبوا شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيمة لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم او مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع امة محمد عليه السلام لانهم شهداء على الناس ومكروا ومكر الله اي الذين للكفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله ان رفع عيسى الى السماء والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الي الى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله تعالى والتي لم تمت في منامها ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء امن مقرب وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرايع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك تفسير الحكم قوله فاعذبهم فنوفيهم اجورهم وقرئ فيوفيهم بالياء ذلك اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا خبره نتلوه عليك ومن الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو من سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شان عيسى وحاله الغريبة كشان آدم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما شبه عيسى بآدم اي خلق آدم من تراب ولم يكن ثم اب ولا ام فكذلك حال عيسى عليه السلام فان قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ووجد آدم بغير اب وام قلت هو مثيله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه عن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال

فادم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة نفر واحيى حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه من تراب قدره جسدا من طين ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اي هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس فلا تكن من الممترين خطاب للنبي عليه السلام على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع وفيه تنبيه على الامتراء وجل رسول الله عن ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا والمراد المجيء بالراي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسألة ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل مني ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروي انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله عليه السلام وقد غدا محتضنا للحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم راينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولولا عنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة ان رسول الله عليه السلام خرج وعليه مرط مرجل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء قلت ذلك اكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرا على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستيصال ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه

وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعاين في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة
عنها بارواحهم حماة الحقايق وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليوذن بانهم
مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان
واضح على صحة نبوة النبي عليه السلام لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك **ان هذا** الذي
قص عليك **لهو القصص الحق** وقرئ بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه
فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدا والقصص الحق خبره والجملة خبر ان فان قلت
لم جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتداء منه
واصلها ان تدخل على المبتداء ومن في قوله **وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم** بمنزلة البناء على الفتح
في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم **فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين**
وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون **قل يا اهل الكتاب** قيل هم
اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة **تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم** مستوية بيننا وبينكم لا يختلف
فيها القرآن والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله **ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من
دون الله** يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع
احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله
قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا
في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرا الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء **فان
تولوا** عن التوحيد **فقولوا اشهدوا بانا مسلمون** اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما
يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من باب
التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره **يا اهل الكتاب لم تحاجون في
ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده** زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابرهيم كان منهم وجادلوا
رسول الله والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين
ابرهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابرهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة
افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال **ها انتم هؤلاء** ها للتنبيه وانتم مبتداء وهؤلاء خبره **حاججتم**
جملة مستانفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم **فيما لكم
به علم** مما نطق به التورية والانجيل **فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم** ولا ذكر له في كتابكم من دين ابرهيم و
عن الاخفش ها انتم هو آانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتكم وقيل

اي انتم خاصمتم محمدا عليه السلام في ان دينكم يا اهل الكتابين دين موسى وعيسى لان التورية والانجيل
انزل عليهما ...

هؤلاء

هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته **والله يعلم** علم ما حاججتم فيه **وانتم لا تعلمون** وانتم جاهلون به **ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان** ثم اعلمهم بانه برئ من دينكم وما كان الا حنيفا مسلما
من المشركين كما لم يكن منكم او اراد بالمشركين اليهود والنصارى اي لاشراكهم به عزيرا او المسيح **ان اولى
الناس بابراهيم** ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب **للذين اتبعوه** في زمانه وبعده **وهذا النبي** خصوصا
والذين امنوا من امته **والله ولي المؤمنين** وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا
هذا النبي وبالجر عطفا على ابرهيم **ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم** هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا
ومعاذا الى اليهودية **وما يضلون الا انفسهم** وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم
واضلالهم او ما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم **وما يشعرون يا اهل الكتاب
لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون** بالتورية والانجيل وكفرهم بهما انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة
نبوة رسول الله عليه السلام وغيرها وشهادتهم اعترافهم بانها آيات الله او تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول
وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تكفرون بآيات الله جميعا **يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل
وتكتمون الحق وانتم تعلمون** انها حق لم تلبسون قرئ تلبّسون بالتشديد وقرا يحيى بن وثاب تلبَسون بفتح الباء
اي تكتسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وقوله اذا هو بالمجد ارتدى وتازرا **وقالت طائفة من اهل
الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون** وجه النهار اوله قال
من كان مسرورا بمقتل مالك ۝ فليات نسوتنا بوجه نهار ۝ والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول
النهار واكفروا به في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم
فيرجعون برجوعكم وقيل تواطا اثنا عشر من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من
غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت
وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شان القبلة لما صرفت الى الكعبة
قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها في اول النهار ثم اكفروا
في آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون **ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان
الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم** الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد
اوتوا من كتاب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين
لئلا يدعوهم الى الاسلام **او يحاجوكم عند ربكم** عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع
بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فان قلت فما معنى
الاعتراض قلت معناه ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك
ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله **قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء**

يريد الهداية والتوفيق والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ويتم الكلام عند قوله
الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم
ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى احد معناه لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء
آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم
والدليل عليه قراءة ابن كثير ءان يؤتى احد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى الان يؤتى احد فان قلت فما
معنى قوله او يحاجوكم على هذا قلت معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم فيقرعوا
باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم وقرئ ان يؤتى احد على ان النافية وهو متصل بكلام اهل الكتاب اي ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم
ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى احد كانه قيل قل ان
الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى احد
مثل ما اوتوا ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك
عن ابن عباس من ان تامنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه
ومن ان تامنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المامونون على الكثير النصارى
لغلبة الامانة عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك
عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ
يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها وقرا يحيى بن وثاب تيمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال
من دام يدام ذلك اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم بانهم قالوا
ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شان الاميين يعنون الذين ليسوا
من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم
ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا
حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه انه قال عند نزولها كذب اعداء
الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سأله
رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا
في ذلك باس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم يحل لكم اموالهم
الا بطيبة انفسهم ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بادعائهم ان ذلك في كتابهم انهم كاذبون بلى
اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من اوفى بعهده واتقى فان الله
يحب المتقين جملة مستانفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من اوفى على ان كل من وفى

بما عاهد

بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه فان قلت فهذا عام يخيل انه لو وفى اهل الكتاب
بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت اجل لانهم اذا اوفوا بالعهود وفوا اول كل شيء بالعهد الاعظم
وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك
الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه
ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال السوء فان قلت فاين الضمير
الراجع من الجزاء الى من قلت عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا
الراهب ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا بما
عاهدوه عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه
ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب
حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف
في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا نعم قال لقد هممت
ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته
ثم رجعوا اليه وقالوا لقد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في
كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت
اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت
في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي
رجوع الضمير في بعهده الى الله اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة مجاز
عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا
يثني عليهم فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية
لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن
ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر وان منهم لفريقا
هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته
عن الصحيح الى المحرف وقرا اهل المدينة يلوون بالتشديد كقوله لووا رؤوسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهم
قلبوا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من
الكتاب فان قلت الام يرجع الضمير في لتحسبوه قلت الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد
يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون
من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد

لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورّون وانما يصرّحون
بانه في التورية هكذا وقد انزله الله على موسى كذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس
هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيّروا التورية وكتبوا كتابا بدّلوا فيه صفة رسول الله ثم اخذت قريظة ما
كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ﴿ما كان لبشر﴾ تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه السلام وقيل ان ابا رافع القرظي
والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك ربّا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان
نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا
على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ﴿ان
يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا
ربانيين﴾ والحكم الحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف
والنون كما يقال لحياني ورقباني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن
عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع
الرباني العالم العامل المعلم ﴿بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ بسبب كونكم عالمين وبسبب
كونكم دارسين للعلم اوجب ان يكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسبّبة عن العلم والدراسة وكفى به
دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكدّ روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل وكان مثله مثل من غرس
شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلّمون من التعليم وتعلَمون من التعلم تدرُسون تقرؤن و
قرئ تدرّسون من التدريس وتُدرِسون على ان ادرس بمعنى درّس كاكرم وكرّم وانزل ونزّل وتدّرسون من
التدرّس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناه
معنى تدرّسون من التدريس وفيه ان من علم ودرّس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع
حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته وقرئ ﴿ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا﴾
ولا يامركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان
لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له و
يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي والثاني
ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود
والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته
وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وينصرها قراءة عبد الله ولن يامركم
والضمير في لا يامركم و﴿ايامركم بالكفر﴾ ولا يامركم للبشر وقيل لله والهمزة في ايامركم للانكار ﴿بعد اذ انتم
مسلمون﴾ دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوه ان يسجدوا له ﴿واذ اخذ الله ميثاق النبيين﴾

فيه وجوه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين
اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء
على اممهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب
وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون
وتدل عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام في ﴿لما آتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ لما آتيتكم لام التوطئة لان اخذ الميثاق في
معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما تحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب
القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لِما آتيتكم بكسر
اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية
والفعلان معها اعني آتيتكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول
ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما
موصولة فان قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول
للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لان ما معكم في معنى ما آتيتكم فكانه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول
مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لمّا بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له
وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما
بادغامها في الميم فحذفوا احداها فصارت لمّا ومعناه لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى ﴿قال
أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري﴾ عهدي وقرئ اُصري بالضم وسمي اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد
ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع اصار ﴿قالوا اقررنا قال
فاشهدوا﴾ فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار ﴿وانا معكم﴾ وانا على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم ﴿من الشاهدين﴾ وهذا
توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة ﴿فمن
تولى بعد ذلك﴾ الميثاق والتوكيد ﴿فاولئك هم الفاسقون﴾ اي المتمردون من الكفار ﴿افغير دين الله يبغون﴾ دخلت
همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة
بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على
فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي ان اهل الكتاب اختصموا
الى رسول الله صلى الله عليه فيما اختلفوا فيه من دين ابرهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال
صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت ﴿وله اسلم
من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون﴾ وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو

لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا وطوعا بالنظر في الادلة والانصاف
من نفسه وكرها بالسيف وبمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون و
الاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين
قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى
وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه وعمن معه
بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله
لقدر نبيه فان قلت لم عدي أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء قلت
لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال انما
قيل علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء
ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله بما أنزل اليك وأنزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذي
أنزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها ثم قال و
من يبتغ غير الإسلام يعني التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين
من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام كيف يهدي الله
قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات كيف يلطف بهم وليسوا
من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول
حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله
عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا
اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث بن سويد بن الصامت
فان قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان ان يعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد
ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقول الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز ان تكون الواو للحال
باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدي القوم الظالمين لا يلطف بالقوم الظالمين
المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر
العظيم والارتداد وأصلحوا ما افسدوا ودخلوا في الصلاح فإن الله غفور رحيم قيل نزلت في الحارث بن سويد
حين ندم على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة
فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا هم اليهود
كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن او كفروا برسول الله بعد ما كانوا

بمؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه و
فتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر
ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة فان قلت قد علم ان المرتد كيف
ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي
لا يقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون
على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم فان قلت فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبله بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل
قلت قد اوذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك
الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق
الدرهم بخلاف قولك فله درهم فان قلت فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على
الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر
قلت لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فان قلت فاي فائدة في هذه الكناية
اعني ان كني عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شأن اولئك الفريق من
الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما
يخاف من اجل اليأس من الرحمة لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار
فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ذهبا نصب على التمييز وقرأ الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال
عندي عشرون نفسا رجال ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين فان قلت كيف
موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى هو بملء الارض
ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم
كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا
ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يراد في نحو قولك مثلك لا يفعل كذا تريد انت وذلك ان
المثلين يسد احدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وان يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد
تصدق به ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقرئ فلن نقبل من احدهم ملء الارض على البناء للفاعل وهو الله عز وعلا
ملء وملء الارض بتخفيف الهمزتين لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو
ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان
السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء
فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه بخ بخ ذاك مال رابح او مال رائح واني ارى ان تجعلها في
الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله

فحمل عليها رسول الله اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله
ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم
فتحت مداين كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها
ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الابل فحلها
فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون
وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال **وما تنفقوا من شيء** من في من شيء لتبيين ما
تنفقوا اي من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه **فان الله به عليم** فان الله عليم بكل شيء تنفقونه فجازيكم
بحسبه **كل الطعام** كل المطعومات او كل انواع الطعام **كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على
نفسه من قبل ان تنزل التورية** والحل مصدر نعتا لحل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل
عزا وفي حديث عايشة رضي الله عنها كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك استوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد
والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم والذي حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الابل والبانها
وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل
اشارت عليه الاطباء باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا
لبني اسرائيل من قبل انزال التورية وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم
الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة
ساحتهم مما نعي عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله وعلى
الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم
واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به القران من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت
عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى ابرهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم
الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله
واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم
قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما
حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا
وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه **فمن افترى على
الله الكذب** بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التورية **من بعد ذلك** من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة
فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات **قل صدق الله** تعريض
بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون **فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا**

وهي

وهي ملة الاسلام التي عليها محمد ومن امن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم
الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابرهيم ولمن تبعه **وما كان من المشركين**
ان اول بيت وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل يدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل
وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى
الله عليه انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن
علي رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى
والرحمة والبركة واول من بناه ابرهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن
ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض
بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه ادم في الارض وقيل لما اهبط
ادم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح
فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات **للذي ببكة** للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد
الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم
وحمى مغمطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن
قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة
وهي الزحمة قال. اذا الشريب اخذته الاكه. فخله حتى يبك بكه. وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار
الا قصمه الله **مباركا** كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال
من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار **وهدى للعالمين**
لانه قبلتهم ومتعبدهم **فيه ايات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا** مقام ابرهيم عطف بيان لقوله
ايات بينات فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة ايات كثيرة لظهور شانه
وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه السلام من تاثير قدمه في حجر صلد كقوله ان ابرهيم كان امة والثاني اشتماله على
ايات لان اثر القدم في الصخرة الصماء اية. وغوصه فيها الى الكعبين اية. والانة بعض الصخرة دون بعض اية
وابقاؤه دون سائر ايات الانبياء عليهم السلام اية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب
والملاحدة الوف سنة اية ويجوز ان يراد فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة
والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الايتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الايات كانه قيل فيه ايات بينات مقام
ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير. كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم. من العبيد وثلث من مواليها
ومنه قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة وقرأ ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر
المدني في رواية قتيبة اية بينة على التوحيد وفيها دليل ان مقام ابرهيم واقع وحده عطف بيان فان قلت كيف اجزت ان

يكون مقام ابرهيم والامن عطف بيان للايات وقوله ومن دخله كان امنا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية قلت
اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان امنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه ايات بينات مقام ابرهيم و
امن داخله الا ترى انك لو قلت فيه اية بينة من دخله كان امنا صح لانه في معنى قولك فيه اية بينة امن من دخله فان قلت
كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه قولان احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت
فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل انزل حتى نغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر
فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر
قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان امنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم
عليه السلم رب اجعل هذا البلد امنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه
بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة رضي الله عنه من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجا الى الحرم
لم يتعرض له الا انه لا يؤوي ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعنه عليه السلم الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا
مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث
الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد
منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه
جهنم مسيرة مائتي عام **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله
غني عن العالمين** من استطاع بدل من الناس وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا
عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك
على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر
ان يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال لو كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك
يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من التوكيد والتشديد منها
قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج من عهدته ومنها
انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح
بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا
فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه
من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء
الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب

وروي

وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان
الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل
ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا
حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت
وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر **قل يا اهل الكتاب لم تكفرون
بايات الله والله شهيد على ما تعملون** قل والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على صدق
محمد والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر باياته وقرا الحسن تصدون
من اصده **يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله** عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو
الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس
والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله **من امن تبغونها عوجا** تطلبون لها عوجا
وميلا عن القصد والاستقامة فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس
حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم
تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم **عوجا وانتم شهداء** انها
سبيل الله التي لا يصد عنها الا الضال المضل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم
امورهم وهم الاحبار **شهداء وما الله بغافل عما تعملون** وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال **يا ايها الذين امنوا
ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين** قيل مر شاس بن قيس اليهودي
وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون
فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر
شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس و
الخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلى
الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام
وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم
بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم اقبح اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم **وكيف تكفرون وانتم
تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله** معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجيب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال
ان ايات الله وهي القران المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم
ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم **فقد هدي
الى صراط مستقيم** فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه

حاصلاً ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله
ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا
يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل
لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن الا وانتم مسلمون معناه ولا
تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تأتني الا وانت على حصان
فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان واعتصموا بحبل الله جميعا وقولهم
اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه
وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم
بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله
عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي

ه رد والترداد والتكرار اي لا تبلى على كثرة القراءة طراوته وحلاوته

الى صراط مستقيم ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين
في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي
انتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم
اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة
فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف في قلوبهم المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على
امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهم
العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف بينهم رسول الله وكنتم على شفا
حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير
للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وشفا الحفرة
وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب
والجانبة فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع
بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم
اياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر
وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله
في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا

اوعلى

او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة
تأمرون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون واولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون
غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم
الله واوصلهم للرحم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه
وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن
حذيفة يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري
اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا
فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق
الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيخان رحمهما الله فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت ما شرائط
النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان
الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان المنهي يزيد في منكراته
وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو
ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف
يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما
ثم قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشره قلت كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلاة
وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة
ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى عنه قلت كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان و
المجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلوة ليمرنوا عليها فان قلت هل يجب على مرتكب
المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه
الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال
وايكم يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف قيل يدعون
الى الخير ويأمرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلوة الوسطى ولا تكونوا كالذين
تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة
الحق واولئك لهم عذاب عظيم وقيل هم مبتدعوا هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم يوم
تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بالظرف وهو لهم او باضمار اذكروا وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة و
تبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه

وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده و
اسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله فَأَمَّا الَّذِينَ
اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله بعد اعترافهم به قبل
مجيئه وعن عطا تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع و
الاهواء وعن ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء
شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برايك
ام شيء سمعته من رسول الله قال بل سمعته من رسول الله غير مرة قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا
من اهل الاسلام فكفروا ثم قرا هذه الاية ثم اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم
جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ ففي نعمته وهي الثواب المخلد فان قلت كيف موقع قوله هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ بعد قوله ففي
رحمة الله قلت موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تِلْكَ
آيَاتُ اللَّهِ الواردة في الوعد والوعيد نَتْلُوهَا عَلَيْكَ ملتبسة بِالْحَقِّ والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه
وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال لِلْعَالَمِينَ
على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضاء بها وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على
سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما و
قوله كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة
موصوفين به أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ اظهرت وقوله تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ كلام مستانف بين به
كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ جعل الايمان بكل ما
يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول وكتاب وبعث وحساب وعقاب وثواب و
غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك
سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ مع ايمانهم بالله لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا
لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان
من ايتاء الاجر مرتين مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ كعبد الله بن سلام واصحابه وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ المتمردون في الكفر لَنْ يَضُرُّوكُمْ
إِلَّا أَذًى الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ

منهزمين

منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم
منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول
الى ضرر يبالي به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قلت هلا جزم
المعطوف في قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل ثم اخبركم انهم لا ينصرون
فان قلت فاي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع
كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون
منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير
وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت فما الذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان
يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط
الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم
قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من شانه
كيت وكيت ولذلك جاءا من غير عاطف ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ بحبل من
الله في محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال
والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين
اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ استوجبوه
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم
لعنة الله وغضبه ذَلِكَ اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ اي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذَلِكَ
بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ اي بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في
استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم اغرقوا واخذهم الربا
وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ
اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
الضمير في ليسوا لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تامرون بالمعروف
بيانا لقوله كنتم خير امة امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم وعبر عن
تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم وقيل عني صلوة
العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العشاء ثم خرج
الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرا هذه

لعطف القصة على القصة ليس بمستحسن
وعون من ح

الآية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لامة اي امة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي **واولئك** الموصوفون بما وصفوا به **من الصالحين** من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز ان يريد بالصالحين المسلمين **وما يفعلوا من خير فلن يكفروه** لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك فان قلت لم عدي الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان فكانه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ يفعلوا ويكفروه بالياء والتاء **والله عليم بالمتقين** بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى **ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته** الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال لا تعدلن اتاويين تضربهم نكباء صر باصحاب المحلات كما قالت ليلى الاخيلية ولم تغلب الخصم الالد وتملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر فان قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه اوجه احدها ان الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني ان يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به على اصله والثالث ان يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل قال وفي الرحمن للضعفاء كاف شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم وقيل ما انفقوا في عداوة رسول الله فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بما انفقوه لاجله وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلك عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء **وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون** الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم اي وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها هم ولا يجوز ان يراد ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما يجوز في الشعر كما في قوله ولكن من يبصر جفونك يعشق وكقوله

ان تمسكم

حجر ان يتعدى الى مفعولين تقول حرم زيد عمروا الطعام واما احرم بمعنى الاحرام وهو الفعل الثلاثي المزيد فيه الهمزة فانه فعل لازم تقول احرم زيد ه

شديد قطع السنام ه

ان من لام في بني بنت حسان المه واعصه في الخطوب **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة** بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار **من دونكم** من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وبطانة على الوصف اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم **لا يألونكم خبالا** يقال الا في الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال الفساد **ودوا ما عنتم** ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه **قد بدت البغضاء من افواههم** لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء **وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات** الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه **ان كنتم تعقلون** ما بين لكم فعملتم به فان قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز ان يكون لا يألونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدأ واحسن منه وابلغ ان تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة **ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله** ها للتنبيه وانتم مبتدأ واولاء خبره اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله **تحبونهم ولا يحبونكم** بيان لخطائهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل اولاء موصول تحبونهم صلته والواو في **وتؤمنون** واو الحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون **واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ** ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قال الحرث بن ظالم المري فاقتل اقواما لئاما اذلة يعضون من غيظ رؤس الاباهم **قل موتوا بغيظكم** دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار **ان الله عليم بذات الصدور** فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول وخارج منها فان قلت فكيف معناه على الوجهين قلت اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم لم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول الله بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله

ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم
وان تصبكم سيئة يفرحوا بها الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا
بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت كيف وصفت
الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة قلت المس مستعار بمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم
وان تصبك مصيبة الى اخره ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه
الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم لا يضركم كيدهم شيئا او وان تصبروا على تكاليف
الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره و
يضركم على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله
وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قالت الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا
في نفسك ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون
في عداوتكم فمعاقبهم عليه واذ اذكر غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الى احد من حجرة عائشة رضي الله عنها روي
ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول كان
راس المنافقين ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله
ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس
وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول
الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام اني رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها
خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان
تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا
فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي ياتيه
وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة
واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح
ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير
على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي
لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام
في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله سميع لاقوالكم
عليم بنياتكم وضمائركم اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم طائفتان منكم ان تفشلا والله
وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون والطائفتان حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول

قوله كيف وصفت الحسن بالمس اقول هذا وصف لغوي لان الوصف الاصطلاحي لا يتقدم على الموصوف

الله

الله صلى الله عليه وسلم في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله
بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم
وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله وعن ابن عباس
رضي الله عنه اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس
عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة
اقول لها اذا جشأت وجاشت ٭ مكانك تحمدي او تستريحي حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي
في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله
وليهما ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله فان قلت ما معنى ما روي من
قول بعضهم عند نزول الاية والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه وليهما قلت معنى ذلك فرط الاستبشار
بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم اية ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة غير المأخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة
وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل الجبن والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب
عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والاذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة
ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم
خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر
وكان عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا
فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم
نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم على ان يقول لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان
من اذ غدوت على ان يقوله لهم يوم احد فان قلت كيف يصح ان يقول لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملائكة قلت قال لهم مع
اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا
على ما شرط عليهم لنزلت وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله
ومعنى للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم الامداد
بثلاثة آلاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتاكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته
كالآيسين من النصر بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين بلى ايجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر
من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة اخرى
وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول ابي حنيفة رضي الله عنه الامر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا

جاشت نفسي جيشا وجيشانا اذا نهضت اليك وجاشت نهضت او فزعت اي جاشت وغثت وثارت فغثيان انتهى قال الشارح جشأت اي نهضت وجاشت القدر اذا غلت وكل منهما يستعمل فيما يحصل عند الهول والمصيبة بالصدر اي الزمي مكانك حتى تحمدي او تستريحي بنيل الشهادة او نصب الدنيا

وقوله ويجوز ان يراد

السؤال يتعلق بالوجه الثاني لا اخره وفيه نظر

زهاء الف اي قدر الف

الشكة شدة الباس والحدة في السلاح الشكة بالكسر السلاح

تم على الامر استمر عليه قال عليه السلام تم على صومك اي امضه

اي بالواو مع انه ليس في القرآن اشارة الى انه مراد وان لم يذكر معطوفا او معنى ان يكفيكم الامداد بثلاثة الاف وان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم يمددكم باكثر من ذلك

غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول
من ساعته لم يلبث والمعنى انهم ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم
يريد ان الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاء بمعنى منزلين
النصر مسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على
اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة
كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وما جعله الله الهاء لان يمدكم اي ما جعل الله امدادكم بالملائكة
الا بشرى لكم الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة
لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي
به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر و
يمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين
واسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم
ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب لاكبت
حاسدا وارى عدوا انه من الكبد والرية واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا من عند الله ليس
لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون او يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الامر شيء
اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس
لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل او يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم
معطوف باو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك من امرهم شيء الا
ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شج عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل
يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو
يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن ولله ما في السموات وما في
الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم عن الحسن رحمه الله يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء
ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب
من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن
اهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس
من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا
اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون نهي عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين

محله

محله زاد في الاجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله
والرسول لعلكم ترحمون كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين
ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن
تأمل هذه الآيات وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه
المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله وعزة التوصل
الى رحمته وثوابه وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة في مصاحف اهل المدينة والشام سارعوا بغير واو والباقون بالواو وتنصره
قراءة ابي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان به عرضها السموات والارض
اي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما
علمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس كسبع
سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء في حال الرخاء و
اليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بان ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من قليل وكثير كما يحكى عن بعض السلف انه
ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة
لا تمنعهم حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او حبس فانه لا يدع الاحسان
وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق على النفس وادل على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة
العدو ومواساة فقراء المسلمين والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملأها وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم
الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على
انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وعن عائشة رضي الله عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي
غيظ شفاء والعافين عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم
على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي عليه السلام ان هؤلاء في
امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول
كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء والذين عطف على المتقين اي اعدت
للمتقين وللتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين ويجوز ان يكون والذين مبتدأ خبره اولئك اذا فعلوا فاحشة فعلة
متزايدة القبح او ظلموا انفسهم او اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما
دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا عقابه او وعيده او
نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر
الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين
الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه وجب

العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وفي هذه الآيات بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه قال ونعم اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي ان الله عز وجل اوحى الى موسى ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله تعالى يوم القيمة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من وقائعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان واعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرئ قرح بضم القاف وفتحها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرأ ابو السمال قرح بفتحتين وقيل

القرح

القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى بان لا تضعفوا ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله فان قلت فكيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت بل كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وتلك الايام تلك مبتدأ والايام صفته ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الايام تبلي كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس نصرفها فيهم نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من ابيات الكتاب فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذا وخسرنا والمداولة مثل المعاورة قال يرد المياه فلا يزال مداولا في الناس بين تمثل وسماع يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين آمنوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر ان لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة بما يبتلى به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض وليمحص الله الذين آمنوا معناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله والتمحيص من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم بمعنى ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه الله ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله وقرئ ولما بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث

يعلم الله

عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان
تلقوه خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا فكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله ليصيبوا من كرامة الشهادة ما
نال شهداء بدر وهم الذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة يعني
وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رايتموه وانتم تنظرون اي رايتموه معاينين
مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى
ما تسببوا له من خروج رسول الله بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم فان قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها
تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه الى ذلك المتضمن كما ان
من شرب دواء الطبيب النصراني قاصد الى حصول المامول من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسان الى عدو الله
وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض الى مؤتة وقيل له ردكم الله لكنني اسال الرحمن
مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا او طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشا والكبدا حتى يقولوا
اذا مروا على جدثي ارشده الله من غاز وقد رشدا وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل لما رمى عبد الله
بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب
الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا
قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفاوا وجعل رسول الله يدعو الى عباد الله حتى انحازت
اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هزيمتهم فقالوا يا رسول الله فديناك باباءنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا
فولينا مدبرين فنزلت وروي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي
سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك
يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه و
موتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرا اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل
حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قد قتل فقد
بلغ فقاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين
بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده
بين اظهر قومه افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى
التسبيب والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان
خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد عليه السلام لا للانقلاب عنه فان قلت
لم ذكر القتل وقد علم انه عليه السلام لا يقتل قلت لكونه مجوزا عند المخاطبين فان قلت اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من
الناس قلت هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة الا ترى انهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس

وقيل اراد بالموت الحرب لانها من اسباب الموت

مؤتة بالضم اسم ارض قتل فيها جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه

حران رجل فيه حران اي حرارة ... مجهزة اي سريعة القتل ...

قوله مجهزة صفة طعنة اي التي تسرع القتل ... يكون به رمق

واضلالهم

واضلالهم والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد
وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار
والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلامه ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا يعني فما ضر الا نفسه
لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم
شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله المعنى ان موت الانفس
محال ان يكون الا بمشية الله فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن له الله فيه تمثيلا ولان ملك الموت
هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن من الله وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم
ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله
عند غلبة العدو والتفافهم عليه واسلامهم اياه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتاخير الاجل كتابا مصدر موكد لان
المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم
الغنائم يوم احد نؤته منها اي من ثوابها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزي الجزاء المبهم الشاكرين الذين
شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شي عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وكاين من نبي قاتل قرئ قاتل وقتل و
قتل والفاعل ربيون او ضمير النبي معه ربيون كثير حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراة بالتشديد تنصر
الوجه الاول عن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلث فالفتح على القياس
والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا لما اصابهم بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي في سبيل
الله وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو والله يحب الصابرين وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن و
الانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا
بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا و
اسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب
والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت
الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة فاتاهم
الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين وخص ثواب
الاخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة يا ايها الذين
امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين قال المرتضى علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين
للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا
يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل
حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم

وقيل عام في جميع الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يجروهم الى موافقتهم **بل الله موليكم** اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته وقرئ بالنصب على بل اطيعوا الله مولیکم **وهو خير الناصرين سنلقي** قرئ بالنون والياء **في قلوب الذين كفروا الرعب** والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا **بما اشركوا** بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم **بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا** آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة **سلطانا ومأويهم النار وبئس مثوى الظالمين** فان قلت كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر **ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة** وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يحسونهم اي يقتلونهم قتلا ذريعا حتى اذا فشلوا والفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم ينهبون وهم الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله **ثم صرفكم عنهم ليبتليكم** ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الايمان عندها **ولقد عفا عنكم** لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله **والله ذو فضل على المؤمنين** يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة فان قلت اين متعلق حتى اذا فشلتم قلت محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم **اذ تصعدون** نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم وقرأ الحسن تلوون بواو واحدة **ولا تلوون على احد** ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء **والرسول يدعوكم** كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله

الجنة **في اخراكم** في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى **فاثابكم غما بغم** عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر **لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم** لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار **والله خبير بما تعملون** ويجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فاثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله وعلى ما اصابكم من غلبة العدو **ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا** فانزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا وكان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا والامنة الامن وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن ونعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او مفعولا له وامنة حالا منه مقدمة عليه كقولك رأيت راكبا رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة **يغشى** قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس او على الامنة **طائفة منكم** هم اهل الصدق واليقين **وطائفة** هم المنافقون **قد اهمتهم انفسهم** ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حل بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباث **يظنون بالله غير الحق** غير الحق في حكم المصدر معناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به **ظن الجاهلية** بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق يريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز ان يراد ظن اهل الجاهلية اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله **يقولون** لرسول الله يسألونه **هل لنا من الامر من شيء** معناه هل لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على العدو **قل ان الامر كله لله** ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لأغلبن انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون **يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك** معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق **يقولون** في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله **لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا** اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة **قل لو كنتم في بيوتكم** يعني من علم الله منه انه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم **لبرز** من بينكم **الذين كتب عليهم القتل** الذين علم الله انهم يقتلون **الى مضاجعهم** وهي مصارعهم ليكون ما علم انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة

في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة و
حرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا
من المدينة الى احد وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان راي عبد الله بن ابي وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا في
هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله عز وجل قد دبر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا
من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتل وكتب عليهم القتال على البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء وليبتلي
الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص ما في قلوبكم من وساوس الشيطان
فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص والله عليم بذات الصدور فان قلت كيف مواقع الجمل التي
بعد قوله وطائفة قلت قد اهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استئناف
على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون فان قلت كيف صح ان يقع ما هو مسألة عن الامر بدلا من الاخبار بالظن
قلت كانت مسألتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين
الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والاجود ان يكون استئنافا ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
انما استزلهم الشيطان استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه ان الذين
انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب
حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما
الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز
الذي امرهم رسول الله بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد
حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية فان قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله تعالى ويعفوا عن كثير ولقد
عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة يا ايها الذين امنوا
لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس او النسب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا
غزى جمع غاز كعاف وعفى في قوله هل خفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاء على حذف التاء من غزاة فان قلت لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال الماضية
كقولك حين يضربون في الارض فان قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على
ان اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة
في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فان قلت ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى قلت معناه ان الله عز وجل عند اعتقادهم
ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقادهم فعلهم وما يكون عنده من الغم
والحسرة وضيق الصدر فعل الله عز وعلا كقوله تعالى يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون

ذلك

ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون
ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت
المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت
كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا ولئن
قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله
تحشرون كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزى لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب
التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة
والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء
وقرئ بالياء اي يجمع الكفار ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون لالى الله الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب
تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم
وكسرها من مات يموت ومات يمات فبما رحمة من الله لنت لهم ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما
كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى
اثابهم غما بغم واساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه
لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص
بحق الله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر يعني في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برايهم ولما
فيه من تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب
رسول الله وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر رسوله بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم
استبداده بالراي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله
في امضاء امرك على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاور ان الله يحب المتوكلين
وقرئ فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب
لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل
عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي من بعد خذلانه او هو من قولك
ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرا عبيد بن عمير وان يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب
في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتاييد وتحذير عن المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله فليتوكل
المؤمنون وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه وما كان
لنبي ان يغل يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد

والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله عليه السلام من بعثناه الى عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة
غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغل اذا وجده غالا كقولك ابخلته واجبنته
ومعنى وما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرا على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى
الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرأ رسول الله من ذلك
وينزهه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه وان لا يستريب به احد كما روي ان قطيفة
حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها وروي انها نزلت في غنائم احد
حين تركت الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم
يوم بدر فقال لهم النبي عليه السلام الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا
فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي
انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه
ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من اغل بمعنى غل لجاز
ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة يات بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه
وروي الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك
لك من الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الاية فقال اذن احملها طيبة
الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد يات بما احتمل من وباله وتبعته واثمه فان قلت هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به قلت جيء
بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا
مجزي فموفى جزاءه علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب **ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** اي يعدل
بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه **افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماواه جهنم و**
بئس المصير هم درجات اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله انصب للمنية تعتريهم رجالي ام هم درج السيول
وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب **عند الله**
والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها **لقد من الله على المؤمنين** على من امن مع رسول الله من قومه وخص
المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه **اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم** من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما
انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ
ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من
انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضي الله عنها من انفسهم
اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف
وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه

بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة
بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن
به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا وفيه
وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك
اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه **يتلوا عليهم اياته** بعد ما كانوا اهل جاهلية
لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي **ويزكيهم** ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث
وقيل وياخذ منهم الزكوة **ويعلمهم الكتاب والحكمة** القران والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم
وان كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول **لفي ضلال مبين** ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين
النافية وتقديره وان الشان والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه **اولما اصابتكم مصيبة** يريد ما
اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم **قد اصبتم مثليها** يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين **قلتم انى هذا قل هو من**
عند انفسكم ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب
لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد
صدقكم الله وعده ويجوز ان يكون معطوفا على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا
لقوله من عند انفسكم وقوله من عند الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن
علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من اساري بدر قبل ان يؤذن لكم **ان الله على كل شيء قدير** فهو قادر على النصر وعلى منعه
وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى **وما اصابكم** يوم احد **يوم التقى الجمعان** جمعكم وجمع المشركين **فباذن**
الله فهو كائن باذن الله اي بتخليته استعار الاذن لتخلية الكفار وانه لا يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون
له ومراده **وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا** وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء
وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وقيل لهم من جملة الصلة
عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا
لو نعلم ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للاخرة كما يقاتل المؤمنون
وبين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم غم الاخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم
ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع حلفائه فقيل له تعال ذلك وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين
وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو امكنني لبعت داري
ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثر سوادهم
ووجه اخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطاء رايكم وزللكم
عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان راي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان

يستصوب الخروج هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان
وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون
بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية
للمشركين يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه
شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين
في مواطاة قلوبهم لافواههم وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة
رايهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته
الَّذِينَ قَالُوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين قالوا او على
الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لِإِخْوَانِهِمْ
لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وَقَعَدُوا اي قالوا وقد قعدوا
عن القتال لَوْ أَطَاعُونَا لو اطاعنا اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا
عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال
فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا
على دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها ويروى انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا
فان قلت فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين قلت معناه ان النجاة
من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته
ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه اخر
ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله
فادرؤوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرؤوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا وَلَا تَحْسَبَنَّ
الخطاب لرسول الله او لكل واحد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين الَّذِينَ قُتِلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا أَمْوَاتًا
فان قلت كيف جاز حذف المفعول الاول قلت هو في الاصل مبتدا فحذف كما حذف المبتدا في قوله بَلْ أَحْيَاءٌ والمعنى هم احياء
لدلالة الكلام عليهما وقرئ تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عِنْدَ رَبِّهِمْ مقربون
عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يُرْزَقُونَ مثل ما يرزق سائر الاحياء ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف
لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم
من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما اصيب
اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة

في ظل العرش وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ باخوانهم المجاهدين الذين لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ اي الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم مِنْ خَلْفِهِمْ يريد
الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ بدل من
الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون امنين يوم القيمة بشرهم الله
بذلك فهم مستبشرون به وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة
والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى
للمؤمنين بالفوز في المآب وكرر يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ليتعلق به ما هو بيان
لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان
يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة
الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع الَّذِينَ اسْتَجَابُوا مبتدا خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على
المدح لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا
وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج
في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد
وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين
فذهبوا فنزلت ومن في لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي
عائشة ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ
فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله
عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع
فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا
يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم
ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالراي اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد
الا شريد افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وقيل مر بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون
المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن و
لو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم صلوات الله عليه
حين القي في النار حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة
سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون
المثبطون والاخرون ابو سفيان واصحابه فان قلت كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لانه من جنس

الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد لانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من اهل المدينة
يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فان قلت الام رجع المستكن في فزادهم قلت الى المقول الذي هو
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا
له او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية
والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج
لان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن
عمر رضي الله عنه قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار
وعن عمر رضي الله عنه انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به **وقالوا**
حسبنا الله محسبنا الله اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف
به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية **ونعم الوكيل** ونعم الموكول اليه هو **فانقلبوا** فرجعوا من بدر **بنعمة**
من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم **وفضل** وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم **لم يمسسهم**
سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو **واتبعوا رضوان الله** بجراتهم وخروجهم **والله ذو فضل عظيم** قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما
فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطا رايهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا
فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم **انما ذلكم الشيطان** خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان **يخوف اولياءه** جملة
مستانفة بيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير
حذف المضاف بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه ويدل
عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله فان قلت
فالام رجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم **فلا تخافوهم** فتقعدوا عن القتال
وتجبنوا **وخافون** فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يامركم به **ان كنتم مؤمنين** يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف
الله على خوف الناس ولا تخشون احدا الا الله **ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** يقعون في الكفر سريعا ويرغبون فيه اشد
رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام فان قلت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان
يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله **انهم لن يضروا**
الله شيئا يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم
بقوله **يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة** اي نصيبا من الثواب **ولهم** بدل الثواب **عذاب عظيم** وذلك
ابلغ ما ضر به الانسان نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الاخرة واي فائدة في ذكر الارادة قلت فائدته الاشعار
بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان
وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم **ان الذين اشتروا الكفر بالايمان** اما ان يكون تكريرا للذكر لتاكيد

بالتعجيل

بالتعجيل عليهم بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على
العكس **لن يضروا الله شيئا** نصب على المصدر لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر **ولهم عذاب اليم** **ولا يحسبن**
الذين كفروا الذين كفروا فيمن قرا بالتاء نصب **انما نملي لهم خير لانفسهم** بدل منه اي ولا تحسبن انما نملي للكافرين
خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان املاءنا لهم
وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا تخالف وتتبع سنة الامام في خط المصاحف
فان قلت كيف صح مجي البدل ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك
من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك
على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال
الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرا بالياء رفع والفعل متعلق بان وما في حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشانهم
مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان
الاملاء خير لهم من منعهم او قطع اجالهم **انما نملي لهم** ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة
مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم **ليزدادوا اثما** فان قلت كيف جاز ان
يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز
والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة
للاملاء وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله
المحيط بكل شيء انهم يزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز وقرا يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية
ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون
وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير
لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فان قلت فما معنى قوله **ولهم**
عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه
قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين **ما كان الله ليذر المؤمنين** اللام لتاكيد النفي **على ما انتم عليه**
من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين **حتى يميز الخبيث من الطيب** حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز
من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص و
النفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم
من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال **وما كان الله ليطلعكم**
على الغيب اي وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الاخر انه
يطلع على ما في القلوب باطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا

في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم الرسول ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على الغيبات ويجوز ان يراد
لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن
الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقايدكم وشاهدا بضمائركم حتى
يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما
استاثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره
وتعلموه وحده مطلعا على الغيب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون
الا بما اخبرهم به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم وعن السدي قال الكافرون
ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم وكذلك من قرا بالياء وجعل فاعل تحسبن ضمير رسول الله او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول
الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل و
قرا الاعمش بغير هو بل هو شر لهم تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال سيطوقون ما بخلوا به الزام الطوق وفي
امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة
تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك وعن النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكوة يطوق بشجاع اقرع وروي
بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من
مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيل الله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ والله
بما تعملون خبير بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا
يخلو اما ان يقولوه عن اعتقاد ذلك او عن استهزاء بالقران وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم
ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا في صحايف الحفظة او سنحفظه ونثبته
في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب وقتلهم الانبياء بغير حق فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب ما قالوا و
هلا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابداً اثباته و
تدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه
من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة و
ايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر في وجهه
وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قوله

يدالله

يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص
يقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق وقرا حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول
ويقول بالياء وقرا الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرا ابن مسعود ويقال ذوقوا ذلك اشارة الى ما تقدم من
عقابهم ذلك بما قدمت ايديكم وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب
فان قلت فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا
لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء
منهم ويثيب المحسن الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار عهد الينا
امرنا في التورية واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه الاية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتاكله كما
كان انبياء بني اسرائيل تلك اياتهم كان يتقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله وهذه دعوى باطلة
وافتراء على الله لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الاتي به الا لكونه اية ومعجزة فهو اذن وسائر الايات سواء
فلا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين الايات قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم وقد الزمهم الله
ان انبياءهم جاؤهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق وجاؤهم ايضا بهذه الاية التي اقترحوها فلم قتلتموهم
ان كنتم صادقين فلم قتلوهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان فان
قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تاكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون
لما قالوا اي لمعنى ما قالوا فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات وفي مصاحف اهل الشام وبالزبر
وهي الصحف والكتاب المنير التورية والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله من تكذيب قومه وتكذيب اليهود كل نفس
ذائقة الموت وقرا اليزيدي ذائقة الموت على الاصل وقرا الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر
الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم يوم القيمة قلت اتصاله به على انكم تموتون لا بد لكم من
الموت ولا توفون اجوركم على طاعتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم عن القبور فان قلت فهذا يوهم نفي ما
يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور
وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور فمن زحزح عن النار وادخل الجنة الزحزحة التنحية و
الابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة
من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي
الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس
الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب الاخرة بها فانها متاع بلاغ لتبلون في اموالكم

وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الأذى والشدائد والصبر عليها حتى إذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الأنفس القتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب وفي الأموال الإنفاق في سبل الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من أهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من أراد الإيمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الأشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك فإن الصبر والتقوى من عزم الأمور من معزومات الأمور أي مما يجب العزم عليه من الأمور أو مما عزم الله أن يكون يعني أن ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم أن تصبروا وتتقوا وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الضمير للكتاب أكد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل إذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا إليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه وألقاه بين عينيه وكفى به دليلا على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم أو لجر منفعة وحطام دنيا أو لتقية مما لا دليل عليه ولا أمارة أو لبخل بالعلم وغيرة أن ينسب إليه غيرهم وعن النبي عليه السلام من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار وعن طاوس أنه قال لوهب إني أرى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت أن الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لأحد من العلماء أن يسكت على علمه ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لأنهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض لا تحسبن خطاب لرسول الله وأحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على أن الفعل للرسول وقرأ أبو عمرو بالياء وفتح الباء في الأول وضمها في الثاني على أن الفعل للذين يفرحون والمفعول الأول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم تأكيد ومعنى بما أتوا بما فعلوا وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى إنه كان وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة أبي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى أعطوا وعن علي رضي الله عنه بما أوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا إليه وفرحوا بما فعلوا فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم

عليك

عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما أوتوا بما أوتوه من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين إبراهيم حيث ادعوا أن إبراهيم كان على اليهودية وأنهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فلما قفل اعتذروا إليه بأنهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا إليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم ويستحمدون إليهم بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لإبطانهم الكفر ويجوز أن يكون شاملا لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله ملك السموات والأرض فهو يملك أمرهم والله على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأدلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لأولي الألباب الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املأ عينيك من زينة هذه الكواكب وأجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنهما قلت لعائشة أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وأطالت ثم قالت كل أمره عجب أتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى ألصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله إني لأحب قربك وأحب هواك قد أذنت لك فقام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة إن في خلق السموات والأرض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل فيها وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول إن في خلق السموات والأرض وحكي أن الرجل من بني إسرائيل كان إذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له أمه لعل فرطة فرطت منك في مدتك قال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرة إلى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أتيت إلا من ذلك الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم يذكرون الله ذاكرين دائبا على الحال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في أغلب أحوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم أما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على أقدامهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الأحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله لعمران بن الحصين صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب تومئ إيماء وهذه حجة للشافعي في إضجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه يستلقي حتى إذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كأنه

قيل قياما وقعودا ومضطجعين **ويتفكرون في خلق السموات والأرض** وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعها وما دبّر فيها مما تكلّ الأفهام عن ادراك بعض عجايبه على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السماء فلما راى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الأرض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الأرض **ربنا ما خلقت هذا باطلا** على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله **سبحانك فقنا عذاب النار** لانه جزاء من عصى ولم يطع فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والأرض اي فيما خلق فيهما ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والأرض لانهما في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة **ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته** فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق **وما للظالمين من انصار** اللام اشارة الى من تدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها **ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان** تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بدّ وان يقال سمعت كلام فلان او قوله فان قلت فاي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي الى الطريق ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول ادعو الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن **ان آمنوا بربكم** اي آمنوا او بان آمنوا **فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا** كبائرنا **وكفر عنا سيئاتنا** صغائرنا **وتوفنا مع الابرار** مخصوصين بصحبتهم معدودين

في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب **ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك** على صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء **ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد** فان قلت كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجأ الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجأ الذي هو سيماء العبودية **فاستجاب لهم ربهم** يقال استجاب له واستجابه فلم يستجبه عند ذاك مجيب **اني لا اضيع** قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيّع بالتشديد **عمل عامل منكم من ذكر او انثى** بيان لعامل **بعضكم من بعض** اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت **فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم** تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشأوا بما سامهم المشركون من الخسف **واوذوا في سبيلي** من اجله وبسببه يريد سبيل الدين **وقاتلوا وقتلوا** وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتّلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم والتاخير بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل **لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب** ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وعنده مثل اي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرجو الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء **لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم اهل مكة

وقيل هم اليهود روي ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله
فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فان قلت كيف جاز ان يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار قلت
فيه وجهان احدهما ان مقدم القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني
ان رسول الله كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن
من المشركين فلا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين امنوا امنوا وقد
جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به
فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي ذلك متاع قليل
وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الاخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب واراد انه قليل
في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في
اليم فلينظر بم يرجع ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد وساء ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي
وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف
والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله لكثيره الدائم
خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرا مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون وقرا يزيد بن القعقاع
لكن الذين اتقوا بالتشديد وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة
اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام
فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك انه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي
وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام
الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم
من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعل
من لم يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم اي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعده في قوله
اولئك يؤتون اجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل
من الاجر ويجوز ان يراد انه ما توعدون لات قريب بعد ذكر الموعد يا ايها الذين امنوا اصبروا على الدين وتكاليفه
وصابروا اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر
ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون واقيموا في
الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم

وعن النبي

وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن
صلوته الا لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ال عمران اعطي بكل اية منها امانا على جسر جهنم وعنه
عليه السلام من قرا السورة التي يذكر فيها ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء وهي مائة وست وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس ادم ابيكم فان قلت
علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان احدهما ان العطف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشاها او
ابتداها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشاها
من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة
هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني ان يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس ادم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته ان يجاء عقيب الامر
بالتقوى بما يوجبها او يدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى
وداعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة
فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقى القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها و
التفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا
يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب على
بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ
اسم الفاعل وهو خبر مبتدا محذوف تقديره وهو خالق واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان
عليكم رقيبا تساءلون به فادغمت التاء في السين وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية اي يسال بعضكم بعضا بالله
وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وانا شدك الله والرحم او تسالون غيركم بالله والرحم فقيل
تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رايت الهلال وترائيناه وتنصره قراءة من قرا تسالون به مهموزا وغير مهموز و
قرئ والارحام بالحركات الثلث فالنصب على وجهين اما على واتقوا الله والارحام او ان يعطف على محل الجار والمجرور كقولك
مررت بزيد وعمرا وتنصره قراءة ابن مسعود تسالون به وبالارحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لان
الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال
فلما اشتد الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا
غلامه وغلام زيد الا ترى الى صحة قولك رايتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لانه لم يتكرر وقد تمحل لصحة
هذه القراءة بانها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر فاذهب فما بك والايام من عجب والرفع على انه مبتدا خبره

محذوف كانه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام مما يتقى او والارحام مما يتساءل به والمعنى انهم كانوا يقرون
بان لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الله الذي تتناشدون به
واتقوا الارحام فلا تقطعوها او اتقوا الله الذي تتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد آذن عز وجل اذ قرن
الارحام باسمه ان صلتها منه بمكان كما قال ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سالك بالله
فاعطه واذا سالك بالرحم فاعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الرحم معلقة
بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلام
تخيروا لنطفكم فقال يقول لاولادكم وذلك ان يضع ولده في الحلال الم تسمع قوله واتقوا الله الذي تساءلون به و
الارحام واول صلته ان يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة
ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله وآتوا اليتامى اموالهم الذين مات اباؤهم فانفردوا
عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الاباء وفي البهائم من قبل الامهات
فان قلت كيف جمع اليتيم على يتامى وهو فعيل كمريض قلت فيه وجهان ان يجمع على يتمى كاسرى لان اليتم من وادي الافات
والاوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كاسارى ويجوز ان يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فيقال
يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الاباء الا انه قد غلب
ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم
ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم ابي طالب اما على القياس
واما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشيا في حجر عمه توضيعا له واما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا
تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار فان قلت ما معنى قوله وآتوا اليتامى اموالهم قلت
اما ان يراد باليتامى الصغار وباتيانهم الاموال ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته و
يكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تاتي اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة واما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على
القياس او لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم
اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في
رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما
سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال النبي عليه السلام ومن يوق
شح نفسه و يطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي عليه السلام ثبت
الاجر ثبت الاجر وبقي الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله قال
ثبت اجر الغلام وبقي الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو
مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتاكلوه مكانه او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال

اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال
والتاخر بمعنى الاستيخار قال ذو الرمة فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل اراد ويا لؤم ما
استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي رديا وياخذ جيدا وعن السدي ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا
ليس بتبدل انما هو تبديل الا ان يكارم صديقا له فياخذ منه عجفاء مكان سمينة وهذا ليس من مال الصبي ولا تاكلوا
اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم
قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال فان قلت قد حرم عليهم اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد
النهي عن اكله معها قلت لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم مع ذلك يطمعون
فيها كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم انه كان حوبا
كبيرا والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا
وقرا الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظير الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد
ولما نزلت الاية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى
واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الازواج والثماني والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل
بينهن فقيل لهم وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك
العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب وتاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه
انما وجب ان يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى
فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة
لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب
لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب
لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل ايامى والاصل ايايم وقرا النخعي تقسطوا
بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وان خفتم ان تجوروا فانكحوا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان
منهن ما حرم كاللاتي في اية التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة لان ما سؤال عن الصفة كما ان من سؤال عن الذات ولان الاناث
من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانهم مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة
وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف تقول
فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال من ما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا
العدد ثنتين ثنتين وثلثا ثلثا واربعا اربعا فان قلت الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى
التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له
كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلثة ثلثة واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معنى فان

قلت فلم جاء العطف بالواو دون او قلت كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين
درهمين او ثلثة ثلثة او اربعة اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم ان
يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة التي
دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان ياخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤا
مختلفين في تلك الاعداد وان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرا ابرهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث
ورباع **فان خفتم ان لا تعدلوا** بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها **فواحدة** فالزموا او فاختاروا واحدة
وذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة
او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة **او ما ملكت ايمانكم** سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر
ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقل شغبا واخف مؤنة من المهاير لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت
بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت عنهن ام لم تعزل وقرا ابن ابي عبلة من ملكت **ذلك** اشارة الى اختيار الواحدة و
التسري **ادنى ان لا تعولوا** اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه
اذا جار وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا تعولوا ان لا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي انه فسر ان لا تعولوا ان لا يكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل
عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على
حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة
والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في اخيك
سوءا وانت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول
باعا في علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات
فان قلت كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهاير قلت ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف
التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة
الى تزوج الاربع وقرا طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي رحمه الله من
حيث المعنى الذي قصده **واتوا النساء صدقاتهن** مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن
بفتح الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك في
ظلمة ظلمة **نحلة** من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه
اني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قيل وانحلوا
النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اي اتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي
النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن

وقيل

وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا اي يدين به والمعنى اتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها
ويجوز ان يكون حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون
مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه **فان طبن لكم
عن شيء منه نفسا** الضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال الله تعالى قل اؤنبئكم بخير من
ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ما روي عن رؤبة انه قيل له في قوله كانه في الجلد توليع البهق
فقال اردت كان ذلك او يرجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت واتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى
فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين كانه قيل اصدق ونفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه و
المعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم
وسوء معاشرتكم **فكلوه** فانفقوه قالوا فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان
رجلا اتى مع امراته شريحا في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس قد قال
الله تعالى فان طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن وحكي ان
رجلا من ال ابي معيط اعطته امراته الف دينار صداقا لها كان عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان
فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الاية التي بعدها فلا تاخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر رضي
الله عنه انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا
يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الاخرة وروي ان ناسا كانوا يتاثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى
امراته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه فكلوه سائغا هنيئا وفي الاية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب
الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن لكم عن شيء منه نفسا ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعي هو تجافي
نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فان طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا
يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقيم في بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير
لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة
منها فصاعدا **هنيئا مريئا** الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما
يلذه الاكل والمريء ما تحمد عاقبته وقيل ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المريء لمروء الطعام
فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه و
يبتدا هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة
في الاباحة وازالة التبعة **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم** السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا
يدي لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم

كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب للاولياء في اموال اليتامى قوله
وارزقوهم فيها واكسوهم التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها في انفسها قيامكم
وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرا عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك
هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك ما لا يحاسبني الله عليه خير من
ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك
من الدنيا قال لئن ادنتني من الدنيا فقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم
كان اول ما ياكل دينه وربما راوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم
بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج
ماله الى احد من السفهاء قريب واجنبي رجل وامراة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده وقولوا لهم قولا
معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء اذا ربحت اعطيتك وان غنمت في
غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت
اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى
واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم اموالهم حتى اذا تبينتم منهم رشدا اي هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وبلوغ
النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والايناس الاستيضاح فاستعير للتبين واختلف
في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد
التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي رحمهما الله
الابتلاء ان تتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان الفسق
مفسدة للمال فان قلت فان لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ قلت عند ابي حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة
بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله
عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس وعند اصحابه لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد فان قلت
ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخائله حتى لا ينتظر به تمام
الرشد فان قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها
الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة
معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا
للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط
ايناس الرشد منهم وقرا ابن مسعود رضي الله عنه فان احستم بمعنى احسستم قال احسن به فهن اليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين

ورشدا بضمتين ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون
في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا ومن كان غنيا فليستعفف و
من كان فقيرا فلياكل بالمعروف ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف من
اكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره
على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان
للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل
مالا ولا واق مالك بماله فقال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ولي اليتيم
قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها فاشرب غير
مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فلياكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابرهيم
لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة
الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد
يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ
القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب اني انزلت نفسي من مال الله منزلة ولي
اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف فان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت
بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة فاذا دفعتم اليهم اموالهم
فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد وادخل في الامانة
وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله وعند مالك والشافعي
رحمهما الله لا يصدق الا بالبينة فكان في الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان
اذا لم تقم البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق
واياكم والتكاذب للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب الاقربون المتوارثون من
ذوي القرابات دون غيرهم مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير العامل
ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستاثروا
به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة روي ان اوس بن صامت الانصاري
ترك امراته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون
النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا
من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات

الثلثين والباقي لابني العم ﴿وإذا حضر القسمة﴾ اي قسمة التركة ﴿اولوا القربى واليتامى والمساكين﴾ ممن لا يرث ﴿فارزقوهم منه﴾ الضمير لما ترك الوالدان والأقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تأديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه قسم ميراث ابيه وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب ثم قيل هو منسوخ بآية الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس ﴿وقولوا لهم قولا معروفا﴾ والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا﴾ لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فان قلت ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل شعر

لقد زاد الحياة الي حبا • بناتي انهن من الضعاف •
احاذر ان يرين البؤس بعدي • وان يشربن رنقا بعد صاف •

وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الاوصياء ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد انك ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ﴿ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما﴾ ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته ﴿انما يأكلون في بطونهم نارا﴾ ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا ومعنى يأكلون نارا يأكلون ما يجر الى النار فكانه نار في الحقيقة وروي انه يبعث

اكل

اكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ ﴿وسيصلون﴾ بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها ﴿سعيرا﴾ نارا من النيران مبهمة الوصف ﴿يوصيكم الله﴾ يعهد اليكم ويأمركم ﴿في اولادكم﴾ في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله ﴿للذكر مثل حظ الانثيين﴾ فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن فلا يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكأنه قيل للذكر الثلثان قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم ﴿فان كن نساء﴾ فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن ﴿فوق اثنتين﴾ يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون صفة للنساء اي نساء زائدات على اثنتين ﴿فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة﴾ وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى ﴿فلها النصف﴾ وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء وقرأ زيد بن ثابت النصف بالضم والضمير في ترك للميت لان الآية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت فان قلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر الا انه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كالمسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء فان قلت هل يصح ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة قلت لا ابعد ذلك فان قلت لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امرأة قلت لان الغرض ثمة خلوص الاناث لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد ههنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر الصحابة رضي الله عنهم فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان اثنتين

أمس رحما بالميت من الأختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله للأختين ولم يروا ان يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما
وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها ويكون لأختها
معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولأبويه الضمير للميت لكل واحد
منهما السدس بدل من لأبويه بتكرير العامل وفايدة هذا البدل انه لو قيل ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل
ولأبويه السدسان لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها فان قلت فهلا قيل ولكل واحد من ابويه السدس واي
فايدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما قلت لان في الابدال والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا وتشديدا كالذي تراه
في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدأ وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدس
بالتخفيف وكذلك الربع والثلث والثمن مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه
فلأمه الثلث والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كان انثى
عصب مع اعطاء السدس فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلأمه
الثلث واي فايدة في قوله وورثه ابواه قلت معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلأمه الثلث مما ترك كما قال لكل
واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للأم ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما
ترك الا عند ابن عباس والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت ما العلة في ان كان
لها ثلث ما بقي دون ثلث المال قلت فيه وجهان احدهما ان الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية
في قسمة ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة
وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لأدى الى حط نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امرأة لو تركت زوجا وابوين
فصار للزوج النصف وللأم الثلث والباقي للأب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون
للانثى مثل حظ الذكرين فان كان له اخوة فلأمه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب
فيكون لها السدس وللأب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس وعنه انهم يأخذون السدس
الذي حجبوا عنه الام فان قلت فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية قلت الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة
بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه وقرئ
فلإمه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وامه آية من بعد وصية متعلق بما تقدم من
قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصي بها او دين وقرئ يوصي بها بالتخفيف
والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا فان قلت ما معنى او قلت معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما
قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين فان قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة
او دين قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم
ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فلذلك قدمت على الدين

بعثا

بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية بينهما في الوجوب ثم اكد ذلك ورغب
فيه بقوله آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تدرون من انفع لكم من آبائكم وابنائكم الذين
يموتون أمن أوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو اقرب
لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا
ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب
الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سأل ان
يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سأل ان يرفع اليه ابنه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب
لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرايض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على
غير حكمة وقيل الاب تجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى ايهما
اقرب نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض
بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة من الله نصبت نصب المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا ان الله كان عليما
بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد
فان كان لهن ولد منكم او من غيركم فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما
تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين جعلت المرأة على
النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن وان كان رجل يعني
الميت يورث من ورث اي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة او يجعل
يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال
او مفعول به او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء
في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين فان قلت ما الكلالة قلت تنطلق على ثلثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى
من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الوالد والولد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت
عن عي وما كففت عن جبن والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى فآليت
لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة
للموروث او الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة
للأحمق فان قلت فان جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها قلت على انها مفعول له اي يورث لأجل الكلالة او يورث
غيره لأجلها فان قلت فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورث فما وجهه قلت الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث
فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ قلت الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول اليهما فان قلت
اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا

الوجه قلت نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وعن ابي
بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطاء فمني ومن الشيطان
والله منه بريء الكلالة ما خلا الوالد والولد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث
وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة ابي وله اخ او اخت من الام وقراءة سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت
من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في آخر السورة من ان للاختين الثلثين وان
للاخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا شيئا على الثلث انه يعني بهم الاخوة
للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم غير
مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة
ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله وعن قتادة كره الله الضرار في الحيوة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين
ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية كقولك فريضة من الله
ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادة على الثلث او وصية من الله
بالاولاد وان لا يدعهم عالة باسرافه في الوصية وتنصره هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة والله عليم
بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فان قلت في يوصي ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف
تعمل اذا جعلته الوارث قلت كما عملته في قوله فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت فان قلت فاين ذو
الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما
قال يسبح له على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل
عليه يوصى بها تلك اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله وسماها حدودا
لان الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم قيل يدخله وقرئ بالياء
والنون وخالدين حملا على لفظ من ومعناه ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب
مهين انتصب خالدين وخالدا على الحال فان قلت هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لانهما جريا على غير
من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم يقال
اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود ياتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح
على كثير من القبائح فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن
الموت قيل معناه فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية
والزاني الاية ويجوز ان تكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن في البيوت
بعد ان يحددن صيانة عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال او يجعل الله لهن سبيلا هو

النكاح

النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا في ذلك الوقت فان قلت ما معنى يتوفاهن
الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كانه قيل او يميتهن قلت يجوز ان يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة
ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت او حتى ياخذهن الموت ويستوفي ارواحهن واللذان ياتيانها منكم
يريد الزاني والزانية فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله فان تابا واصلحا وغيرا
الحال فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان يكون خطابا
للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى
الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما ان الله كان توابا رحيما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في
اللواطين وقرئ واللذان بتشديد النون واللذأن بالهمزة وتشديد النون انما التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر
له على الله للذين يعملون السوء اي انما القبول والغفران واجب على الله لهؤلاء بجهالة في موضع الحال اي يعملون
السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو
جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى
قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ
بكظمه وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق
ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن ادم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا
اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فان قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه
سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو
تائب من بعيد فان قلت ما فائدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله قلت قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه
كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران كائن
لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا
حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار عطف على الذين يعملون السيئات
سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال
الآخرة فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما
اوان التكليف والاختيار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد
ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة فان قلت من المراد بالذين يعملون السيئات اهم الفساق من اهل القبلة ام الكفار قلت
فيه وجهان احدهما ان يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما
ان تابا واصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله فليمت ان شاء

يهوديا او نصرانيا من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهؤلاء يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ او حميم عن امراة القى ثوبه عليها وقال انا احق بها من كل احد فقيل يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تاخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امراة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه الا ان ياتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع وتدل عليه قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها ان يسئلها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امراة فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي نفسها منه يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون في معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين واحمد وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امراة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احديهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بناء مشيد قال كقنطرة الرومي اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر رضي الله عنه انه قام خطيبا فقال يا ايها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصدق امراة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية فقامت اليه امراة فقالت له يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول واتيتم احديهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امراة ليست من اعلم النساء والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك اي يتحير وانتصب بهتانا على الحال اي باهتين واثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن به منكم ميثاقا غليظا اي بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد

انكحك

انكحك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مروءاتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروة ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ لا تحل لكم بالتاء على ان ان ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه وقرئ بفاحشة مبينة من ابانت بمعنى تبينت او بينت كما قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع على انه في موضع الحال واتيتم احديهن بوصل همزة احديهن كما قرئ فلا اثم عليه فان قلت تعضلوهن ما وجه اعرابه قلت النصب عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن فان قلت اي فرق بين تعديته ذهب بالباء وبينها بالهمزة قلت اذا عدي بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة فان قلت الا ان ياتين ما هذا الاستثناء قلت هو استثناء من اعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا ان ياتين بفاحشة فان قلت من اي وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط قلت من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فان قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح اباؤكم قلت كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال في التابيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احديهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المعنى في النسب وطيه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطء الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المراة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها فان قلت هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فيكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا واما

ان يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع احد
المتعلقين خلاف معناه مع الاخر الا ترى انك اذا قلت وامهات نسائكم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فقد جعلت
من لبيان النساء وتميز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فانك جاعل
من لابتداء الغاية كما يقول بنات رسول الله من خديجة وليس بصحيح ان يعنى بالكلمة الواحدة فى خطاب واحد معنيان
مختلفان ولا يجوز الثانى لان ما يليه هو الذى يستوجب التعليق به ما لم يعترض امر لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنساء
والربائب واجعل من للاتصال كقوله سبحانه وتعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض قال فانى لست منك
ولست منى ما انا من دد ولا الدد منى وامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات
بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام
الله وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا باس ان يتزوج ابنتها
ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هى مرسلة فارسلوا ما ارسل
الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ما روى عن على وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير انهم قرؤا وامهات نسائكم
اللاتى دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت
عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت مقام الدخول فى
ذلك كما قام مقامه فى باب المهر وسمى ولد المراة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده فى غالب الامر
ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما فان قلت ما فائدة قوله فى حجوركم قلت فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم
لهن او لكونهن بصدد احتضانكم وفى حكم التقلب فى حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة
والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم فى العقد على
بناتهن عاقدون على بناتكم وعن على رضى الله عنه انه شرط ذلك فى التحريم وبه اخذ داود فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت
هى كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعنى ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام
الدخول عند ابى حنيفة رضى الله عنه وعن عمر رضى الله عنه انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك و
عن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما انى لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدى من اللمس والنظر وعن الحسن
فى الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن ابى سليمان اذا
نظر الى فرج امراة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعى اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى
الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار رضى الله عنهما ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدية
بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال سبحانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم
وان تجمعوا بين الاختين فى موضع الرفع عطف على المحرمات اى وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح

الدد اللهو واللعب يقال هذا دد ودا مثل عصى ودد مثل دم وددن مثل حزن

لو ثبت ما نقل عن ابن عباس كان ما نسخ قراءته وحكمه
قول ابن عباس ابهموا ما ابهم الله قال فى المغرب ابهم الباب اغلقه وفرس بهيم على لون واحد لا يخالطه غيره وكلام مبهم لا يعرف وجهه وامر مبهم لا ماتى له

قوله لاحتضانكم الى اخره تعليل مقدم لكون هذا العقد كالعقد على البنات وقوله اذا دخلتم ظرف لاحتضانكم والحضن ما دون الابط الى الكشح واحتضنت الشى جعلته فى حضنى والمراد هنا الحفظ والرعاية يقال حضن الطاير بيضه اذا ضمه الى نفسه تحت جناحه وكذلك المراة اذا حضنت ولدها

قيل المراد بالنظر النظر الى الفرج

لان التحريم فى الاية تحريم النكاح واما الجمع بينهما فى ملك اليمين فعن عثمان وعلى رضى الله عنهما انهما قالا احلتهما
اية وحرمتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح على التحريم وعثمان التحليل الا ما قد سلف ولكن ما
قد مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف
انه قرا بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت
ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتى سبين ولهن ازواج فى دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات
وفى معناه قول الفرزدق وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبنى بها لم تطلق كتاب الله عليكم مصدر مؤكد
اى كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فريضة وهو تحريم ما حرم فان قلت علام عطف قوله واحل لكم قلت على الفعل
المضمر الذى نصب كتاب الله اى كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليمانى كتب الله
عليكم واحل لكم وروى عن اليمانى كتب الله عليكم على الجمع والرفع اى هذه فرائض الله عليكم ومن قرا واحل لكم على البناء
للمفعول فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم
التى جعل الله لكم قياما فى حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل
لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع فى الحرام
والاموال المهور وما يخرج فى المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان
لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم والمسافح الزانى من السفح وهو
صب المنى وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحينى وماذينى من المذى فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من
المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فاتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس
كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما فى معنى النساء ومن للتبعيض او للبيان ويرجع الضمير اليه
على اللفظ فى به وعلى المعنى فى فاتوهن واجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة
او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اى فرض ذلك فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم
به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او يزيد لها على مقداره ان الله كان عليما حكيما
وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت فى المتعة التى كانت ثلثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل
ينكح المراة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضى وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه
بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا اوتى برجل تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم
انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة
وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس هى محكمة يعنى لم تنسخ وكان يقرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى
انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم انى اتوب اليك من قولى بالمتعة وقولى فى الصرف ومن لم يستطع منكم
طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات الطول الفضل يقال لفلان

على طولاً اي زيادة وفضل وقد طال طولاً فهو طائل قال لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرئ غير طائل
ومنه قولهم ما خلي منه بطائل اي بشيء يعتدّ به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر
قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس من
ملك ثلثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي رحمه الله واما ابو حنيفة
رضي الله عنه فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الاية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطي
فله ان ينكح امة وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ومما وسّع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية
والنصرانية وان كان موسرًا وكذلك قوله من فتياتكم المؤمنات والظاهر انه لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب
اهل الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على
ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا انه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل فان قلت لم كان نكاح الامة
منحطًا عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة
مبتذلة خرّاجة ولّاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم اي من
فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فان قلت فما معنى قوله **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ** قلت معناه ان الله
اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة
والمرأة افضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تانيس
بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه **بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ** اي انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم
في الايمان لا يفضل حر عبدا الا برجحان فيه **فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ** اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة
ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم **وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** وادّوا اليهن مهورهن
بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللزّ فان قلت الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم فلم قيل و
آتوهن قلت لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف
مُحْصَنَاتٍ عفائف **غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ** والاخدان الاخلاء في السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح
ولا مسرات له **فَإِذَا أُحْصِنَّ** بالتزويج وقرئ احصن **فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ** اي الحرائر
مِنَ الْعَذَابِ من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف **ذَلِكَ** اشارة الى
نكاح الاماء **لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ** لمن خاف الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد
الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها فيحد
فيتزوجها **وَأَنْ تَصْبِرُوا** في محل الرفع على الابتداء وصبركم عن نكاح الاماء متعففين **خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**
وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت **يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ** اصله يريد الله ان
يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم

ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم **وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ** وان يهديكم مناهج من كان قبلكم
من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم **وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ** ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها
كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم **وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ** ويريد ان تفعلوا
ما تستوجبون به ان يتوب عليكم **وَيُرِيدُ** الفجرة **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا** وهو الميل عن القصد
والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل هم المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات
من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام
فانكحوا بنات الاخت والاخ فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم **يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ** باحلال نكاح الامة
وغيره من الرخص **وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا** لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان
من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف
علي فتنة النساء وقرئ ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرا ابن عباس رضي الله عنهما وخلق الانسان
على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت
يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم ان
الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**
لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا **إِلَّا أَنْ تَكُونَ**
الا ان يقع تجارة وقرئ تجارة على الا ان تكون التجارة تجارة **عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ** والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا
كون تجارة عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض
وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي رضى المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب
والقبول وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه وعند الشافعي رحمه الله تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين **وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**
من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تاول
في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا علي رضي الله عنه ولا تقتّلوا بالتشديد **إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ**
رَحِيمًا ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم
وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة **وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ** اشارة الى القتل اي ومن يقدم
على قتل الانفس **عُدْوَانًا وَظُلْمًا** لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عِدوانا بالكسر **فَسَوْفَ نُصْلِيهِ** بتخفيف اللام وتشديدها
ونَصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله عز وجل او لذلك لكونه سببا للصلي
نَارًا مخصوصة شديدة العذاب **وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه **إِنْ تَجْتَنِبُوا**
كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول **نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**
نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كان لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم

وصبر كم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة انما وصفنا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية
او ثواب فاعلهما والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب
المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا واكل
مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان رجلا
قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الى سبعين
وقرئ يكفر بالياء **وندخلكم مدخلا كريما** ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما **ولا تتمنوا ما فضل الله
به بعضكم على بعض** نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل
قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد بما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله
الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له ولا يحسد اخاه على حظه علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو
كان خلافه لكان مفسدة له **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** جعل ما قسم له من الرجال والنساء
على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط والقبض كسبا له **واسئلوا الله من فضله** ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل
ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد **ان الله كان بكل شيء عليما** وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا
لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجوا ان يكون لنا اجران في الاخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها
ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت **ولكل جعلنا موالي مما ترك**
مما ترك تبيين لكل اي ولكل شيء مما ترك **الوالدان والاقربون** من المال جعلنا موالي وراثا يلونه ويحرزونه او ولكل قوم
جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام
مبتداء وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك
اي وراثا مما ترك على ان من صلة موال لانهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون
كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون **والذين عقدت ايمانكم** مبتداء ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو
قوله **فآتوهم نصيبهم** ~~ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون~~
~~المضمر في فآتوهم للموالي~~ **~~ان الله كان على كل شيء شهيدا~~** ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف
على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول
دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل
عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب يوم الفتح فقال
ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعند ابي حنيفة
رضي الله عنه انه لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي
الله عنه وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف

بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم **الرجال قوامون على النساء** يقومون عليهن آمرين ناهين كما تقوم الولاة
على الرعايا وسموا قواما لذلك **بما فضل الله بعضهم على بعض** للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن
بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب
والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية
والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم امامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف
وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث و
الحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى
والعمائم **وبما انفقوا** وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات **من اموالهم** وروي ان سعد بن الربيع
وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله امرا و
الذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها و
لكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا **فالصالحات قانتات** مطيعات قائمات
بما عليهن للازواج **حافظات للغيب** الغيب خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير
شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم
خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها
وتلا هذه الاية وقيل للغيب لاسرارهم **بما حفظ الله** بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه وامر رسوله
فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن
الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله
بالنصب على ان ما موصولة اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن و
الشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن
واللاتي تخافون نشوزهن نشوزها ونشوصها ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج **فعظوهن
واهجروهن في المضاجع** في المراقد اي لا تداخلوهن تحت اللحف وهي كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره
في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف
احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ
والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء **واضربوهن**
وقالوا يجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي عليه السلام علق سوطك
حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدنا

ضربها بعود المشجب حتى يكره عليها ويروي عن الزبير ابيات قال في اسماء . ولولا بنوها حولها لخبطتها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا فأزيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى ان ابا مسعود الانصاري دفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع وان خفتم شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجرى ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها رجلا مقنعا رضا يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما اليهم تسكن نفوس الزوجين وتبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه فان قلت فهل يليان الجمع بينهما والتفريق ان رأيا ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا واليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد فئام من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي للحكمين اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رأيتما ان تفرقا فرقتما وان رأيتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال علي رضي الله عنه كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز والالف في ان يريدا اصلاحا ضمير الحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق والالفة حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة ان الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب النسب والجار الجنب الاجنبي وانشد لبلعاء بن قيس لا يجتوينا مجاور ابدا . ذو رحم او

مشجب الخشبة التي يلقى فيها الثياب

التجني التجرم وهو ان تؤاخذها بجناية لم تجنها وقيل التجني جر الجنايات التي سبقت منهن اي لا تذكروا ما سلف من جناياتهن

بصرت بالشيء علمته

قوله فئام لا واحد له من لفظه ومعناه جماعات

المراد بذات البين الامور الواقعة بين الزوجين من المنازعة والمخاصمة والبغض والمحبة

هذه الآية جاء بها للاستشهاد على ان الالفة بيد الله تعالى

مجاور جنب وقرئ والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقي الجوار والقربى والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة التامت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون الذين يبخلون بدل من قوله من كان مختالا فخورا او نصب على الذم ويجوز ان يكون رفعا عليه وان يكون مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة ويأمرون الناس بالبخل وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وضمتين اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفي امثال العرب ابخل من الضنين بنائل غيره . قال . فان امرأ ضنت يداه على امرئ . بنيل يد من غيره لبخيل . ولقد رأينا ممن بلي بداء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في رأسه كأنما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى نعمته عليه وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر رئاء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة ولا مرزئة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد ان الله لا يظلم مثقال ذرة الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل انه لو نقص من الاجر ادنى شيء واصغره او زاده في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة وان تك حسنة يضاعفها وان تك مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ

وقرئ بالرفع على كان التامة نضاعفها بضاعف ثوابها لاستحقاقها عند الثواب في كل وقت من الأوقات المستقبلة
غير المتناهية وعن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه الفي الفي حسنة ثم تلا
هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل
عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف وضعف
وقرا ابن هرمز نضاعفها بالنون فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد
يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا
وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرا سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض
لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم
ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون
ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك
وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر
عليهم يتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته فلوى وتسوى
بادغام التاء في السين كقوله يسمعون وماضيه اسوى كازكى روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب تقدم احدهم ليصلي
بهم فقرا اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر
وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا
ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد لقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو
سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ورانوا بسكر سناتهم كل الرنون وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على ان يكون جمعا نحو
هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل ومفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك امراة سكرى وسكرى بضم السين
كحبلى على ان يكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى
لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل حتى تغتسلوا استثناء من
عامة احوال المخاطبين وانتصابه على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت كانه قيل لا تقربوا الصلوة
في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة

فان المعطي على سبيل التفضل ليس باجر لكنه تابع للاجر

قال رضي الله عنه هذا بكاء فرح لا بكاء جزع لانه تشريف في غاية فانه جعل امته شهداء على ساير الامم ثم جعله شهيدا على الكل

قوله حسبنا يجوز ان يكون المعنى حسبنا القراءة اي اكتف ولا تقرا

لقوله جنبا اي ولا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين فان قلت كيف يصح صلوتهم على الجنابة
لعذر السفر قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين
وقال من فسر الصلوة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه
او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص
لهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ياذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي لان بيته كان
في المسجد وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم فان قلت ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون
واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان المرضى
اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده والمحدثون
واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان
صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله فان قلت فما يصنع
بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتاتى في الصخر الذي لا تراب عليه قلت قالوا
ان من لابتداء الغاية فان قلت قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت
برأسه من الدهن ومن التراب ومن الماء الا معنى التبعيض قلت هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان
عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر ان يكون ميسرا غير معسر
فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من اسباب
الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه ان يرخص للذين وجب عليهم
التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة
لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدو
او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من غيط قيل هو
تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط الم تر الى الذين من رؤية القلب وعدي بالى على معنى الم ينته
علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التورية وهم احبار اليهود يشترون الضلالة
يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه
هو النبي العربي المبشر به في التورية والانجيل ويريدون ان تضلوا السبيل انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه
وتنخرطوا في سلكهم لا تكفيهم ضلالتهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بفتح الضاد وكسرها والله اعلم
منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في
اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله

ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم **من الذين هادوا** بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم وكفى بالله وليا وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا ويجوز ان يكون كلاما مبتدا على ان يحرفون صفة مبتدا محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله • وما الدهر الا تارتان فمنهما • اموت واخرى ابتغي العيش اكدح • اي فمنهما تارة اموت فيها **يحرفون الكلم عن مواضعه** يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التورية بوضعهم ادم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله فان قلت كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه قلت اما عن مواضعه فعلى ما فسرناه من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة **ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع** حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع شيئا فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم **وراعنا** يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا وانظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزءا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام **ليا بالسنتهم وطعنا في الدين** فتلا بها وتحريفا اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا فان قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به **ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا** وقرأ ابي وانظرنا من الانظار وهو الامهال فان قلت الام يرجع الضمير في قوله **لكان خيرا لهم** قلت الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم **واقوم** واعدل واسد **ولكن لعنهم الله بكفرهم** اي خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم عن الطاعة **فلا يؤمنون الا قليلا** اي ايمانا قليلا اي ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله • قليل التشكي للمهم يصيبه • اي عديم التشكي او الا قليلا منهم قد امنوا **يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل**

ان نطمس وجوها ان نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم **فنردها على ادبارها** فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر وهو ان يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نردهم الى حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام يريد اجلاء بني النضير فان قلت لمن الراجع في قوله او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات **او نلعنهم كما لعنا** او نخزيهم بالمسخ كما مسخنا **اصحاب السبت** فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالايمان وقد امن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيمة ولان الله اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم او اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير **وكان امر الله مفعولا** فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم تؤمنوا فان قلت قد ثبت ان الله تعالى يغفر الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله **ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** قلت الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله **ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما** اي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه **الم تر الى الذين يزكون انفسهم** اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله فان قلت اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان بين من شهد له الله بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم **بل الله يزكي من يشاء** اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به **ولا يظلمون فتيلا** اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى **انظر كيف يفترون على الله الكذب** في زعمهم انهم عند الله ازكياء **وكفى** بزعمهم هذا **به اثما مبينا** من بين

سائر آثامهم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا الجبت الأصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس فيما فعلوا وقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا أفعالهم فقال أنتم أهدى سبيلا ووصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما أوتوا من النعمة ويتمنون أن يكون لهم نعمة غيرهم فقال أم لهم نصيب من الملك على أن أم منقطعة ومعنى الهمزة لإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك إما ملك أهل الدنيا وإما ملك الله كقوله قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وهذا أوصف لهم بالشح وأحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز أن يكون معنى الهمزة في أم لإنكار أنهم قد أوتوا نصيبا من الملك وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كأحوال الملوك وأنهم لا يؤتون أحدا مما يملكون شيئا وقرأ ابن مسعود فإذن لا يؤتوا على إعمال إذن عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كأنه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا إذن أم يحسدون الناس بل أيحسدون رسول الله والمؤمنين على إنكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأنه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ما أوتي أسلافه وعن ابن عباس الملك في آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم فمن اليهود من آمن به أي بما ذكر من حديث آل إبراهيم ومنهم من صد عنه وأنكره مع علمه بصحته وكفى بجهنم سعيرا أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أنكر نبوته أو من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها أبدلناهم إياها فإن قلت كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أي أدامك على عزك وزادك فيه إن الله كان عزيزا لا يعذب إلا بعدل من يستحقه حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات

تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل ويوم أيوم وما أشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك إلا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف إليه التفيؤ بذلك الظل وفي قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل الخطاب عام لكل أحد في كل أمانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلوى علي بن أبي طالب يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فأمر عليا أن يرده إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فهبط جبريل وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السدانة في أولاد عثمان أبدا وقيل هو خطاب للولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل وقرئ الأمانة على التوحيد إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا ما إما أن تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به وإما أن تكون مرفوعة موصولة به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به أو نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أي نعما يعظكم به ذاك وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم لما أمر الولاة بأداء الأمانات إلى أهلها وأن يحكموا بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد بأولي الأمر منكم أمراء الحق لأن أمراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما في إيثار العدل واختيار الحق والأمر بهما والنهي عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان وكان الخلفاء يقولون أطيعوني ما عدلت فيكم فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن أبي حازم أن مسلمة بن عبد الملك قال له ألستم أمرتم بطاعتنا في قوله وأولي الأمر منكم قال أليس قد نزعت عنكم إذا خالفتم الحق بقوله فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول وقيل هم أمراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع أميري فقد أطاعني ومن يعص أميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فإن تنازعتم في شيء فإن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم في شيء من أمور الدين فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر أي ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة أمراء الجور وقد جنح الله الأمر بطاعة أولي الأمر بما لا يبقى معه شك وهو أن أمرهم أولا بأداء الأمانات وبالعدل في الحكم وأمرهم آخرا بالرجوع إلى الكتاب والسنة فيما أشكل وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا إلى الكتاب ولا إلى السنة إنما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم أولو الأمر عند الله

ورسوله واحتجاجاتهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد اى الرد الى الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن
تأويلا واحسن عاقبة وقيل احسن تاويلا من تاويلكم انتم الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك
وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت روي ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى
الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي
فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض
بقضائه فقال للمنافق اكذلك قال نعم قال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق
المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبرئيل ان عمر فرق بين الحق والباطل
فقال له رسول الله انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه
وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا
بعيدا وقرئ بما انزل وما انزل على البناء للفاعل وقرا عباس بن الفضل ان يكفروا بها ذهابا بالطاغوت الى الجمع
كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون
عنك صدودا وقرا الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة واصلها
بالية كعافية وكما قال الكسائي في آية ان اصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت اللام وقعت واو الجمع بعد اللام من
تعالى فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالي بكسر اللام للمراة وفي شعر الحمداني تعالي اقاسمك الهموم تعالي
والوجه فتح اللام فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عنه فلا يصدرون امرا ولا يوردونه اذا
اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاؤك حين يصابون فيعتذرون
اليك يحلفون بالله ان اردنا ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة
لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عتابنا بعائدة وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم
الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول باس الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا
ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له
بما حكم به اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم
بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم بالتخويف والانذار فان قلت
بم تعلق قوله في انفسهم قلت بقوله بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون
منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستيصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم ان ما في نفوسهم
من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر
واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف ويتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة و

قلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم
وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ
او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا
يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما ارسلنا من رسول وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في طاعته
وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع
الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت
جاؤك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص واستغفر لهم الرسول
من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله ومستغفرا
لوجدوا الله توابا رحيما اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما
لشان رسول الله وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك معناه فوربك
كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم لا يؤمنون جواب القسم
فان قلت هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون قلت يابى ذلك استواء النفي والاثبات فيه وذلك قوله فلا
اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه
الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت اي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا
لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تاتي به من قضائك لا يعارضونه بشيء من
قولك سلم لامر الله واسلم له وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة تسليما تاكيد للفعل بمنزلة
تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل في
شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا
يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان
قد اشار على الزبير براي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد
فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة
موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال
ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت
وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في
قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك
فنزلت الاية في شان حاطب ونزلت في شان هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا اي

اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل
ما فعلوه الا قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوه وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل
الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع رسول الله وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم
به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا لايمانهم و
ابعد من الاضطراب فيه واذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لآتيناهم
لان اذا جواب وجزاء من لدنا اجرا عظيما كقوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما في ان المراد العطاء المتفضل به من عنده و
تسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته ولهديناهم صراطا مستقيما ولطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
الصديقون افاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا في تصديقهم كابي بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا في اقوالهم و
افعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد الله الى الله وارفعهم درجات عنده وحسن
اولئك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين
يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء
الواحد والجمع فيه ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك
فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك
وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب
اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن
الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره والمعنى ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم
عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او اراد ان فضل المنعم عليهم
ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب احوالهم يا ايها الذين
آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر
آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم فانفروا
اذا نفرتم الى العدو اما ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية او انفروا جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا
فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله ان الله غفور رحيم وفي وان منكم لمن ليبطئن
ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع
منها اليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله والمبطئون منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا و

ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ على
فلان وابطأ علي وبطؤ نحو ثقل ويقال ما بطأ بك فيعدى بالباء ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد
ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي ثبط الناس يوم احد فان اصابتكم
مصيبة من قتل او هزيمة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله من فتح او غنيمة
ليقولن وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن في معنى الجماعة وقوله كأن لم تكن
بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني كنت معهم والمعنى كأن لم تتقدم
له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر
انه تهكم بهم لانهم كانوا اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما
بحالهم وقرئ فافوز فوزا عظيما فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى التمني فيكونان
متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون بمعنى
يشترون او يبيعون قال ابن مفرغ وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه فالذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة
هم المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين
يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت
نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد
المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله
فيه وجهان ان يكون مجرورا عطفا على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص بمعنى
واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار
من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين
يلقون منهم الاذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى
الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج
استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ينصر الضعيف
من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة ~~والمستضعفين~~ من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من
هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فان قلت لم ذكر الولدان قلت
تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين
كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت
السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان
يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل

والمستضعفين

للولدان والايا لولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة فان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو صفة القرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتانيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث فان قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول فان قلت ما محل كخشية الله من الاعراب قلت محله النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله واشد معطوف على الحال فان قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية فتنصب خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله او كخشية اشد خشية منها وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت اخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق قليل والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة قرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين فرفع كما رفع زهير يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويهي ويجوز ان يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون شيئا مما كتب من اجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب او غيرها ثم ابتدا قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا والبروج الحصون

قوله هو صفة اي هو صفة بحال متعلق الموصوف فيتبعه في الاعراب والتعريف لا في التانيث وذكر لتذكير الفاعل وهو الاهل

قوله كع اي جبن والكاع الجبان

الخطر الهلاك

قوله فتنصب بالنصب لانه جواب النفي بالفاء كانه قال لا تقصد هذا التركيب فتنصب وانا قدرناه كذلك ليتحقق السببية في انتصاب تنصب بالفاء في جواب النفي

قوله قرئ بالرفع وقيل وجهه انه حذف الفاء يعني بتقدير جملة اسمية محذوف المبتدا فيكون مثل الله يشكرها في حذف الفاء جملة الاسمية

قوله سيبويهي والقياس سيبي لانه مركب كبعلبكي وبعلي وخمسي لكن اخرجه على طريقة النحت كما يقال عبقسي وعبشمي في عبد القيس وعبد الشمس سيبي وسيبويي كدرهمي ونيبويي

مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وقرا نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر قارضها وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك السيئة تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشومك كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود انها تشامت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فيعلموا ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن نفسك فمن عندك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك للناس رسولا اي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم انت رسول العرب والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله وروي انه قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك عليهم حفيظا الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشيء طاعة بالرفع اي امرنا وشاننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امري وشاني حمد الله وثناء عليه ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم زورت طائفة وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف

اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا تحسب انّ ابطانهم يغني
عنهم فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شانهم فان الله يكفيك معرتهم
وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره وكفى بالله وكيلا وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل
لان تانيث الطائفة غير حقيقي ولانها في معنى الفريق والفوج افلا يتدبرون القران تدبر الامر تامله والنظر في ادباره
وما يؤل اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل فمعنى تدبر القران تامل معانيه وتبصر ما فيه ولو كان من عند غير
الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه
بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر
عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة
لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا
يعلمه احد سواه فان قلت اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسألنهم اجمعين فيومئذ لا يسأل عن
ذنبه انس ولا جان من الاختلاف قلت ليس باختلاف عند المتدبرين واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به
وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر
منهم وهم كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمّرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه منهم
الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله
عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء
فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون
تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير
معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه
منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلم الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون
وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع
قال اذاع به في الناس حتى كانه بعلياء نار اوقدت بثقوب ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه
وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله فان اهجه يضجر كما ضجر بازل من الادم دبرت صفحتاه وغاربه والنبط الماء يخرج
من البئر اول ما يحفر وانباطه واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني و
التدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم
الشيطان لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا لما ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم
الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك غير نفسك
وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل

دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت
فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لا نكلف بالجزم على النهي ولا نكلف بالنون
وكسر اللام اي لا نكلف نحن الا نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك في شانهم الا التحريض فحسب لا التعنيف
بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وهم قريش وقد كف باسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب وما
كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا
من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها الشفاعة
الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت في
امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى
اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل
الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر
الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك وكان الله على كل
شيء مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب وذي ضغن كففت السوء عنه وكنت
على اساءته مقيتا وقال السموأل الي الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت واشتقاقه من القوت لانه يمسك
النفس ويحفظها واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها الاحسن منها ان يقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال
السلام عليكم وان يزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال
وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام
عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا
فرددت عليك مثله او ردوها اي اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجع جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره
وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف من قال لآخر اقرئ فلانا السلام وجب
عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم
ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القران جهرا و
رواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد
لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره وذكر الطحاوي ان المستحب رد السلام على الطهارة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته ولا يسلم على اجنبية ويسلم الماشي على القاعد و
الراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة رضي
الله عنه لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي
وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وان بداك فقل وعليك وعن الحسن

يعني لا يجوز ان يستغفر له

يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك
السلام ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد خص بعض العلماء في ان يبدأ اهل الذمة بالسلام
اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي وعن ابي حنيفة لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي
يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه ان
الله كان على كل شيء حسيبا اي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها الله لا اله الا هو اما خبر للمبتدا او
اما اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيامة اي لرب العالمين اي ليحشرنكم اليه
والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب
العالمين لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك لان الكذب مستقبح صارف
عن الاقدام عليه وهو قبحه وجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج
الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين
الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب
على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته قط وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا
لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح
فما لكم في المنافقين فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما روي ان قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين
فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا
وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم
قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شان قوم قد نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين
وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم
بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم او اركسهم بالكفر بان خذلهم حتى ارتكسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم
أتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك او خذله
حتى ضل وقرئ ركسهم وركسوا فيها ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا
فتكونون سواء عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم
عليه من الضلال واتباع دين الآباء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا تتولوهم وان آمنوا
حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ولرسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب
فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا

اي بطريق ارسال المكتوب

فيكون القسم مع جوابه خبر المبتدأ الا ان كان صلة انه ... اي لمن ليبعثن

اي قبل الحاق حمله وهو مستقبح صارف اي حامل صارف ومستلزم صارف فالكذاب يلزمه الصارف عن الكذب وهو قبحه

الغرغرة تردد الروح في الحلق ويقال الراعي يغرغر بصوته اي يردده في حلقه اي لو غرغرت بالكذب في لهواتك يعني رددته في لهواتك وفي بعض النسخ لو غرغرت لهواتك به وعلى هذا يكون نسبة الغرغرة الى اللهوات مجازا

الاجتواء اختلاف تنعم وهو ان لا يستمرئ الطعام وشرابه واجتوا البلد كراهة الاقامة به وان كان المقيم به في دعة وتنعم

قوله تعالى والله اركسهم الركس رد الشيء مقلوبا وقد ركسه واركسه بمعنى فقوله تعالى والله اركسهم اي ردهم الى كفرهم هذا هو التفسير عند اهل السنة والجماعة وهو المنقول عن الائمة لكن المصنف فسره على ما يوافق مذهبه فقال ردهم اي في حكم المشركين ردهم الى الشرك فهو احق بما ذكرنا وقوله كما كانوا اي حكما مثل حكمهم الذي كانوا عليه فانهم كانوا قبل مستقرين على حكم الشرك فالآن حكمهم كذلك

يقال بدا له في هذا الامر بداء ممدود اي نشأ له رأي ويراد به الندم

التعرب في عرفهم الارتداد

منهم

منهم وليا ولا نصيرا اي حكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم
الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم
واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن ابي عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت
به اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من معه من هو من انسابهم
والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي
على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر
بن زيد مناة كانوا في الصلح او جاؤكم لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين
او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم
والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم
واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت
كل واحد من الاتصالين له تاثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال
بالمكافين لان الاتصال بهؤلاء او هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله
فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالمكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى
على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاؤكم بيانا ليصلون
او بدلا او استينافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ
حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على او جاؤكم قوما حصرت
صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان
يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم ~~فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين~~ او يقاتلوا قومهم
ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها
من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد
فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم ~~فما جعل الله~~ اي الانقياد والاستسلام وقرئ
بسكون اللام مع فتح السين لكم عليهم سبيلا فما اذن الله في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم
ويأمنوا قومهم هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا
الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها
اقبح قلب واشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم
فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا
حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم

قوله استثناء اي الاستثناء من الضمير في قوله فخذوهم واقتلوهم ...

قوله ... واقتلوهم ...

قوله وادع ... الى مكة ...

قوله فله ...

اي قيل ان حصرت صدورهم ...

هو ... جاؤكم

فيكون منصوبا على الحال ...

مبنية على صفة ... صفته

لكن بحذف الفاعل ... صفته

او يقاتلوا قومهم

فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ...

والقوا

فما جعل الله

... من قولهم ... جاره بوائقه

... يعني ...

في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي ان يغل وما يكون لنا ان نعود فيها
ان يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص الا خطأ الا على وجه الخطاء فان قلت بم انتصب خطاء قلت بانه مفعول له اي ما
ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطاء وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الاحوال الا في حال
الخطاء وان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطاء والمعنى ان من شان المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا
اذا وجد منه خطاء من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم وقرئ خطاء
بالمد وخطى بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه
الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى
يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب و
قال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة
كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان
اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر
قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه
فنزلت ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم في
الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الطير وعتاق الخيل لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان
عبد الفعل اي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالراس في قولهم فلان يملك كذا راسا من الرقيق والمراد
برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزئ الا رقبة قد صلت وصامت ولا
تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعي رحمه الله كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الا
حياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار
ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء
يقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه انه قضى بدية المقتول فجاءت امراته تطلب ميراثها من عقله
فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود رضي الله عنه
يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا ينفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين
وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فان قلت على من تجب الرقبة والدية قلت على القاتل الا ان الرقبة في ماله والدية تتحملها
العاقلة عنه فان لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه
العفو كقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرأ ابي الا ان يتصدقوا

فان قلت

١٢٣

فان قلت بم تعلق ان يصدقوا وما محله قلت تعلق بعليه او بمسلمة كانه قيل وتجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون
عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من
اهله بمعنى الا متصدقين فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار
وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطاء وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون وقيل
كان الرجل يسلم ثم ياتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين [illegible] فيقتل فيهم
خطاء لانهم يظنونه كافرا مثلهم وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة
وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من المسلمين
فمن لم يجد رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام فصيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة
منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه وكان الله عليما حكيما
ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما
هذه الاية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ جسيم ومن ثم روي عن ابن عباس رضي
الله عنهما ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك
محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي
الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان
هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين
عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤون هذه الاية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول
ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو
عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله سبحانه التوبة في قتل الخطاء لما عسى يقع من
نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي لقد اسمعت لو ناديت حيا
فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر قلت ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل
كان من مسلم او كافر تائبا وغير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليات بدليل
مثله يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال
اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام وقرئ السلم والسلام وهما
الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من امنه
اي لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من
الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق

غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجداً شديداً وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان صرتم اعلاماً فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافرين ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلماً الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيراً فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله غير اولي الضرر قرئ بالحركات الثلث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكأني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعنه مقاتل الى تبوك فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم فضل الله المجاهدين على القاعدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بياناً للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف وكلاً وكل فريق من المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة اقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً فان قلت قد ذكر الله سبحانه وتعالى مفضلين درجة ومفضلين درجات

اي كان يتمنى اسلاماً لا ذنب فيه والصواب ان يقول تمنى انه كان قد اسلم يومئذ لا قبله فانه لو كان احدث الاسلام يومئذ لكفر عنه ذلك القتل لان الاسلام يجب ما قبله

قوله وجد وجداً بالحزن بابه من باب العلم وجد مطلوبه وجداناً ووجد عليه موجدة ووجد في المال وجداً ووجد ضالته وجداناً الغضب وجد بالتيع وجداً وجده اي استغنى

اي يفنى لو مات بلا اله الا الله

التهافت التساقط قطعة قطعة وتهافت الفراش في النار اي تساقط

العاهة الآفة يقال عيه الزرع

قوله ثم سري عنه اي كشف عنه اي ازيل عنه وكشف عنه الفزع من قولهم سريت عنه الثوب وسروت عنه اي نزعت

الضمير في طبقته يجوز ان يعود الى الجهاد وفي طبقة الجهاد مرتفعة فيكون المراد بالرغبة في ارتفاع طبقة الجهاد والرغبة في درجة الجهاد والرفيعة ويجوز ان يعود الى القاعد ليرغب القاعد في ان ترتفع درجته فيجاهد لتصير درجته مرتفعة

اهاب به اي صاح مع التقريع من اهاب الراعي بغنمه صاح بها ليقف ويرجع واهاب بالبعير

قولهم فلان ناصح الجيب اي خالص القلب

فمن هم قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية فان قلت لم نصب درجة واجراً ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيلة واحدة ونظيره قولك ضربه سوطاً بمعنى ضربه ضربة واما اجراً فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجراً ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجراً ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه اسواطاً بمعنى ضربات كانه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب اجراً عظيماً على انه حال من النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة ان الذين توفيهم الملائكة توفيهم يجوز ان يكون ماضياً كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعاً بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فان قلت كيف صح وقوع قوله قالوا كنا مستضعفين في الارض جواباً عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذاراً مما وبخوا به واعتلالاً بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأويهم جهنم وساءت مصيراً اراد انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبراً من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سبباً في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الآية الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لا اهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجهاً الى المدينة وكان شيخاً كبيراً فمات بالتنعيم فان قلت كيف ادخل الولدان في جملة المستضعفين من اهل الوعيد كانهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلاً قلت الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكناً في الولدان لا ينفك

قوله واجراً حال عن درجات بدل على الحراد والتوبيخ على جوازه وقوعه حال عن المصدر

اي تستوفي الملائكة انفس الذين يعني يجعل الله الملائكة مستوفين انفسهم حتى لا تعني توفي الملائكة انفس بني ادم يجعل الله الملائكة مستوفين وقابضين انفس بني ادم

كالجهاد والهجرة ونصر الرسول والمسلمين وترك الكفار ارغاماً لهم الى غير ذلك كانه قيل لهم اي امر كنتم فيه من امور الدين بمعنى ما كنتم في شيء منها الا ان المراد وليس حقيقة الاستفهام

قوله والعوائق جملة معترضة وقوله او علم عطف على قوله لا يتمكن او على قوله كان الضمير في كان في وان كان يعود الى ما دل عليه الكلام كانه قيل وان كان ما بين الارضين شبراً

التنعيم موضع على فرسخ من مكة

اي لا فرق بينهم في انهم صاروا في انتفاء الذنب عنهم بترك الهجرة بمنزلة الولدان لي فيه نظر

عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما
يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء البالغون فلا سؤال فان قلت الجملة التي
هي لا يستطيعون ما موقعها قلت هي صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات
لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني فان قلت لم قيل **فاولئك**
عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع قلت للدلالة على ان ترك
الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف
بغيره **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة** مراغما ومهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه
اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته
وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب وقرئ مرغما
ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت قرئ ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل
رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله من عنزي يسبني لم اضربه
وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا **فقد وقع اجره على الله وكان** فقد وجب ثوابه
الله غفورا رحيما
عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف
يثيبه وذلك واجب عليه ~~الله غفورا رحيما~~ وقد روي في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ
يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ
خبره اصحاب رسول الله فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب
فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا في
الدنيا وابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله **واذا ضربتم**
في الارض الضرب في الارض هو السفر وادنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة مسيرة ثلثة ايام ولياليهن
في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلثة ايام لم يقصر وعند الشافعي ادنى مدة السفر اربعة برد مسيرة يومين قوله **فليس**
عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب
الشافعي رحمة الله عليه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر وعن عايشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت
وافطرت فقال احسنت يا عايشة وما عاب علي وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر وعند ابي حنيفة رحمة الله عليه
القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم
وعن عايشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فان قلت
فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا

قوله اول ما فرضت اول نصب على الظرف عامله فرضت الثاني
وما في ما فرضت مصدرية والزمان مقدر معه اي فرضت ركعتين في اول
زمان فرض الصلاة

المهاجر موضع الهجرة
يفارق المسالك والمهاجر قومه على رغم انوفهم
الطود الجبل العظيم طود في الجبال مثل طود
يلاذ اي يلجا عزيز المراغم

قال وانما قيل ثم يدركه الموت لبيان ان الاجر انما
يستقر اذا لم يحبط العمل حتى جاء الموت ويجوز
ان يكون كلاما مبتدا اي بل وقع عليه في الكلام
فقال يدركه الموت

فاذا وجبت جنوبها اي سقطت جنوب البدن
وهو جمع بدنة على الارض بعد النحر فكلوا منها لان
سقوطها على الارض دليل زوال حياتها

سير الابل ومشي الاقدام على القصد فلا
اعتبار بابطاء الضارب والاسراع
فلو سار مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن
في يوم قصر

برد جمع بريد وهو اثنا عشر ميلا يقال بين مكة
الى عسفان اربعة برد قال رضي الله عنه كانوا يبنون
ربطا في الطريق ويسمونها السكك بين كل سكتين
اثنا عشر ميلا ثم يقال الموقوفة محذوفة الاذناب
وسموا ذلك البغل البريد وهي كلمة فارسية اصلها
بريده دم ثم سمي به الراكب والمسافر

قوله على لسان متعلق بمحذوف اي هكذا جرى على لسان
النبي صلى الله عليه وسلم وانما قال على لسان نبيكم الاضافة
للتاكيد والمبالغة في قبول هذا المعنى

في القصر

في القصر فنفي عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمانوا اليه وقرئ تقصروا من اقصر وجاء في الحديث اقصار
الخطبة بمعنى تقصيرها وقرا الزهري تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واما في حال الامن فبالسنة
وفي قراءة عبد الله من الصلوة ان يفتنكم ليس فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة
القتال والتعرض بما يكره **واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة** يتعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شرط كونه فيهم وقال من راها بعده ان الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف عليه ان يؤمهم
كما ام رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين **فلتقم طائفة منهم معك**
فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك فصل بهم **وليأخذوا اسلحتهم** الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان
للمصلين فقالوا ياخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه
فاذا سجدوا فليكونوا يعني غير المصلين **من ورائكم** يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند ابي حنيفة رضي الله عنه ان
يصلي الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلوة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تقف هذه بازاء العدو
وتاتي الاخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلوته ثم تقف بازاء العدو وتاتي الاولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلوتها
ثم تحرس وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها والسجود على ظاهره عند ابي حنيفة وعند مالك بمعنى
الصلوة لان الامام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلوتها وتسلم وبعضده **ولتأت طائفة**
اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم وقرئ
وامتعاتكم فان قلت كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر في الاخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها
الغازي فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ وجعلا ماخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من
قبلهم جعل الايمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء **فيميلون عليكم ميلة**
واحدة فيشدون عليكم شدة واحدة **ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم**
وخذوا حذركم رخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض و
امرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو فان قلت كيف طابق الامر بالحذر قوله **ان الله اعد**
للكافرين عذابا مهينا قلت الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام باخبار
ان الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله
كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة **فاذا قضيتم الصلوة** فاذا صليتم في حال الخوف والقتال **فاذكروا الله** فصلوها
قياما مسايفين ومقارعين **وقعودا** جاثين على الركب مرامين **وعلى جنوبكم** مثخنين بالجراح **فاذا اطمأننتم** حين تضع
الحرب اوزارها وامنتم **فاقيموا الصلوة** فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج **ان**

الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا باوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اي حال كنتم خوف
اوامن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي في ايجاب الصلوة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة
اذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء واما عند ابي حنيفة فهو معذور في تركها الى ان يطمئن وقيل معناه فاذا
قضيتم صلوة الخوف فاديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة احوالكم من قيام
وقعود واضطجاع فان ما انتم فيه من حرب او خوف حقيق بذكر الله ودعائه والالتجاء اليه فاذا اطمأننتم فاذا امنتم
فاقيموا الصلوة فاتموها ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض
به لهم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون اي ليس ما تكابدون من الالم بالجرح والقتل
مختصا بكم انما هو امر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون
مثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب
العظيم في الاخرة وقرأ الاعرج ان تكونوا تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله فانهم يألمون
كما تألمون تعليل وقرئ فانهم ييلمون كما تيلمون وروي ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما
حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم الا لما هو عالم به مما يصلحكم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق
روي ان طعمة بن ابيرق احد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق
ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها
وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له
ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا
ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل وان يعاقب اليهودي
وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط
عليه فقتله لتحكم بين الناس بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن
احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن ليجتهد رأيه لان الرأي من رسول الله كان مصيبا
لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما
للبراء يعني لا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي ان الله كان غفورا رحيما
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية
العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم فان قلت لم قيل للخائنين ويختانون انفسهم
وكان السارق طعمة وحده قلت لوجهين احدهما ان بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الاثم
والثاني انه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه فان قلت لم قيل خوانا اثيما على
المبالغة قلت كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشك في حاله

وقيل

وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضي الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة ان الله لا يحب من كان
خوانا اثيما يستخفون من الناس يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله
ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الاية ناعية على الناس
ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس
الا الكشف الصريح والافتضاح اذ يبيتون يدبرون ويزورون واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول
وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته وكان الله بما يعملون محيطا فان قلت كيف
سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت لما حدثت بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول الحلف
الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته وتوريكه الذنب على اليهودي ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء وهما
مبتدأ وخبره جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا وجادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم
تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته فمن يجادل الله
عنهم يوم القيمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الاخرة اذا اخذهم الله بعذابه
وقرأ عبد الله عنه اي عن طعمة ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا
يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل
سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وهذا بعث لطعمة
على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب اثما
فانما يكسبه على نفسه اي لا يتعداه ضرره الى غيره فليتق على نفسه من كسب السوء وكان الله عليما حكيما ومن
يكسب خطيئة صغيرة او اثما او كبيرة ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا لانه
بكسب الاثم اثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الامرين وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف
والسين المشددة واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته اي عصمته والطافه وما اوحى اليك من الاطلاع
على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني هو
صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك من
شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضمائر القلوب او من امور الدين والشرائع وكان فضل
الله عليك عظيما ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم الى الناس وقيل الاية في المنافقين لا خير في
كثير من نجويهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا
قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير او معروف او اصلاح بين

الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة
الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع و
عن النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وسمع
سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجويهم فهو هذا بعينه او ما سمعته يقول
والعصر ان الانسان لفي خسر فهو هذا بعينه وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب
به اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات فان قلت كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد
ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك
فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يامر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال
وقرئ يؤتيه بالياء ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من
الدين الحنيفي القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفتها كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله عز
وجل جمع بين اتباع سبيل غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم
واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم
وساءت مصيرا وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا يغفر
ان يشرك به تكرير للتاكيد ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا وقيل كرر
لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني
لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراة على الله ولا مكابرة له
وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر
قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه ان يدعون من دونه الا اناثا هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي
من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد
الملائكة بنات الله وقرئ انثا جمع انيث او اناث ووثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد و
اسد واسد وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرات عائشة رضي الله عنها اوثانا وان يدعون وان يعبدون
بعبادة الاصنام الا شيطانا مريدا لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة لعنه
الله وقال لاتخذن من عبادك صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع نصيبا
مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقهم قال الحسن من كل الف تسعمائة و
تسعين الى النار ولاضلنهم ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير
توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام وتبتيكهم الآذان
فعلهم بالبحاير كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها

بحرت اذن الناقة بحرا شققتها وخرقتها ومنه البحيرة وهي ابنة السائبة وحكمها حكم امها ٥

ولآمرنهم

ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وتغييرهم خلق الله فقء عين الحامي واعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول
عامة العلماء مباح في البهائم واما في بني آدم فمحظور وعند ابي حنيفة يكره شرى الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة
فيهم تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة
هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل
التخنث ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان
الا غرورا اولئك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن
اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ فان قلت ما فائدة هذه التوكيدات قلت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة
واماني الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون
في عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان في ليس ضمير وعد الله اي ليس ينال ما وعد الله من الثواب بامانيكم ولا اماني
اهل الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به ولذلك ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم في
الايمان بوعد الله وعن مسروق والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه
العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن
به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم
وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل ان يكون الخطاب
للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا لاوتين مالا وولدا ان لي عنده للحسنى
وكان اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودة ويعضده تقدم ذكر
اهل الشرك قبله وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين وقوله من يعمل سوءا يجز به ولا يجد وقوله له من دون الله وليا ولا نصيرا
ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بعد ذكر تمني اهل الكتاب نحو
من قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا
النار الا اياما معدودة واذا ابطل الله الاماني واثبت ان الامر كله معقود بالعمل وان من اصلح عمله فهو الفائز
ومن اساء عمله فهو الهالك تبين الامر ووضح ووجب قطع الاماني وحسم المطامع والاقبال على العمل الصالح
ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى اليه الاذهان فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض
اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو تكليفه
وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة وتسقط عنه الصلوة في بعض الاحوال والثانية لتبيين الابهام
في من يعمل فان قلت كيف خص الصالحين بانهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان احدهما ان يكون
الراجع ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني ان يكون ذكره عند احد الفريقين دالا على ذكره

عند الأحزان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان يزاد في عقابه وارحم الراحمين معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان في الفضل ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ومعبودا سواه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ وهو عامل للحسنات تارك للسيئات ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ حنيفا حال من المتبع او من ابراهيم كقوله بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك في خلالك او يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تاكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم عليه السلام ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى واختبزت واستنبه ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت امرأته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض فطاعته واجبة عليهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على انها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى فان قلت بم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الاول هو صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في الوجهين الاخيرين فبدل لا غير فان قلت الاضافة في يتامى النساء ما هي قلت اضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء بيائين على قلب همزة ايامى ياء ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ﴾

قوله تعظيما مفعول له من قوله معترضة اي في قوله المراد كانه قيل جاء بها اي اعترض بها تعظيما او المراد بالكتاب اللوح تعظيما والنزاع في الاسم وقوله وان العدل عطف على تعظيما وتقديره لان العدل الى اخره

لهن

﴿لَهُنَّ﴾ وقرئ ما كتب الله لهن اي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن وروي ان عمر بن الخطاب كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز ان يكون خطابا للاوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا﴾ توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وامارته ﴿نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وان يؤذيها بسب او ضرب والاعراض ان يعرض عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن او سن او دمامة او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا﴾ فلا بأس بهما في ان يصلحا ﴿بَيْنَهُمَا﴾ وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح اصبر في اصطبر ﴿صُلْحًا﴾ في معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي ان امرأة اراد ان يطلقها زوجها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو احب الي فاقرها او تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل شيء او الصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ ومعنى احضار الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا ينفك عنها يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان المرأة لا تكاد تسمح نفسها بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الاحسان والتقوى ﴿خَبِيرًا﴾ وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من ادم بني آدم وامرأته من اجملهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال لها ما لك قالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين ﴿وَلَنْ﴾

تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ومحال ان تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع عنكم لذلك تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عايشة رضي الله عنها كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان تسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة والمعانقة والموانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر ياتي من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضا منها يعني ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال • هل هي الا حظة وتطليق • او صلف او بين ذلك تعليق • وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امراتان يميل مع احدهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقالت عايشة االى كل ازواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع راسك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ امراتان فاذا كان عند احديهما لم يتوضأ في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا يغفر لكم رحيما وان يتفرقا قرئ وان يتفارقا بمعنى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا من سعته يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنا من عيشه والسعة الغنا والمقدرة والواسع الغني المقتدر وكان الله واسعا حكيما ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا والكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية ان اتقوا الله بان اتقوا او تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله وان تكفروا عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله في سمواته وارضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا

المحال ان يراد بقوله لن تستطيعوا اما انه محال او انه صعب وعلى انه محال اما ان يكون المراد العدل بينهن فيما تجب او في المحبة ه

قوله وفيه ضرب اي في قوله تعالى فلا تميلوا كل الميل كما يقال لا تتجاوز الحد ه

قوله الا حظة ضمير مبهم يفسره ما بعده كما يقع بعد نعم ورب وليس من ضمير الشأن والقصة اي شيء ه والحظة والحظوة بمعنى والصلف ضد ذلك صلفت المرأة تصلف صلفا اذا لم تحظ عند زوجها وابغضها ه

ارفع راسك اي تنبه فان النائم اذا انتبه رفع راسه اي تفطن لامرك ما كنت غافل ه

اي اتصافه تعالى بهذه الصفات توجب ان يتقى وقد امر بالتقوى ه

قوله لان التوصية في معنى القول يريد ان الفعل الذي فيه معنى القول يفسره ان لا باي والفعل الذي ليس فيه معنى القول ولا هو قول صريح فانما يفسره باي دون ان لان الجملة الواقعة بعده محكي لا معمول له فلا حاجة الى حرف التفسير ه

مستقيما

مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل الخير كله ان يشا يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشاكم ايها الناس ويأت بآخرين ويوجد انسا آخرين مكانكم او خلقا آخرين غير الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله من العرب اي ان يشا يمتكم ويأت بناس آخرين يوالونه وروي انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا فما له يطلب احدهما دون الآخر والذي يطلبه اخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطه الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ولو كانت الشهادة على انفسكم او آبائكم او اقاربكم فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين ان يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي فما معنى الشهادة على نفسه قلت هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على آبائكم واقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه تعالى انظر لعباده من كل ناظر فان قلت لم ثني الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور فلذلك ثني ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء وفي قراءة ابي فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله ان يكن غني او فقير على كان التامة فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ وان تلوا او تعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوه بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل المراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي انه لعبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس

وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول
الله انا نؤمن بك وبكتابك والتورية وموسى وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا
بالله ورسوله محمد وكتابه القران وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل للمنافقين كانه
قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل وكانوا
مؤمنين بالتورية والانجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من الكتب فامروا ان يؤمنوا
بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض
الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة
فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي اراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل قلت لان القران نزل مفرقا
منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به
جميعا ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ~~[illegible]~~ ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما
وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد
منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك
الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم وادونه حيث
يبدو لهم فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم و
لم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد
يكون وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على
شر حال واسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتورية وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم والذين نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة و
يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا يريد لاوليائه
الذين كتب لهم العزة والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم في الكتاب ان
اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره هي
ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشان كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان
مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم

بمكة

بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين
كانوا يخوضون في ذكر القران في مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمين عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه
وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة
وكان الذين يقاعدون الخائضين في القران من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثلهم مثل الاحبار
في الكفر ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم فان قلت الضمير في
قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع قلت الى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها فان قلت لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم
في وقت الخوض قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر فان قلت فهلا كان المسلمون
بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع
قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم الذين اما بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين او نصب على الذم
منهم يتربصون بكم اي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن
معكم مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم
ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين المسلمين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما
ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وقرئ و
نمنعكم بالنصب باضمار ان قال الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء فالله يحكم بينكم يوم
القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فان قلت لم سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت
تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل على اوليا
واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها ان المنافقين يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع
من اظهار الايمان وابطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء و
الاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار في الآخرة اخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى
المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم واذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران اي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من
يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراءون الناس يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله الا
قليلا ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل
ايضا لانهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا
قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة
ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم فان قلت ما معنى المراءاة وهي مفاعلة
من الرؤية قلت فيه وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل

اي يظهرون الاسلام ويلبسه المسلمين [illegible] مثل تغافل
وكان [illegible] انه يظهر شيئا ليس عليه والباء للتعدية او [illegible]
بمعنى [illegible] والباء للتعدية ايضا

فيقال راءي الناس بمعنى رأهم كقولك نعّمه وناعمه وفنّقه وفانقه وعيش مُفانَق وروي ابو زيد رأّت المراة المرأة الرجل اذا امسكتها لتري وجهه ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحق يرءّونهم بهمزة مشددة مثل يرعّونهم اي يبصّرونهم اعمالهم ويراءونهم كذلك مُذَبْذَبِينَ اما حال لخوقوله ولا يذكرون الله عن واو يراءونهم اي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرحوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذُبّ عنه وقرأ ابن عباس مذبذِبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ~~الواحدة~~ ومنها دبة قريش بَيْنَ ذَٰلِكَ اشارة الى الكفر والايمان لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ولا منسوبين الى هؤلاء فيسموا مشركين وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا حجة بينة يعني ان موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن فانه يحق عليك ان تخالص المؤمن إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ الطبق الذي في قعر جهنم مِنَ النَّارِ والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله ومداجاتهم إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فان قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذي يصف الاسلام والعمل ولا يعمل به وقيل لابن عمر رضي الله عنهما ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح قد عمم وقلد واعطي سيفا يعني الحجاج مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ ايتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء إِن شَكَرْتُمْ فان قمتم بشكر نعمته وَآمَنتُمْ به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا

مثيبا

مثيبا موفيا اجوركم عَلِيمًا بحق شكركم وايمانكم فان قلت لم قدم الشكر على الايمان قلت لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكانه اصل التكليف ومداره لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا الا من ظلم الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع اي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب الله الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود ~~إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ~~ بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا اي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله او آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله وبرسله جميعا لما ذكرنا من العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا اي هم الكاملون في الكفر وحقا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعدا قلت ان احدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رايت احدا فتقصد العموم الا تراك تقول الا بني فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كاحد من النساء أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ معناه ان ايتاءها كائن لا محالة وان تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بانك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق

لاعظامهم وفيما اتاهم كفاية فقد سالوا موسى جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سالوه منك فقد
سالوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السوال اليهم وان وجد من ابائهم في ايام موسى وهم النقباء السبعون لانهم
كانوا على مذهبهم راضين بسوالهم ومضاهين لهم في التعنت فقالوا ارنا الله جهرة عيانا بمعنى ارناه نره جهرة
فاخذتهم الصاعقة بظلمهم بسبب سوالهم الرؤية ولو طلبوا امرا جائزا لما سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة
كما سال ابرهيم صلوات الله عليه ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا لهم بالصواعق
ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا
عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم حتى يتاب عليهم فاطاعوه واحتبوا بافنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك
من سلطان مبين ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور مظل
عليهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا وقد
اخذ منهم الميثاق على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا ومعاهدتهم على ان يتموا عليه ثم نقضوه بعد وقرئ لا تعدّوا
ولا تعتدوا بادغام التاء في الدال فبما نقضهم ميثاقهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد وكفرهم بايات الله
وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف فان قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت اما ان
يتعلق بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله
فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب وتحريم الطيبات
لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك فان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذي
تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم
بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها [illegible]
[illegible] ردوا انكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف
ان الله خلق قلوبنا غلفا اي في اكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت
كالمطبوع عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة منه فان قلت علام عطف قوله وبكفرهم وقولهم
على مريم قلت الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقولهم
قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فان قلت ما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه
ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو قوله وكفرهم بايات الله وقوله بكفرهم قلت قد تكرر
منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف
عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بايات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم
وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا بهتانا عظيما

قوله بل طبع الله التقرير الاول على تقدير عطفه على قوله وكفرهم قبل الاضراب وهذا على تقدير عطفه على قوله بكفرهم بعد الاضراب ٥

والبهتان

والبهتان العظيم هو التزنية فان قلت كانوا كافرين بعيسى عليه السلام اعداء له عامدين بقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة
والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قلت قالوه على وجه
الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح
في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز
العليم الذي جعل لكم الارض مهدا وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه
وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما
قردة وخنازير فاجمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه
ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب
وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقي شبهه على المنافق
فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب
وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال
بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فان قلت شبه مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح
مشبه به وليس بمشبه وان اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم
كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا المسيح يدل عليه
كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن
استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن فان قلت قد وصفوا بالشك
والشك ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين قلت اريد
انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا او
ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او تجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه
حقا اي حق انتفاء قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا
نفي عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم بل رفعه الله اليه
وكان الله عزيزا حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ليؤمنن به جملة قسمية واقعة
صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان
منكم الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني
اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج
اية ما قراتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب
عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله

انا لنعلم عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي وتقول للنصراني انا لنعلم عيسا نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكيا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الي ان تقول حدثني محمد بن علي بن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وتدل عليه قراءة ابي الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع فان قلت ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم قلت فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قرب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في وان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل الضمير ان لعيسى بمعنى وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا ليؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم **فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ** فباي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها **وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا** ناسا كثيرا او صدا كثيرا **وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ** بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب **وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ** يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون **وَالْمُؤْمِنُونَ** يعني المؤمنين منهم او المؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء و**يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ** خبره **وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ** نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه ان السابقين الاولين الذين

مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي **وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر الانبياء الذين سلفوا وقرئ زبورا **كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا** بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب وقرئ زبورا **وَرُسُلًا** نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبأنا وما اشبه ذلك او بما فسره قصصناهم **قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ** وفي قراءة ابي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** وعن ابرهيم ويحيى بن وثاب انهما قرآ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن **رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ** الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير **لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرف انهم رسل الله الا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له **وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ** قرأ السلمي لكن الله يشهد بالتشديد فان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت لما سال اهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوي بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق فان قلت بم يجابون لو قالوا بم يعلم ان الملائكة يشهدون بذلك قلت يجابون بانه يعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله قلت معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدر وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل انزله بما علم من مصالح العباد

مشتملا عليه ويحتمل انه انزله وهو عالم بانه رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون
بذلك كما قال في آخر سورة الجن الا من ارتضى الى قوله وأحاط بما لديهم والاحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا
وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي او كان
بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة لم
يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لا يلطف بهم فيسلكون
الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيمة الا طريقها وكان ذلك على الله يسيرا اي لا صارف له عنه يا
ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما
بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم
مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله
عليما حكيما يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة
وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد
وقرأ جعفر بن محمد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القيها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله
انما المسيح بوزن السكيت وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة
وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما
اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة ومعنى القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها ولا تقولوا
ثلثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد ثلثة خبر مبتدا محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر
واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم
الابن العلم وباقنوم روح القدس الحيوة فتقديره الله ثلثة والا فتقديره الآلهة ثلثة والذي عليه يدل القرآن
التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله أأنت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون في المسيح لاهوتية
وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال
الاولاد بامهاتها وان اتصاله بالله عز وجل من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب فنفى ان
يتصل به اتصال الابناء بالآباء وقوله سبحانه ان يكون له ولد وقرأ الحسن إن يكون بكسر الهمزة ورفع النون
اي سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه عما نسب اليه
يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال
عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف

المسيح

المسيح لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ان يكون عبدا لله
ولا الملائكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل
وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت من اين دل قوله ولا الملائكة المقربون على ان المعنى ولا من فوقه قلت من حيث
ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة
العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من
العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة واعلاهم منزلة
ومثاله قول القائل وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج
ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف
بالفرق البين وقرأ علي رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير وروي ان وفد نجران قالوا لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال
ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا
بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف
لان العار الصق به فان قلت علام عطف قوله ولا الملائكة قلت لا يخلو اما ان يعطف على المسيح هو الظاهر او على اسم يكون
او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل عبد ابوه فالعطف على المسيح
هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يأنف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية
او ان يعبد الله هو ومن فوقه فان قلت قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه قلت فيه وجهان
احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبدا
لله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على الضمير في عبدا فقد طاح هذا السؤال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيحشرهم اليه جميعا قرئ فسيحشرهم بضم الشين وبكسرها وبالنون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما
ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين
والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل بهم
وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر
الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو ان الاحسان
الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة
اذا راى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم
نورا مبينا البرهان والنور المبين القرآن او اراد بالبرهان دين الحق او رسول الله وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه
من الكتاب المعجز فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق و

تفضل ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم يستفتونك
قل الله يفتيكم في الكلالة روي انه آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام
حجة الوداع فأتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع بمالي فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر ومحل
ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد وله اخت فلها نصف ما ترك
والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت
الا في مذهب ابن عباس وبالاخت التي هي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله تعالى فرض لها النصف وجعل اخاها
عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام فلها السدس في آية المواريث مسوى بينها وبين اخيها
وهو يرثها واخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن لان الابن
يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد
قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما
بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز ان
يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب
فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما
دالا على انتفاء الآخر فان قلت الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان
كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين قلت اصله فان كان من يرث بالاخوة
اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فكما انث ضمير
من لمكان تانيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة
والاخوات تغليبا لحكم الذكورة يبين الله لكم ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا والله بكل شيء عليم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن
سورة المائدة مدنية اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم مائة وعشرون آية
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود يقال وفى بالعهد
واوفى به ومنه الموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة * قوم اذا عقدوا عقدا
لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا * وهي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف
وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود الله
عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم وما بعده
بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة

ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة
او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كانهم ارادوا
ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه غير محلي
الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله
اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال عن محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد و
انتم محرمون لئلا يحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم
يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من
مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف و
السعي والحلق والنحر ولا الشهر الحرام شهر الحج ولا الهدي والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك
وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج ولا القلائد والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة
مزادة او لحاء شجر او غيرها ولا آمين البيت الحرام ولا آموا المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الا
ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان
يتعرض للهدي بالغصب وبالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي
وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكائيل كانه
قيل والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين ولا
تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا
لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن
نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ و
قيل هي منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله
لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ
بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم
انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام على الاضافة و
قرأ حميد بن قيس الاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم
كانه قيل فاذا احللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ
اذا احللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا جرم يجري
مجرى كسب في تعديه الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا
على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء واول

المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنان بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى لا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ إن صدوكم على إن الشرطية وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي واتقوا الله ان الله شديد العقاب ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار حرمت عليكم كان اهل الجاهلية ياكلون هذه المحرمات الميتة البهيمة التي تموت حتف انفها والدم والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت من جبل او في بئر فماتت والنطيحة والتي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكوته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه وقرأ عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابن عمرو والسبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس واكيل السبع وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تعبدنه وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وان تستقسموا بالازلام وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان خرج الامر مضى لطيته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لا يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة ذلكم فسق الاشارة الى الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة كذا وكذا فان قلت لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال فسقا قلت لانه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه طريقا والى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يحيلونها عند اصنامهم فامره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والاتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن في قوله الآن لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذم وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه وان يرجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين

واختشون

واخشون واخلصوا الي الخشية اليوم اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرايع وقوانين القياس واصول الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان او اتممت نعمتي عليكم باكمال امر الدين والشرايع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا ان هذه امتكم امة واحدة فان قلت بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك يسئلونك في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوه لان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما احل لهم منها فقيل قل احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يات تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح مكلبين عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورايضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التاديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التاديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم فان قلت ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم قلت فائدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب تعلمونهن حال ثانية او استيناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ علما ان لا ياخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم دراية واغوصهم على لطايفه وحقايقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مما علمكم الله من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا ياكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف وافعل وفعل يشتركان كثيرا فكلوا مما امسكن عليكم والامساك على صاحبه ان لا ياكل لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه وعن علي رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا

تأكل وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الأكل لانها تؤدّب بالضرب ولم يشترطوه في سباع الطير ومنهم
من لم يعتبر ترك الأكل اصلا ولم يفرق بين امساك الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم
واذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل فان قلت الام رجع الضمير في قوله وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ
قلت اما ان يرجع الى ما امسكن على معنى وسمّوا عليه اذا ادركتم ذكاته او الى ما علّمتم من الجوارح اي سمّوا عليه عند ارساله
وَاتَّقُوا اللهَ اِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ اَلْيَوْمَ اُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ
قيل هو ذبائحهم وقيل مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني تغلب و
قال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رحمه الله وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى
العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه رضي الله عنهم وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب
عند ابي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون
النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سنّ بهم سنّة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم اكل دون ذبائحهم
ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيّب انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر مجوسيا ان يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس وقال
ابو ثور وان امره بذلك في الصحة فلا بأس وقد اساء وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم
طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِكُمْ والمحصنات الحرائر او العفائف وتخصيصهن بعث على تخيّر المؤمنين لنطفهم والاماء من المسلمات يصح
نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فعند ابي حنيفة هن كالمسلمات وخالفه
الشافعي وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ ويقول لا اعلم شركا اعظم
من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد اكثر الله المسلمات وانما رخص لهم يومئذ اِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ اُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ
اعفاء غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي اَخْدَانٍ صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْاِيمَانِ بشرائع الاسلام
وما احل الله وما حرّم فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِذَا قُمْتُمْ اِلَى الصَّلٰوةِ
فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَاَيْدِيَكُمْ اِلَى الْمَرَافِقِ كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهوّن
عليه في ان المراد ارادة الفعل فان قلت لم جاز ان يعبّر عن ارادة الفعل بالفعل قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل
عليه وارادته له وهي قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبّر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير
والاعمى لا يبصر اي لا يقدران على الطيران والابصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين
على الاعادة كذلك عبّر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبّب عن القدرة والارادة فاقيم المسبّب مقام
السبب للملابسة بينهما ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة المسبّب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبّر عن الفعل المبتدأ
الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبّب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلوة قصدتموها لان من توجّه الى الشيء وقام
اليه كان قاصدا له لا محالة فعبّر عن القصد له بالقيام اليه فان قلت ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة

قوله وفرق العلماء بهذا الفرق قول بعض العلماء والاكثرون على ان لا فرق بل يشترط ترك الاكل منه مطلقا كما روي عن علي رضي الله عنه ٥

وانما لم يذكر ابيهم واوثق تفصيل فيهم لان ذبائح جميعهم حلال ٥

اي المفوض مسلم اسم الله اي تفويضه الى المجوسي ٥

وقول عطاء يومئذ اي في اول الاسلام حيث لم يكن في المسلمات كثرة ٥

يقال قام الى الصلاة اذا باشرها عقيب القيام اي اذا اردتم القيام الى الصلاة ٥

هذا قول الكرامية والاشعرية لانهم يصفون الله في الازل قادرا على الحقيقة ٥

وليس المعنى تصدتم القيام الى الصلاة بخلاف المعنى الاول ٥

قوله فعبّر اي بقصد التعبير الى الشيء من القصد الى الشيء ٥

محدث

محدث وغير محدث فما وجهه قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان يكون للندب
والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضؤن لكل صلوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه السلام انه كان يتوضأ لكل
صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال
عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز فان قلت هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب ولهؤلاء
على وجه الندب قلت لا لان تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا
اول ما فرض ثم نسخ الى تفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج
قوله تعالى فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا
في كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك
حفظت القرآن من اوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع
العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة
العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل واخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
كان يدير الماء على مرفقيه وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ اِلَى الْكَعْبَيْنِ المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه
بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه وقد اخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية و
اخذ الشافعي باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة رحمه الله ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ما روي انه مسح على ناصيته وقدّر الناصية بربع الرأس وقرأ جماعة وارجلكم بالنصب فدل على ان الارجل مغسولة فان
قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح قلت الارجل من بين الاعضاء الثلثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها
فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد
في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في
الشريعة وعن علي رضي الله عنه انه اشرف على فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوّزا فقال ويل للاعقاب من النار
فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر رضي الله عنهما كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتوضأ قوم واعقابهم بيض تلوح فقال ويل للاعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر انه رأى رجلا
يتوضأ فترك باطن قدميه فامره بان يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة رضي الله عنها لان تقطعا احب الي من ان
امسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على
القدمين وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب المسح وعن الحسن انه جمع بين الامرين وروي عن الشعبي
نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرأ الحسن وارجلكم بالرفع بمعنى وارجلكم مغسولة او ممسوحة الى الكعبين وقرئ فاطّهروا
وَاِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا اي فطهروا ابدانكم وكذلك ليطهركم وَاِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى اَوْ عَلَى سَفَرٍ اَوْ جَاءَ اَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ
الْغَائِطِ اَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا وفي قراءة عبد الله فأمّوا صعيدا فامسحوا

بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه نعمته عليكم لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الاسلام وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان عدي يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم ويجوز ان يكون قوله ان تعتدوا بمعنى على ان تعتدوا فحذف مع ان ونحوه قوله عليه السلام من اتبع على ملي فليتبع لانه بمعنى احيل قوم اي شنان قوم وقرئ شنان بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا مما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة او قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد او ما اشبه ذلك على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استانف فصرح لهم بالامر بالعدل تاكيدا وتشديدا ثم استانف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى وادخل في مناسبتها او اقرب الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياؤه واحباؤه وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال قدم لهم وعدا فقيل اي شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة واجر عظيم او يكون على ارادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة او على اجراء وعد مجرى قال لانه ضرب من القول ويجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كانه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيمة فيسرون به ويستروحون اليه ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى الثواب والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم روي ان المشركين راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى صلوة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي انمار فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا بان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فنزل جبرئيل بصلوة الخوف وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعثمان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطاء يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه

فامسك الله يده ونزل جبرئيل فاخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله سلاحه بشجرة فجاء اعرابي فسل سيف رسول الله ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا فشام الاعرابي السيف فصاح رسول الله باصحابه فاخبرهم وابى ان يعاقب يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف ايديهم عنكم فمنعها ان تمد اليكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى بان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء فاخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها وقال الله اني معكم اي ناصركم ومعينكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم من ايدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتازير من واد واحد ومنه لانصرنك نصرا موزرا اي قويا وقيل معناه ولقد اخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ملكا يقيمون فيهم العدل ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار لاكفرن جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا فمن كفر بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل فان قلت من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل قلت اجل ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتماديه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم او امليناهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرا عبد الله قسية اي ردية مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء اخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع يحرفون الكلم عن مواضعه بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التورية يعني ان تركهم واعراضهم عن التورية اغفال حظ عظيم او قلوبهم وفسدت فحرفوا التورية وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية

وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد عليه السلام وبيان نعته ولا تزال تطلع ای
هذه عادتهم وهجيرا هم وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون
المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وان يسموك على خائنة منهم على خيانة او على فعلة ذات خيانة او على
نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر
خائنة مغل الاصبع وقرئ على خيانة منهم الا قليلا منهم وهم الذين آمنوا منهم فاعف عنهم واصفح ان
الله يحب المحسنين بعث على مخالفتهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف
منهم ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى اي مثل
ميثاقهم بالايمان بالله وبالرسل وبافعال الخير او اخذنا من النصارى ميثاق انفسهم بذلك فان قلت فهلا قيل
من النصارى قلت لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا
بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالصقنا والزمنا
من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به بينهم بين فرق النصارى المختلفين
وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض
العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون يا اهل الكتاب خطاب لليهود
والنصارى قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب مما تخفونه من نحو صفة
رسول الله ومن نحو الرجم ويعفوا عن كثير مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضطر اليه مصلحة دينية ولم تكن فيه فائدة الا افتضاح
حكم وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه احياء شريعة واما تزيدعة وعن الحسن ويعفوا عن كثير منكم لا يؤاخذه
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على
الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز يهدي به الله من اتبع رضوانه من آمن منهم سبل السلام طرق السلامة
والنجاة من عذاب الله او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قولهم ان الله هو المسيح معناه بت القول على ان حقيقة الله هو
المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق
ويحيي ويميت ويدبر امر العالم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا ان اراد ان يهلك
المسيح ابن مريم وامه من دعوه الها من المسيح وامه دلالة على ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد واراد بعطف ومن
في الارض جميعا على المسيح وامه انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية ولله ملك السموات
والارض وما بينهما يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر
وانثى كما خلق آدم او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك
فيجب ان ينسب اليه ولا ينسب الى البشر المجري على يده والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن

ابناء

ابناء الله واحباؤه اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما كان يقول
رهط مسيلمة نحن انبياء الله ويقول اقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم الملك اليوم
قل فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار
اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء الله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو
كنتم احباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم بل انتم بشر ممن خلق من جملة من خلق من البشر يغفر لمن يشاء وهم اهل
الطاعة ويعذب من يشاء وهم العصاة ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم اما ان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهوره ما ورد الرسول
لتبيينه او يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره او لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال اي
مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي ان تقولوا
كراهة ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم بشير و
نذير والله على كل شيء قدير وقيل كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة
وقيل اربعمائة ونيف وستون وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد اربعة
انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم وان الرسول بعث اليهم
حين انطمست آثار الوحي احوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة
فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ
جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون
ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله
فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج الى تكلف
الاعمال وتحمل المشاق وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام و
انزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام وقيل اراد عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي
ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل سماها الله لابراهيم
ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين
كتب الله لكم قسمها لكم وسماها او خط في اللوح انها لكم ولا ترتدوا على ادباركم ولا تنكصوا على اعقابكم
مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا قيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا
بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز ان يراد لا ترتدوا على ادباركم في دينكم لمخالفتكم امر
ربكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا فتنقلبوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه

وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد قَالَ رَجُلَانِ هما كالب ويوشع بن نون مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ من الذين يخافون الله ويخشونه كأنه قيل رجلان
من المتقين ويجوز ان يكون الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم
الجبارون وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان فآمنا قالا لهم ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم
وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك انعم الله عليهما
كانه قيل من المخوفين وقيل هو من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم وعيد الله
بالعقاب فان قلت ما محل انعم الله عليهما قلت ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فمرفوع
وان جعل كلاما معترضا فلا محل له فان قلت من اين علما انهم غالبون قلت من جهة اخبار موسى بذلك وقوله كتب الله لكم
وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر اعدائه وما عرفا
من حال الجبابرة والباب باب قريتهم وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا نفي لدخولهم
في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس وأَبَدًا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول ومَا دَامُوا فِيهَا بيان للابد فَاذْهَبْ
أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ يحتمل ان لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني
تريد معنى الارادة والقصد للجواب كأنهم قالوا اريدا قتالهم والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة
مبالاة بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها
رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى ان موسى وهرون خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما
ورد عليهما فهموا برجمهما ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن اشد الناس عداوة
للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع
موافق يثق به الا هرون عليه السلام قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لنصرة دينك إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي وهذا من البث والحزن
والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام انما
اشكو بثي وحزني الى الله وعن علي رضي الله عنه انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان
فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال اين تقعان مما اريد وذكر في اعراب اخي وجوه ان يكون منصوبا عطفا على نفسي او على
الضمير في اني بمعنى لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه ومرفوعا عطفا على محل ان واسمها كانه قيل انا لا
املك الا نفسي وهرون كذلك لا يملك الا نفسه او على الضمير في لا املك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير
في نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على الضمير المجرور الا بتكرير الجار فان قلت اما كان معه الرجلان المذكوران قلت كأنه
لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من احوال قومه وتلونهم فلم يذكر
الا النبي المعصوم الذي لا شبهة في امره ويجوز ان يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه و
يجوز ان يريد ومن يؤاخيني على ديني فَافْرُقْ فافصل بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق و

تحكم

تحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله قَالَ فَإِنَّهَا فان الارض المقدسة مُحَرَّمَةٌ
عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً على وجه التسبيب وفباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين
فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله
لكم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم والثاني
ان يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب فقد روي ان موسى سار بمن بقي من بني اسرائيل
وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فاخبرهم بانه
نبي الله وان الله امره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم الى اريحا وقتل الجبارين واخرجهم وصار الشام كله
لبني اسرائيل وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشأت نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا
الجبارين ودخلوها والعامل في الظرف اما محرمة واما يتيهون ومعنى يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ يسيرون فيها متحيرين
لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى
اذا سئموا وامسوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم و
ينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله فان قلت فلم
كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع
ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه
واحسانه فان قلت هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلام قلت اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه
كان عقابا وقد طلب موسى الى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك لهما روحا وسلاما لا عقوبة
كالنار لابراهيم وملائكة العذاب وروي ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته
بثلاثة اشهر ومات النقباء في التيه بغتة الا كالب ويوشع فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ فلا تحزن عليهم لانه ندم
على الدعاء عليهم فقيل انهم احقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ هما ابنا
آدم لصلبه قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها
اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار
فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني اسرائيل بِالْحَقِّ تلاوة ملتبسة بالحق
والصحة او اتل نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين
واهل الكتاب كانوا كلهم يحسدون رسول الله ويبغون عليه او اتل عليهم وانت محق صادق وإِذْ قَرَّبَا نصب بالنبأ اي
قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف
المضاف قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ والقربان
اسم ما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب

مطاوع قرّب قال الأصمعي تقرّبوا قرف القمع فيعدّى بالباء حتى يكون بمعنى قرّب فان قلت كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لأقتلنك قلت لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له انما اوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله تعالى لا يقبل طاعة الا من مؤمن متقي فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال اني اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرّج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ان تحتمل اثم قتلي لك لو قتلتك واثم قتلك لي فان قلت كيف يحتمل اثم قتله له فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ولا تزر وازرة وزر اخرى قلت المراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على ان البادي عليه اثم سبّه ومثل اثم سبّ صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ دافع عن عرضه ألا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج من حد المكافاة واعتدى لم يسلم فان قلت فحين كف هابيل عن قتل اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان قلت هو مقدّر فهو يتحمل مثل الاثم المقدّر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي وقيل باثمي باثم قتلي وباثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك فان قلت فكيف جاز ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه بالنار قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جاز ان يراد الا ترى الى قوله وذلك جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله جاز ان يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجرّه من استحقاق العقاب فان قلت لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما انا بباسط قلت ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك اكّده بالباء المؤكدة للنفي فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فوسّعته له ويسّرته من طاع له المرتع اذا اتسع فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان ان يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعّل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم يمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله قيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ روي انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فقال يا ويلتى اعجزت وروي انه لما قتله اسودّ جسده وكان ابيض

فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسودّ جسدك وروي ان آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر لِيُرِيَهُ الله او ليريه الغراب اي ليعلّمه لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ عورة اخيه وما لا يجوز ان يتكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال * يا لقومي للسوأة السوأى * اي للفضيحة العظيمة فكني بها عنها قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فانا اواري او على التسكين في موضع النصب للتخفيف سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيّره في امره وتبيّن له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم التائبين مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ بسبب ذلك وبعلته وقيل اصله من اجل شرا اذا جناه يأجله أجلا ومنه قوله * واهل خباء صالح ذات بينهم * قد احتربوا في عاجل انا آجله * كانك اذا قلت من اجلك فعلت كذا اردت من ان جنيت فعلته واوجبته ويدل عليه قولهم من جرّاك فعلته اي من ان جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من ان جنى ذلك القتل الكتب وجرّه كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ومن لابتداء الغاية اي ابتداء الكتب ونشأه من اجل ذلك وقد يقال لاجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال * اجل ان الله قد فضلكم * وقرئ من اجل بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها وقرأ ابو جعفر من اِجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا لكسرة الهمزة عليها أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص أَوْ فَسَادٍ عطف على نفس بمعنى او بغير فساد فِي الْأَرْضِ وهو الشرك وقيل قطع الطريق فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا فان قلت كيف شبّه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم قلت لان كل انسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذا بين الواحد والجميع في ذلك فان قلت فما الفائدة في ذكر ذلك قلت تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس اذا تصوّر قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي اراد احياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم أرأيت لو قتلت الناس جميعا اكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به كلا انه شيء سوّلته لك نفسك والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ يعني في القتل لا يبالون بعظمته إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين في حكم محاربته وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا مفسدين او لان سعيهم في الارض لما كان على طريق الفساد نزّل منزلة ويفسدون في الارض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له اي

للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله
عليهم وقيل في العرنيين فاوحى اليه ان من جمع بين القتل واخذ المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن
افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة السبيل ومن افرد الاخافة نفي من الارض وقيل هذا حكم
كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما ان يقتلوا ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل
ان جمعوا بين القتل والاخذ قال ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله يصلب حيا ويطعن حتى يموت او تقطع ايديهم و
ارجلهم من خلاف ان اخذوا المال او ينفوا من الارض اذا لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعة منهم الحسن
والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفي الحبس عند ابي حنيفة وعند الشافعي
النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى
تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم
الا الذين تابوا استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة واما حكم القتل والجراح واخذ المال
فالى الاولياء ان شاؤوا عفوا وان شاؤوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعدما كان
يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون الوسيلة كل ما يتوسل به اي يتقرب من قرابة او صنيعة
او غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي وانشد للبيد: ارى الناس
لا يدرون ما قدر امرهم الا كل ذي لب الى الله واسل ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا و
مثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب
اليم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال
للكافر يوم القيمة ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ما هو ايسر
من ذلك ولو مع ما في حيزه خبر ان فان قلت لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان قلت هو نحو قوله
فاني وقيار بها لغريب او على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان يكون الواو في
ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه فان قلت فبم ينتصب المفعول معه قلت بما يستدعيه لو من الفعل لان التقدير لو
ثبت ان لهم ما في الارض جميعا يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم قرأ ابو واقد
ان يخرجوا بضم الياء من اخرج ويشهد لقراءة العامة قوله بخارجين وما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال
لابن عباس يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله وما هم بخارجين منها فقال ويحك
اقرأ ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس باول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن
الازرق ابن عم رسول الله وهو بين اظهر اعضاده من قريش وانضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الامة
وبحرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلي ناصعين ان الحديث فرية

ما فيهما غرابة والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كانه قيل وفيما فرض عليكم السارق
والسارقة اي حكمهما ووجه آخر وهو ان يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا ايديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط
لان المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب
وفضلها سيبويه على قراءة العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه احسن من زيد فاضربه ايديهما يديهما ونحوه فقد صغت
قلوبكما اكتفي بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف والمراد باليد اليمين بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات
فاقطعوا ايمانهم والسارق في الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب
به القطع عشرة دراهم عند ابي حنيفة وعند الشافعي ومالك ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر من قطع
يدك في درهم جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم جزاء ونكالا مفعول لهما فمن تاب من السراق
من بعد ظلمه من بعد سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات فان الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب
الآخرة واما القطع فلا تسقطه التوبة عند ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي في احد قوليه تسقطه ان الله غفور
رحيم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من
المصرين والتائبين والله على كل شيء قدير وقيل يسقط حد الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى له الى الاسلام و
ابعد من التنفير عنه ولا يسقط عن المسلم لان في اقامته الصلاح للمؤمنين والحيوة ولكم في القصاص حيوة فان قلت لم قدم التعذيب
على المغفرة قلت لانه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين
قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب قرئ لا يحزنك بضم الياء و يسرعون
والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر اي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين
فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم
في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه اسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا مفعول قالوا وبافواههم متعلق بقالوا لا بآمنا ومن
الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون اي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز ان يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون
على هم سماعون والضمير للفريقين او للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما يفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب
على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم آخرين لم يأتوك
يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما افرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ
من العداوة اي قابلون من الاحبار ومن اولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل
سماعون الى رسول الله لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون
من رسول الله لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون
يهود خيبر يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه من بعد مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان
ذا موضع يقولون ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه فاحذروا

محمد بخلافه فاحذروا وإياكم وإياه فهو الباطل والضلال وروي أن شريفًا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدّهما الرجم
في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطًا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد
والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل
اجعل بينك وبينهم ابن صوريا حكمًا فقال هل تعرفون شابًا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا
نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكمًا فقال له رسول الله انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق
البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم
على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله عن
اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به
المرسلون وامر رسول الله بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته تركه مفتونًا وخذلانه فلن تملك
له من الله شيئًا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئًا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ان
يمنحهم من ألطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون بآيات الله
لا يهديهم الله كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد ايمانهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم
سماعون للكذب أكالون للسحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة كما قال
الله تعالى يمحق الله الربا والربا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من
سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا ياخذون الرشى على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان
الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه
فياكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي ان عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم الغراضة وجعل يحدثهم بما جرى له
في عمله فقال اعرابي من القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم
انبته السحت فالنار اولى به فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم قيل كان رسول الله مخيرًا اذا تحاكم اليه اهل
الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي انهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين فان شاؤا
حكموا وان شاؤا اعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله وعند ابي حنيفة رضي الله عنه ان احتكموا الينا
حملوا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة او سرق من مسلم شيئًا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة
الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي عليه السلام رجم اليهوديين
قبل نزول الجزية وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئًا لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون
عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه عنهم وكانوا خلقاء بان
يعادوه ويضاروه فامن الله سربه وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين بالعدل والاحتياط
كما حكم بالرجم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه

قوله وإياكم أي اتقوا أنفسكم أن تتعرضوا لذلك الحكم وإياه أي اتقوا الحكم أن يتعرضكم ويلزمكم وقوله وإياكم وإياه مثل إياك والأسد ٥

أي هذه تعدية المقدم من سفره ٥

كالتعليل لقوله لا يبرون فلذلك لم يأت بالجواب أو جواب سؤال ٥

سرب بكسر السين وفتحها الطريق فلان آمن في سربه بكسر السين أي في نفسه ٥

التعجيب متعلق بهذا المجموع وهو تحكيمهم ثم إعراضهم لأنهم لما حكموه بما هو في كتابهم كان الحق ثم وجدوا الحكم سواء فكان في كتابهم كان الحق أن يقبلوا الحكم ولا يعرضوا عنه فإذا لم يفعلوا كان موضع التعجيب وظهر أنهم غير مؤمنين بكتابهم ٥

مع

مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك
عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما أولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون او وما اولئك بالكاملين في
الايمان على سبيل التهكم بهم فان قلت فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب قلت اما ان ينتصب حالا من التوراة وهي
مبتدأ خبره عندهم واما ان يرتفع خبرًا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله واما ان لا يكون له محل ويكون
جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره
فان قلت لم انثت التوراة قلت لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوها في كلام العرب فان قلت علام عطف
ثم يتولون قلت على يحكمونك إنا أنزلنا التوراة فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام
يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات
الجارية على القديم سبحانه وتعالى لا للتفصلة والتوضيح واريد باجرائها التعريض باليهود وانهم بعداء من ملة الاسلام
التي هي دين الانبياء كلهم في القديم والحديث وان اليهودية بمعزل منها وقوله الذين اسلموا للذين هادوا مناد على ذلك
والربانيون والأحبار والزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود بما
استحفظوا من كتاب الله بما سألهم انبياؤهم حفظه من التوراة اي بسبب سؤال انبيائهم اياهم ان يحفظوه
من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم باحكام
التوراة النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما الف نبي للذين هادوا يحملونهم على احكام التوراة لا يتركونهم
ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله من حملهم على حكم الرجم وارغام انوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك
حكم الربانيون والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب كونهم
عليه شهداء ويجوز ان يكون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله اي
كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم
وادهانهم فيها وامضائها على خلاف ما امروا به من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة اذية احد من القرباء والاصدقاء
ولا تشتروا ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآياتي واحكامه بآياتي ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء
الجاه ورضاء الناس كما حرف احبار اليهود كتاب الله وغيروا احكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا ومن
لم يحكم بما أنزل الله مستهينا به فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو
في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بان حكموا بغيرها وعن ابن عباس ان الكافرين والظالمين والفاسقين
اهل الكتاب وعنه نعم القوم انتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب وقيل من جحد حكم الله كفر
ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه الآية في اهل الاسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في
النصارى وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة انه قال انتم اشبه الامم سمتا ببني اسرائيل لتركبن طريقهم
حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري تعبدون العجل ام لا وكتبنا عليهم فيها أن النفس

ي مكان وكتبنا عليهم فيها وانزل الله على بني اسرائيل فيها وفي مصحف ابي انفا وان الجروح قصاص ٥

حوماة جماعة والدوداة الارجوحة الصبي اي يحب بمنزلة حوماة في الوزن ودوداة الشباب ٥

الذين اسلموا ص

ولما كان معنى قوله وكانوا عليه شهداء وبسبب كونهم عليه شهداء بين ذلك حيث بين بما هو الآية بمعنى بما استحفظوا بينه هنا وقال وبسبب كونهم عليه شهداء ٥

اي ادهان بالمصانعة والمداهنة فيه ٥

القذة بالقذة ريش السهم ٥ القذة ... ومنها يقال ... يضرب في ... الشبه ٥

بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص في مصحف ابي وانزل الله على
بني اسرائيل فيها وفيه وان الجروح قصاص والمعطوفات كلها قريت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل ان
النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس
بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرات سورة انزلناها ولذلك قال الزجاج
لو قرئ ان النفس بالكسر لكان صحيحا او للاستيناف والمعنى فرضنا عليهم فيها ان النفس ماخوذة بالنفس مقتولة
بها اذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن
والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة
وعن ابن عباس كانوا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت فمن تصدق من اصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة
له فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله يهدم عنه ذنوبه
بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة ابي فهو كفارته له يعني
فالمتصدق كفارته له اي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فاجره على الله وترغيب في
العفو ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقفينا قفيته مثل عقبته اذا اتبعته ثم
يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه الى الثاني بزيادة الباء فان قلت فاين المفعول الاول في الاية قلت هو محذوف
والظرف الذي هو على آثارهم كالساد مسده لانه اذا قفى به على اثره فقد قفى به اياه والضمير في آثارهم للنبيين في
قوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية واتيناه الانجيل
وقرا الحسن الانجيل بفتح الهمزة فان صح عنه فلانه اعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر فيه
هدى ونور ومصدقا عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال لما بين يديه من التورية وهدى و
موعظة للمتقين يجوز ان ينتصبا على الحال لقوله مصدقا وان ينتصبا مفعولا لهما كقوله وليحكم اهل الانجيل
كانه قيل وللهدى والموعظة اتيناه الانجيل وللحكم بما انزل الله فيه من الاحكام ومن لم يحكم بما
انزل الله فاولئك هم الفاسقون فان قلت فان نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم قلت اصنع
به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فاقدر وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله اتيناه اياه و
قرئ وليحكم على لفظ الامر بمعنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة ابي وان ليحكم بزيادة ان مع الامر على ان ان موصولة
بالامر كقولك امرته بان قم كانه قيل واتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل وقيل ان عيسى كان متعبدا بما
في التورية من الاحكام لان الانجيل مواعظ وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل
الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وان ساغ لقائل ان يقول معناه وليحكموا بما انزل
الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية فان قلت اي فرق بين التعريفين في قوله وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا
وقوله لما بين يديه من الكتاب قلت الاول تعريف العهد لانه عنى به القرآن والثاني تعريف الجنس لانه عنى به جنس

الكتب

قوله لان المعنى انما احتاج الى هذه المعذرة لانه انما يعطف على اسم ان المكسورة دون المفتوحة ٥
قوله لان المعنى اشارة الى ان محل النفس رفع ٥

الموازنة مذهب المعتزلة ٥

قوله فهو كفارة للجاني اي تصدق ولي الدم كفارة للجاني ثم بينه بقوله اذا تجاوز الى آخره جملة مبينة لقوله فهو كفارة للجاني ٥
قوله كفارته له هو كما تقول زيد كما له كم ٥
قفوت اثره قفوا وقفوا اذا اتبعته وقفيت على اثره بفلان اذا اتبعته اياه هكذا في الصحاح لكن المصنف اشار الى انه جا قفيت بمعنى قفوت متعديا الى مفعول واحد فاذا اريد تعديته الى الثاني عدي بالباء ومثله عقب فانه يتعدى الى واحد بنفسه والى آخر بالباء قال في الصحاح عاقبه جاء بعقبه فهو معاقب وعقيب ايضا والتعقيب ايضا فقول المصنف اذا اتبعته بتشديد التاء بعد همزة الوصل ويجوز تبعته من تبع يتبع بالكسر في الماضي ٥

بسكون اللام والميم فيكون عطفا على قوله اتيناه بتقدير قلنا كما اشار اليه ٥
اراد بالموصول ما لا يتم الا بما بعده فهو مصدرية نحو ان تفعل وجاءني الذي عرفته ٥

الكتب المنزلة ويجوز ان يقال هو للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق وانما اريد نوع معلوم
منه وهو ما انزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات
وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اي هومن عليه بان حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
والذي هيمن عليه الله عز وجل او الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه او حركة او سكون لتنبه عليه كل احد ولاشمأزوا
رادين ومنكرين ضمن فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق ولا تتبع معنى ولا تنحرف
فلذلك عدي بعن فكانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة
شريعة وقرا يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على انا غير متعبدين
بشرائع من قبلنا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة او ذوي امة واحدة اي
دين واحد لا اختلاف فيه ولكن اراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين
انها مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين بان الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة ام
تتبعون الشبه وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها الى الله مرجعكم جميعا
استيناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم فيخبركم بما كنتم فيه تختلفون بما لا تشكون معه من
الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل فان قلت وان احكم معطوف على ماذا قلت على الكتاب
في قوله وانزلنا اليك الكتاب كانه قيل وانزلنا اليك ان احكم على ان ان وصلت بالامر لانه فعل كسائر الافعال ويجوز
ان يكون معطوفا على بالحق اي انزلناه بالحق وبان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان
يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ان يضلوك عنه ويستزلوك وذلك ان كعب بن اسيد وعبد الله بن
صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا له يا محمد قد عرفت انا احبار
اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي
لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدق قلت فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم بما انزل
الله اليك واراد واغيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه
فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها
وهذا الابهام لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد او يرتبط بعض
النفوس حمامها اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اي نفس فكما ان
التنكير يعطي معنى التعظيم وهو في معنى البعضية فكذلك اذا صرح بالبعض وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون
في الكفر معتدون فيه يعني ان التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر افحكم الجاهلية يبغون فيه
وجهان احدهما ان بني قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثاني ان يكون تعبيرا

لليهود بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع
الى وحي من الله وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم
الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ يبغون بالياء والتاء وقرأ ابن
افحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه عن الصلة في اهذا
الذي بعث الله رسولا وعن الصفة في الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن الحال في مررت بهند يضرب زيد
وقرأ قتادة افحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم به افعى نجران او نظيره من حكام الجاهلية
فارادوا بسفههم ان يكون محمد خاتم النبيين حكما كاولئك الحكام ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
اللام في قوله لقوم للبيان كاللام في هيت لك اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين
يتبينون ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء تنصرونهم
وتستنصرونهم وتواخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض
اي انما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ومن يتولهم منكم
فانه منهم من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراءى ناراهما ومنه قول عمر لابي موسى رضي الله عنهما في كاتبه النصراني لا تكرموهم
اذ اهانهم الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله وروي انه قال له ابو موسى لا قوام للبصرة الا به
فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن
عنه بغيره ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله الطافه ويخذلهم
مقتا لهم فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ينكمشون في موالاتهم و
يرغبون فيها ويعتذرون بانهم لا يأمنون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان اي صرف من صروفه ودولة من
دوله فيحتاجوا اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من
يهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف
الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار
المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين
فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون في امر رسول الله ويقولون ما يظن ان
يتم له امر وبالحري ان يكون الدولة والغلبة لهؤلاء وقيل وامر من عنده او ان يؤمر النبي عليه السلام باظهار اسرار
المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل وامر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير الذين طرح الله في
قلوبهم الرعب فاعطوا بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب عطفا
على قوله ان يأتي وبالرفع على انه كلام مبتدأ اي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف

مكة

مكة والمدينة والشام كذلك على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا اهؤلاء
الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم فان قلت لمن يقولون هذا القول قلت اما ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا
من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم و
معاضدوكم على الكفار واما ان يقولوه لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم
لننصرنكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين من جملة قول المؤمنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي
اعين الناس وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم او من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال
وتعجبا من سوء حالهم يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه قرئ من يرتد ومن يرتدد وهو في الامام
بدالين وهو من الكائنات التي اخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلث في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى
على بلاده واخرج عمال رسول الله فكتب رسول الله الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدي فيروز الديلمي
بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد
واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما
بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من
يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول
قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي واسلامي وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ
فبعث اليه رسول الله خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة
قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك
بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري
في كتاب استغفر واستغفري. امت سجاح ووالاها مسيلمة. كذابة في بني الدنيا وكذاب. وكندة قوم الاشعث
بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يدي ابي بكر. وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله
عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه فسوف يأتي الله بقوم قيل لما
نزلت اشار رسول الله الى ابي موسى الاشعري فقال قوم هذا وقيل هم الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة
آلاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الانصار وقيل سئل رسول الله عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال
هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس يحبهم ويحبونه محبة العباد له ارادة
طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على
طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم واما ما يعتقده اجهل الناس واعداهم للعلم واهله وامقتهم للشرع و
اسوأهم طريقة وان كانت طريقتهم عند امثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة من الصوف وما يدينون

والمتفعلة من الصوف هي المتصوفة ٥

المفتعلة المفترية ٥

على هذا الخطاب لبعض المؤمنين المخاطبين ٥

انما تقولون اهؤلاء الذين ... ٥

الخطاب مع اليهود ... يعتقدون

سمي ذو الحمار ... ٥

... مع عدم الصرف ٥

يجوز في سجاح البناء والاعراب

امت بالتخفيف والتشديد في الائمة والامامة وقد اسلمت وحسن اسلامها وقيل امت بالقصر والمد اي صارت امة لمسيلمة ٥

لطمه واحد من المسلمين من الانصار وكان جبلة يطوف بالكعبة فوطئ الانصاري ازاره فانكشفت عورته فلطمه لطمة فرفع الى عمر رضي الله عنه فقضى بالقصاص فاستمهل ولحق بالروم وتنصر وفيه يقول حسان بن ثابت. تنصرت الاشراف من عار لطمة. وما كان فيها لو تجاوزت من خطر. تداخلني فيها لجاج ونخوة. وكنت كمن باع السلامة بالغدر ٥

النخع موضع بينه وبين الكوفة خمس عشر ميلا ٥

افعى اسم رجل كانه سمي به لدهائه ٥

اي هلم كانه يقول هذا الامر لك لان في قولك هيت ضمير المستتر هو فاعله فتعين ان يكون لك للبيان ٥

ما الاستفهامية مبتدأ ولمن خبره ولموالاتهم عطف عليه والضمير في دينه يعود الى من وفي دينهم وموالاتهم الى اليهود والنصارى هذا التركيب مثل قولك ما لزيد وعمرو وفيه معنى المعية والمقاربة كما في قولك ما لك وزيدا والاستفهام بمعنى الانكار فيؤول المعنى الى انكار مقاربة المؤمنين موالاة اليهود والنصارى واذا لم يتقاربوا موالاتهم لا يوالونهم فالمعنى لا ينبغي ان يوالوهم ٥

انكمش اي اسرع ٥ الواو في لا يأمنون وكذا الضمير في تصيبهم يعود الى الذين في قلوبهم مرض ٥

ضمن الفتح معنى النصرة والغلبة فلذلك عداه بعلى ويؤيده قوله واظهار المسلمين عطفا على الفتح بطريق البيان ٥

الشافة قرحة تخرج في اسفل القدم فتكوى فتذهب يقال في مثل استاصل الله شافته اي اذهبه الله كما ذهب تلك القرحة بالكي ٥

يقال اعطى بيده اي انقاد ٥

وجف الشيء اذا اضطرب واوجفته انا قال تعالى فما اوجفتم عليه من خيل ٥

بر من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بابيات الغزل المقولة في المردان الذين
يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي اين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما انه بذاته
يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه ان تلحقه سكرات
المحبة فاذا لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة فان قلت اين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو محذوف معناه
فسوف ياتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم وما اشبه ذلك **اذلة** جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل
الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه ان ذلولا لا يجمع على اذلة **على المؤمنين اعزة على الكافرين** فان قلت هلا قيل
اذلة للمؤمنين اعزة على الكافرين قلت فيه وجهان احدهما ان يضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين
عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم
ونحوه قوله عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحال **يجاهدون في سبيل الله
ولا يخافون لومة لائم** يحتمل ان يكون الواو للحال على معنى انهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين
فانهم كانوا موالين لليهود لعنت فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون
انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وان يكون للعطف على
ان من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وانهم صلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من امور الدين انكار منكر او امر بمعروف
مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم في انكارهم وصلابتهم
في امرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام **ذلك**
اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة **فضل الله يؤتيه** يوفق له
من يشاء ممن يعلم ان له لطفا **والله واسع** كثير الفواضل والالطاف **عليم** بمن هو من اهلها عقب النهي عن موالاة
من يجب معاداتهم ذكر من يجب موالاتهم بقوله **انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا** ومعنى انما وجوب اختصاصهم
فان قلت قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما اولياؤكم قلت اصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الاصالة
ثم نظم في سلك اثباتها له اثباتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله و
رسوله والذين امنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع وفي قراءة عبد الله انما مولاكم فان قلت **الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة** ما محله قلت الرفع على البدل من الذين امنوا او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تمييز
للخلص من الذين امنوا نفاقا او واطات قلوبهم السنتهم الا انهم مفرطون في العمل **وهم راكعون** الواو فيه للحال
اى يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون
الزكوة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلوة وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل في الصلوة وهو راكع
فطرح له خاتمه كانه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلوته فان قلت كيف صح ان يكون لعلي
واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه

ولينبه

ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء حتى ان
لزهم امر لا يقبل التاخير وهم في الصلوة لم يؤخروه الى الفراغ منها **ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان
حزب الله** من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم **هم الغالبون** ولكنهم بذلك جعلوا اعلاما لكونهم
حزب الله واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى
ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا و
لعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء** روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام
ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم
اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار وان
كان اهل الكتاب من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين اشركوا
وقرئ والكفار بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة ابي ومن الكفار **واتقوا الله** في موالاة الكفار وغيرها **ان
كنتم مؤمنين** حقا لان الايمان حقا يابى موالاة اعداء الدين **واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها** الضمير للصلوة
او للمناداة وقيل **هزوا ولعبا** كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله
حقا قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق
البيت واحترق هو واهله وقيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده **ذلك بانهم قوم لا
يعقلون** لان لعبهم وهزؤهم من افعال السفهاء والجهلة فكانه لا عقل لهم **قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا** قرأ
الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون **الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما
انزل من قبل** الا الايمان بالكتب المنزلة كلها **وان اكثركم فاسقون** فان قلت علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون
قلت فيه وجوه منها ان يعطف على ان امنا بمعنى وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كانه
قيل وما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وانتم خارجون منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف
اي واعتقاد انكم فاسقون ومنها ان يعطف على المجرور اى وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم
فاسقون ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي وما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم فاسقون ويجوز ان يكون تعليلا معطوفا
على تعليل محذوف كانه قيل وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير
الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال
اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم
ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم بفعل محذوف يدل
عليه هل تنقمون منا اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم
عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا **قل هل انبئكم بشر**

من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله ذلك اشارة الى المتقدم ولابد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله قل افانبئكم بشر من ذلكم النار او في محل الجر على البدل من شر وقرئ مثوبة ومثالها مشورة ومشورة فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم فان قلت المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة قلت كان اليهود لعنوا يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة ابي وعبدوا الطاغوت على المعنى وقرا ابن مسعود ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال ابني لبيني ان امكم امة وان اباكم عبد وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة او هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد واعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله فان قلت كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوها والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس اطاعوا الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وقرا الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة اصحاب السبت والخنازير كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم اولئك اي الممسوخون الملعونون شر مكانا واضل عن سواء السبيل جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قولك اولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية التي هي اخت المجاز واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله تعالى بشانهم وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه حالان اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله متوقعا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم والظلم

فهي استعارة تهكمية ٥

قوله[٢] شورك ليس فيه ضمير بل هو مسند الى قوله بينهم اي بين الفريقين وانما جمع مع عوده الى الفريقين باعتبار المعنى لان الفريقين جمع ٥

قوله[٣] وعبد الطاغوت القراءة بفتح العين ونصب التاء من السبعة وكذا بضم الباء وجر الطاغوت والبواقي من الشواذ ٥

قوله[عا] فان قلت كيف جاز هذا السؤال يرد على مذهبه واما على مذهب اهل السنة والجماعة فلا يرد لانهم يقولون يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ٥

[علا] ويلزم من هذا الوجه الثاني استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه لانه في المعطوف عليه بمعنى اخر وفي المعطوف بمعنى اخر حينئذ ٥

لانه لا يلعن المكان حتى يلعن اهله قال ويجوز ان يكون اسنادا مجازيا مثل يطوهم الطريق ٥

وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون كانهم جعلوا آثم من مرتكب المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع ولعمري ان هذه الآية مما يقد السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس هي اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها وقالت اليهود يد الله مغلولة غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه كانهما كلامان متعقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارته من غير استعمال يده وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان قبض اليد وبسطها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا يصح اليد كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله اذ اصبحت بيد الشمال زمامها ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل امثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبثت به فان قلت قد صح ان قولهم يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدم والا تنافر الكلام وزل عن سننه قلت يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر النخعي بقيت وفري وانحرفت عن العلى ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة يغلون في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع فان قلت كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد قلت المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق اعراضهم فان قلت لم ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة قلت ليكون رد قولهم وانكاره ~~ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان~~ ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بما قالوا بسكون العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف يشاء تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا فيه وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك

مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فكلمهم ابدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التورية فبعث الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله من كتبهم وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مع ما عددنا من سيئاتهم آمَنُوا برسول الله وبما جاء به وَاتَّقَوْا وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ مع المسلمين جَنَّاتِ النَّعِيمِ الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم عبارة عن التوسعة وفيه ثلثة اوجه ان يفيض عليهم بركات السماء وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ طائفة حالها امم في عداوة رسول الله وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من النصارى وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوء عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ جميع ما انزل اليك بلغ واي شيء انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائفا ان ينالك مكروه وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس ان كتمت اية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت فان قلت وقوع قوله فما بلغت رسالاته جزاء للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لا خفاء بشناعته فقيل ان لم تبلغ منها ادنى شيء وان كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع

قوله بما يدليه وهو كون الكل كلام الله تعالى والجميع في ذلك سواء فيلزم بتبليغ البعض ...

قوله بشناعته معمول مطلق باول عامه وهو قوله فقيل ان لم تبلغ الى آخره كانه قال عظم ترك تبليغ البعض كما عظم ...

لانه يصير تقدير الكلام هكذا فان لم تبلغ فما بلغت فلا يكون بينهما ربط

الذي

الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد فان لم تفعل فلك ما يوجب كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه السلام فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك فما عذرك في مراقبتهم فان قلت اين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم احد وكسرت رباعيته قلت المراد انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء عليهم السلام وقيل نزلت بعد يوم احد والناس الكفار بدليل قوله إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك وعن انس كان رسول الله يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة آدم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ اي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شانه وفي امثالهم اقل من لا شيء حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فلا تتاسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفي المؤمنين غنى عنهم إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وانشد سيبويه شاهدا له ۞ والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق ۞ اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك فان قلت هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان فان قلت لم لا يصح والنية به التاخير وكانك قلت ان زيدا منطلق وعمرو قلت لاني اذا رفعته رفعته عطفا على محل ان واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب ان يكون هو العامل في الخبر لان الابتداء ينتظم الجزئين في عمله كما ينتظمهما ان في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التاخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لاعملت فيهما رافعين مختلفين فان قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها فان قلت ما التقديم والتاخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك ان الصابئين ابين هؤلاء المعدودين ضلالا واشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم صبأوا عن الاديان كلها اي خرجوا كما ان الشاعر قدم قوله وانتم تنبيها على المخاطبين اوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم اوغل فيه منهم واثبت قدما فان قلت فلو قيل والصابئين وايا كم لكان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لانه لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام فان قلت كيف قيل الذين آمنوا ثم قيل من آمن قلت فيه وجهان ان يراد بالذين آمنوا

بالسنتهم وهم المنافقون وان يراد بمن آمن من ثبت على الايمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه فان قلت فما محل من
آمن قلت اما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتداء معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر ان واما
النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليها او من المعطوف عليه فان قلت فاين الراجع الى اسم ان قلت محذوف تقديره من
امن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرا يستهزيون والصابون
وهو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل والسمع وفي قراءة ابي والصابئين
بالنصب وبها قرا ابن كثير وقرا عبد الله يا ايها الذين امنوا والذين هادوا والصابئون لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل
بالتوحيد وارسلنا اليهم رسلا ليقفوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية
وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف اي رسول منهم بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم
من مشاق التكليف والعمل بالشرايع فان قلت اين جواب الشرط فان قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن
الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان تقول ان اكرمت اخي اخاك اكرمت قلت هو محذوف
يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستانف كأن قائلا
يقول كيف فعلوا برسلهم فان قلت لم جيء باحد الفعلين ماضيا وبالآخر مضارعا قلت جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية
استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجب منها وحسبوا ان لا تكون قرئ بالنصب على الظاهر وبالرفع
على ان ان هي المخففة من الثقيلة اصله انه لا تكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشان فان قلت كيف دخل فعل الحسبان
على ان التي هي للتحقيق قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم فان قلت فاين مفعولا حسب قلت سد ما يشتمل
عليه صلة ان او ان من المسند والمسند اليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله فتنة اي بلاء
وعذاب في الدنيا والآخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم ثم تابوا عن عبادة
العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ
عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك
وركبته اذا ضربته بركبتك كثير منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث او هو خبر مبتدا محذوف
اي اولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا
بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي لم يفرق عيسى صلوات الله عليه بينه وبينهم في انه عبد مربوب كمثلهم
وهو احتجاج على النصارى انه من يشرك بالله في عبادته او فيما هو مختص به من صفاته او افعاله فقد حرم
الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين اي حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه وماويه النار وما
للظالمين من انصار من كلام الله على انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه
ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى على معنى ولا ينصركم احد فيما
تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول او ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله لقد كفر الذين

انما قيل من انصار بغير ايهم لانهم كانوا يعتقدون ان لهم انصارا كثيرا فيما يقولون ويعتقدون فنفى الله ذلك ٥

قالوا

قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم
عذاب اليم من في قوله وما من اله الا اله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا اله الا الله
والمعنى وما اله قط في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله ليمسن الذين كفروا
منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فان قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب اليم قلت في اقامة الظاهر مقام
المضمر فائدة وهو تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله وفي البيان فائدة اخرى وهي الاعلام في
تفسير الذين كفروا انهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب اليم اي نوع شديد
الالم من العذاب كما تقول اعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التي يجوز ان يتناولها
عشرون ويجوز ان تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية افلا يتوبون
الى الله ويستغفرونه الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه
تعجيب من اصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من
قبله الرسل صفة لرسول اي ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما اتوا بامثالها
ان ابرأ الله الاكمه والابرص واحيا الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى وان خلقه من
غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء
المؤمنات بهم فما منزلتهما الا منزلة بشرين احدهما نبي والآخر صحابي فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى وصفتموهما
بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع انه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب
اليهما في قوله كانا ياكلان الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا
جسما مركبا من عظم ولحم وعروق واعصاب واخلاط وامزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع
مؤلف مدبر كغيره من الاجسام انظر كيف نبين لهم الآيات اي الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم
ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله فان قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر قلت معناه بعد
ما بين العجبين يعني انه بين لهم الآيات بيانا عجبا وان اعراضهم عنها اعجب منه قل اتعبدون من دون الله ما
لا يملك هو عيسى عليه السلام لكم ضرا ولا نفعا اي شيئا لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا و
المصائب في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر
من المضار والمنافع فباقدار الله وتمكينه فكانه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله لا
يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم
متعلق باتعبدون اي اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون او اتعبدون العاجز والله
هو السميع العليم الذي يصح منه ان يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حي قل يا اهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم غير الحق صفة للمصدر اي لا تغلو في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا لان الغلو في الدين

غلوان حق وهو ان يفحص عن حقايقه ويفتش عن اباعد معاينه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من اهل العدل و
التوحيد رضوان الله عليهم اجمعين وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع الشبه كما يفعل
اهل الاهواء والبدع ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل هم ائمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث
النبي عليه السلام واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سواء السبيل
حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم نزل الله لعنهم
في الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم
آية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعدما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا
من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون اي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشيء
آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما
كانوا يفعلون للتعجب من سوء فعلهم مؤكدا بالقسم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة
عبئهم به كانه ليس من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب فان قلت كيف
وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء قلت من قبل ان الله عز وجل امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية
وهو اعتداء لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه فان قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد
الفعل قلت معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض في
الفسق وآلاته تسوى وتهيا فتنكر ويجوز ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال
تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم هم منافقوا اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين و
يصافونهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم
ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون و
لو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولو كانوا يؤمنون ايمانا خالصا غير نفاق ما
اتخذوا المشركين اولياء يعني ان موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان ولكن كثيرا
منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء
كما لم يوالهم المسلمون لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة
للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا
ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة
اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة
للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن

العريكة الطبيعة يقال فلان لين العريكة اي سلس
منقاد ولانت عريكته اي انكسرت نخوته ٥

الذين

الذين اشركوا ولعمري انهم كذلك واشد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله وعلل سهولة مأخذ
النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا اي علماء وعبادا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا
كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شيء واهداه الى الخير وادله على الفوز حتى علم القسيسين
وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كان في راهب والبراءة من الكبر وان كانت في نصراني ووصفهم برقة القلوب
وانهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون
الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها
مريم فقرأها الى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه الى قوله هل اتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين
وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم رسول الله سورة يس فبكوا فان قلت بم تعلقت
اللام في قوله للذين آمنوا قلت بعداوة ومودة على ان عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين اشد العداوات واظهرها
وان مودة النصارى التي اختصت المؤمنين اقرب المودات وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة و
النصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب فان قلت ما معنى قوله تفيض من الدمع
قلت معناه تمتلي من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلي الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي
هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب او قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم
كانها تفيض بانفسها اي تسيل من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فان قلت اي فرق بين من ومن في قوله مما عرفوا من
الحق قلت الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من اجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول
الذي هو ما عرفوا وتحتمل معنى التبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرأوا القرآن و
احاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على البناء للمفعول يقولون ربنا آمنا المراد به انشاء الايمان والدخول فيه
فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم شهداء على ساير الامم يوم القيمة لتكونوا شهداء على
الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان
يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله
عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك وارادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده لانهم
كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو في ونطمع
واو الحال فان قلت ما العامل في الحال الاولى والثانية قلت العامل في الاولى ما في اللام من معنى الفعل كانه قيل اي شيء حصل
لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن
كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا
الصالحين وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين او على معنى وما لنا
لا نجمع بينهما بالدخول في الاسلام لان الكافر ما ينبغي له ان يطمع في صحبة الصالحين فاثابهم الله وقرأ الحسن فآتاهم

القشف التغير من الفقر او بلوح الشمس وقد قشف بالكسر قشفا اذا لوحته الشمس او الفقر فهو قشف والمقشف الذي يتبلغ بالقوت وبالرقع قاله في الصحاح وقال في المغرب المتقشف الذي لا يتعاهد النظافة ثم قيل للمتزهد الذي يتقنع بالمرقع من الثياب والوسخ متقشف من القشف وهو شدة العيش وخشونته

قوله رقوا اي رق قلوبهم بعد سماع كلام النبي صلى الله عليه وسلم قال في المغرب اصل الرق من الرقة التي بمعنى الضعف ومنه ان ابا بكر رجل رقيق اي ضعيف القلب وكذا قوله فلما سمع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم رق اي قلبه واستشعر الخشية له

الله بما قالوا بما تكلموا به من اعتقاد واخلاص من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده وما يذهب اليه جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموها لا تمنعوا انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة يوما لاصحابه فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان ابن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود ان رجلا قال له اني حرمت الفراش فتلا هذه الاية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن انه دعي الى طعام ومعه فرقد السنجي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسال الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذ ويقول لا اؤدي شكره قال افيشرب الماء البارد قال نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه ان الله تعالى ادب عباده فاحسن ادبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا واطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم ان الله لا يحب المعتدين او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده على عقبه او اراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله اي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا حلالا طيبا حال مما رزقكم الله واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به موجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عايشة رضي الله عنها انها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يظنه كذلك وليس كما ظن وهو قول ابي حنيفة رضي الله عنه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروى ان الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا ابا سعيد دعني اجب عنك فقال ولست بماخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزائم وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون

عاقدات مفعول تعمد والعزائم الامور المعزوم عليها وعاقدات العزائم هي الايمان التي يعقد بها اذا لم تقصد الايمان التي يعقد بها اي يوثق بها وقوله تقوله الى اخره صفة لغو وهي صفة كاشفة لا مميزة لان اللغو هو الذي يقال عن غير تعمد واو ظرف تقوله فعلى هذا يكون تقوله مقيدا بالظرف وما خوذ غير مقيد به ويجوز ان يكون اذا ظرف ماخوذ فهو مقيد بالظرف دون تقوله

اصل القصد ما بين الاسراف والتقتير ومنه قولهم والقصد في المعيشة

[illegible]

من اقصده لان منهم من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر وهو عند ابي حنيفة رضي الله عنه نصف صاع من بر او صاع من غيره لكل مسكين او يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي رحمه الله مد لكل مسكين اهليكم وقرا جعفر بن محمد اهاليكم بسكون الياء والاهالي اسم جمع لاهل كالليالي جمع ليلة والاراضي في جمع ارض وقولهم اهلون كقولهم ارضون بسكون الراء واما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رايت معدي كرب تشبيها للياء بالالف او كسوتهم عطف على محل من اوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه قدوة في قدوة واسوة في اسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس كانت العباءة تجزي يومئذ وعن ابن عمر ازار او قميص او رداء او كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان ابيضان وقرا سعيد بن المسيب اليماني او كاسوتهم بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم فان قلت ما محل الكاف قلت الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى كمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة شرط الشافعي رحمه الله الايمان قياسا على كفارة القتل واما ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى القتل فان قلت ما معنى او قلت التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلث على الاطلاق بايتها اخذ المكفر فقد اصاب فمن لم يجد احدها فصيام ثلثة ايام متتابعات عند ابي حنيفة تمسكا بقراءة ابي وابن مسعود فصيام ثلثة ايام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم ولو قيل تلك كفارة ايمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء او لتانيث الكفارة والمعنى اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال اذا لم يعص الحانث واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا اراد الايمان التي الحنث فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شريعته واحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة اكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التاكيد منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله عليه السلم شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا ياتي منه الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها انه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات الصلوة وقوله فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم

[illegible]

تُوعَظوا ولم تزجروا فان قلت الام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت الى المضاف المحذوف كانه قيل انما شان الخمر و
الميسر او تعاطيهما او ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب
والازلام اولا ثم افردهما آخرا قلت لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب
بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من اعمال اهل الجاهلية واهل الشرك
فوجب اجتنابه باسره وكانه لا مباينة بين من عبد صنما واشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا او قامر ثم افردهما
بالذكر ليرى ان المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن الصلوة اختصاص للصلوة من بين الذكر كانه قيل وعن الصلوة خصوصا
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا وكونوا حذرين خاشين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة
وعمل كل حسنة ويجوز ان يراد واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر او في ترك طاعة الله والرسول فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا
أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لان الرسول ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات
وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا
رفع الجناح عن المؤمنين في اي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها إِذَا مَا اتَّقَوْا ما حرم عليهم منها وَآمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثم ثبتوا على التقوى والايمان
ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا اعمالهم او احسنوا الى الناس وآسوهم بما رزقهم الله من الطيبات
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون
الخمر وياكلون مال الميسر فنزلت يعني ان المؤمنين لا جناح عليهم في اي شيء طعموه من المباحات اذا اتقوا المحارم ثم اتقوا و
آمنوا ثم اتقوا واحسنوا على معنى ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى و
الاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح فتقول وقد علمت ان ذلك امر مباح ليس على احد جناح في المباح
اذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد ان زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى
كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ليتميز من يخاف
عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فَمَنِ اعْتَدَى فصاد بَعْدَ ذَلِكَ الابتلاء
فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ فالوعيد لاحق به فان قلت ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد قلت قلل وصغر ليعلم
انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها اقدام الثابتين فان قيل كالابتلاء ببذل الارواح والاموال و
انما هو شبيه بما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف بثباتهم عند ما هو اشد منه
وقرأ ابرهيم بنيالنه بالياء يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح
وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا والتعمد ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او عالم ان ما يقتله مما يحرم قتله عليه فان قتله وهو ناس

لاحرامه

لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب صيدا
فهو مخطئ فان قلت فمحظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطاء فما بال التعمد مشروطا في الآية قلت لان مورد الآية
فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل انك قتلت الصيد
وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطاء لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال امره ومن عاد
فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطاء وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطاء شيئا
اخذا باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه
جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابي حنيفة قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان
يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره
وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به وعند محمد
والشافعي رحمهما الله مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم عدل الى قول ابي حنيفة فان قلت فما يصنع من يفسر
المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او
طعاما او يصوم كما خير الله في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد
واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او
يكفر بالاطعام او الصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار فاما اذا عمد
الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم تخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو عما
في الآية الاخرى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلثة ولا سبيل الى ذلك الا
بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى
فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد وقرأ السلمي على الاصل وقرأ
محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة
فسكنه يَحْكُمُ بِهِ بمثل ما قتل ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة
لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو محرم فسال عمر
فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين حتى سال غيره فاقبل
عليه عمر ضربا بالدرة وقال اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر و
هذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام هَدْيًا
حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره
ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير في به ووصف هديا بالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان
يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة وعند الشافعي في الحرم أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ فان

قلت بم يرفع كفارة من ينصب جزاء قلت يجعلها خبر مبتدا محذوف كانه قيل والواجب عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي وقرئ او كفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبنية على كانه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما وحّد لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس **او عدل** وقرئ او عِدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما ان عَدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعِدله ما عدل به في المقدار ومنه عِدلا الحمل لان كل واحد منهما عِدل بالآخر حتى اعتدلا كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذِبح ونحوه ونحوهما الحَمل والحِمل و **ذلك** اشارة الى الطعام **صياما** تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله وعند محمد الى الحكمين **ليذوق** متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازى او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام **وبال امره** والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ **عفا الله عما سلف** لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما **ومن عاد** الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه **فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام** فينتقم خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وابرهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة **احل لكم صيد البحر** مصيدات البحر مما يوكل ومما لا يوكل **وطعامه** وما يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل المأكول منه وهو السمك وحده عند ابي حنيفة وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه **متاعا لكم وللسيارة** متاعا مفعول له اي احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله وهبنا له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة حال مختصة بيعقوب يعني احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر وقرئ وطعمه **وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون** صيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهما وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي واحمد لا يباح له ما صيد لاجله فان قلت ما يصنع ابو حنيفة بعموم قوله صيد البر قلت قد اخذ ابو حنيفة رضي الله عنه بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لان ظاهره انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه

مصيد

مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقرأ ابن عباس وحرم عليكم صيد البر اي الله عز وجل وقرئ ما دِمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام **جعل الله الكعبة البيت الحرام** عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك **قياما للناس** انتعاشا لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم وعن عطاء بن ابي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا **والشهر الحرام** والشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان لاختصاصه من بين الاشهر بإقامة موسم الحج فيه شانا قد عرفه الله وقيل عنى به جنس الاشهر الحرم **والهدي والقلائد** والمقلد منه خصوصا وهو البدن لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر **ذلك** اشارة الى جعل الكعبة قياما للناس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره **لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم** كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما امركم به وكلفكم **اعلموا ان الله شديد العقاب** لمن انتهك محارمه **وان الله غفور رحيم** لمن حافظ عليها **ما على الرسول الا البلاغ** تشديد في ايجاب القيام بما امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث** البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله تعالى وان كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فان ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم **فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون** ومن حق هذه الآية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة قال ❊ كاثر بسعد ان سعدا كثيرة ❊ ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا ❊ وقال ابو تمام ❊ لا يدهمنك من دهمائهم عدد ❊ فان جلهم بل كلهم بقر ❊ وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين **يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم** الجملة الشرطية والمعطوفة عليها اعني قوله ان تبد لكم تسؤكم صفة للاشياء والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما روي ان سراقة بن مالك او عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد مسألته ثلث مرات فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه **وان تسألوا عنها حين ينزل القران** وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم يوحى اليه **تبد لكم** تلك التكاليف التي تسركم وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها **عفا الله عنها** عفا الله عما سلف من مسألتكم

فلا تعودوا الى مثلها **والله غفور حليم** لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته فان قلت كيف قال لا تسألوا عن
اشياء ثم قال **قد سألها قوم من قبلكم** ولم يقل قد سأل عنها قلت الضمير في سألها ليس براجع الى اشياء حتى تجب
تعديته بعن وانما هو راجع الى المسئلة التي دلت عليها لا تسألوا يعني قد سأل هذه المسئلة قوم من الاولين **ثم**
اصبحوا بها اي بمرجوعها او بسببها **كافرين** وذلك ان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء
فاذا امروا بها تركوها فهلكوا **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام** كان اهل الجاهلية اذا نتجت
الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها
واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم
الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي
لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا نتجت
من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع
ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا **ولكن الذين كفروا يفترون على الله**
الكذب واكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم **واذا قيل**
لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا او لو كان آباؤهم لا يعلمون
شيئا ولا يهتدون الواو في قوله او لو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك
ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة
يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم
تعملون كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل
لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين
كما قال الله عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي
ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما مع
القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن ابن مسعود انها قرئت
عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان يأتي زمان تأمرون بالمعروف فلا يقبل منكم
فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا بزمان تأويلها قيل
فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن ابي ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى
متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن
كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك

فنزلت

فنزلت عليكم انفسكم عليكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم
انفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم وفيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان يكون
جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز
ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره **يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم**
اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ارتفع اثنان على انه خبر للمبتداء الذي هو شهادة بينكم على تقدير
شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة
بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية
بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل
عنها وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل منكم **ذوا عدل منكم** من اقاربكم **او آخران من غيركم**
من الاجانب **ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت** يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم
احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح
وهم له انصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم
وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله واشهدوا ذوي عدل
منكم وروي انه خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن زيد وتميم بن اوس
وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه وامرهما
ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب
اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى رسول الله فنزلت **تحبسونهما** ومعنى تحبسونهما توقفونهما وتصبرونهما للحلف **من بعد**
الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر او الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة
بعدهما وفي حديث بديل **فيقسمان بالله** انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العصر ودعا بعدي
وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من عدي وتميم وقيل هي صلوة اهل الذمة
وهم يعظمون صلوة العصر **ان ارتبتم** اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شأنهما واتهمتموهما فحلفوهما
وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي
رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما **لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى** والضمير في به
للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان
من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين **ولا نكتم شهادة الله** اي الشهادة التي امر الله بحفظها
وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه

ودوي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله عاد لولي فان قلت ما موقع تحبسونهما قلت هو استيناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فان قلت كيف فسرت الصلوة بصلوة العصر وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ في الدرس علم انها صلوة الفجر ويجوز ان يكون اللام للجنس وان يقصد بالتحليف على اثر الصلوة ان يكون الصلوة لطفا في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر انا اذا لمن الاثمين فان اطلع فان عثر على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الاثمين فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين اى من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق من شهادتهما والاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفعا باستحق اي من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الاولين على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرا الحسن الاولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وابو حنيفة واصحابه رحمهم الله لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشرى فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشرى فان قلت فما وجه قراءة من قرا استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل وهو علي وابي وابن عباس قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين ذلك الذي تقدم من بيان الحكم ادنى ان يأتوا ان ياتي الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان اي ان تكرر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين سمع اجابة وقبول يوم يجمع الله الرسل بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم او ينصب باضمار اذكر او يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت فيقول ماذا اجبتم وماذا منتصب باجبتم انتصاب مصدره على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم قالوا لا علم لنا فان قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد فان قلت كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما اجيبوا قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال

توبيخ قومهم كما كان اعدائهم فيكلون الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجاء الى ربهم في الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم سلطانه واتكالا عليه اظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم فكانه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين انك انت علام الغيوب وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء او هو صفة لاسم ان اذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة او جاوزوا حد التصديق الى ان اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني اسرائيل فيما اظهر على يد عيسى من البينات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك قويتك وقرئ آيدتك على افعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيى به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه قوله تكلم الناس و في المهد في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان في المهد فيه دليل على حد من الطفولة وقيل بروح القدس جبرئيل صلوات الله عليه ايد به لتثبيت الحجة فان قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت تكليمهم في هاتين الحالتين من غير ان يتفاوت كلامه في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي يستنبأ فيه الانبياء واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب واذ تخلق من الطين كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا من نفخه في شيء وكذلك الضمير في فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات واذ اوحيت الى الحواريين امرتهم على السنة الرسل ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون من اسلم

إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله
عيسى في محل النصب على اتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز أن يكون مضموما
كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله أحار بن عمرو كأني خمر لان الترخيم لا يكون الا في المضموم فان قلت كيف
قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم قلت ما وصفهم الله تعالى بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم
لهما ثم اتبعه قوله قالوا فآذن ان دعواهم تلك كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد
مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته
ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت
دعواكم للايمان صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك اي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك
عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم اليه قالوا نريد أن
نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم
يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها في موضع
الحال وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعويهم للايمان والاخلاص وانما سأل عيسى وأجيب ليلزموا الحجة بكمالها
ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا وقرئ ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب قال
عيسى ابن مريم اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا نداء ثان أنزل علينا مائدة
من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الأحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور
العائد ولذلك يقال يوم عيد فكأن معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الامر ونظيرهما
يرثني ويرث لأولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل
منها آخر الناس كما يأكل اولهم ويجوز للمقدمين منا والأتباع وفي قراءة زيد لأولانا وأخرانا والتأنيث بمعنى الأمة
والجماعة وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني
أعذبه عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا أعذبه أحدا من العالمين للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء
روي ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها
وغمامة تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة
ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس
الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا
فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة
على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله
أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا

يمدكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي باذن
الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كانت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة و
خنازير وروي انهم لما سمعوا الشريطة وهي قوله فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله
ما نزلت ولو نزلت لكانت عيدا الى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم
أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك من ان يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي أن
أقول ما ليس لي بحق قولا لا يحق لي ان اقوله إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك في
نفسي في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل
في نفسك لقوله في نفسي إنك أنت علام الغيوب تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب
ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ان في
قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه
له اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يتوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله و
فعل الامر مسند الى ضمير الله فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها
موصولة بالفعل لم تخل من ان تكون بدلا من ما أمرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم
مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك
اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما أمرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول
بغير راجع اليه من صلته فان قلت فكيف يصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت لهم الا ما أمرتني به ما
أمرتهم الا بما أمرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان تكون ان موصولة عطف بيان للهاء
لا بدلا وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم رقيبا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتدينوا به
فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم من
البينات وارسلت اليهم من الرسل وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك الذين عرفتهم
عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز القوي القادر على الثواب و
العقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال
وان تغفر لهم قلت ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان فقال ان عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت
لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم اعظم جرما كان
العفو عنه احسن قرئ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السماوات والأرض وما فيهن
وهو على كل شيء قدير هذا يوم ينفع بالرفع والاضافة وبالنصب اما على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتدأ

والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله يوم لا يملك لا
مضاف الى متمكن وقرا الاعمش يومٌ ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي فان قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم
ان اريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وان اريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه في معنى الشهادة
لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيمة قلت معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم وعن قتادة
متكلمان تكلما يوم القيمة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه
واما عيسى فكان صادقا في الحيوة وبعد الممات فنفعه صدقه فان قلت في السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا
غلب فقيل ومن فيهن قلت ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما الا تراك تقول اذا رايت شبحا من بعيد ما هو قبل ان
تعرف اعاقل هو ام غيره فكان اولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المائدة اعطي من
الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان
بمعنى احدث وانشا كقوله وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او
تصيير شيء شيئا او نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام
المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم ازواجا اجعل الآلهة الها واحدا فان قلت لم افرد النور قلت للقصد الى الجنس كقوله
والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور
فانه من جنس واحد وهو النار فان قلت علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت اما على قوله الحمد
لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله
خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه فان قلت فما
معنى ثم قلت استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم انتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد
ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل
القيمة وقيل الاجل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول
النوم والثاني الموت ثم انتم تمترون فان قلت المبتدا النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تاخيره فلم جاز تقديمه
في قوله واجل مسمى عنده قلت لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت الكلام
السائر ان يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم قلت اوجبه ان المعنى واي اجل مسمى
عنده تعظيما لشان الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم وهو الله في السموات وفي الارض في السموات
متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او هو المعروف

بالالهية فيها او هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون الله في السموات خبرا بعد خبر
على معنى انه الله وانه في السموات والارض بمعنى انه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء كان ذاته فيهما فان قلت كيف
موقع قوله يعلم سركم وجهركم قلت ان اردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه السر
والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدا بمعنى هو يعلم سركم و
جهركم او خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب وما تاتيهم من آية من للاستغراق
وفي من آيات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار
الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به راسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب فقد
كذبوا بالحق مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم آية واكبرها
وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف ياتيهم انباء ما
كانوا به يستهزؤن وهو القرآن اي اخباره واحواله بمعنى سيعلمون باي شيء استهزؤوا وسيظهر لهم
انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وعلو كلمته
الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار
تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا آخرين مكن له في الارض جعل له مكانا فيها ونحوه ارض له ومنه قوله
انا مكنا له في الارض او لم نمكن لهم واما مكنته في الارض فاثبته فيها ومنه قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب
المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم
من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب
او السحاب او المطر والمدرار المغزار فان قلت اي فائدة في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم قلت الدلالة على انه لا يتعاظمه
ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقباها ولو نزلنا
عليك كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بايديهم ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت ابصارنا
لا تبقى لهم علة لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره وقالوا لولا انزل
عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر لقضي امر اهلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا
عاينوا الملك قد نزل على رسول الله في صورته وهي آية لا شيء ابين منها وايقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم كما اهلك اصحاب المائدة واما لانه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول
الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما
بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجاة الشدة اشد من نفس الشدة
ولو جعلناه ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا
بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله

صلى الله عليه وسلم في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم
ما يلبسون ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا راوا الملك في صورة انسان هذا انسان
وليس بملك فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق بانني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا
فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز ان يراد وللبسنا حينئذ مثل ما يلبسون على
انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة وقرأ ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة وقرأ الزهري وللبّسنا عليهم ما
يلبّسون بالتشديد ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله عما كان يلقى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم
ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الشيء الذي كانوا به يستهزءون وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء قل سيروا
في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين فان قلت اي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت
جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله سيروا في
الارض ثم انظروا فمعناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على
ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح قل لمن ما في السموات والارض سؤال تبكيت وقل لله تقرير لهم اي هو
الله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيئا منه الى غيره كتب على نفسه الرحمة اي اوجبها على
ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ثم اوعدهم
على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم الى يوم القيامة فيجازيكم على
شركم وقوله لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم نصب على الذم او رفع عليه اي اريد الذين خسروا انفسهم او انتم الذين خسروا
انفسهم فان قلت كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس قلت معناه الذين خسروا انفسهم
في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون عطف على لله وله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديه
بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى
عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان قل اغير الله اتخذ وليا اولي غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ
لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تأمروني اعبد آالله
اذن لكم وقرئ فاطر السموات والارض بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرأ الزهري فطر وعن ابن عباس ما عرفت
ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا
يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا
يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المامون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثاني
للفاعل والضمير لغير الله وقرأ الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بان معناه وهو يطعم ولا يستطعم
وحكى الازهري اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب
المصالح كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي

امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين
ولا تكونن وقيل لي لا تكونن من المشركين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك قل اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك
ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له
بد من الثواب وذلك الفوز المبين وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك
اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا
قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله
فقد رحمه وتنصره هذه القراءة قراءة ابي من يصرف الله عنه وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من
بلاياه فلا كاشف له الا هو فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير
فكان قادرا على ادامته وازالته وهو القاهر فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وانا فوقهم
قاهرون وهو الحكيم الخبير قل اي شيء اكبر شهادة الشيء اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه
فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح ان يقال في الله عز وجل شيء لا كالاشياء كانك
قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالاجسام واراد اي شهيد اكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد
ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم
ابتدئ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على ان
الله تعالى اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شيء شهادة شهيد له واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ
عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكة اي لانذركم به وانذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين و
قيل من بلغه الى يوم القيام وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما رأى محمدا ائنكم تقرير لهم مع انكار واستبعاد
لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد شهادتكم قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون
الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته ونعته الثابت في الكتابين
معرفة خالصة كما يعرفون ابناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل
مكة بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين ومن اهل الكتاب الجاحدين
فهم لا يؤمنون به ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون جمعوا بين
امرين متناقضين تكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح الواضح حيث قالوا لو شاء الله
ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله امرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم
البحاير والسوايب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم نحشرهم ناصبه محذوف
وتقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في التخويف جميعا ثم نقول للذين

أين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكانهم غيّب عنهم وان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم ثم لم تكن فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما انّث ان قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا بالنصب على النداء انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترون اي يفترون الهيته وشفاعته فان قلت كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقائق الامور وعلى ان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم واما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا انا على خطاء في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عي واقحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا والاكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كانهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرا طلحة وقرا بكسر الواو وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاءوك يجادلونك هي حتى التي يقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاءوك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان تكون الجارة ويكون اذا جاءوك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب

اي بحجه والكفر

وهو الغاية في التكذيب وهم ينهون الناس عنه عن القرآن او عن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به وينأون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله سوءا فقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ✽ حتى أوسد في التراب دفينا
ودعوتني وزعمت انك ناصح ✽ ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه ✽ من خير اديان البرية دينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ✽ وابشر بذاك وقر منه عيونا
لولا الملامة او حذاري سبة ✽ لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فنزلت ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت امرا شنيعا اذ وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم ابتدأوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم تتركني ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني فان قلت يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا قلت هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافئه كذب كانه قال ان رزقني الله مالا كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار ان على جواب التمني ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون على انهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال أليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في موضع آخر وحتى غاية لكذبوا لا

لا يحزن لان خسرانهم لا غاية له إذا جاءتهم الساعة اي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة فان قلت اما
يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا في احوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة
بغتة فجاة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا
فيها الضمير للحيوة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة على معنى قصرنا في شانها وفي الايمان
بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد
حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم
وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب
اعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله وللدار الآخرة خير للذين يتقون دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب
ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة افلا تعقلون وقرئ بالتاء والياء قد نعلم بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل
وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه ضمير الشان ليحزنك قرئ بضم الياء وفتحها الذي يقولون
هو قولهم ساحر كذاب فانهم لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا
وجده كاذبا ولكن الظالمين بايات الله يجحدون والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله المصدق
بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود اياته فاله عن حزنك لنفسك فانهم كذبوك وانت صادق
وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك بجحود ايات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا
اهانك بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني وعلى هذه الطريقة ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك
لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بايات الله وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون بايات الله وكان ابو جهل يقول ما نكذبك يا محمد وانك
عندنا المصدق وانما نكذب ما جئتنا به وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق
هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا الصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء
والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على
انهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي
لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتيهم
نصرنا على تكذيبهم وايذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين وكان
يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك على آثارهم انك لا تهدي من
احببت وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض

حتى

حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها او سلما في السماء فتأتيهم منها باية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه
على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه لو استطاع ان يأتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم
وقيل كانوا يقترحون الايات فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة
على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض
او السلم في السماء هو الاتيان بالاية كانه قيل لو استطعت النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي في السماء لفعلت لعل
ذلك يكون لك اية يؤمنون عندها وحذف جواب ان كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان تزوره ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى بان يأتيهم باية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون
ذلك ويرومون ما هو خلافه انما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا
يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة
بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيمة ثم اليه يرجعون للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر ان يحييهم
بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فح يسمعون واما
قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه نزل بمعنى انزل
وقرئ ان ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وانما
قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الايات على رسول الله لعدم اعتدادهم بما انزل عليه كانه لم ينزل عليه شيء من الايات
عنادا منهم قل ان الله قادر على ان ينزل اية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه او اية ان جحدوها
جاءهم العذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الاية وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها
وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم مكتوبة ارزاقها وآجالها واعمالها كما
كتبت ارزاقكم وآجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم
نثبت ما وجب ان يثبت مما يختص به ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فينصف بعضها
من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء فان قلت كيف قيل الا امم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله
من دابة ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم على المعنى فان قلت
هلا قيل وما من دابة ولا طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم
والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا
امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها فان قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه
وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن
على احوالها لا يشغله شان عن شان وان المكلفين ليسوا مخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان وقرأ ابن ابي
عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طائر وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف فان قلت كيف اتبع قوله والذين

كذبوا بآياتنا قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم
لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تأمل ذلك
والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشأ الله يضلله اي يخذله ويخلّه وضلاله لم يلطف به لانه
ليس من اهل اللطف ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجدي عليه قل أرأيتكم اخبروني
والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف محلا لكنت كانك تقول
أرأيت نفسك زيدا ما شانه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتكم ان أتاكم عذاب
الله او أتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بمعنى اتخصون آلهتكم
بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة
فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة
وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم ولا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم معمورة بذكر ربكم وحده
اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون كانه قيل أرأيتكم
أغير الله تدعون ان أتاكم عذاب الله فان قلت ان علقت الاستخبار به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون
اليه مع قوله او أتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله
ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة ارجح منه ولقد ارسلنا الى امم
من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء
المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى ولقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فأخذناهم لعلهم يتضرعون
يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه
قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ولكنه جاء بلولا ليفيد انه
لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا
ما ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء
من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه
تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من
غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واجمون متحسرون آيسون فقطع
دابر القوم الذين ظلموا آخرهم لم يترك منهم احد قد استؤصلت شأفتهم والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب
الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم وقرئ فتحنا بالتشديد قل أرأيتم ان اخذ الله سمعكم
وابصاركم بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم من اله
غير الله يأتيكم به اي يأتيكم بذاك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه انظر كيف نصرف

الآيات ثم هم يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة
او جهرة لما كانت البغتة ان يقع الامر من غير ان يشعر به وتظهر اماراته قيل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا
ونهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا القوم الظالمون وقرئ هل يهلك
بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين من آمن بهم وبما جاؤا به واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم
نرسلهم ليتلهى بهم وتقترح عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة فمن آمن واصلح ما يجب
اصلاحه مما كلف فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون
جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع
العقلاء وقوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب
ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر
من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وارزاقه وعلم الغيب واني من الملائكة الذين هم اشرف جنس خلقه الله وافضله و
اقربه منزلة اي لم ادع الهية ولا ملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملكية حتى تستبعدوا دعواي
وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي
ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية والملكية
افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع
ما يوحى الي مما لا بد لي منه فان قلت ولا اعلم الغيب ما محله من الاعراب قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن
الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي و
الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم اما قوم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل
فينذرهم بما اوحي اليه لعلهم يتقون اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون
بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن
ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامر ان ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع
الحال من يحشروا بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور
فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ذكر غير
المتقين من المسلمين وامره بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم وامره بتقريبهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم
من اراد بهم خلاف ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة
والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلوة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه
يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روي ان رؤسا من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد
يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف

جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال نعم طمعًا في ايمانهم وروي ان عمر قال لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في اعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت اما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شيء قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس بعضهم ببعض اي ابتلينا هم بهم وذلك ليقولوا اي المشركين كانوا يقولون للمسلمين اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي انعم الله عليهم بالتوفيق لاجابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء انكارا لان يكون امثالهم على الحق وممنوعا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أألقي الذكر عليه من بيننا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون اليس الله باعلم بالشاكرين اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليبشرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم وقرئ انه فانه بالكسر على الاستيناف كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على الابدال من الرحمة من عمل منكم سوءا بجهالة في موضع الحال اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر على انها قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل

بالغدوة شاذ اي اتباعا للخط والا فغدوة معرفة لا يدخلها الالف واللام والتنوين نحو امس وسحر من مغني المعاني ه

قوله كان الرحمة جملة مستانفة بيانا للاستيناف ه

جهلت سفهت اي ما تدبرت العاقبة بهتك الزوج كانها خافت عليه من قومها حين زارها ان يعلموه ويقتلوه فلامته على ذلك ونسبته الى الجهل ه

[illegible]

انها نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما سالوا ولم يعلم انها مفسدة قرئ ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم وكذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين وليستبين بالياء والتاء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل ايات القران ونلخصها في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن ترى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيمة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل قل اني نهيت صرفت وزجرت بما ركب في من ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع ان اعبد الذين تدعون عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة قل لا اتبع اهواءكم اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من المهتدين وما انا من الهدى في شيء يعني انكم كذلك ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي ومعنى قوله على بينة من ربي اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل به على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وانهم احقاء بان يغاصوا بالعذاب المستاصل فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء ان الحكم الا لله في تاخير عذابكم يقص الحق اي القضاء الحق في كل ما يقضي من التاخير والتعجيل في اقسامه وهو خير الفاصلين اي القاضين وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص اثره قل لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا والله اعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القران وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تاويل البيان او القران فان قلت بما انتصب الحق قلت بانه صفة لمصدر يقضي اي يقضي القضاء الحق ويجوز ان يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق فان قلت لم اسقطت الياء في الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما يسقط

قوله من هو متعلق بمحذوف اي يعلم من هو مطبوع من هو اي قوله حدوده من تتمة تفسير قوله وكذلك نفصل الايات ثم شرع في تفسير قوله تعالى ولتستبين فاشار الى ان متعلق اللام محذوف اي لتستبين سبيل المهتدين ولتستبين سبيل المجرمين ه

اي بالوقوع في الشدائد ه

قوله على بينة خبران ومن ربي حال من الضمير المستتر في الخبر ومن فيه للابتداء اي انا مستقر على بينة مبتدا من معرفة ربي اي معرفة وحدانيته انه لا شريك له في العبادة ه

اي المخصوص بالصدق

ومعنى قوله ان الحكم الا لله ه

مع ان القضاة لهم احكام

فالقاعدة ان الحكم الذي يفصل الحق من الباطل على الحقيقة هو الله تعالى نفسه

استعظمت منه اي اغضبت وشق عليك ه

قوله لان المفاتح بيان لكيفية الاستعارة فشبه كونه متوصلا الى المغيبات بكون مفتاح المخازن عند شخص يقدر على فتحها ثم ذكر المشبه به واراد المشبه واضيف المفاتح ليكون قرينة الاستعارة ثم اشار المصنف الى اصل الكلام وحقيقته بقوله فاراد الى اخره عطفا على جعل فان الاستعارة فرع التشبيه فتامل ه

قوله ومن علم ان جعل من موصولة جاز ان يكون عطفا على المفاتح لكن جعله موصولا ضعيف لانه يفوت الابهام المراد ههنا فمن شرطية ويكون عطفا من حيث المعنى على قوله المفاتح انه كان من الشرطية صدر الكلام فانه يجوز تقديرا ما لا يجوز صريحا به ه

شيء من هذه الأشياء الا يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى
الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح وقرئ ولا حبةٌ ولا رطبٌ ولا يابسٌ بالرفع وفيه وجهان
ان يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة
الا في الدار وهو الذي يتوفيكم بالليل الخطاب للكفرة اي انتم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم
بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم من القبور فيه في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل
وكسب الآثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني فيقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه
لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم
تعملون في ليلكم ونهاركم وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم
الكرام الكاتبون وعن ابي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه انت
شبيه الحفظة تكتب حفظ اللفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب فان قلت الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة
فما فائدتها قلت فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه موكلون بهم
يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في مواقف القيمة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح
وابعد من السوء حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا اي استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه و
عن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ
توفاه ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه وهم لا يفرطون بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتأخير
عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به او لا يزيدون فيه ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه
مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره
وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحقَّ بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحقَّ قل من ينجيكم
من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم
الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر
والغرق في البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتهما لئن انجيتنا على ارادة
القول من هذه من هذه الظلمة والشدة لنكونن من الشاكرين وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا وخفية
بالضم والكسر قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون قل هو القادر هو الذي عرفتموه
قادرا وهو الكامل القدرة على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة
وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم كما اغرق قوم فرعون من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم
من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم او يخلطكم فرقا مختلفين
على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله

وكتيبة

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات
لعلهم يفقهون وكذب به وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من
فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل ان فناء امتي بالسيف
وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله اعوذ بوجهك فلما نزل او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان
اهون ومعنى الآية الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة والضمير في قوله وكذب به قومك راجع الى العذاب
وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر
لكل نبأ لكل شيء ينبأ به يعني انباءهم بانهم معذبون وايعادهم به مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه و
سوف تعلمون وقيل الضمير في به للقرآن واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها
وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا
بأس ان تجالسهم حينئذ واما ينسينك الشيطان وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد
بعد الذكرى مع القوم الظالمين فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي وقرئ ينسّينك بالتشديد ويجوز ان
يراد وان كان الشيطان ينسيك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد
ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء وما يلزم المتقين الذين
يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام
عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون
الضمير للذين يتقون اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا
بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم فان قلت ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن
يذكرونهم ذكرى اي تذكيرا او رفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد
ولكن زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا اي دينهم
الذي كان يجب ان يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك
من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد او اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة
الاصنام وغيرها دينا لهم او اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا
وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم
لعبا ولهوا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا
تشغل قلبك بهم وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن
بسوء كسبها واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال وابسالي بني بغير جرم ومنه هذا عليك بسل اي
حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسول يقال بسل الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا

بل والعابس منقبض الوجه ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل وإن تفد كل فداء والعدل الفدية
لان الفادي يعدل المفدي بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل لا يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل
ههنا مصدر فلا يسند اليه الأخذ واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدي فصح اسناده اليه أولئك اشارة الى
المتخذين دينهم لعبا ولهوا قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الأوثان الذين أبسلوا
بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون قل أندعوا من دون
الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على أعقابنا راجعين الى الشرك بعد
إذ هدانا الله بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن
والغيلان في الأرض في المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع له اي لهذا المستهوى أصحاب رفقة
يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستوى او سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف
المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي
عليه كقوله الذي يتخبطه الشيطان فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا
يلتفت اليهم قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته قلت النصب على الحال من الضمير في نرد على أعقابنا
اي انكص مشبهين من استهوته الشياطين فان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى في الأرض اذا ذهب فيها كأن
معناه طلبت هويه وحرصت عليه فان قلت ما محل وأمرنا قلت النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على
انهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل أمرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام في لنسلم لرب العالمين قلت هي تعليل
الامر بمعنى أمرنا وقيل لنا اسلموا لأجل ان نسلم فان قلت فاذا كان هذا واردا في شأن ابي بكر فكيف قيل للرسول قل أندعوا
قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق رضي الله عنه فان قلت علام عطف قوله
وأن أقيموا الصلوة واتقوه قلت على موقع لنسلم كأنه قيل وأمرنا ان نسلم وان أقيموا ويجوز ان يكون التقدير وأمرنا
لأن نسلم ولأن أقيموا اي للاسلام ولاقامة الصلوة وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والأرض
بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق مبتداء ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار
كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والأرض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء
من الأشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة اي لا يكون شيئا من السموات والأرض وسائر المكونات الا عن حكمة و
صواب وله الملك يوم ينفخ في الصور ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان يكون
قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق
كأنه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح والشهادة وهو الحكيم
الخبير وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر اسم ابي ابراهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ والأقرب ان يكون وزن

قوله او سمي عطف على قوله الى ان يهدوه من حيث المعنى يريد ان الهدى يجوز ان يكون مصدرا على اصله ويجوز ان يكون بمعنى الطريق المستقيم ٥

قوله وقد اعتسف اي ضرب في الارض على غير استواء يريد ان هذا المعنى مراد وحذف لانه دل عليه ما تقدم من الكلام ٥

هوى في الارض هويا اذا صعد وهويا اذا هبط ٥

قوله وفي كتب التواريخ يشير به الى ان هذا اللفظ عرب مغير
او الى انه لا اعتداد بالتواريخ والمعتمد هو الذي في القرآن ٥

آزر

آزر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لأبيه وقرئ آزر بالضم على
النداء وقيل آزر اسم صنم ويجوز ان ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن
قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين ادعى بأسماء نبزا في قبائلها كأن اسماء اضحت بعض أسمائي او اريد عابد
آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ أأزرا تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام
وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد آزرا على الانكار ثم قال أتتخذ اصناما آلهة
تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الانكار لانه كالبيان له اني اراك وقومك في ضلال مبين وكذلك
نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فعلنا ذلك فلما جن عليه الليل
عطف على قال ابراهيم لأبيه وقوله وكذلك نري ابراهيم جملة معترض بها بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف
والتبصير نعرف ابراهيم ونبصره ملكوت السموات والأرض يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا
صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونري حكاية حال ماضية
وكان ابوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطاء في دينهم وان يرشدهم الى طريق
النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها
وان وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها رأى كوكبا
قال هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لانه ادعى الى الحق و
انجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة فلما أفل قال لا احب الآفلين عبادة الأرباب
المتغيرين من حال الى حال المنتقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الأجرام فلما رأى القمر
بازغا مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين
تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكواكب في الافول فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله و
لطفه فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر من باب استعمال النصفة ايضا مع خصومه
فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها اني وجهت
وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا اي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى انه مبتدئها ومبتدعها
وما انا من المشركين وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله والأول اظهر لقوله لئن لم يهدني ربي
وقوله يا قوم اني بريء مما تشركون فان قلت لم احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال
قلت الاحتجاج بالأفول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب فان قلت ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والاشارة للشمس
قلت جعل المبتداء مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت امك ولم تكن فتنتهم
الا ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث الا تراهم قالوا في صفات الله علام
ولم يقولوا علامة وان كان العلامة ابلغ احترازا من علامة التأنيث وقرئ ترى ابراهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع

التشبيب النسيب يقال هو يشبب بفلانة اي ينسب بها يعني يذكر صفتها وحالها في الشعر ٥

قوله ادعى باسماء اسم محبوبة الشاعر

الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وكانوا حاجوه في توحيد الله
ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك وقد هدان يعني الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون به وقد خوفوه ان معبوداتهم
تصيبه بسوء الا ان يشاء ربي شيئا الا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا اخاف معبوداتكم
في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني بخوف من جهتها ان اصبت ذنبا
استوجب به انزال المكروه مثل ان يرجمني بكوكب او بشقة من الشمس او القمر او يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي
كل شيء علما اي ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون في علمه انزال المخوف بي من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين
الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله لتخويفكم شيئا مأمون
الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وانتم لا تخافون ما يتعلق به كل خوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل به عليكم
سلطانا اي حجة لان الاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة كانه قال وما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن و
لم يقل فايّنا احق بالامن انا ام انتم احترازا من تزكيته نفسه فعدل عنه الى قوله فاي الفريقين احق بالامن يعني فريقي
المشركين والموحدين ان كنتم تعلمون ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم اي لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وابى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس اولئك لهم الامن وهم
مهتدون وتلك حجتنا اشارة الى جميع ما احتج به ابرهيم صلوات الله عليه على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم
مهتدون ومعنى آتيناها ابرهيم على قومه ارشدناه اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء يعني
في العلم والحكمة وقرئ بالتنوين ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا
هدينا من قبل ومن ذريته الضمير لنوح او لابراهيم وداود عطف على نوحا اي وهدينا داود وسليمان
وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل
من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن
آبائهم في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم
وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا مع فضلهم
وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم كما قال لئن
اشركت ليحبطن عملك اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد الجنس والحكم والنبوة فان يكفر بها بالكتاب والحكم
والنبوة او بالنبوة هؤلاء يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين هم الانبياء المذكورون ومن
تابعهم بدليل قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الملائكة وادعى الانصار انها لهم وعن مجاهد هم الفرس
ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء
في بها صلة كافرين وفي بكافرين تأكيد النفي اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء

ولا تقتد

ولا تقتدا الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهديهم طريقتهم في الايمان بالله وتوحيده واصول الدين دون
الشرايع فانها مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانها هدى ابدا و
الهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء في المصحف قل لا اسألكم عليه
اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف
بهم اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى
للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا اذ قالوا حين انكروا بعثة الرسل والوحي اليهم وذلك من اعظم
رحمته واجل نعمته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم و
لم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ يجعلونه بالتاء و
كذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القران على رسول الله فالزموا ما لا بد لهم من
الاقرار به من انزال التورية على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم سوء جهلهم لكتابهم وتحريفهم و
ابداء بعض واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيرتموه ونقصتموه وجعلتموه قراطيس مقطعة
وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت
من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه
ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك قال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل القائلون
قريش وقد الزموا انزال التورية لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتورية وكانوا يقولون لو انا
انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم الخطاب لليهود اي علمتم على لسان محمد
مما اوحي اليه ما لم تعلموا انتم وانتم حملة التورية ولم تعلمه آباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القران
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قل الله
اي انزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام
الحجة ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب ويلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم
حالا من يلعبون وان يكون صلة لهم او للذرهم وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير المنافع والفوائد مصدق الذي بين
يديه ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كانه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب و
للانذار وقرئ لتنذر بالياء والتاء ام القرى ومن حولها وسميت مكة ام القرى لانها مكان اول بيت وضع للناس
ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شانا ولبعض المجاورين فمن يلق بعض القربات رحله فام
القرى ملقى رحالي ومنتابي والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون به بهذا الكتاب
لان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وهم على صلاتهم يحافظون وخص الصلوة لانها

اثنائي مصحف عثمان رضي الله عنه

فانت الحبر السمين

لانه لما نسخ التوجه الى غير الكعبة تكون الكعبة قبلة الكل

قيل الزمخشري لم تجي ورك [illegible] القلب الذي [illegible]

انتابه فلان القوم اي اتاهم مرة بعد اخرى [illegible]

عمادا الدين ومن حافظ عليها كان لطفا له في المحافظة على اخواتها ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم ان الله بعثه
نبيا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب او كذاب صنعاء الاسود العنسي
وعن النبي صلى الله عليه وسلم رايت فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما
فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي ومن
قال سانزل مثل ما انزل الله هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله فكان اذا املى عليه
سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
الى آخر الاية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت
فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق
بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث والمستهزؤن ولو ترى جوابه محذوف اي لرايت امرا عظيما اذ الظالمون يريد الذين
ذكرهم من اليهود والمتنبئة فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله اذ الظالمون في غمرات الموت
شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم يبسطون اليهم
ايديهم يقولون اخرجوا انفسكم هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق و
الالحاح والتشديد في الازهاق من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم يبسط يده الى من عليه الحق
ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له اخرج الي ما لي عليك الساعة ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك وقيل معناه
باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا يقدرون على الخلاص اليوم تجزون يجوز ان يريد به
وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع وان يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيمة
عذاب الهون والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء تريد العراقة في الهوان والتمكن فيه بما
كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا فرادى منفردين
عن اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء الله كما خلقناكم اول
مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة
وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم
انهم فيكم شركاء في استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم
وقرئ فردا بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى بخو سكرى فان قلت كما خلقناكم في اي محل هو قلت في محل النصب صفة
لمصدر جئتمونا اي مجيئا مثل خلقنا لكم لقد تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع
بينهما على اسناد الفعل الى مصدره بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وامامكم
وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ان الله فالق الحب والنوى بالنبات
والشجر وعن مجاهد اراد الشقين اللذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت اي الحيوان والنامي من النطف و

البيض والحب والنوى ومخرج الميت من الحي هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامي فان قلت كيف قال
ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل
ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر
النامين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها ذلكم الله
المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره فالق الاصباح
مصدر سمي به الصبح وقرا الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد قوله افني رياحا وبني رياح تناسخ الامساء والاصباح
بالكسر والفتح مصدرين وجمع مسي وصبح فان قلت فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال
تفري ليل عن بياض نهار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه
الذي يلي الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود
الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائي وازرق الفجر يبدو وقيل ابيضه وقرئ فالق الاصباح
وجاعل الليل بالنصب على المدح وقرا النخعي فلق الاصباح وجعل الليل سكنا السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن
استيناسا به واسترواحا اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستانس بها الا تراهم سموها المؤنسة و
الليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه
والشمس والقمر قرئا بالحركات الثلث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس والقمر
حسبانا او يعطفان على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف
اليه في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا امس قلت ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر في الازمنة
المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله عالم قادر فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف
على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا او محسوبان حسبانا
ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان
بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران ذلك اشارة الى جعلهما
حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما
وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها اليهما
لملابستها لهما او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات قد فصلنا الايات لقوم يعلمون وهو الذي انشاكم
من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون من فتح قاف
المستقر كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم
مستقر في الرحم ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع
فان قلت لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني آدم قلت كان انشاء الانس من نفس واحدة و

تصويفهم بين احوال مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف النبات يعني ان السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرا يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زنات التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة[2] للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك البعيدة لان النعمة فيها اظهر او دل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد وثم جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريئا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حال ينعه[3] ونضجه كيف يعود شيئا جامعا للمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرا ابن محيصن ويانعه وقرئ وثمره ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون ۝ وجعلوا لله شركاء الجن ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان قلت ما فائدة التقديم قلت فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي اختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا

القنوان عذوق النخل جمع اغصانه العذق بالفتح النخلة وبالكسر الكباسة ه واما القنوان بالضم فجمع كربان بوفرسان ه

[2] يقال عرض له كذا اذا امكنه وحقيقته ابدى عرضه والعرض بضم العين وسكون الراء الجانب ه اعرض لك من غير اعرض اي السير اي امكن ه

وانما كان التقدير من نبات اعناب لان الجنات لا تكون من اعناب لان العنب ثمر والجنات تكون من الاشجار ه

[3] قوله الى حال ينعه قال رضي الله عنه ان قلت هلا قيل الى غض ثمره وينعه قلت في هذا الاسلوب فائدة وهي ان الينع وقع فيه معطوفا على الثمر على سبق الاختصاص في نحو قوله تعالى وجبريل وميكال للدلالة على ان الينع اوفى من الغض ينع الثمر واللحم ينعا ونضجا اي ادرك ه

اي شركاء من الجن لكان فيه فخمه ه

[4] قال رضي الله عنه انتصاب الجن على انه بدل لانه لا يكون من قوله وجعلوا لله الجن معنى اذا جعلت مبدلا في حكم ه

فبايجهم

فبايجهم الى الله في قولهم والله امرنا بها وخرقوا له اي افتعلوا له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم فقد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرا ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم وحرفوا له بمعنى وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطا او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية سبحانه وتعالى عما يصفون ۝ بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ۝ بديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيها وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة اوجه احدها ان مبتدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم تصح له صاحبة فلم تصح له الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل بمعنى وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والاجال رقيب على الاعمال لا تدركه الابصار البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيئات وهو يدرك الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار ولا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف قد جاءكم بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وامن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعليها فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم و

جازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وكذلك نصرف الآيات وليقولوا جوابه محذوف
تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست
بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد
دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا وجاز
الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اي دارس اهل
الآيات وحملتها محمدا وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات او ذات
درس كعيشة راضية فان قلت اي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه لقوم يعلمون قلت الفرق بينهما ان
الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا
القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت الام يرجع الضمير
في قوله ولنبينه قلت الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر
لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فيمن قرأ درست ودارست
درست الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو
اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله وهو
الحق مصدقا واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما
انت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول
قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون
يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله فان قلت سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه
وانما يصح النهي عن المعاصي قلت رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها
لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب
معصية ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر فان قلت فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة
فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا قلت ليس هذا مما نحن بصدده
لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف
سب الآلهة وانما خيل الى محمد رحمه الله انه مثله حتى نبه عليه الحسن عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد
الواو بمعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدوا بفتح العين بمعنى اعداء بغير علم
على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم
اي خليناهم وشانهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم
ان الله امرنا بهذا وزينه لنا ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم فيوبخهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم بما كانوا يعملون

واقسموا

واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله
وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة او انما الآيات عند الله لا عندي فكيف اجيبكم اليها و
آتيكم بها وما يشعركم وما يدريكم انها ان الآية التي تقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بها يعني انا اعلم بها اذا جاءت
لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون
مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى
الى قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما وقال امرؤ القيس
عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام ويقويها قراءة ابي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وقرئ
انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت
لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون اي يحلفون
بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا
عليها فلا يؤمنوا بها ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم
يعمهون ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم
وابصارهم اي نطبع على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون بها
لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم اي نخليهم وشانهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا
فيه وقرئ ويقلب ويذرهم اي الله عز وجل وقرأ الاعمش وتقلب افئدتهم وابصارهم على البناء للمفعول ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا فاتوا بآبائنا وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا او
تأتي بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وانذرنا او جماعات وقيل قبلا اي مقابلة وقرئ قبلا
اي عيانا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله مشية اكراه واضطرار ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون
بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء
لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الآية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
وكما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان
الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب شياطين الانس والجن على البدل من
عدوا او على انهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين
الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن
لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا زخرف القول ما زينوه
من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموهه غرورا خدعا واخذا على غرة ولو شاء ربك ما فعلوه ما فعلوا
ذلك اي ما عادوك او ما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بان يكفهم ولا يخليهم وشانهم فذرهم وما يفترون

وَلِتَصْغَى جواب محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في إِلَيْهِ يرجع الى ما يرجع اليه الضمير في فعلوه اي وليميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشيطان أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ الكفار وَلِيَرْضَوْهُ لانفسهم وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ من الآثام أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا على ارادة القول اي قل يا محمد أفغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ المعجز مُفَصَّلًا مبيّنا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له فقوله وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان يكون فلا تكونن خطابا لكل احد على معنى انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب لرسول الله خطاب لامته وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وقيل هي القرآن وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ اكثر الناس يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ اضلوك لان الاكثر في غالب الامر يتبعون اهواءهم ثم قال إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ يقدرون انهم على شيء او يكذبون في ان الله حرم كذا واحل كذا إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ وقرئ من يُضل بضم الياء اي يضله الله عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ فكلوا مسبّب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تأكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا واي غرض لكم في ان لا تأكلوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ وقد بين لكم مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصّل لكم ما حرّم عليكم على تسمية الفاعل وهو الله عز وجل إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ قرئ بفتح الياء وضمها بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ اي يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق والى على وان اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل

الضمير راجع الى الموصول على تقدير ارجاع المضاف ه
اي المضاف محذوف من قوله مما لم يذكر اسم التقدير
ان اكل ما لم يذكر ه

مما لم يذكر

ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد قلت قد تأوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله او فسقا اهل لغير الله به وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ ليوسوسون إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ من المشركين لِيُجَادِلُوكُمْ بقولهم ولا تأكلون مما قتله الله وبهذا يرجح تأويل من تأوله بالميتة وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة رضي الله عنه مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي رحمهما الله فيهما أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال بمن كان ميتا فاحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار اي صفتها هذه وهي قوله فيها انهار كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اي زينه الشيطان او الله عز وجل على قوله زينا لهم اعمالهم ويدل عليه قوله وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا فيها وما كففناهم عن المكر وخص الاكابر لانهم كانوا هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله امرنا مترفيها وقرئ اكبر مجرميها على قولك هم اكبر قومهم واكابر قومهم وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم لموعد بالنصرة عليهم وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ روي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت ونحوها قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ كلام مستأنف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا من اكابرها صَغَارٌ وقماءة بعد كبرهم وعظمهم عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ في الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ اي يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ ان يخذله ويخليه وشأنه وهو الذي لا لطف له يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا بالتخفيف والتشديد حرِجا بالكسر وحرَجا بالفتح وصفا بالمصدر كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة وقرئ يصعد وقرأ عبد الله يتصعد ويصاعد واصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من اصعد كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ يعني

الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب واراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب
من الارتجاس وهو الاضطراب وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان
مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على انه حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا قد فصلنا الايات لقوم يذكرون
لهم لقوم يذكرون دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل آفة وكدر عند
ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى او ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من
قرة اعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون
ويوم يحشرهم منصوب بمحذوف اي واذكر يوم نحشرهم جميعا او ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن او ويوم نحشرهم وقلنا
يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم من الانس
اضللتم منهم كثيرا او جعلتموهم اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان
من الاشياع وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض
اي انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم
وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في اغوائهم وقيل استمتاع الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن وان الرجل كان اذا نزل واديا وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن
بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعنون
يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام
لربهم وتحسر على حالهم قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله اي تخلدون في عذاب النار الابد كله
الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا
فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم او يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره
ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم انه لا
يشاء الا التشفي منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع تهكم بالموتور
لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا يفعل شيئا الا بموجب الحكمة عليم بان الكفار يستوجبون
عذاب الابد وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس
او نجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيمة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر و
المعاصي يا معشر الجن والانس يقال لهم يوم القيمة على جهة التوبيخ الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي و
ينذرونكم لقاء يومكم هذا واختلف في ان الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الاية ولم يفرق
بين مكلفين ومكلفين ان يبعث اليهم من جنسهم لانهم به آنس وله آلف وقال الآخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل
رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل

اي حال مؤكدة هي اللازمة التي لا تنفك ... ٥

ما هنا مصدرية ويقدر معه مضاف محذوف تقديره الا اوقات مشيئة الله تعالى ٥

هو الموتور الذي قتل له قتيل ولم يظفر بدمه من الوتر وهو الحقد اي المحقود ٥

قوله ويكون عطف على قوله الا الاوقات من حيث المعنى لان هذا اشارة الى جواب آخر ٥

اراد رسل الرسل من الجن اليهم كقوله ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد يبعثون الى
الانس ورسول الله الى الانس والجن قالوا شهدنا على انفسنا حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله الم يأتكم لان الهمزة
الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم
وانهم محجوجون بها فان قلت وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ما لهم مقرين في هذه
الاية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت تتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون
في بعضها ويجحدون في البعض او اريد شهادة ايديهم وارجلهم وجلودهم حين يختم على افواههم فان قلت لم كرر ذكر
شهادتهم على انفسهم قلت الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف
لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحيوة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اضطروا الى
الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم
ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك
ان لم يكن ربك مهلك القرى تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم
على ان ان هي التي تنصب الافعال ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على معنى لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك
القرى بظلم ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع بظلم واهلها غافلون
بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عن الظلم
وعن كل قبيح ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون
بساه عنه يخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحق عليه من الاجر وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة
يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما
يشاء من الخلق المطيع كما انشأكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم
وهم اهل سفينة نوح عليه السلام انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة
وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على جهتكم وحالكم
التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني
عامل اي عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم
فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على
المأمور بانه لا يأتي منه الا الشر فكانه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتقصى عنه ويعمل بخلافه من تكون له
عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون فان قلت ما موضع من قلت الرفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه فعل
العلم او النصب اذا كان بمعنى الذي وعاقبة الدار الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك

العاقبة من الصفات الغالبة اي المحمود من الامر والخير المطلوب على خلاف العصبة ٥

فيه انصاف في المقال وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذِر محق وان المنذَر مبطل وجعلوا لله مما ذرأ
من الحرث والانعام نصيبا كانوا يعيّنون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء منهما لالهتهم فاذا رأوا ما جعلوه
لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للالهة واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني و
انما ذاك لحبّهم لالهتهم وايثارهم لها وفي قوله مما ذرأ تنبيه على ان الله كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه وزكّاه
ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية فقالوا هذا لله بزعمهم وقرئ بالضم اي قد زعموا انه لله والله لم يأمرهم
بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم في القربة وهذا لشركائنا
فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق
على المساكين وما كان لله فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها
ونحو ذلك ساء ما يحكمون في ايثار الهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك زين لكثير من المشركين
قتل اولادهم شركاؤهم ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله والالهة او ومثل
ذلك التزيين البليغ والمعنى ان شركاءهم من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد ونحرهم
للالهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء
للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل اولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل
دل عليه زين كانه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم
شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء
لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد • زج القلوص ابي مزاده • فكيف به في
الكلام المنثور فكيف به في القران المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك ان رأى في بعض المصاحف شركائهم
مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب
ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا وليخلطوا عليهم دينهم وليشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين
اسمعيل حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس فان
قلت ما معنى اللام قلت ان كان التزيين من الشياطين ... فهي على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى
الصيرورة ولو شاء الله مشيئة قسر ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او ما فعل الشياطين او
السدنة التزيين او الارداء او اللبس او جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون
وما يفترونه من الافك او وافتراءهم وقالوا هذه انعام وحرث حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي
في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء
وعن ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم لالهتهم قالوا لا يطعمها الا من
نشاء بزعمهم يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي وانعام

لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها
والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها
اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله افتراء عليه اي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على انه مفعول
له او حال او مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا كانوا يقولون في اجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص
للذكور لا تأكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وانث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى
الاجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز ان يكون التاء للمبالغة
مثلها في راوية الشعر وان يكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية اي ذو خالصة وتدل عليه قراءة من قرأ خالصة
بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز ان يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه
حاله وقرأ ابن عباس خالصه على الاضافة وفي مصحف عبد الله خالص وان يكن ما في بطونها ميتة وقرئ وان تكن
بالتأنيث على وان تكن الاجنة ميتة وقرأ اهل مكة وان يكن ميتة بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في
قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكر او انثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه سواء سيجزيهم وصفهم
اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام انه
حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة
السبي والفقر سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم لا هم وقرئ قتلوا بالتشديد
وحرموا ما رزقهم الله افتراء من البحائر والسوائب وغيرها على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذي
انشأ جنات من الكروم معروشات مسموكات مرفوعات وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل
المعروشات ما في الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما انبته الله وحشيا
في البراري والجبال فهو غير معروش عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت
عرشه والنخل والزرع مختلفا اكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ اكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي
يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك
كقوله فادخلوها خالدين والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وقرئ ثمره بضمتين فان قلت
ما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه قلت لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت
الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع واتوا حقه يوم حصاده الاية
مكية والزكوة انما فرضت بالمدينة فاريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا
حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكوة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه
واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء ولا تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس

انه صرم خمس مائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا من الضان اثنين ومن المعز اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده فهو فرد واذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر والضان والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئا بفتح العين وقرأ ابي ومن المعزى وقرئ اثنان على الابتداء قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين الهمزة في آلذكرين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضان والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا بل اكنتم شهداء ومعنى الهمزة الانكار يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس بغير علم وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله عز وجل من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تاكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد قل لا اجد فيما اوحي الي تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها على طاعم يطعمه الا ان يكون الشيء المحرم ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح او لحم خنزير فانه رجس او فسقا عطف على المنصوب قبله سمي به ما اهل

به لغير الله لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق اهل لغير الله به صفة له منصوبة المحل ويجوز ان يكون مفعولا له من اهل اي اهل لغير الله به فسقا فان قلت فعلام يعطف قوله اهل والام يرجع الضمير في به على هذا القول قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ذو الظفر ما له اصبع من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء او ما اختلط بعظم وهو شحم الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما واو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن او ابن سيرين ذلك الجزاء جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقنا بهم الوعيد واحللنا بهم العقاب فان كذبوك في ذلك وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لاهل طاعته ولا يرد باسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا يغتروا برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين اشركوا اخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة الله وارادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم اي جاؤوا بالتكذيب المطلق لان الله عز وجل ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ ادلة العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا باسنا حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بان مثل قولهم محال ان تكون له حجة ان تتبعون الا الظن في قولكم هذا وان انتم الا تخرصون تقدرون ان الامر كما تزعمون او تكذبون وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة يعني فان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم اجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي ان تعلقوا دين من يخالفكم ايضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشيئة تجمع بين ما انتم عليه وبين ما هم عليه قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا هلم يستوي فيه الواحد والجمع والذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم فان شهدوا

فلا تشهد معهم فان قلت كيف امره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون ان الله حرم ما زعموه محرما ثم امره
بان لا تشهد معهم قلت امره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع
الشهداء انهم ليسوا على شيء لتساوي اقدام الشاهدين والمشهود لهم في انهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به وقوله
فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا اسلم لهم فكانه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا
منهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بايات الله و
عدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالايات موحدا لله والذين لا يؤمنون
بالاخرة وهم بربهم يعدلون فان قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون ان الله حرم هذا واي فرق بينه وبين
المنزل قلت المراد ان يحضروا شهداءهم الذين علم انهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم
ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فاضيف الشهداء لذلك وجيء بالذي
للدلالة على انهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله فان شهدوا فلا تشهد
معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا اناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق
وذلك ليس بالغرض وينافيه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم قل تعالوا تعال من الخاص الذي صار عاما واصله ان
يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به
شيئا وبالوالدين احسانا وما حرم منصوب بفعل التلاوة بمعنى اتل الذي حرمه ربكم او بحرم بمعنى اتل اي شيء حرم
ربكم لان التلاوة من القول وان في ان لا تشركوا به مفسرة ولا للنهي فان قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت
ان لا تشركوا بدلا مما حرم قلت وجب ان يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الاوامر
عليها وهي قوله وبالوالدين احسانا لان التقدير واحسنوا بالوالدين احسانا واوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله اوفوا
فان قلت فما تصنع بقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرا بالفتح وانما يستقيم عطفه على ان لا تشركوا اذا جعلت
ان هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى اتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد واتل عليكم ان هذا صراطي مستقيما قلت اجعل
قوله وان هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا بمعنى ولان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كانه قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم او واتبعوا صراطي انه مستقيم فان
قلت اذا جعلت ان مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب ان يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك
وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالاوامر قلت لما وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم
واشتركن في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك
العدل في القول ونكث عهد الله ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق نحن
نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم ذلكم وصيكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم

الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى
يبلغ اشده فادفعوه اليه واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالتسوية والعدل لا نكلف نفسا الا وسعها
الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة
فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فامر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه واذا قلتم فاعدلوا ولو كان المقول
له او عليه في شهادة او غيرها ذا قربى من اهل قرابة القائل فما ينبغي ان يزيد في القول او ينقص كقوله ولو على انفسكم او
الوالدين والاقربين وبعهد الله اوفوا ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطي مستقيما
وقرئ وان هذا صراطي بتخفيف ان واصله وانه هذا صراطي على ان الهاء ضمير الشان والحديث وقرا الاعمش وهذا صراطي
وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفي مصحف ابي وهذا صراط ربك فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة
في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم ايادي سبا عن
سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون وقرئ فتفرق بادغام
التاء وروى ابو وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد
ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الاية وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل وعن ابن عباس هذه الايات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل انهن
ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الايات
لاول شيء في التوراة فان قلت علام عطف قوله ثم اتينا موسى الكتاب قلت على وصيكم به فان قلت كيف صح عطفه
عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل امة على لسان نبيها كما قال ابن
عباس محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا
موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب
تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين وتدل عليه قراءة عبد الله على الذين احسنوا
او اراد به موسى عليه السلام اي تتمة للكرامة والنعمة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما امر به او تماما على الذي
احسن موسى من العلم والشرائع من احسن الشيء اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرا يحيى بن يعمر على الذي
احسن اي على الذي هو احسن دين وارضاه او اتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب اي على
الوجه والطريق الذي هو احسن وهو معنى قول الكلبي اتم له الكتاب على احسنه وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة
لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا
كراهة ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا يريدون اهل التوراة واهل الانجيل وان كنا ان هي المخففة
من الثقيلة عن دراستهم لغافلين واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم لغافلين على ان الهاء
ضمير الشان عن دراستهم عن قراءتهم اي لم نعرف مثل دراستهم او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى

منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب ووقايعها وخطبها واشعارها واسجاعها
وامثالها على انا اميون وقرئ ان يقولوا او يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة تبكيت لهم
وهو على قراءة من قرا يقولوا على لفظ الغيبة احسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم
فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ما عرف
صحتها وصدقها او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن
اياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب
هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب او ياتي ربك او ياتي كل ايات ربك بدليل
قوله او ياتي بعض ايات ربك يريد ايات القيامة والهلاك الكل يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع
نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت وبعض الايات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها
وغير ذلك وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما تتذاكرون
قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب
وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن لم
تكن امنت من قبل صفة لقوله نفسا وقوله او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت والمعنى ان اشراط الساعة
اذا جاءت وهي ايات ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها
من قبل ظهور الايات او مقدمة ايمانها غير كاسبة خيرا في ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا امنت
في غير وقت الايمان وبين النفس التي امنت في وقتها ولم تكسب خيرا ليعلم ان قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات جمع
بين قرينتين لا ينبغي ان تنفك احديهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا فالشقوة والهلاك قل انتظروا
انا منتظرون وعيد وقرئ ان تاتيهم الملائكة بالتاء والياء وقرا ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى
ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض اصابعه ان الذين فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود
والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت
النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين كلها في الهاوية الا واحدة
وقيل فرقوا دينهم فامنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم اي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما
لها لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة باية السيف انما
امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر امثالها على اقامة صفة الجنس
المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرئ عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد
من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافاة السيئات
عدل ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم قل انني هداني

ربي الى صراط مستقيم دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله ويهديكم
صراطا مستقيما قيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف
به وملة ابرهيم حنيفا عطف بيان وحنيفا حال من ابرهيم وما كان من المشركين قل ان صلوتي ونسكي وعبادتي
وتقربي كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلوة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل وصلوتي وحجي من مناسك الحج و
محياي ومماتي وما اتيه في حيوتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه لا
شريك له وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير
الله ابغي ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شيء
وكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل افغير الله تامروني اعبد ولا تكسب كل نفس الا
عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الارض لان محمدا خاتم النبيين خلفت امته سائر الامم او
جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض في الشرف
والرزق درجات ليبلوكم فيما اتيكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع
والحر بالعبد والغني بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف
العقاب بالسرعة لان ما هو ات قريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها
سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل
اية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية وهي مائتان وخمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

المص كتاب خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب وانزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا يكن
في صدرك حرج منه اي شك منه كقوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق
الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشك في انه منزل من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف
قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم فكان يضيق صدره من الاذى ولا ينبسط له فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم فان قلت
بم تعلق قوله لتنذر به قلت بانزل اي انزل اليك لانذارك به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن
انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فان قلت فما محل
وذكرى للمؤمنين قلت يحتمل الحركات الثلث النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى
اسم بمعنى التذكير والرفع على كتاب او بانه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل لتنذر اي للانذار وللذكرى فان
قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا ارينك ههنا اتبعوا ما انزل اليكم
من ربكم من القران والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء اي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن

والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهوآء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله تعالى وسنة محمد عليه الصلوة والسلم والله ما نزلت آية الا وهو يحب ان تعلم فيم نزلت وما معناها وقرا مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرى تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة وكم من قرية اهلكناها فجاءها فجاء اهلها باسنا بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله او هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم باسنا بائتين او قائلين فان قلت هل يقدر حذف المضاف الذى هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله او هم قائلون فان قلت لا يقال جاء في زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاء في زيد راجلا او هو فارس او جاء في زيد هو فارس لم تحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد على الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاء في زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاء في زيد هو فارس فخبيث فان قلت فما معنى قوله تعالى اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء الباس قلت معناه اردنا اهلاكها كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة انما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقت الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط عليه السلام اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب عليه السلام وقت القيلولة فما كان دعويهم اذ جاءهم باسنا ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاءهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسم له ويجوز العكس فلنسئلن الذين ارسل اليهم ارسل مسند الى الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسئلن المرسل اليهم وهم الامم يسالهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ويسال المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قلت فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم والوزن يومئذ الحق يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته اي الوزن يوم يسال الله الامم ورسلهم الوزن الحق اى العدل وقرى القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق تاكيدا للحجة واظهارا للنصفة

قوله وهو يحب نقل الواحدي في الوسيط ان هذا وهو موافق لمذهب اهل السنة وهذا المذهب المعتزلة ٥

اي ولا حاجة الى تقديره قبل قرية ولا قبل اهلكناها ٥

وايضا تقدم حال يدل على ان الذي عطف عليه حال ايضا فلم يحتج الى الاتيان بالواو لان الغرض من الاتيان بالواو الدالة على ان المذكور بعد حال والمصنف اشار بقوله عطفت على حال قبلها الى هذا المعنى ٥

الدعة الخفض والهاء عوض من الواو وتقول منه ودع الرجل بالضم فهو وديع اي ساكن ووادع ايضا مثل حمض فهو حايض ٥

قوله ثم قولهم يعني هذا التفسير ماخوذ من قول العرب دعواهم يا لكعب اي كان استغاثتهم بقول يا لكعب ٥

قال بعض العلماء في كتابه في النحو المسمى باللب الحق بدل من الضمير في يومئذ وضعف جعل الحق صفة للوزن للفصل بخبر المتعلق الظرف حينئذ بالمصدر وحكى باللام خبرا بعد خبر لتاخر الاعرف ٥

وقطعا

وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم ويشهد بها عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم ويشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحايفهم فيقرؤنها في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل فمن ثقلت موازينه الموازين جمع ميزان او موزون اى فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما كقوله تعالى فظلموا بها ولقد مكناكم في الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او ملكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز على التشبيه بصحائف قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم آدم عليه السلام طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم عليه السلام لا في قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ان لا تسجد صلته بدليل قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم فان قلت ما فائدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذى يدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك بالسجود اوجبه عليك ايجابا وحتمه حتما لا بد لك منه فان قلت لم سالهم عن المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه اصل آدم عليه السلام وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما راى ان سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب فان قلت كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا قلت قد استانف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وبعلة فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهي انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا ان يؤمر بما امر به قال فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما اظهر الاستكبار البس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين فان قلت لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده قال فبما اغويتني فبسبب اغوائك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه ومن آدم انفسا و

وعن الاصم امرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى
يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم فان قلت بم تعلقت الباء فان تعلقها بلاقعدن تصد عنه لام القسم لا تقول
والله بزيد لامرن قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوائك
اقسم ويجوز ان تكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من
احسن افعال الله تعالى لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاوس انه كان
في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول
هذا الرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على
اضافة القبائح الى الله تعالى ان لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه قيل باي
شيء اغويتني ثم ابتدأ لاقعدن واثبات الالف اذا ادخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي الفساد
ومنه غوي الفصيل اذا بشم والبشم الفساد في المعدة **لاقعدن لهم صراطك المستقيم** لاعترضن لهم على طريق الاسلام
كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج
بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن وعن النبي صلى الله عليه ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقة فقعد
له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه
فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل **ثم لآتينهم من بين**
ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو في الغالب وهذا مثل
لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك فان قلت
كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدي اليه
الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط
فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن
المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في
المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد
عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما
ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق
ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول
لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل
شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون **ولا تجد اكثرهم شاكرين** قال ظنا بدليل

قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم **قال اخرج منها مذءوما** من ذامه اذا ذمه
وقرأ الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤول واللام في **لمن تبعك منهم** موطئة للقسم و**لاملأن جهنم** جوابه
وهو ساد مسد جواب الشرط **منكم اجمعين** منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله تعالى انكم قوم تجهلون وروى عصمة
عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأن جهنم منكم اجمعين على ان لاملأن
في محل الابتداء ولمن تبعك خبره **ويا آدم** وقلنا يا آدم **اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا**
هذه الشجرة وقرئ هذي الشجرة والاصل الياء والهاء بدل منها **فتكونا من الظالمين** **فوسوس لهما الشيطان**
ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما ويقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير
متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس
اليه وهو الذي تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه ليبدي جعل ذلك غرضا له
ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل
مستهجنا في العقول فان قلت ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما في اويصل قلت لان الثانية مدة كالف
وارى وقد جاء في قراءة عبد الله اوري بالقلب **وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين**
الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملكية بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر
اللام لقوله وملك لا يبلى **او تكونا من الخالدين** من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ من سوتهما بالتوحيد
وسواتهما بالواو المشددة **وقاسمهما** واقسم لهما **اني لكما لمن الناصحين** فان قلت المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم
لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كانه قال لهما اقسم لكما اني
لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج
قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم **فدلاهما** فنزلهما الى الاكل من الشجرة **بغرور** بما غرهما به
من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان اذا رأى من عبده طاعة وحسن صلوة
اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له **فلما ذاقا الشجرة**
وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم **بدت لهما سوآتهما** اي تهافت عنهما
اللباس وظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها
ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما
وبين النظر **وطفقا** يقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل وقرأ ابو السمال وطفقا بالفتح **يخصفان** ورقة فوق ورقة
عليهما على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف النعل بان تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان بكسر
الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرأ الزهري يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اي يخصفان انفسهما
وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد **من ورق الجنة** قيل كان ورق التين **وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما**

عداوة مبين

الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطاء حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله
من عداوة ابليس عليه اللعنة وروي انه قال لآدم عليه السلام الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة
فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال
العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز عند خبزه
قالا ربنا ظلمنا انفسنا وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات
قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء عليهما السلام وابليس بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين يعاديهما
ابليس ويعاديانه ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش الى حين الى تقضي
آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وعن ثابت البناني لما اهبط آدم عليه السلام وحضرته الوفاة احاطت
به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء
وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم
بعده يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا جعل ما في الارض منزلا من السماء لانه قضي
ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي
انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ
عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى ولباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على
الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما
يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتداء كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا يخفى الاشارة
من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان يكون اشارة الى اللباس المواري للسوأة لان مواراة السوأة من التقوى تفضيلا
له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتداء محذوف اي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وابي
ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرئ
ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس عليهم
لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت
وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا
بان التستر باب عظيم من ابواب التقوى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يخدعنكم بان لا تدخلوا الجنة كما اخرج
ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان
سببا في ان نزع عنهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم
ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله وقبيله

وجنوده

وجنوده من الشياطين من حيث لا ترونهم وفيه دليل بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم
ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي
خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر ابلغ من الاول
فان قلت علام عطف وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه ضمير الشان والحديث وقرأ اليزيدي و
قبيله بالنصب وفيه وجهان ان يعطف على اسم ان وان يكون الواو بمعنى مع واذا عطف على اسم ان وهو الضمير في انه كان
راجعا الى ابليس واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها الفاحشة ما تبالغ في قبحه
من الذنوب اي اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما
باطل من العذر لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله والحاد في صفاته كانوا يقولون لو
كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن رحمه الله ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون
ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم
الداعي ووجود الصارف فكيف يامر بفعله اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على مبنى
قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة قل امر ربي بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس انه مستقيم
حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم وقل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين
الى غيرها عند كل مسجد في كل وقت سجود او في مكان سجود وهو الصلوة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين
اي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا كما بدأكم تعودون كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة
بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم الذين اسلموا اي وفقهم للايمان
وفريقا حق عليهم الضلالة اي كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله فريقا بفعل يفسره ما بعده
كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة انهم اي ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله
اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا دليل على ان علم الله تعالى لا اثر له في ضلالتهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم
الشياطين دون الله ويحسبون انهم مهتدون يا بني آدم خذوا زينتكم اي ريشكم ولباس زينتكم عند كل
مسجد كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يامرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع
ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا
من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وكان بنو
عامر في ايام الحج لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل
لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت
ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء
والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه فقال له وما هي قال قوله تعالى كلوا و

اشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا عليه السلام الطب في الفاظ يسيرة
قال وما هي قال قوله عليه السلام المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك
كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده من الثياب وكل ما يتجمل به والطيبات من الرزق
المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام فيه انكار تحريمهم هذه الاشياء وقيل كانوا اذا احرموا حرموا
الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم لان المشركين
شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون لا يشركهم فيها احد فان قلت
هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن
كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر قل انما حرم
ربي الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي تتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن والاثم عام لكل ذنب وقيل
شرب الخمر والبغي بغير الحق الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وان تشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطانا فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وان تتقولوا
عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل
بالامم فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات
في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون
عليكم آياتي هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة فان
قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى واصلح منكم فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون والذين كذبوا منكم بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وقرئ تأتينكم
بالتاء فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته او كذب ما
قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا
يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي
حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا ويتوفونهم حال من الرسل اي
متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة
بمعنى اين الآلهة الذين تدعون قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين غابوا عنا فلا نراهم
ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يجدوه في العاقبة قال ادخلوا اي يقول الله يوم
القيمة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته وهم كفار العرب في امم في موضع الحال
اي كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين لهم اي ادخلوا في النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم
من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها

جميعا

جميعا اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع والسفلة لاوليهم منزلة وهي
القادة والرؤس ومعنى لاوليهم لاجل اوليهم لان خطابهم مع الله تعالى لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا
ضعفا مضاعفا من النار قال لكل ضعف لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون
وقرئ بالتاء والياء وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى
للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب بما
كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الله لهم جميعا ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم
ابواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء فالمعنى
لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين
وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون فتحنا ابواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح
بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله عز وجل ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط وقرئ ابن عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن
القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل يناسب الخيط الذي يسلك في سم الابرة
والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا الدليل
انما هو خريت لاهتدائه في المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال واحلام العصافير
ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي
لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن ابن مسعود رضي الله عنهما انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل
واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف وقرئ في سم بالحركات الثلث وقرأ عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم
ما يخاط به وهو الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن ان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب
وان كل من اجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه لهم من جهنم مهاد فراش ومن
فوقهم غواش اغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله وكذلك نجزي الظالمين
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع
وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرأ الاعمش لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل
من كان في قلبه غل على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه
اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي وفقنا
لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم ان يكون

مهتدين لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف اهل الشام ماكنا لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة
للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا
بما نالوا وتلذذا بالتكلم لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح
لا للقربة ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ان مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها
والضمير ضمير الشان والحديث او تكون بمعنى اي لان المناداة من القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم
تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما يقول المبطلة ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا
حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بسبب ان في ان قد وجدنا
يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة وان تكون مفسرة كالتي سبقت آنفا وكذلك في ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا
لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة باصحاب النار وزيادة في غمهم وليكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن
بينهم ان لعنة الله على الظالمين وهو ملك يامره الله تعالى فينادي بينهم نداء يسمع اهل الجنة واهل النار وقرئ ان
لعنة الله بالتشديد والنصب وقرا الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على ارادة القول او على اجراء اذن مجرى قال فان قلت
هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا ربنا عليه ولقائل ان يقول اطلق ليتناول
كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيامة لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان
الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق لذلك الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم
بالآخرة كافرون وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور و
على الاعراف وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف
الديك رجال من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار
الى ان ياذن الله لهم في دخول الجنة يعرفون كلا من زمرة السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها
الله ذلك او تعرفهم الملائكة واذا نظروا الى اصحاب الجنة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم بالتسليم عليهم لم
يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار ورأوا ما هم فيه من العذاب قالوا ربنا لا تجعلنا مع
القوم الظالمين استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم
بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ونادوا رجالا من
رؤس الكفرة يقولون لهم اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء
يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة
يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى
الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتاخر على حسبها
وان احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده الا بتخلفه فيه وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا

علی احراز

على احراز قصبتهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب ان يوسم بها من اهل الخير والشر
فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا وقوله واذا
صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا وقرا الاعمش واذا قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا
الجنة على البناء للمفعول وقرا عكرمة دخلوا الجنة فان قلت كيف لاءم هاتين القراءتين قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
قلت تاويله ادخلوا الجنة او دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل قوله تعالى لم يدخلوها
وهم يطمعون قلت لا محل له لانه استيناف كان سائلا سال عن حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعني
حالهم ان دخولهم الجنة استاخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون
له محل بان يقع صفة لرجال ما اغنى عنكم جمعكم المال وكثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى
الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا فيه دليل على ان الجنة فوق النار
من الماء او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لانه في حكم الافاضة ويجوز ان يراد او القوا علينا مما رزقكم الله من الطعام و
الفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون ذلك مع ياسهم من الاجابة اليه حيرة في امرهم كما يفعل المضطر الممتحن
قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله حرام على عيني
ان تطعما الكرى الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين الذين
ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم و
لم يهتموا به وما كانوا باياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه
وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج وقرا ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة بمعنى فضلناه على جميع الكتب
عالمين انه اهل للتفضيل عليها هدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه لقوم يؤمنون
هل ينظرون الا تاويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتي
تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا اي تبين وصح انهم جاؤا بالحق او نرد جملة معطوفة
على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم
كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد من شفعاء فيشفعوا
لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون وقرا ابن ابي اسحق او
نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا او يكون او بمعنى حتى ان اي يشفعون لنا حتى نرد فنعمل وقرا الحسن بنصب نرد ورفع
فنعمل بمعنى فنحن نعمل ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار
وقرئ يغشي بالتشديد اي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس يغشى الليل
النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اي يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بمشيته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره

ولی بحثنا الی

وكما يريدان يصرفهما سمي ذلك امرا على التشبيه كانهن مامورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع
ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر اي هو الذي خلق الاشياء كلها وهو الذي صرفها على حسب ارادته
تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا
وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل اي تذللا وتملقا وقرئ خفية وعن الحسن ان الله يعلم القلب التقي والدعاء
الخفي ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس به وان
كان الرجل ليصلي الصلوة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون
على ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا
بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين
دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا به في كل شيء من الدعاء وغيره
وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي
صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل
واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تأويل الرحمة
بالرحم او الترحم او لانه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذلك بفعيل
فقيل قتلاء واسراء او على انه بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب او لان تأنيث الرحمة غير حقيقي قرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل
ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا واما بمعنى منشرات ونشرا جمع نشور ونشرا تخفيف نشر كرسل ورسل وهو الذي
يرسل الرياح بشرا وقرئ مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب ومنه قولهم ضم نشره
وبشرا جمع بشير وبشرا بتخفيفه وبشرا بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره اي باشرات وبشرى بين يدي رحمته
امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا حتى اذا اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان
الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو
حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت
فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك مثل ذلك الاخراج وهو
اخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة
للشيء بعد انشائه والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا الارض العذاة الكريمة التربة
والذي خبث الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا
لانه واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه وقرئ يخرج نباته اي يخرجه البلد وينبته وقوله والذي خبث صفة للبلد
ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه الذي هو الراجع الى البلد

مقامه

مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونبات الذي خبث وقرئ
نكدا بفتح الكاف على المصدر اي ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع
فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة
المؤمن سمع كتاب الله بعقله فوعاه وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل
واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف
الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء اي
يصرفها الله لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد
وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تأكيدا للجملة المقسم
عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح وهو ابن
خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح ابن لمك بن متوشلح بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس عليه السلم فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقرئ غيره بالحركات الثلث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم
اله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا او غير زيد فان
قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي الى عبادته لانه
هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيمة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان
قال الملأ من قومه الملأ الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء انا لنراك في ضلال مبين في ذهاب
عن طريق الصواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب فان قلت لم قال قال يا قوم ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا
قلت الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك الك
تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت كيف وقع قوله ولكني رسول من رب العالمين استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت
كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة
فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستأنفا بيانا لكونه رسول رب العالمين
والثاني ان يكون صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك لان الرسول
وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال انا الذي سمتني امي حيدره وقرئ ابلغكم بالتخفيف رسالات ربي
ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز
ان يريد رسالته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس وهي ثلثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة وانصح لكم
يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه
لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله ورسوله واعلم من الله ما
لا تعلمون اي من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين

وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله اليه او اراد واعلم من جهة الله اشياء لا علم لكم بها قد اوحي الي بها أَوَعَجِبْتُمْ الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل أكذبتم وعجبتم أَنْ جَاءَكُمْ من ان جاءكم ذِكْرٌ موعظة مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا ليحذركم عاقبة الكفر ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به فان قلت فِي الْفُلْكِ بم يتعلق قلت هو متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك او صحبوه في الفلك ويجوز ان يتعلق بفعل الانجاء اي انجيناهم في السفينة من الطوفان وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله ضائق به صدرك وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله في صدقه وامانته وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح واخاهم عطف على نوحا وهُودًا عطف بيان قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فان قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح عليه السلام قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ فان قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح قلت كان في اشراف قوم هود عليه السلام من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح عليه السلام مؤمن ونحوه قوله تعالى وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز ان يكون وصفا واردا للذم لا غير في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز اراد انه متمكن فيها غير منفك عنها وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون منهم فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم او انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ اي خلفتموهم في الارض او جعلكم ملوكا في الارض قد استخلفكم فيها بعدهم وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فيما خلق من اجرامكم ذهابا في الطول والبدانة قيل كان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم مائة ذراع فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ في استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء إلى ونحوه إنى وآناء وضلع واضلاع وعنب واعناب لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

فان قلت

فان قلت اذ في قوله اذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه والفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به فان قلت ما معنى المجيء في قوله تعالى اجئتنا قلت فيه اوجه ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم وان يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل الا الملائكة فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك وان لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ استعجال منهم للعذاب قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ اي حق عليكم ووجب او قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لابد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ عذاب والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ في اشياء ما هي الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال وجوده وهذا كقوله ما تدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وقطع دابرهم استيصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم ان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا عليه السلام نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية

الا يا قيل ويحك قم فهينم ۔ لعل الله يسقينا غماما

فيسقي ارض عاد ان عادا ۔ قد امسوا ما يبينون الكلاما

فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابا

الا ابيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه منادٍ من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن
ماء فخرجت على عاد من وادٍ لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم
ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة نعبدوا الله فيها حتى ماتوا فان قلت ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين
مع اثبات التكذيب بآيات الله قلت هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كانه قال وقطعنا
دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين والى ثمود اخاهم
صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قرئ الى ثمود بمنع الصرف بتاويل القبيلة والى ثمودٍ بالصرف بتاويل
الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح اخو جديس وقيل سميت ثمود لقلة
مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى قد جاءتكم بينة آية ظاهرة
وشاهد على صحة نبوتي من ربكم وكانه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وآية نصب على الحال و
العامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه الايمان خاصة
وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله
تعظيما لها وتفخيما لشانها وانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته كما تقول آية الله وروي ان
عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن
المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا
الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون
فحذرهم وانذرهم فسالوه آية فقال اية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو
آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة
فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة
ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم
المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت
عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن
به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء و
كانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت راسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤا حتى تمتلي
اوانيهم فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا
وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت بطن الوادي
فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امراتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت من
مواشيها وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان

صالح

صالح عليه السلام قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه
فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم
العذاب فلما راوا العلامات ارادوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا
بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فذروها تاكل في ارض الله اي الارض ارض الله
والناقة ناقة الله فذروها تاكل في ارض ربها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء لا
تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من الاذى اكراما لآية الله فياخذكم عذاب اليم وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء
المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه السلام يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله
اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك وقرا ابو جعفر في رواية تاكل في ارض الله وهو
في موضع الحال بمعنى آكلة واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم ونزلكم والمباءة المنزل في الارض في ارض
الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن و
الآجر وقرا الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى اسيل حرة وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا
آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا
وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب ولا القصبة قميصا وقلما في حال
الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء قال الملأ الذين استكبروا من
قومه للذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا
فان قلت الضمير في منهم راجع الى ماذا قلت الى قومه او الى الذين استضعفوا فان قلت هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف
المعنى قلت نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان
مقصورا على المؤمنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا
مؤمنين وكافرين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون
ان الله فوق العرش فان قلت كيف صح قولهم قالوا انا بما ارسل به مؤمنون جوابا عنه قلت سالوهم عن العلم بارساله فجعلوا
ارساله امرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كانهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله
لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي آمنتم به
كافرون فوضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما واخذوه مسلما قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم
به كافرون فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم
كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن امر ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله وعاتين وامر ربهم ما امرهم به على لسان
صالح عليه السلام من قوله تعالى فذروها تاكل في ارض الله او شان ربهم وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كان

كان امرهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما فعلته عن امري وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت
من المرسلين اراد من العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به
كافرون وهو كونه من المرسلين فاخذتهم الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها فاصبحوا في دارهم في بلادهم او
في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي
عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسالوا الايات فقد سالها قوم صالح عليه
السلام فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب
قومه وروي ان صالحا كان بعثه الى قوم فخالف امره وروي انه مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر
قصة ابي رغال وانه دفن هاهنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم وقال
الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعدما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم
ويقول يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا
في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين راى العلامات
قبل نزول العذاب وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة
من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا
ديارهم فان قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وقد كان نصحه
فلم يسمع منه حتى القى بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية
ولوطا وارسلنا لوطا واذ ظرف لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه اتاتون الفاحشة اتفعلون
السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام
سبقك بها عكاشة من احد من العالمين من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض
فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة مستانفة انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها
او على انه جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا لم لا ناتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به انكم لتاتون الرجال
بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها في اتاتون للانكار والتعنيف وقرئ انكم على الاخبار المستانف لتاتون الرجال من اتى المراة
اذا غشيها شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه
وصف لهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين
الى السماجة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح
وتدعو الى اتباع الشهوات وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة
حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم يعني
ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر

كله ولكنهم جاءوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من
وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول
الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف وارحونا من هذا المتزهد فانجيناه واهله ومن
يختص به من ذويه او من المؤمنين الا امراته كانت من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب
الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة
خمس مداين وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم و
امطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر
اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
فان قلت اي فرق بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حرى غير ممطور حري ان يكون
غير ممطور ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى
ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا
وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين والى مدين اخاهم شعيبا قال يا
قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره كان يقال لشعيب خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس
للمكاييل والموازين قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما
امركم به والانتهاء عما انهاكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم فان قلت
ما كانت معجزته قلت قد وقع العلم بانه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد
له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبيا لا نبيا غير ان معجزته لم تذكر في القرآن كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه
ومن معجزات شعيب عليه السلام ما روي من محاربة عصا موسى التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة
حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لان
هذه كلها كانت قبل ان يستنبأ موسى فكانت معجزات لشعيب فان قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال
والميزان كما في سورة هود قلت اريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او
اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميلاد والميعاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه اذا نقصته
اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل اشياءهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شيء
في مبايعاتهم او كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه كما يفعل امراء الحرمين وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب
بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر واعطوه بدلها زيوفا ولا تفسدوا
في الارض بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح فيها الصالحون من الانبياء واتباعهم العاملين
بشرائعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار يعني بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف

ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض والى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه
ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس ارغب في متاجرتكم
اذا عرفوا منكم الامانة والتسوية ان كنتم مؤمنين ان كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ولا تقعدوا ولا تقتدوا
بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اى بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على ان المراد
بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله من آمن به ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي لا تقعدوا
موعدين وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجا فان قلت صراط الحق واحد وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام
كثيرة مختلفة فكانوا اذا راوا احدا يشرع في شيء منها اوعدوه وصدوه وتصدون عن سبيل الله من آمن به
فان قلت الام يرجع الضمير في آمن به قلت الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي
هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق و
المراصد فيقولون لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق
وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة
لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج واذكروا
اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم
قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين
فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد وانظروا كيف كان عاقبة
المفسدين آخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة
وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله
بيننا اى بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله
فتربصوا انا معكم متربصون او هو موعظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله
بينهم وينتقم منهم لهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اى ليصبر المؤمنون على اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من
ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف
قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا
اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان
عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على
الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين فان قلت كيف خاطبوا شعيبا بالعود في
الكفر بقولهم ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبياء لا يجوز عليهم من الصغائر

حسن الاحدوثة ما يتحدث به ه

المؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت اي انقلبت ه

قوله او هو عطف على قوله فاصبروا فتربصوا يعني ان كان الخطاب للكافرين فمعنى فاصبروا فتربصوا اذ ليس المراد بالصبر والمعنى على ذكر وان كان الخطاب للمؤمنين فالمراد حثهم على الصبر على ما ذكر ه

الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا
على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن في ملتنا فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا
اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد
عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء للكلام على حكم التغليب فان قلت ما معنى قوله وما يكون
لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله والله تعالى متعال عن ان يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر قلت معناه الا ان يشاء الله
خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا
كل شيء علما اي هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو
بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان
ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما لطمعهم في العود لان مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج من الحكمة او لو كنا
كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا
وما يصح ربنا افتح بيننا احكم بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان تنزل
عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فان قلت كيف اسلوب قوله
قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا
فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافتراء من الكافر لان
الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم انه قد تبين له
ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا
وقال الملأ الذين كفروا من قومه اي اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا
لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل
تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية فان قلت ما جواب القسم الذي
وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في
دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا
الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستؤصلوا كان لم يقيموا في دارهم
لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين هم المخصوصون بالخسران العظيم
دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستيناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه
لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت
لكم فكيف آسى على قوم كافرين الأسى شدة الحزن قال العجاج وانحلبت عيناه من فرط الأسى اشتد حزنه على
قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد

لان قوله تعالى كأن لم يغنوا فيها مستانف وقوله هم الخاسرون بطريق الاطلاق وفيه كلمة الاختصاص فيكون الاختصاص تابعا في الاول وكلمة الاختصاص تام ه

تمامه
وكيف غربي دالج تبجا
انحلبت عيناه اي سال دمع عينيه الاسى شدة الحزن والوكف القطر والغربي تثنية الغرب الدلو العظيم والدالج الجمل الذي ياخذ الدلو من البئر فيمشي بها الى الحوض تبجا اي انغرب سعة وكثرة فيقول سال دمع عينيه من شدة الحزن كما سال وكيف دلوي دالج تبجا ه

لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني أنه
لا يأسى عليهم لأنهم ليسوا أحقاء بالأسى وقرأ يحيى بن وثاب فكيف إيسى بكسر الهمزة وما أرسلنا في قرية من نبي
إلا أخذنا أهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه
لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة
أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى
عفوا كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر إذا كثرت ومنه قوله عليه السلام
وأعفوا اللحى وقال الحطيئة بمستأسد القريان عاف نباته وقال ولكنا نعض السيف منها بأسوق عافيات الشحم كوم
وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعني وأبطرتهم النعمة وأشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في
الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
فلم يبق بعد ابتلائهم بالحسنات والسيئات إلا أن نأخذهم بالعذاب فأخذناهم أشد الأخذ وأفظعه وهو أخذهم
فجأة من غير شعور منهم ولو أن أهل القرى اللام في القرى إشارة إلى القرى التي دل عليها قوله وما أرسلنا في قرية
من نبي كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا
عليهم بركات من السماء والأرض لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل أراد المطر والنبات ولكن كذبوا
فأخذناهم بما كانوا يكسبون بسوء كسبهم ويجوز أن يكون اللام في القرى للجنس فإن قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت
تيسيرها عليهم كما يتيسر أمر الأبواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ إذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها
عليه بالتلقين أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم
بأسنا ضحى وهم يلعبون البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون ويكون
بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز أن يراد أن يأتيهم بأسنا بائتين أو وقت بيات أو مبيتا
أو يكون بمعنى تبييتا كأنه قيل أن يبيتهم بأسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال أتيته ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الأصل
اسم لضوء الشمس إذا أشرقت وارتفعت والفاء والواو في أفأمن وأو أمن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الإنكار فإن قلت
ما المعطوف عليه ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف عليه قوله فأخذناهم بغتة وقوله ولو أن أهل القرى
إلى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وإنما عطفت بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد
ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ أو أمن على العطف بأو وهم يلعبون
يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون فإن قلت فلم رجع فعطف بالفاء قوله أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر
الله إلا القوم الخاسرون قلت هو تكرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه
فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم
أن ابنته قالت له ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يا بنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا

٨ أسد ... قوي والقريان جمع القري ... ه

قوله ٧ نعض نجعل عاضا والباء زائدة لأن قوله نعض يتعدى إلى المفعول بلا باء ه

٩ الكوم جمع كوماء وهي العظيمة السنام ه

يعني شبه تيسير البركات بفتح الباب ثم قيل فتحنا أي يسرنا فهو استعارة تبعية ه

او مبيتين

٣ الغيلة بالكسر الاغتيال يقال قتله غيلة وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فإذا صار إليه قتله ه

أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء إذا قرئ أولم يهد بالياء كان أن لو نشاء مرفوعا بأنه فاعله
بمعنى أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم
كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين وإذا قرئ بالنون فهو منصوب كأنه قيل أولم يهد الله للوارثين
هذا الشأن بمعنى أولم يبين لهم أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وإنما عدي فعل الهداية باللام
لأنه بمعنى التبيين ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فإن قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه أوجه أن
يكون معطوفا على ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم أو على يرثون الأرض وأن يكون
منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم فإن قلت هل يجوز أن يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا
ويعطف على أصبناهم قلت لا يساعد عليه المعنى لأن القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف
الذنوب والإصابة بها وهذا التفسير يؤدي إلى خلوهم عن هذه الصفة وأن الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص
عليك من أنبائها كقوله هذا بعلي شيخا في أنه مبتدأ وخبر وحال ويجوز أن يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وأن يكون
القرى ونقص خبرا بعد خبر فإن قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد
بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم فإن قلت ما معنى الإخبار عن القرى بنقص عليك من
أنبائها قلت معناه أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك ولقد جاءتهم
رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوا من آيات الله من قبل مجيء الرسل
أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم
إلى أن ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى
اللام تأكيد النفي وأن الإيمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك
مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد الضمير للناس على الإطلاق
أي ما وجدنا لأكثر الناس من عهد يعني أن أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الإيمان والتقوى وإن وجدنا أكثرهم
لفاسقين فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز أن يرجع الضمير إلى الأمم المذكورين وأنهم كانوا
إذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن
لك إلى قوله إذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول إن المخففة واللام الفارقة
ولا يسوغ ذلك إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد
جاءتهم رسلهم أو للأمم بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من واد
واحد إن الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولأنه إذا وجب
الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها أي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو
موضع الإيمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الأكاسرة

على الوجهين يكون مجرد الأول مفعوله الثاني محذوف أي أولم يتبين هذا الشأن للذين يخلفون من خلا قبلهم الطريق المستقيم ه

قوله ٣ والإصابة بها المراد بهذه الإصابة هو أنهم أصيبوا وليس بمعنى الإصابة في قوله تعالى أصبناهم بذنوبهم ...

لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس ه

أي القصة معلومة فالفائدة في الخبر ه

من قبل ه

٤ الشكيمة في اللجام الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها ... وفلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس أنفا أبيا وفلان ذو شكيمة إذا كان لا ينقاد ه

وإن النقصان والتحريف ... ه

والتقدير إذا عاهدوا قائلين لئن أنجيتنا ... في المصحف ... لفظ القرآن في آية أو آيتين ه

٥ أن المخففة من الثقيلة لا تدخل إلا على الأفعال الداخلة على المبتدأ أو الخبر ه

هذا وجه ثان لإطلاق الظلم على الكفر له

فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان اني رسول من رب العالمين حقيق
على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهورة وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع وحقيق ان
لا اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهي قراءة ابي وفي المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان
يكون مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح والثاني
ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له والثالث ان يضمن حقيق
معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب اذا تغنى الحمام الورق هيجني والرابع وهو الاوجه الادخل
في نكت القران ان يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي ان عدو الله
فرعون قال له لما قال اني رسول من رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون
انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين
الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد ابائهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون
نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله بموسى وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام
قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين فان قلت كيف قال فات بها بعد قوله ان كنت جئت
باية قلت معناه ان كنت جئت من عند من ارسلك باية فاتني بها واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فالقى
عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وروي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين
لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون لياخذه فوثب فرعون
من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة
وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه
موسى فعاد عصا ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين فان قلت بم يتعلق للناظرين قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي
بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه
كما تجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة
صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام ادم شديد الادمة
قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس بخدعة من خدعه
حتى خيل اليهم العصا حية والادم ابيض فان قلت قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وانه قاله للملا
وعزي ههنا اليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم يرى الواحد منهم الراي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة
والدليل عليه انهم اجابوه في قولهم ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم وقرئ سحار اي ياتوك
بكل ساحر مثله في العلم والمهارة او بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون
من امرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك براي وقيل فماذا تامرون من كلام فرعون قاله للملا لما قالوا ان هذا

لساحر

لساحر عليم يريد ان يخرجكم كانه قيل فقال فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه ومعنى ارجئه واخاه اخرهما واصدرهما
عنك حتى ترى رايك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وقرئ ارجئه بالهمزة وارجه من ارجاه وارجاه وارسل في
المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا فان قلت هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا
قلت هو على تقدير سائل سال ما قالوا اذ جاؤه فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين اي جعلا
على الغلبة وقرئ ان لنا لاجرا على الاخبار واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم كقول
العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة فان قلت قال نعم وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه قلت
هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ايجابا لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين
اراد اني لا اقتصر بكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب
انما يتهنا بما يصل اليه ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر من يخرج وروي
انه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد علمنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من
السماء فانه لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلثين الفا واختلفت الروايات فمن
مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر قالوا
يا موسى اما ان تلقي تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل ان
يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان يتاخذوا للصراع وقولهم واما ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان
يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر او تعريف الخبر واقحام الفصل قال بل القوا وقد سوغ لهم موسى
ما تراغبوا فيه ازدراء لشانهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التاييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا فلما
القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله يخيل اليه من
سحرهم انها تسعى روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملات الارض وركب بعضها
بعضا واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم في باب السحر روي انهم
لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي
تلقف ما يافكون ما موصولة او مصدرية بمعنى ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمافوك
بالافك روي انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته
تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق
فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاثر فيها من قولهم قاس وقيع وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا
هنالك وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين والقي السحرة ساجدين وخروا سجدا كانما القاهم ملق
لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا عن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي اخره شهداء بررة وعن
الحسن تراه ولد في الاسلام ونشا بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشاوا في الكفر بذلوا انفسهم لله قالوا

آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم آمنتم به على الإخبار أي فعلتم هذا الفعل
الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الإنكار والاستبعاد إن هذا لمكر مكرتموه
في المدينة لتخرجوا منها أهلها إن صنعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا منها إلى هذه الصحراء قد
تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو أن تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني إسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس
لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان وروي أن موسى قال للساحر الأكبر أتؤمن بي إن غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وإن
غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد أجمله ثم فصله بقوله لأقطعن أيديكم
وأرجلكم من خلاف وقرئ لأقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لأصلبنكم أجمعين من خلاف من كل شق طرفا وقيل
إن أول من قطع من خلاف وصلب لفرعون قالوا إنا إلى ربنا منقلبون فيه أوجه أن يريدوا إنا لا نبالي بالموت لانقلابنا
إلى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك ونتقلب إلى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب وأنا
جميعا يعنون أنفسهم وفرعون ننقلب إلى الله فيحكم بيننا وإنا لا محالة ميتون منقلبون إلى الله فما تقدر أن تفعل بنا
إلا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا أراد وما تعيب منا إلا
ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ٭ بهن فلول من قراع الكتائب ربنا
أفرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء إفراغا وعن بعض السلف إن
أحدكم ليفرغ على أخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك أي يغمره بالحياء والخجل أو صب علينا ما يطهرنا من أوضار الآثام وهو الصبر
على ما توعدنا به فرعون لأنهم علموا أنهم إذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على
الإسلام وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك عطف
على ليفسدوا لأنه إذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا إلى ما دعوه فسادا وإلى تركه وترك آلهته فكأنه تركهم لذلك أو
هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة ألم أك جاركم وتكون بيني وبينكم المودة والإخاء والنصب
بإضمار أن تقديره أيكون منك ترك موسى ويكون تركه إياك وآلهتك وقرئ ويذرك وآلهتك بالرفع عطفا على أتذر بمعنى
أتذره ويذرك أي أتطلق له ذلك أو يكون مستأنفا أو حالا على معنى أتذره وهو يذرك وآلهتك وقرأ الحسن ويذرك
بالجزم كأنه قيل يفسدوا كما قرئ وأكن من الصالحين كأنه قيل إن أصدق وقرأ أنس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب أي يصرفنا
عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك وإلاهتك أي عبادتك وروي أنه قال ذلك لأنه وافق السحرة على الإيمان ستمائة ألف
نفس فأرادوا بالفساد في الأرض ذلك وخافوا أن يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا
إليه كما تعبد عبدة الأصنام الأصنام ويقولون ليقربونا إلى الله زلفى ولذلك قال أنا ربكم الأعلى قال سنقتل أبناءهم و
نستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الأبناء ليعلموا أنا على ما كنا عليه من الغلبة
والقهر وأنهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا وأن غلبة موسى لا أثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة أنه هو
المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتباعه وأنه منتظر

بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل أبناءهم فجزعوا منه وتضجروا
يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بني إسرائيل من إهلاك القبط وتوريثهم أرضهم وديارهم
فإن قلت لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على التي قبلها قلت هي جملة مبتدأة مستأنفة وأما وقال الملأ من قوم فرعون
فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون وقوله إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده يجوز أن يكون اللام
للعهد ويراد أرض مصر خاصة كقوله وأورثنا الأرض وأن يكون للجنس فيتناول أرض مصر لأنها من جنس الأرض كما قال ضمرة
إنما المرء بأصغريه فأراد بالمرء الجنس وعرض أن يتناوله ولا أولياء والعاقبة للمتقين بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين
منهم ومن القبط وأن المشيئة متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب أبي وابن مسعود عطفا على الأرض قالوا أوذينا
من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى إلى أن استنبئ وإعادته عليهم بعد ذلك و
ما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من أنواع الخدم والمهن ويمسون به من العذاب قال عسى ربكم أن يهلك
عدوكم ويستخلفكم في الأرض تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده
في أرض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد
منكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله عليه ورضوانه أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان فطلب زيادة
لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعدما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون ولقد أخذنا
آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات بالسنين بسني القحط والسنة من الأسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك
وقد اشتقوا منها فقالوا أسنت القوم بمعنى أقحطوا وقال ابن عباس أما السنون فكانت لباديتهم وأهل مواشيهم وأما نقص
الثمرات فكان في أمصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا ثمرة لعلهم يذكرون فيتنبهوا على أن ذلك
لإصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولأن الناس في حال الشدة أضرع خدودا وألين أعطافا وأرق أفئدة وقيل عاش
فرعون أربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلاثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أو حمى لما ادعى الربوبية فإذا
جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه أي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية
واللام مثلها في قولك الجل للفرس وإن تصبهم سيئة من ضيقة وجدب يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا
ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك فإن قلت كيف
قيل فإذا جاءتهم الحسنة بإذا وتعريف الحسنة وإن تصبهم سيئة بإن وتنكير السيئة قلت لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته
واتساعه وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت أيام البلاء فهل عددت
أيام الرخاء ألا إنما طائرهم عند الله أي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم
من الحسنة والسيئة وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله ويجوز أن يكون معناه ألا إنما سبب شؤمهم
عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لأجله ويعاقبون له بعد موتهم بما
وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الآية ولا طائر أشأم من هذا وقرأ الحسن إنما طيرهم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير

تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير وقالوا مهما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك
بمؤمنين مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج اينما تكونوا يدرككم
الموت فاما تذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس
من زعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين
فان قلت ما محل مهما قلت الرفع بمعنى ايما شيء تاتنا به او النصب بمعنى ايما شيء تحضرنا تاتنا به ومن آية تبيين لمهما و
الضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى لانه في معنى الآية ونحوه قول
زهير * ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم * وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها
من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس
من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تاتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر به وهذا
واشاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه فان قلت كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سموها
آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي فارسلنا عليهم
الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل قيل طفا الماء فوق حروثهم وذلك انهم
مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى
كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس
غرق ولم تدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة
ايام وعن ابي قلابة الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى
ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله
فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب
ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى عليه السلام الى
الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا
شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول ابي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل
البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان
ياكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منها الا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان
الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم
جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك
ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب
ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثب الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم

فلا يقدرون

فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا
هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد
فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء
واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان
المرأة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى
على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم
النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم
هذه الآيات وروي انه لما اراهم العصا واليد ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه
بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم و
قرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات
مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم
او فصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة
عليهم فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما ان يتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى
ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك
واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم
الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال
وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن لما
كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة
البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين
اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل
بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية التي باركنا فيها بالخصب و
سعة الارزاق وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل كلمة ربك الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين
استضعفوا الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت
من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع
وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله

الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولي الصبر وقرا عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى
ونظيره من آيات ربه الكبرى ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء
القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وهو الذي انشأ جنات معروشات او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة
في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قرأ بعض الناس
يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه وهذا آخر ما اقتص الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات
الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبأ بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من مملكة فرعون واستعباده
ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي
ليعلم حال الانسان وانه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله
صلى الله عليه وسلم مما رأى من بني اسرائيل بالمدينة فقال وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وروي انه عبر بهم موسى
يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم
يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا
من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك
اعلاه وعلاه وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها قالوا يا موسى اجعل لنا الها صنما نعكف عليه كما لهم
آلهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال له اختلفتم
بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولم تجف اقدامكم قال انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على
اثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم مما رأى منهم ولا اشنع ان
هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا ويقال
لكسار الذهب التبر اي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل
ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا
الى الله كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة
الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة
ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا قال اغير الله ابغيكم الها اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فعل بكم
ما فعل دون غيركم من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم وهو فضلكم على العالمين لتختصوه بالعبادة ولا
تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله وإذ انجيناكم
من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها فان قلت ما محل
يسومونكم قلت هو استيناف لا محل له ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من آل فرعون يقتلون ابناءكم ويستحيون
نساءكم وفي ذلكم اشارة الى الانجاء او الى العذاب والبلاء النعمة والمحنة بلاء من ربكم عظيم روي ان موسى عليه السلام

وعد

الطيش النزق والخفة والرزانة الوقار وقد رزن الرجل بالضم فهو رزين اي وقور وامرأة رزان اذا كانت رزينة في مجلسها ه

وقولهم ما في ملكه شيء وملكه شيء اي لا يملك شيئا وفيه لغة ثالثة ما في ملكته شيء ه

كند كنودا كفر النعمة فهو كنود وامرأة كنود ايضا

لخم حي من اليمن ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية ه

قال علي اولا في جواب اليهودي اختلفنا عنه لا فيه ثم ثنى بما ذكر في المتن ه

فضاض الشيء ما تفرق منه عند كسر اياه ه

قوله الحال هو غيره مفعول تقدم او صفة مقدرة والها هو المفعول ه

الطلبة ما طلبته من شيء او هو هنا بمعنى المصدر

كسته خسفا اي اولبته اياه ه

وعدهم وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما اهلك فرعون سأل موسى
ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم
من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من
ريح المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وقيل امره الله بان يصوم
ثلاثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله ثم انزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة
وفصلها ههنا فتم ميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له اربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد
وقال موسى لاخيه هرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح
اي كن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه ولا
تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص مجيئه لميقاتنا
كما تقول لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام
كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي ان موسى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه اربعين يوما واربعين ليلة و
كتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ثاني مفعولي ارني
محذوف اي ارني نفسك انظر اليك فان قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك قلت معنى ارني نفسك اجعلني
متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك فان قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي لقوله انظر اليك قلت لما قال
ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن
تراني ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف طلب موسى ذلك وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز
وبتعاليه عن الرؤية التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون
في جهة ومنع المجبرة احالته في العقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين
اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم و
دعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلبه الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم
الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن
لك حتى نراه فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من
الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر اليك فان قلت فهلا قال ارهم ينظروا اليك قلت لان الله سبحانه وتعالى
انما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة ارادوا ان يري موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه كلامه
فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب وانكر عليه في نبوته
واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار ولان الرسول امام امته وكان ما يخاطب به

او يخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة عن مقترحهم
وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه فكيف بمن هو اعرق في معرفة الله من واصل بن عطاء وعمرو
بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فان قلت ما معنى لن قلت تاكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك
ان لا تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تاكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته فان
قلت كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت اتصل به على معنى ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن
عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله
دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية
ما مثله عند نسبة الولد اليه في قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا
في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض
وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك
ثم كيف بني الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله فان استقر مكانه فسوف
تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول
كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة او ارضا دكا
مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء اي مدها مستوية وقرأ
يحيى بن وثاب دكا اي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا وخر موسى صعقا من هول ما راى وصعق من باب فعلته
ففعل يقال صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه على راسه ومعناه خر مغشيا
عليه غشية كالموت وروي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض
في رؤية رب العزة فلما افاق من صعقته قال سبحانك انزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك
من طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس فان قلت فان كان طلب الرؤية للغرض
الذي ذكرته فمم تاب قلت من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله فانظر الى
اعظام الله امر الرؤية في هذه الآية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة
في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال انا اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين
بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات
اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفة قد شبهوه بخلقه وتخوفوا
شنع الورى فتستروا بالبلكفة وتفسير آخر وهو ان يريد بقوله ارني انظر اليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة
في جلائها باية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة اضطرار كاني انظر اليك كما جاء في

الحديث

الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلا واستوى
قال لن تراني اي لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فاني اورد
عليه واظهر له آية من تلك الآيات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى
ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما راى فلما افاق قال سبحانك تبت
اليك مما اقترحت وتجاسرت وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك وان شيئا لا يقوم لبطشك وباسك قال يا موسى اني
اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي وهي اسفار التوراة وبكلامي وبتكليمي اياك
فخذ ما آتيتك ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم وقيل
خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التوراة يوم النحر فان قلت كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله
نبيا قلت اجل ولكنه كان تابعا له وردءا ووزيرا والكليم هو موسى والاصيل في حمل الرسالة وكتبنا له في الالواح
من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء ذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح
وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى
بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة
وان طولها كان عشرة اذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء
كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه
في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا
بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين
فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في فخذها للالواح او لكل شيء لانه
في معنى الاشياء او للرسالات او للتوراة ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل وامر قومك ياخذوا باحسنها
اي فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو ادخل في الحسن
واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم وقيل ياخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح ويجوز ان يراد ياخذوا
بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف احر من الشتاء ساريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف
اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين
اهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن ساوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال
اورني كذا واوريته ووجهه ان يكون من اوريت الزند كان المعنى بينه لي وانره لاستبينه وقرئ سأورثكم وهي قراءة حسنة
يصححها قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بالطبع على قلوب
المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن
عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر حُرمت بركة الوحي وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهد فرعون ان يبطل آية موسى بان جمع لها السحرة
فابى الله الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز ساصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا اهلاكهم
وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم
بغير الحق فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر
اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم **وان يروا كل آية** من الآيات المنزلة عليهم **لا يؤمنوا بها** وقرا مالك
بن دينار وان يُروا بضم الياء **وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا**
قرئ سبيل الرَّشَد والرَّشَاد كقولهم السُّقم والسَّقَم والسَّقام وما اسعفهم ركب المفازة فان ذا اي طريقا مستقيما
اعرض عنه وتركه وان راى متعسفا مرديا اخذ فيه وسلكه فما عليهم نحو ذلك في دينه اسفه **ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا
عنها غافلين** ذلك في محل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك الصرف بسببه
والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم
احوالها ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة **حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون
واتخذ قوم موسى من بعده** من بعد فراقه اياهم الى الطور **من حليهم عجلا** فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ
هو السامري قلت فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم
قالوا كذا وفعلوا كذا والقائل والفاعل واحد ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم اجتمعوا عليه والثاني ان يراد
واتخذوه الها وعبدوه وقرئ من حُليهم بضم الحاء والتشديد جمع حَلْي كثَدْي وثُدِيّ ومن حِليهم بالكسر للاتباع كدِلِيّ
ومن حَلْيهم على التوحيد والحَلْي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فان قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم وانما كانت
عواري في ايديهم قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به ملابسة على انهم قد ملكوها بعد المهلكين
كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله عز وجل فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني
اسرائيل **جسدا** بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد **له خوار** صوت البقر قال الحسن ان السامري قبض قبضة من تراب من اثر
فرس جبرئيل يوم قطع البحر فقذفه في في العجل فكان عجلا له خوار وقرا علي رضي الله عنه جُؤار بالجيم والهمزة من جأر اذا صاح
وانتصاب جسدا على البدل من عجلا **الم يروا** حين اتخذوه آلها **انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا** انه لا يقدر على كلام
ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى
سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدا فقال **اتخذوه** اي اقدموا على ما اقدموا عليه من
الامر المنكر **وكانوا ظالمين** واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم **ولما سقط
في ايديهم** ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا
فيها لان فاه قد وقع فيها وسُقِط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقرا ابو السميفع سَقَطَ في ايديهم على تسمية الفاعل
اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان

محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين **وراوا انهم قد ضلوا**
وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم **قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين** وقرئ
لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وان لم
تغفر لنا وترحمنا **ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا** الاسف الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو
الحزين **قال بئسما خلفتموني** قمتم مقامي وكنتم خلفائي **من بعدي** وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه
او لوجوه بني اسرائيل وهم هارون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئس ما خلفتموني حيث عبدتم العجل
مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل
مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فان قلت اي معنى لقوله
من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رايتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما
كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة
ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين
بالصفات الحميدة **اعجلتم امر ربكم** يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق
فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر
على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري
قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها
اربعين ثم احدثوا ما احدثوا **والقى الالواح** وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل
غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى و
روي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع
تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة **واخذ براس اخيه** اي بشعر راسه **يجره اليه** بذوائبه وذلك لشدة ما ورد عليه
من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في الكف **قال ابن ام** قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر
على طرح ياء الاضافة وابن امي بالياء وابن إمّ بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام
اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها و
لانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها **ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني** يعني انه لم يأل جهدا في
كفهم بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان يقتلوه **فلا
تشمت بي الاعداء** فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي وقرئ فلا يشمت بي الاعداء على نهي
الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله **ولا تجعلني مع القوم الظالمين** ولا تجعلني في موجدتك
علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر اليه اخوه وذكر

ثمانة الاعداء قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة
رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا
عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والاخرة ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة
الدنيا الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم
بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية وكذلك نجزي المفترين المتكذبين على الله و
لا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق في الحيوة الدنيا بالذلة وحدها ويراد بسينالهم غضب
في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءو بغضب من الله والذين عملوا السيئات من
الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وامنوا واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها
من بعد تلك العظائم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذوا العجل
ومن عداهم عظم جنايتهم اولا ثم اردفها بعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل
ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها حازم ولما
سكت عن موسى الغضب هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح
وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم و
ذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس
عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ لما سكت واسكت اي اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله
والمعنى ولما طفئ غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة
هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه
للرؤيا ان كنتم للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله
منا الذي اختير الرجال سماحة وجودا اذا هب الرياح الزعازع سبعين رجلا لميقاتنا قيل اختار من اثني عشر سبطا
من كل سبط ستة حتى تناموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من
خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان تختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا
وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا و
يطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه وكان امره ربه ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل
وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا
فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر
عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب
بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة فلما اخذتهم الرجفة موسى قال رب لو شئت اهلكتهم

قوله ٢ ان عسى فرط تقديره ان فرط هارون وقوله عسى جملة معترضة بين ان والفعل اسم عسى ضمير عائد الى التفريط وخبره محذوف تقديره عسى التفريط ان يكون حاصلا وقد ذكر ابن الحاجب في باب التنازع من شرح المفصل ان خبر عسى محذوف ٥

قوله ٣ الغضب ما امروا به ليس الغضب عين ما امروا به فالتقدير اثر الغضب ما امروا به او التقدير فعل اثر الغضب قتل انفسهم فان معنى قوله تعالى سينالهم غضب اي سينالهم اثر غضب من ربهم او المراد بنيل الغضب تحقق الغضب بهم ٥

٧ اشعب اسم رجل كان طماعا وفي المثل اطمع من اشعب ٥

٤ ايصال الفعل اعماله ٥

للفرزدق في مدح اهله وقبيلته بالسماحة والجود وفضل الشتاء الذي تنقطع اكثر منافعهم فيه وتعز الاقوات ويعدم الرعي فمن كان جوادا في ذلك الوقت كان [illegible] بجوده وكرمه في غيره والزعازع بالزاي والعين مهملة فيهما ٥

شيوخا ص

وبهذا

ومنها تمنيه للاهلاك قبل ان يرى ما راى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الامر اذا راى سوء المغبة لو شاء
الله لاهلكني قبل هذا من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا
للسفهاء وهم طلبوه سفها وجهلا ان هي الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك واستدلوا بالكلام
على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين
في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت
سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام انت ولينا مولانا القائم بامورنا فاغفر
لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا واثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة عافية وحيوة طيبة
او توفيقا في الطاعة وفي الاخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد
وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هدهد واسجد كانك هدهد وقرا ابو وجزة السعدي هدنا اليك بكسر الهاء
من هاده يهيده اذا حركه واماله ويحتمل امرين ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا وامِلنا
او حُركنا اليك وامِلنا على تقدير فُعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام و
باخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده قال عذابي
من حاله وصفته اني اصيب به من اشاء اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة
ورحمتي وسعت كل شيء واما رحمتي فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص
الا وهو متقلب في نعمتي وقرا الحسن من اساء من الاساءة فساكتبها فساكتب هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل
للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا للذين يكونون في اخر الزمان من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم
بجميع اياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القران النبي
الامي صاحب المعجزات الذي يجدونه اي يجد نعته اولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التورية
والانجيل يامرهم بالمعروف وينهيهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او
ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث مما يستخبث من
نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربوا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة ويضع عنهم
اصرهم والاغلال التي كانت عليهم الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم
وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل لما كان في شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء
بالقصاص عمدا كان او خطاء من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق
الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى
اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ اصارهم على الجمع
فالذين امنوا به وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون

[illegible] في السجود والنزول [illegible] السجدة ٥

محدث وشامله ٥

قوله ٢ وجب علي اي [illegible] ٥

[illegible] محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] ٥

قوله ٤ لا يكفرون بشيء [illegible] ٥

قوله ٥ الذي نوحي اليه [illegible] ٥

الحمد لانه منع من معاودة القبيح الاترى الى تسمية الحمد الحد وهو المنع **ونصروه واتبعوا النور** القرآن **الذي انزل معه**
اولئك هم المفلحون فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع جبريل قلت معناه انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا
بالقرآن مشفوعا به ويجوز ان يتعلق باتبعوا اي اتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او
واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فان قلت كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه قلت
لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله وعلى كفرهم بايات الله
التي اجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم باياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين
امنوا برسول الله وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح
وفي ان يحشروا معهم لا يفرق بينهم وبين اعقابهم في رحمة الله التي وسعت كل شيء **قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم**
جميعا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد عليه الصلوة والسلم الى كافة الانس وكافة الجن وجميعا نصب على الحال
من اليكم فان قلت **الذي له ملك السموات والارض** ما محله قلت الاحسن ان يكون منتصبا باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على
المدح ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله **لا اله الا هو** بدل من الصلة
التي هي له ملك السموات والارض وكذلك **يحيي ويميت** وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله
على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره **فامنوا بالله ورسوله**
النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهي
القرآن او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد اراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما
قيل ان عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى **واتبعوه لعلكم تهتدون**
ارادة ان تهتدوا فان قلت هلا قيل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم جميعا قلت عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر
لتجري عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به و
اتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة وتفاديا
من العصبية لنفسه **ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون** هم المؤمنون الثابتون من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا
منهم في الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون
الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون او اراد الذين وصفهم
ممن ادرك النبي عليه السلم وامن به من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط
منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة و
نصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمين يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي عليه السلام ان جبريل عليه
السلم ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا
يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما السلم ثم اقرأهم عشر سور

اي الى تسمية الحمد الشرعي حدا والمعنى الاترى الى تسمية المعرف حدا لانه يمنع من دخول غير المحدود فيه وخروج بعض المحدود عنه لكن المراد الحد الشرعي لانه انما ذكر ذلك لمناسبة التقرير

قوله وعرض بذلك اي عرض بكفرهم بايات الله واستجازتهم الرؤية في قوله تعالى والذين هم باياتنا يؤمنون فهو تعريض من الخطاب لبني اسرائيل لاستجازتهم الرؤية على الله تعالى وكفرهم باياته العظام

قوله واريد يعني بقوله تعالى الذين يتبعون الى اخره

قوله استماع مصدر مضاف الى المفعول اي استماع بني اسرائيل

اي انما كان احسن لانه لا يلزم في الوجه الثاني الفصل بين الصفة والموصوف

تمنى الرجل والمنى خرج منه المني وقوله تعالى من مني يمنى قرئ بالتاء والياء على النطفة والمني

من الاعلام لا من العلم ومفعوله الاول محذوف وان بما بعده قائم مقام المفعولين

من القرآن

من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا
ويتركوا السبت وعن مسروق قرئت بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين و
هل يزيد صالحكم عليهم شيئا من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة محمد عليه السلام الى
كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا
وقد القاه اليهم وملأ به مسامعهم والزمهم الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة **وقطعناهم** وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا
بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف **اثنتي عشرة اسباطا** كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط
اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام فان قلت مميز ما عدا العشرة
مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة و
كل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره بين رماحي مالك ونهشل و**امما** بدل من اثنتي عشرة بمعنى
وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا
تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين **واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست**
~~[struck through]~~ والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف غربي دالج تبجسا
~~[struck through]~~ فان قلت هلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على
ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة
اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتؤام واخوات لها ويجوز ان
يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة **وظللنا عليهم الغمام**
وجعلناه ظليلا عليهم في التيه **وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا** على ارادة القول **من طيبات ما رزقناكم**
وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** يضرون انفسهم ويرجع وبال
ظلمهم اليهم **واذ قيل** واذكر اذ قيل لهم **اسكنوا هذه القرية** بيت المقدس **وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة**
وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل
لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون فان قلت كيف اختلفت العبارة ههنا وفي
سورة البقرة قلت لا بأس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا
منها وبين قوله فكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل
منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله
نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب
على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا و
يظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ نغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول **وسألهم**

قوله ان يجمعوا اي ان يجعلوا الجمعة ويتركوا تعظيم السبت

من يهدي معناه الاستفهام بمعنى النفي على صيغة شكم يريد ان امثالهم قليل

قوله نفق النفق سرب في الارض له مخلص الى مكان

اللام متعلقة بقوله تحقيقا

القرب الدلو العظيمة شبه دمع عينيه بذلك اي سال الدمع من العين كسيلان دلوي دالج والدالج الذي ياخذ الدلو من راس البير ويمضي بها الى الحوض حتى يفرغها فيه

قد علم كل اناس مشربهم

وسل اليهود وقرئ وسلهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والاعلام بان
من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي
يراد بها التقرير في قولك اعدوتم في السبت عن القرية والقرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن
ابي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن التي كانت حاضرة البحر قريبة منه
راكبة لشاطئه اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون اذ يعدون في السبت
اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدّون بمعنى يعتدون ادغمت التاء في الدال
ونقلت حركتها الى العين وقرئ يُعِدّون من الاعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بان لا يشتغلوا
فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون
في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقرئ لا يُسبِتون بضم الياء من
اسبتوا وعن الحسن لا يُسبَتون على البناء للمفعول اي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بان يسبتوا بضم الياء من اسبتوا
فان قلت اذ يعدون واذ تأتيهم ما محلهما من الاعراب قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه قيل
وسلهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثاني
فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما يستعمل العرب الحوت في معنى السمكة شرعا
على وجه الماء وعن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا
وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا لا تأتيهم كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بما كانوا يفسقون بسبب
فسقهم واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين
ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله
مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ
لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر الى بعض التفريط
ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب اي وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذرنا
معذرة فلما نسوا يعني اهل القرية فلما تركوا ما ذكروا به ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين
ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا الظالمين الراكبين للمنكر بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فان قلت
الامة الذين قالوا لم تعظون من اي الفريقين هم أمن فريق الناجين ام المعذبين قلت من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين
وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي
حال المنهي وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى
المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا
سببا للتلهي بك واما الآخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الاولين ولم يخبروهم

قوله لا يسبتون فعل مشتق من السبت فعلم ان السبت مصدر وايضا لو لم يكن لقوله تعالى يوم لا يسبتون اي مقابلة معنى ه

وقرأ عمر بن عبد العزيز يوم اسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم الياء ه وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه [illegible] لا يسبتون [illegible]

بدل يوم سبتهم بهذا ايضا دل على ان السبت مصدر ه

اي سل عن وقت عدوانهم ه

اي بمعنى السمكة الواحدة لا بمعنى السمك الذي فيه دلالة على الكثرة يعني لذلك قال حيتانهم جمعا ولم يقل حوتا ه

يقال ابليت فلانا عذرا اذا بينته بيانا لا لوم عليك بعده ه

المكاسون هم الذين يلازمون طرق التاجرين والمارين بالطريق يأخذون من كل درهما او درهمين او اكثر ظلما قال المطرزي في المغرب المكس في البيع استنقاص الثمن والمماكسة والمكاس في معناه وقال الجوهري في الصحاح مكس في البيع يمكس بالكسر مكسا وماكس مماكسة ومكاسا والمكس ايضا الجباية اي الخراج والمكاس العشار وفي الحديث لا يدخل صاحب مكس الجنة والمكس ما يأخذه العشار وقال الشاعر افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم ه

المآصر جمع مأصر مفعل من اصره اذا حبسه كالمجلس من اجله اذا حبسه
ومنه جعل الماصر ما علا في المصر وهو كالحاجز بين الشيئين بجمعه سواء المسموع
من العرب الماصر بغير همزة ه

كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون
لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس انه قال ليت شعري
ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم
وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين
اخذوا الحيتان روي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم
عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها المخاض لا يرى الماء من
كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت
فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا
وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله
سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا
وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم
اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود
عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذا
هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود انسباءها من الانس والانس لا يعرفون انسباءهم من القرود
فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن
الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه
قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا
اذا اشتد وقرئ بَئِس بوزن حذر وبِئْس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال كِبْد في كَبِد وبِيس على
قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبَيْئِس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبَيِّس بوزن ريِّس على قلب همزته ياء وادغام الياء فيها
وبَيْس على تخفيف بَيِّس كهَيْن في هيِّن وبائس على فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا
عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس
هو المسخ واذ تأذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويؤذنها
بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن عليهم والمعنى واذ حتم ربك
وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم
فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر
ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها فلا

كان عكرمة عبدا لابن عباس ه

البرهة المدة الطويلة من الزمان ه

يعني انه داود الذي بعد موسى كان في زمن داود عليه السلام بقية منهم ه

طعام وخيم غير مريء ه

قوله بوزن ريس قال في الصحاح رأس فلان القوم يرأس رياسة وهو رئيسهم ويقال ايضا ريس قيم ه

اي تكبروا عن امتثال امر ربهم ه

قوله يحدث به نفسه [illegible] ه

فالتأذين من لوازم العزم اطلقه واراد العزم فيكون كناية ه

يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين امنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم
ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة فان قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف
محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام
وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فينيبون فخلف من بعدهم من بعد المذكورين
خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله ورثوا الكتاب التوراة بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على
ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى
يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب
واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة
ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا وفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ الذي
هو مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير
تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة من
ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة الا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في
غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار يأتي على الناس زمان ان قصروا
عما امروا به قالوا سيغفر لنا لانا لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيه المداهنة فهؤلاء من هذه الامة اشباه الذي
ذكرهم الله وتلا هذه الاية والدار الاخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى ومحارم الله وقرئ وورثوا
الكتاب والا تعقلوا لما تيا وادرسوا بمعنى تدارسوا افلا تعقلون بالياء والتاء فان قلت ما موقع قوله ان لا يقولوا على الله الا
الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة
خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان ان لا يقولوا مفعولا
له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا يقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق فان قلت علام
عطف ودرسوا ما فيه قلت على الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسكون
بالكتاب واقاموا الصلوة فيه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا
نضيع اجرهم لان المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من
احسن عملا والثاني ان يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد وتمسكون
قراءة ابي والذين مسكوا بالكتاب فان قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلوة فكيف افردت
قلت اظهارا لمزية الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان وقرأ ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب
واذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه كانه ظلة
والظلة كل ما اظلك من سقيفة او سحاب وقرئ بالطاء من اطل عليه اذا اشرف عليه وظنوا انه واقع بهم
عليهم

فهو في موضع الابتداء ه

اناب الى الله تعالى اقبل وتاب ه

اي سيغفر لنا اخذ الرشا ه

اراد بالذنب العظيم الشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ه

المداهنة على زنة المفاعلة ومعناه خيارهم المداهنة ويحتمل انه هو المداهنة بمعنى الجماعة المداهنة او الفرقة او الطائفة المداهنة قوله فيه اي في ذلك الزمان اي خيارهم في ذلك الزمان الطائفة المداهنة ه

قوله وفيه ان اثبات اي وفي قوله تعالى الم يؤخذ الى آخره لان حاصل المعنى يعود الى قولنا الم يؤخذ عليهم العهد وذلك العهد هو ان يقولوا على الله الا الحق وهو انه سيغفر بغير التوبة فهم بهذا القول خرجوا عن العهد والميثاق واعلم ان هذا الكلام غير وارد على اهل السنة بل انما يرد على من يقول بالوجوب على الله تعالى كانبيا غير قريب اهو قوله من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر الا بالتوبة فقوله وان فسر الى آخره عطف على جملة قوله هو عطف بيان الى آخره وفيه اشارة الى ان الميثاق في الوجه الاول غير مفسر بما تقدم ذكره ه

قال ابن السكيت السقاء يكون للبن والماء والوطب للبن خاصة والنحي للسمن والقربة للماء ه

عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في
فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو
ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت
عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله تعالى لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا
يقرأ عليه التوراة الا اهتز وانغض لها رأسه خذوا ما اتيناكم على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما اتيناكم او قائلين خذوا
ما اتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه او
واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز ان يراد خذوا ما اتيناكم من الاية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه
كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان واذكروا ما فيه من الدلالة
على القدرة الباهرة والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا
واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى شهدنا ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا واشهادهم على انفسهم وقوله الست
بربكم وقالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها
عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم
الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي
كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طائعين وقوله اذا قالت الانساع للبطن الحقني قالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم انه لا قول ثم وانما
هو تمثيل وتصوير للمعنى ان تقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا
يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او كراهة ان تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من
بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على
التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم فان قلت بنو آدم وذرياتهم من هم قلت
عني ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على انها في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل والدليل على
انها في اليهود الايات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها وهي على نمطها واسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية التي
واذ قالت امة منهم لم تعظون واذ تاذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا افتهلكنا بما
فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركهم سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل
الايات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذرياتهم على التوحيد وان يقولوا بالياء واتل
عليهم على اليهود نبأ الذي اتيناه اياتنا هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء اوتي علم

الفرق الخوف ه

والاية العظيمة على هذا اي الجبل المنتوق ويكون بهذا الاظهار التعجيز كما في الاية المستشهد به ه

جعل هذا من باب الاستعارة لان نصب الادلة على الوحدانية وخلق المكلفين بحيث تمكنوا من الاستدلال والادراك شبه بالقول والقبول او نصب الادلة كالقول والتمكن من الاستدلال كالقبول فذكر المشبه به واريد المشبه فيكون استعارة ه

النسع الذي ينسج عريضا للتصدير والجمع نسع وانساع ه

قوله لان نصب الادلة متعلق من حيث المعنى بقوله كراهة لان كراهة ذلك قريب من حيث المعنى لقوله امتنع ذلك والاصوب ان قوله كراهة علة لقوله فعلنا وهذا الفعل المعلل اي المجموع المقيد معلل بقوله لان الى آخره فان قيام الادلة ونصبها علة لعلية الكراهة للفعل ذلك ه

قوله وتركه عطف على قوله لتأسيسهم اي وتركهم الشرك سنة فقوله وتركه مضاف الى المفعول فقوله وتركه اي وتصييره سنة كقوله فتركته جزر السباع ينشنه ه

بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه الشيطان فلحقه وادركه الشيطان وصار
قرينا له او فاتبعه خطواته وقرئ فاتّبعه فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روى ان قومه طلبوا اليه
ان يدعو على موسى ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحّوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه
بها لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها
وقيل مال الى السفالة واتبع هويه فان قلت كيف علق رفعه بمشية الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى
ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشية الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشية والمراد
ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشية باخلاده
الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه
ولكنا لم نشأ فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة
كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير
متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل
لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته
فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس
الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته
فسعى لهث وان تركته على حاله لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة
لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم
الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعدما قرؤا نعت رسول الله في التورية وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب
مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل
عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما
لهم ساء مثلا القوم اي مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم وقرأ الجحدري ساء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا
وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم
انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص
كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم تتعدها الى غيرها من يهد الله فهو المهتدي حمل على اللفظ ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون
حمل على المعنى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها
ولهم اذان لا يسمعون بها هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم
الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كانهم عدموا
فهم القلوب وابصار العيون واستماع الاذان وجعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وانه لا يأتي منهم الا افعال

اهل

اتبعت القوم اذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم واتبعت زيدا غيري فتبعه ايضا ه

فيه اشارة الى خسة الدنيا ه

فيكون كناية وهذا على مذهبه واما على مذهب اهل السنة فالوجه ان يقال لزومه الآيات تابع لمشية الله تعالى فذكر الملزوم واريد اللازم فيكون مجازا والاصوب ان نقول لا كناية ولا مجاز في قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه واما قوله ولكنه اخلد ففيه كناية لان اخلاده من لوازم عدم مشية رفعته ه

فحطه ووضع منزلته بتمثيله بالكلب ثم قيل مثلناه بالكلب قوله حططناه ووضعنا منزلته ثم عدل الى الجملة الاسمية ليدل على الاستمرار وقيل مثله كمثل الكلب واما التشبيه الواقع في قوله كمثل الكلب امر ظاهر ذكر فيه المشبه والمشبه به وحرف التشبيه ه

قوله وقيل لما دعا اشارة الى ان اللهث حقيقة لا المعنيان المذكوران قبله ه

قوله وتزداد بالنصب في الاصل اي تزداد لزوم الحجة زيادة لزوم ه

اغرق النازع في القوس استغرق في مدها ه

ولله الاسماء الحسنى التي

اهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر الى خالد بن الوليد
رضي الله عنهما بلغني ان اهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض
الامور ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله مع علمهم انه النبي الموعود
وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يتأتى منهم كانهم خلقوا للنار اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار
والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام عن الفقه والاعتبار والتدبر اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل
الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى
التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا
الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء
الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا نخي او ان
يأبوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا
ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد ولله الاوصاف الحسنى وهو الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه
الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه بمشية القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه
كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد
ذرأنا لجهنم كثيرا اخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه
يعدلون وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم
موسى امة يهدون بالحق وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب
وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد
والاستنزال درجة بعد درجة قال الاعشى * فلو كنت في جب ثمانين قامة * ورقيت اسباب السماء بسلم * ليستدرجنك
القول حتى تهره * وتعلم اني عنكم غير مفحم * وتشرق بالقول الذي قد اذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم * فلا توعدني
بالفخار فانني * بنى الله بيتي في الدخيس العرمرم * ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء
ودرج القوم مات بعضهم في اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من
حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا
وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان
منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه واملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين ان كيدي متين
سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم بمحمد صلى الله عليه
وسلم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون ان هو الا نذير مبين وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم
علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح اولم ينظروا

قوله فخذا فخذا الفخذ في العرب دون البطن واقل من البطن الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة ه

أعرق الرجل اي صار عريقا وهو الذي له عرق في الكرم ه

قوله من تكذيب بيان لما وهو مصدر مضاف الى المفعول والفاعل محذوف اي من تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله مع علمهم حال من الفاعل المحذوف اي عالمين وقوله وانهم عطف على علمهم وقوله كانهم متعلق من حيث المعنى بقوله وصف فكانه قال والمراد وصف حال اليهود بانهم من اهل النار كانهم خلقوا للنار ويجوز ان لا يكون متعلقا به بل يكون استئناف كلام كانه لما قال المراد وصفهم فيما ذكر استأنف فقال كانهم خلقوا للنار والاصوب ان يقال هو متعلق بقوله لا يكاد الى آخره وهذا هو الصواب ه

النخي الذي يتنخى عن القبيح اي يأنف ويستنكف عنه فلا يفعل يتمدح بالنخوة وهي الاستنكاف عما لا يليق بالاشراف ه

قوله ويجوز نحن بن ملحق به لا ويقال لا يجوز فانه تفسير بدعي اخرجه من كيسه وهو زيف حقه ان يرد ولا يجوز ان يراد فانه لم يرد به نقل ولا يوافقه العقل ه

الجب البير التي لم تطو ه

تهره اي تكرهه وتبغضه ه

اسباب السماء ابوابها والسلم مرقاة قيل سمي سلما لانه يسلمك الى مرتقى والمفحم فلانا اذا لم يطق جوابك ه

قوله رقيت اي صعدت وعلوا وبمعنى او والمفحم الذي لا يقدر على الجواب ه

المتواترة المتتابعة من الوتيرة وهي الطريقة الواحدة ه

الاملاء الامهال واطالة المدة وهو نقيض الاعجال يقول املهم واطيل لهم مدة عمرهم ليتمادوا في معاصيهم ه

نظر استدلال في ملكوت السموات والارض فيما يدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء
وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وان عسى ان مخففة من الثقيلة
والاصل وانه عسى على ان الضمير ضمير الشان والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم
ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول العقاب ويجوز ان يراد
باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشان فان قلت بم يتعلق قوله فباي حديث بعده يؤمنون
قلت بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت
وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم
يعمهون قرئ ونذرهم بالنون والياء والرفع على الاستيناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه
قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم يسألونك عن الساعة قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت
نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الاسماء
الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها
كساعة من الساعات عند الخلق ايان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت واي فعل من
اويت اليه لان البعض آو الى الكل متساند اليه قاله ابن جني وابى ان يكون من اين لانه زمان واين مكان وقرأ السلمي ايان بكسر الهمزة
مرسيها ارساؤها او وقت ارسائها اي اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل
وارسى السفينة والمرسى الانجر الذي ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض والمعنى متى
يرسيها الله قل انما علمها عند ربي اي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي
مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك
لا يجليها لوقتها الا هو اي لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة
لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت في السموات والارض اي
كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة ويود ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها
لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها او لان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها لا تأتيكم الا بغتة
الا فجاءة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل
يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كانك حفي عنها قال كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسألة عن
الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحفاء البقل استيصاله واحفي
في المسألة اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد كانك استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود
كانك حفي بها اي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك اي يسألونك عنها كانك حفي اي عالم بها وقيل ان
قريشا قالوا ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة

مغافصة الاخذ على غرة يقال اخذه مغافصة اي اخذه على غرة ه

اي معناه بعض من كل وحقه لذلك ان يكون مضافا ابدا فاذا اضيف الى المعرفة يجب ان يكون اضافته الى اثنين فصاعدا نحو اي الرجلين اي الرجال لان ايا لطلب التمييز فيجب اذا اضيف الى المعرفة ان يكون المضاف اليه فوق الواحد لان المعرفة متميزة من بين الافراد فلا تجوز الاضافة الى المفرد المعرفة اذا اضيف الى ما فوق الواحد صح طلب التمييز من بين تلك الافراد واذا اضيف الى النكرة اضيف الى الواحد والى اثنين والى الجماعة لان النكرة غير متميزة من بين افراد الجنس بل هو شائع فيصح طلب التمييز ه

الانجر التي ترسى بها السفينة تسميها الفرس لنكر والانجر تعريبه ه

يقال بودي ان افعل كذا اي اتمنى والباء زائدة مثلها في بحسبك ان افعل كذا وهو مركب من مبتدأ وخبر والجملة خبر بعد لقوله كل ه

الحفاوة بالفتح المبالغة في السؤال عن الرجل والعناية في امره والحفي المستقصي في السؤال ولما كان ذلك يستلزم التعلم اطلق واريد به العلم بالشيء ه

قوله وقيل عنها هذا عطف على قوله كانك عالم بها لانه كان اشارة الى ان عنها متعلق بحفي وهذا اشارة الى انه متعلق بيسألونك وان معمول حفي محذوف اي حفي بها او لانهم كانوا ه

وتزوي

وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في اخبارك بها لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر
ما اوحي اليك وقيل كانك حفي بها كانك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه
ولم يؤته احدا من خلقه فان قلت لم كرر يسألونك وانما علمها عند الله قلت للتاكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفي عنها
وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة ولكن اكثر الناس
لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله هو اظهار للعبودية
والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمماليك والعبيد
الا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء لكانت حالي
على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا
اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير ان انا الا نذير وبشير اي ما انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا
وما من شاني ان اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم او
يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وهي نفس آدم وجعل منها زوجها وهو حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا
ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة
ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعدما انث في قوله واحدة منها زوجها
ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها آدم ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى
فلما تغشاها والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه
ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان
اخفه على كبدي حين حملته فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني
النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت
به من المرية كقوله افتمارونه وافتمرونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها
كقولك اقربت وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك امرهما
الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا صالحا لئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا
لان الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في آتيتنا ولنكونن من الشاكرين لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما
صالحا ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء اي جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
وكذلك فيما آتاهما اي آتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله تعالى فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء
بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما اشبه ذلك
مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

بضعة قطعة هذه بالفتح واخواتها بالكسر كالقطعة والفلذة وغيرها ه

تستثقله اي تعده ثقيلا ه

قوله من غير اخداج من غير ان تلده ناقصا قوله ولا ازلاق اي من غير ان تسقطه ه

اقربت دنت وقت ولادتها ه

قوله فيا لقصي صدره يا آل قصي وهم قريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج من بينهم وهاجر الى المدينة قوله ما زوى الله اي ما نحاه وقبضه ويباري من باريت الرجل اذا فعلت مثل فعله تحاكم قريش ويتفاخرون ال قصي اندرون ما قبضه الله تعالى عنكم من فخار وسودد بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارضكم ويقال ساد قومه يسودهم سيادة وسوددا وسيدودة ه

وهم آل قصي الا ترى الى قوله في قصة ام معبد * فيا لقصي ما زوى الله عنكم * به من فخار لا يبارى وسودد * ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم الشركاء او احدثا لله اشراكا في الولد أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون اجريت الاصنام مجرى اولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى أيشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لان الله خالقهم او لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى اي الى ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ام صمتم عن دعائهم في انه لا فلاح معهم فان قلت هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم يفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها وقوله عباد امثالكم استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها وقيل عباد امثالكم مملوكون امثالكم وقرأ سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم ولا يقول هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه بآلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ان وليي الله ان ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي اوحى الي كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي خذ العفو العفو ضد الجهد يشق عليهم اي خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد

ويشق

هم ملاواة المجيء ولة ماريت الرجل ماريه مراء اذا جادلته ه

وهو المراد بقوله عليه السلام ادبني ربي فاحسن تاديبي ثلاث كلمات اشتملت على شمائل الرسالة ه

اي كيف افعل بالغضب كقولهم كيف انت وقصعة من ثريد ه

وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا قال * خذي العفو مني تستديمي مودتي * ولا تنطقي في سورتي حين اغضب * وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكوة فلما نزلت امر ان يأخذهم بها طوعا او كرها وأمر بالعرف المعروف والجميل من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوؤك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق رضي الله عنه امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما ينخسنك منه نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه انه سميع عليم والنزغ والنسغ الغرز والنخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال * انى ألم بك الخيال يطيف * وطيف هو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين وقرئ طايف وهو يحتمل الامرين ايضا وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه انفسهم واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله * قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها * فان الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا فان قلت لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او جبي اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي ولست بمفتعل للآيات او لست بمقترح لها هذا القرآن بصائر من ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في صلوة وغير صلوة وقيل كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه واذا تلى عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال

لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل في الاصل
كأقصر واعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ان الذين عند ربك
هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عنده نزلة الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته لا
يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وهي خمس وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يسئلونك عن الانفال النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي
اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما
اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي رضي الله عنه في احد قوليه لا يلزم و
لقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها
اللمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم
وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا
فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون
اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير فان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت
وعن سعيد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي
ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انزلت سورة الانفال
فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر
حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك
تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وقرأ ابن محيصن يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام و
ادغام نون عن في اللام وقرأ ابن مسعود يسئلونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان قلت ما معنى
الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها
على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله
وامر به رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا
بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم
وكونوا متحدين متآخين في الله واصلحوا ذات بينكم وتواسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان
الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فان قلت ما حقيقة

قوله

[1] اقصر دخل في القصر وهو العشي كما تقول امسينا من المساء ه

[8] البلاء العناء يقال ابلى الرجل في الحرب اذا عني وبذل وسعه ه

[2] قوله لقد وقع هذا متعلق بالتفسير الاول للانفال وهو ان يكون بمعنى الغنائم ه

[3] قوله وقيل شرط هذا متعلق بالتفسير الثاني للانفال وهو ان يكون النفل ما ينفل الغازي ه

[4] قوله تنحازون ان تنضمون والانحياز الانتقال من حيز الى حيز ومنه قوله تعالى او متحيزا الى فئة ه

[5] القبض بالتحريك ما قبض من اموال الناس والمراد هنا المقبوض من الغنائم ه

[6] يا معشر اصحاب بدر يا يقصد به الاختصاص لا النداء ه

[9] اي لا تضعوا الاستئثار ه

التجارب تفاعل من المحبة ه

امر لانه تفسير اصلحوا ه

قوله ذات بينكم قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها
لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء من الشراب واطيعوا الله
ورسوله ان كنتم مؤمنين وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم
ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم كاملي الايمان واللام في قوله انما المؤمنون اشارة اليهم
اي انما الكاملو الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
فزعت وعن ام الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت
لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ
وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ازدادوا بها
يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الايمان سبع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء
شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل
الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما
رزقناهم ينفقون جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة اولئك هم
المؤمنون حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقوله
هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا سأله امؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله و
ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا
ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني
كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة ممن لا يستثني
فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابرهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي فقال له هلا اقتديت
به في قوله اولم تؤمن قال بلى لهم درجات شرف وكرامة وعلو منزلة عند ربهم ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة
يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على
انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة
خروجك للحرب والثاني ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله و
الرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون من بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة
نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي
لا محيد عنه وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة

[1] الصفة ورق النخل اليابس ه

[2] من الاقشعرار وهو الارتعاش من الارتعاد ه

[3] يقال نزع عن الامر اذا انتهى عنه وامتنع ه

[illegible]

ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما رضي رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبرئيل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي عليه السلام اصحابه وقال لهم ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي عليه السلام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي عليه السلام يتخوف ان لا يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق والحق الذي جادلوا فيه رسول الله تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل

الى القتل

الصواب ان المراد بالصعب المركوب الصعب وبالذلول ايضا المركوب الذلول والذلول بالكسر اللين وهو ضد الصعوبة يقال دابة ذلول بينة الذل والذلول ضد الصعب

نفر القوم في الامر نفورا والنفير القوم الذين يتقدمون فيه يقال جاءت نفرة بني كلاب ونفيرهم اي جماعتهم الذين ينفرون في الامر

المعازف الملاهي والعازف اللاعب وقد عزف عزفا وعزف الرياح اصواتها

قوله اعضضناه اي جعلناه عاض انامله او قلنا له عضضت علينا انامك من الغيظ يعنون انه ما حصل له مطلوبه وما قدر الا عض انامله من الغيظ

قوله ان لا يكون صوابه ان يكون بدون لا فالوجه ان نقول لا زايدة

قوله فخضته عطف على قوله استعرضت اي لو طلبت منا ذلك ثم فعلته لو افقناك وما تركنا متابعتك

الوثاق الحكم وشده بالوثاق القيد وكسر الواو لغة وكان العباس رضي الله عنه حينئذ اسيرا مقيدا

الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان اذ منصوب باضمار اذكروا انها لكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شائك السلاح اي تتمنون ان يكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين والدابر الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزأكم في ابدانكم واحوالكم والله يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها وقرئ بكلمة على التوحيد فان قلت بم تعلق قوله ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون قلت بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه فان قلت اليس هذا تكريرا قلت لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع فان قلت بم يتعلق اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين اذ تستغيثون قلت هو بدل من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبيه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن ابي عمرو انه قرأ اني ممدكم بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول فان قلت هل قاتلت الملائكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبرئيل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة ملك على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدي

قبل ان يصل اليه شيء وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المومنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبرئيل اهلك بريشة من جناحه مداين قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقري مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم يعني ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم المومنين اي يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويتقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران ثلثة الاف من الملئكة منزلين بخمسة الاف من الملائكة مسومين ومن قرا مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين وقري مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران فان قلت فبم يعتذر لمن قرا على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين باردافهم غيرهم من الملئكة قلت بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم فان قلت الام يرجع الضمير في وما جعله الله قلت الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم فان قلت ففيمن قرا بالكسر قلت الى قوله اني ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول فيجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم الا بشرى لكم اي الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل ولتطمئن به قلوبكم يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقري يغشيكم بالتشديد والتخفيف ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له فان قلت اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اي لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله فان قلت فعلى هذه القراءة قلت يجوز ان يكون الامنة بمعنى الايمان او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا فان قلت هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشيكم اي يغشاكم النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قلت لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد الم به من قال • يهاب النوم ان يغشى عيونا • تهابك فهو نفار شرود • وقري امنة بسكون الميم ونظير امن امنة حيي حيوة • ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وامنهم

رقدوا

رقدوا وعن ابن عباس رضي الله النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلوة وسوسة من الشيطان وينزل قري بالتخفيف والتثقيل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وقرا الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكانه قال ما للطهور ويذهب عنكم رجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقري رجس الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المومنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله واصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراة ثبتت القدم في مواطن القتال اذ يوحي يجوز ان يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم وان ينتصب بيثبت ربك الى الملائكة اني معكم مفعول يوحي وقري اني بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني ممدكم فثبتوا الذين آمنوا والمعنى اني معينكم على التثبيت فثبتوهم سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان وقوله سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا الذين ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فياتي فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقري الرعب بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤس وقيل اراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال • واضرب هامة البطل المشيح • وغشيته وهو في جاواء باسلة • عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا • والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب وكانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المومنون ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم اي في جانب وذلك في خصم وهذا في شق وذلك في شق والكاف في ذلك الخطاب

قوه

الرسول او الخطاب كل احد وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه
ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم في وجهيه
او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى فذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع
الضمير وقرأ الحسن وان للكافرين بالكسر يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار
زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب
على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم جم كثير وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان
تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين كانهم اشعروا بما
كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي عن الفرار يومئذ وفي
قوله ومن يولهم يومئذ دبره امارة عليه الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو
باب من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها فقد باء
بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير وعن ابن عمر خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا
فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة
الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف
من اكبر الكبائر فان قلت بم انتصب الا متحرفا قلت على الحال والا لغو او على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم
متحرفا او متحيزا وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما كسروا
اهل مكة وقتلوا واسروا واقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب
فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك
الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره
ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر
وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها
لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا الى ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت
ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا
يطيقها البشر فعل الله عز وجل فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول اصلا وقرئ ولكن الله
قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين وليعطيهم منه بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير
فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم
عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين معطوف على

ذلكم

قوله ٣ وتقدمة عطف من حيث المعنى على قوله كانهم اشعروا الخ لانه في معنى اشعارا وتقدمة

اي ومن لم يثبت في مقاعد القتال بحال من الاحوال فيكون استثناء في معنى النفي فيجوز حذف المستثنى منه كما في قوله تعالى ويأبى الله الا ان يتم نوره

٧ القبضة بالضم ما قبضت عليه من شيء ... قبضة من زبيب او سويق اي كفا منه وربما جاء بالفتح

ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذي هو
التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على
حق فانصرنا وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروي ان ابا جهل قال يوم بدر
اللهم ايّنا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا خطاب للكافرين
يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم ولن تغني عنكم فئتكم
شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين قرئ بالفتح على ولان الله معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه اوجه ويعضدها
قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا
عنه قرئ بطرح احدى التائين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله
ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع
الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الضمير الى الامر بالطاعة اي
ولا تتولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه او ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي
تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم
لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة رسول
الله في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر الدواب
عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا
يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله فيهم في هؤلاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف
لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون يعني ولو لطف بهم لما نفع
فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار
بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه
فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب يا ايها الذين آمنوا استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الآخر للتوكيد
والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب ابي
بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاءه فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي
استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله والثاني ان دعاءه كان لامر
لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله فللمصلي ان يقطع صلاته لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما ان الجهل موت
ولبعضهم لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم

يجئ بالفتح الهلاك ... ان الرجل اي هلك ...

لان المجتنين على هذا التقدير ابتدائيتين

قوله ٦ لان يعني افراد الضمير لذلك

قوله ٥ اي ولا تتولوا اعلم انه بين مرجع الضمير على الوجهين ثم شرع في تفسير الآية على كل واحد من الوجهين اي مرجع الضمير لكن قدم الثاني على الاول فهو قريب من اللف والنشر المشوش

في القصاص حيوة وقيل للشهادة لقوله بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون
داعلموا انه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله
فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص
الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن خوفا
وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب
فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا امن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه
انه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكانه بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه انه
قد حذف الهمزة والقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر واتقوا فتنة ذنبا قيل هو اقرار
المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد
العقاب وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كان جوابا فالمعنى ان اصابتكم
لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب
واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب ووباله
من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله حتى اذا
جن الظلام واختلط • جاؤا بمذق هل رايت الذيب قط • اي بمذق مقول فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون
الذيب ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير
وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر
فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يسائر النبي صلى الله عليه وسلم يوما اذ اقبل علي فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت
اليه تقاتله فان قلت كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك
فكذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم قلت التبعيض على الوجه الاول
والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم اقبح منكم من سائر الناس واذكروا اذ انتم نصب على انه
مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة قليل مستضعفون في الارض ارض مكة قبل الهجرة يستضعفكم قريش
تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء منافين مضادين فاواكم الى المدينة وايدكم بنصره
بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم
وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا ياكلون فمكن الله لهم
في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول معنى الخون النقص
كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه

[1] هذا على طريقة المعتزلة واما عندنا فان يحال كما امر الله ٥

[2] واما عند اهل السنة فتحمل الحيلولة على الحقيقة لان الله تعالى يمنع البعض من الاهتداء بخلقه ويمنع البعض من الكفر ويهديه للايمان ٥

[3] التعذير في الامر التقصير فيه تعذير التعذير اي لا يبالغ في التقصير اي لم يبالغوا في ذلك كما يجب بل قصروا والتعذير ا ٥

[4] اي وكونه اذا جعلته صفة فهو نهي من حيث المعنى عن اصابة الفتنة الظالمين خاصة وانما قلنا هو نهي لدخول نون التاكيد ٥

قوله [2] اقبح منكم اعلم ان منكم ومن سائر الناس كلاهما في محل المجرور من الضمير في اقبح وفي الذي يستعمل افعل محذوف والتقدير الظلم منكم اقبح من الظلم من سائر الناس نحو زيد قائما احسن منه قاعدا بل الصواب ان تقول تقديره الظلم اقبح صادرا منكم من ظالم من سائر الناس فمن الذي صلة افعل حال من في من الناس والمفضل محذوف ٥

[3] اي تفسير بعلى ارادة اشارة الى انه متعلق بادكم الى اخره وفيه اشارة الى مذهبه ٥

قوله [4] يؤكلون ولا يؤكلون اي يسبون ولا يسبون وهو من قولهم اكول لحم غيره اذا كان اي يعيبا اخرين عيبا ٥

٥ الحرب حين تنضج وتصل الى ان ويطول على الحوادث حتى يمكن الالتحام بها
ويعبر بها الداعون لا الا ان الشيخ ... الوصل بالعمل ... وضربه
وحمله ٥ ... بالوصل الى الاجتناب الحسد لان نعيه ... بالوصل الى الاجل
... ٥

النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له ومنه قوله وتخونوا
اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به وامانا تكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم
تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء
تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح
كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا
على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه
اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله
ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث
سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه
هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال له
عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله
عليه من فرائضه وحدوده فان قلت وتخونوا جزم هو ام نصب قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون
نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرا مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة جعل الاموال
والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده
وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما يؤدي اليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال
وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله المال والبنون الاية وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده
يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله
ذو الفضل العظيم فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله
تعالى يوم الفرقان او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم واثاركم في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع
الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا
ومزية في الدنيا والاخرة واذ يمكر بك الذين كفروا لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في
نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت
الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ فقال
انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري
رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال
ابليس بئس الراي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم
فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال ابليس بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا اري ان تاخذوا من كل

حتى خر مغشيا ه

قوله [2] ان تتصدق بدل من قوله الثلث ومعنى يجزيك يكفيك يقال اجزاني الشيء اي كفاني ٥

[3] اي توقعوا انفسكم في الورطة والورطة الهلاك قال رؤبة فاصبحوا في ورطة الاوراط ٥ قال ابو عبيد اصل الورطة ارض مطمئنة لا طريق فيها وورطه واورطه توريطا اي اوقعه في الورطة وتورط هو فيها قال الوراطة الخديعة والغش وفي الحديث لا خلاط ولا وراط ويقال هو قوله عليه السلام لا تجمع بين متفرق ولا تفرق بين مجتمع خشية الصدقة ٥

[4] يعني بيعة العقبة ٥

[5] الندوة مجلس القوم ومتحدثهم ومنه سميت دار الندوة التي بمكة بناها قصي لانهم كانوا ينتدون فيها اي يجتمعون للمشاورة ٥

بطن غلاماً وتعطوه سيفاً صارماً فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش
كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رأياً فتفرقوا على رأي ابي جهل مجمعين
على قتله فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن له في الهجرة فامر علياً
فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا
علياً فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل الله مكرهم ليثبتوك ليحبسوك بالوثاق او يثخنوك بالضرب والجرح من
قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعاً وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرأ النخعي ليبيتوك
من البيات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالوثاق او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويخفون المكايد له و
يمكر الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة والله خير الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيراً او لانه لا
ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا
مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة
والا منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى بقوا وذاقوا بالقدح المعلى دونه مع فرط
انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا في باب البيان خاصة وان يماتنهم واحد فيتعلكوا بامتناع المشيئة ومع ما علم ظهور
الشمس من حرصهم على ان يقهروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبراً حين سمع اقتصاص
الله احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل
وانه من جملة تلك الاساطير وهو القائل واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او
بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقاً واذا انتفى كونه حقاً لم يستوجب منكره عذاباً فكان تعليق العذاب بكونه حقاً مع اعتقاد
انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك ان كان الباطل حقاً فامطر علينا حجارة وقوله هذا هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص
والتعيين هذا هو الحق وقرأ الاعمش هو الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وهو في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت السماء
كقولك انجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في معنى العذاب فان قلت ما فائدة قوله
من السماء والامطار لا يكون الا منها قلت كانه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة
من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعاً او ائتنا بعذاب اليم اي بنوع آخر من جنس العذاب
الاليم يعني ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع آخر من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل من سبأ ما اجهل
قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اللام لتاكيد النفي والدلالة على
ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب قوماً عذاب استئصال ما دام نبيهم
بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم الا يعذبهم الله

يقال توشح الرجل بثوبه وسيفه ه

صلف تحت الراعدة مثل يضرب لمن يكثر الكلام ولا يفعل ه

رجل نفاج صاحب كبر وفخر والصلف قلة الخير وقلة المطر والراعدة سحابة ذات رعد ليس تحتها مطر ويقال صلف تحت الراعدة لمن يكثر الكلام ولا خير عنده ه

المراد بالقدح المعلى وصفه بالمعلى بان نصيبه اكثر من نصيب سائر القداح او له سبعة انصباء

المماتنة ان يقول احد لصاحبه ماتني وجيء بشعر كما جئت انا بشعر لينظر ايهما اجود فقوله ماتني امر من المماتنة فيه نوع الوقاية قبل الفعل

يقال قتل فلان صبراً او حلف صبراً اذا حبس على القتل حتى يقتل او على اليمين حتى يحلف ه

انجم المطر اي كثر ودام ه

قال تعالى حجارة من سجيل مسومة اي عليها امثال الخواتيم ه

قالوا السجيل حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها اسماء القوم لقوله تعالى لنرسل عليهم حجارة من طين والسرد الخرز في الاديم والمسرود المخروز به والمسرودة الدرع المنسوجة شبه ما الذي صب عليهم بالسوط فذكر السوط واريد ... وقرينته قوله صب والاضافة الى العذاب كلاهما من باب تجريد الاستعارة كقوله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب فشبه السجيل بالحجارة في شدتها ونزولها مطراً من السماء ... ذكر ما التجريد والقرينة ... شبه الدرع ... ذكر ما التجريد ويكون قرينة للاستعارة ه

يصح

يصح هذا بعد اثبات التعذيب كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر
لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم
وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين وما لهم
الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام واي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم اي لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون
لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية واخراجهم رسول الله
والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه وما استحقوا
مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره وارباب ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضاً ممن يصلح
لان يلي امره انما يستاهل ولايته من كان براً تقياً فكيف بالكفرة عبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى
من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء
وتصدية المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كانه سمي بذلك لكثرة مكائه واصله الصفير نحو
والقراء وقرئ مكاً بالقصر ونظيرهما البكاء والبكا والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى او من صد يصد اذا قومك منه
يصدون وقرأ الاعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه فان قلت ما وجه هذا الكلام قلت هو من قوله
وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه اداهم سوداً او محدرجة سمرا والمعنى انه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء
والتصدية موضع الصلاة وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها
ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه فذوقوا العذاب عذاب
القتل والاسر يوم بدر بما كنتم تكفرون بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة ان الذين كفروا ينفقون
اموالهم قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير
اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منا ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر ليوم احد
الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالاً ليصدوا
عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك فسينفقونها
ثم تكون عليهم حسرة اي تكون عاقبة انفاقها ندماً وحسرة فكان ذاتها تصير ندماً وتنقلب حسرة ثم يغلبون
آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالاً قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا
والكافرون منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث من الكفار من الفريق
الطيب من المؤمنين ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا
يكونون عليه لبداً يعني لفرط ازدحامهم فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث
الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله من المال الطيب الذي انفقه المسلمون كابي بكر وعمر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم

قوله واخراجهم مبتدأ وقوله من الصد خبره والجملة عطف من حيث المعنى على جملة قوله كما صدوا ه

الثغاء صوت الشاة والمعز وما شاكلهما والرغاء صوت ذوات الخف ه

المكاء بالضم والتشديد طائر مليح الصوت ه

الرغاء بالضم واحد الرغوة والقرا المتنسك وقد تقرا اي تنسك والجمع القراؤون والقرايكون جمعاً لقاري قياساً ه

المخدرج الاملس يقال خدرجه اي فتله واحكمه ه قيود سود جمع ادم وهو القيد والمخدرجة السياط التي اجيد فتلها ه

الاحبوش قوم تجمعوا مع قريش من القبائل المختلفة والاحابيش جمع احبوش اي الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة ه

الجيش جند يسيرون لحرب ... قلت يقال جيش فلان لفلان اي جمع جيوشاً واستجاشه اي طلب منه جيشاً ه

الطليق الاسير الذي اطلق عنه اساره وخلي سبيله ه

الركم جمعك شيئاً فوق شيء حتى يكون مركوماً كركام الرمل والسحاب ه

مِنْ أبي قوله من ابي سفيان لبيان ٥

قوله اي قل لاجلهم هذا وجه اخر ذكره فيما تر وهو ان يكون بمعنى خاطبهم اي قل لهم قولك لكن ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ٥

في حملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباهم وجنوبهم وظهورهم الاية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف قل للذين كفروا من ابي سفيان واصحابه اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي في قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة الرسول وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبياءهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله ويبقى عليه حقوق الادميين وبه احتج ابو حنيفة في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم على ان الضمير لله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته نعم المولى ونعم النصير واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان ما غنمتم ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدا خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر ويقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة اكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به من حيث انه اذا احد الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون فان قلت كيف قسمة الخمس قلت عند ابي حنيفة انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني عبد المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعي رحمه الله فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلث وعند مالك الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هؤلاء وان راى اعطاه

قوله فيكون بشيرا اي اذا قرئ بالتاء يكون المعنى ان الكفار ان ينتهوا فانتهوا عن الكفر بسبب جهادكم واخراجكم اياهم من الكفر الى الاسلام فان الله تعالى يثيبكم على ذلك ٥

ان المفتوحة اذا دخلت على الجملة تجعلها في حكم المفرد ويجب تقديم خبرها عليها لانه لو لم يتقدم كانت الجملة مهيئة ومعترضة لدخول ان المكسورة وكان لا يجوز ان تدخل ان على ان لا يجوز ان تكون معترضة لدخولها عليها العامل ٥

الاسوة القدوة يقال لا تأتس بمن ليس لك باسوة اي لا تقتدي بمن ليس لك بقدوة وظاهر قوله انما يعطون لفقرهم يقتضي ان يقال سائر الفقراء لهم اسوة لكن قلب فقال هم اسوة سائر الفقراء رعاية لحسن الادب ومحافظة على عزة ذوي القربى ٥

بعضهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم فان قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه قلت يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكائيل فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن ابن عباس انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الاية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة فان قلت بم تعلق قوله ان كنتم امنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم امنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم العلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان يوم بدر يوم التقى الجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الايات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ بدل من يوم الفرقان انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تانيث الادنى والاقصى فان قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احديهما بالياء والثانية بالواو قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر للمبتدا فان قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم قلت الفائدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل هذا الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا

الى حنيفة والشافعي ٥

قوله فاجرى عطف على قوله قبض وقوله على ثلثة لانه كان ذكر ان سهمه صلى الله عليه وسلم ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى ٥

البرذون الدابة ويجمع البراذين قال الكسائي الانثى من البراذين برذونة ٥

قوله يستوي فيه المؤمن والكافر ليس كما ذكره لان المؤمن انما يعلم انه كذلك لاستقاده بيقين التواتر واعتقاد صدقه واما الكافر فاذا لم يؤمن بالتواتر ولا يعتقد صحته فكيف يعلم انه كذلك ٥

عبد بضمتين اسم جمع يريد الرسول والمؤمنين ٥

وهو ان الالف ساكن ٥

قوله وهو مرفوع المحل يريد الجملة الظرفية لا اسفل بعينه ٥

التوقيت تعيين الوقت يريد قوله اذ انتم ٥

الالتياث الاختلاط والالتفات يقال التاثت الخطوب والتاث فلان براسه القلم شعرة الالتياث من اللوثة وهي الضعف ٥

يمشي فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ
في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على
الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط همهم
ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبره
سبحانه من امر وقعة بدر ليقضي الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة
غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله لاموالهم حتى نفروا
ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى
قامت الحرب على ساق وكان ما كان **ولو تواعدتم** انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم
بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق
لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له **لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا** ليقضي متعلق بمحذوف
اي ليقضي امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله **ليهلك** بدل منه **من هلك عن بينة ويحيى من حي
عن بينة** استعار الهلاك والحيوة للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له
على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان
من وقعة بدر من الايات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي باظهار
التضعيف **وان الله لسميع عليم** يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من
آمن وثوابه **اذ يريكهم الله** نصب باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم
في عينك **في منامك** في رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراهم اياه في رؤياه **قليلا** فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على
عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما
احسب الرواية فيه صحيحة عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته **ولو اريكهم كثيرا لفشلتم** لجبنتم وهبتم الاقدام **ولتنازعتم
في الامر** في الراي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار **ولكن الله سلم** اي عصم وانعم بالسلامة
من الفشل والتنازع والاختلاف **انه عليم بذات الصدور** يعلم ما سيكون فيها من الجراة والجبن والصبر والجزع **واذ يريكموهم**
الضميران مفعولان يعني واذ يبصركم اياهم **اذ التقيتم في اعينكم قليلا** نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا
لرؤيا رسول الله وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى
جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا **ويقللكم في اعينهم** حتى قال قائل منهم انما
هم اكلة جزور **ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور** فان قلت الغرض في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهر
فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم قلت قد قللهم في اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم
الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم راي العين ولئلا يستعدوا

اي تحد وتقوى ومنه تشحذ للحديد ه

٦ الظعينة المرأة ما دامت في الهودج والظعينة ايضا الهودج فيه امرأة والجمع ظعن وظعن ه

٧ حريم البيت والبير وغيرهما ما حولهما من مرافق وحقوق وحرم الرجل اهله وحرمته ه

٨ التدبير في الامر ان ينظر الى ما يؤول اليه عاقبته ه

وهي لغة نحو ... كما في قوله تعالى ويهلك الحرث والنسل في سورة البقرة ... كما سيجيء في حم الاحقاف ه

لهم وليعظم الاحتجاج عليهم في استيضاح الاية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم آخرا فان قلت باي طريق يبصرون الكثير قليلا
قلت بان يستر الله عنهم بعضه بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد
اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة **يا ايها الذين آمنوا
اذا لقيتم فئة** اذا حاربتم جماعة من الكفار ترك ان يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب
فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا **واذكروا الله كثيرا** في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم
اللهم اقطع دابرهم **لعلكم تفلحون** لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه
اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب امير المؤمنين
في ايام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطايف المعاني وبليغات المواعظ والنصايح دليلا على
انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم **واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا** قرئ بتشديد التاء **فتفشلوا** منصوب
باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على التقديرين قراءة من قرأ **وتذهب ريحكم** بالتاء والنصب وقراءة من قرأ ويذهب
ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة و
نفذ امره ومنه قوله اتنظران قليلا ريث غفلتهم ام تعدوان فان الريح للعادي وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله
وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الراي نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم
رسول الله من فشلهم وذهاب ريحهم **واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا
ورئاء الناس** هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو
جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس
باطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمور وناحت عليهم النوايح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين
مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم لله **ويصدون عن سبيل الله
والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم** اي واذكر اذ زين
لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات
الشيطان وطاعته مما يجيرهم **فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف
الله والله شديد العقاب** فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله
كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين بني كنانة من الحرب وكاد ذلك يثنيهم
فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا
غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال
الحارث الى اين اتخذلنا في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا
هزم الناس سراقة بن مالك فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان

قوله ٢ مستظهرين اي طالبين الظهار او الظهور وهو الغلبة قال تعالى ليظهره على الدين كله ه

قوله ٣ وناهيك بما في خطب ما مبتدأ والباء زائدة وناهيك خبر مقدم اي ما في خطب امير المؤمنين من البلاغة كافيك في الدلالة على ما ذكرنا ه قوله في ايام صفين صفين موضع كان فيه محاربة بين امير المؤمنين علي كرم الله وجهه ومعاوية ... قوله وفي مشاهده مع البغاة عطف على قوله ايام صفين ... ه

قوله ٦ نحو مفعول به لقوله حذرهم والمعنى لو تنازعوا لحصل لهم ما حصل لهم باحد من الفشل وذهاب الدولة ه

٧ المعازف الملاهي والعازف اللاعب بها وقد عزف عزفا وعزف الرياح اصواتها ه

قوله ٨ فوافوها الفاء للسببية فان بطرهم ورئاءهم سبب ان بلغوا بدرا فسقوا ه

قوله ٩ فنهاهم الفاء فيه ايضا للسببية يعني لما كان بطرهم ورئاؤهم سببا لما عرفت نهى الله تعالى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان يكونوا مثلهم ه

هو في الاصل صفة قال الجوهري هو الرجل القصير الغليظ مع شدة قال العراقي الشين فيه الفتح ه

وفي الحديث ما رؤي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رؤي يوم بدر فان قلت
هلا قيل لا غالبًا لكم كما يقال لا ضاربًا زيدًا عندنا قلت لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبًا اياكم لكان الامر كما قلت و
لكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يحتمل ان يكون من صفة المنافقين وان يراد
الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم المشركون غر هؤلاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا
بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان
الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي حكيم ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى
الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال واذ نصب على الظرف يتوفى الذين كفروا الملائكة قرئ يتوفى بالياء والتاء
والملائكة رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر
وجوههم وادبارهم وعن مجاهد ادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما
اشد وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة الزاني عندهم ان يضرب ثم يعطي الرجل القوي البطش شيئا عمل من حديد كهيئة الطبق
فيه رزانة ولم مقبض فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوته فيخمد في مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب
الحريق معطوف على يضربون على ارادة القول اي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار او ذوقوا عذاب
الآخرة بشارة لهم وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار او ويقال لهم يوم القيمة ذوقوا وجواب لو
محذوف اي لرايت امرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع
بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام
للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لولا
الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه كداب آل فرعون الكاف في محل الرفع اي داب هؤلاء مثل داب
آل فرعون ودابهم عادتهم وعملهم الذي دابوا فيه اي داوموا عليه وواظبوا والذين من قبلهم كفروا بآيات الله تفسير لداب آل
فرعون فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ذلك اشارة الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب والانتقام بان الله لم
يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته ان يغير نعمة عند قوم حتى
يغيروا ما بهم من الحال فان قلت فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها الى
حال مسخوطة قلت كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم
كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوأ
مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقولوا مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون
كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تكرير للتاكيد وفي قوله
بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكل وكلهم من غرقى القبط وقتلى
قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون اي اصروا على الكفر ولجوا فيه

قوله يوما وما مصدرية والوقت مقدر معه اي ما روي في يوم الا في وقت رؤيته يوم بدر ٥

قوله لو كان حاصل الجواب انه لو كان لكم مفعول غالبا لكان غالبا شبيها بالمضاف وكان منصوبا ولما كان خبرا كان غالبا مفردا مبنيا ٥

البضع في العدد بكسر الباء وبعض العرب يفتحها وزنها الف اي قدر الف ٥

واعلم انه لا يجوز ان يقال على حذف الواو ان الجملة في محل الحال لانه جملة اسمية بدون الواو فيكون ضعيفا فهو جواب سؤال كانه قيل كيف حالهم فاجيب بان الملائكة يضربون ٥

قال استاذي الامام افضل العلماء فخر الملة والدين الجاربردي ادام الله ظله وورد في خاطري انه يصح ان يقال انهم تمكنوا في الايمان وامرض الايمان والهداية والصلاح لكنهم تركوا ذلك ولم يؤمنوا ولم يهتدوا بل مشوا على غيهم فكان ذلك كان حاصلا لهم فغيروه كما مر مثل ذلك في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وفي امثاله في مواضع كثيرة ٥

فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا
واخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا اي الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر
الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار
فاما تثقفنهم في الحرب فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر
قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود فشرذ
بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكانه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ ابو
حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد بهم من ورائهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء واوقعه فيه
لان الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين لعلهم يذكرون
لعل المشردين من ورائهم يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم
العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم
ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك اخفاء نكث العهد و
الخداع وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم
ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم والعداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا ولا يحسبن الذين
كفروا سبقوا فاتوا وافلتوا من ان تظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم
بالفتح بمعنى لانهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستيناف والمفتوحة تعليل صريح
وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزوني بكسر النون وقرأ الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف
النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين كفروا وقيل فيه اصله ان سبقوا فحذف ان كقوله ومن آياته يريكم
البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى
سابقين اي مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل
المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت
من قتل المشركين واعدوا لهم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون
ومن رباط الخيل والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز ان تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط
كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من
بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل وعن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فترابط في
سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون

قوله من قبل اي الجماعة المنهزمة والقبل اسم للمنهزم واحدا كان او اكثر قوله من قبل بيان لمن ٥

قرئ بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير في به راجع الى ما استطعتم عدو الله وعدوكم هم
اهل مكة وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان
لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء
في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح لها جنح له واليه اذا مال والسلم تؤنث تانيث نقيضها و
هي الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس ان
الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف
على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب وسلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرأ الاشهب
العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم
وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة انه هو السميع العليم وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله قال
جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو
انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم التاليف بين قلوب من بعث اليهم
رسول الله من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم
الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا وانشاوا يرمون عن
قوس واحدة وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع بين كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتواد واماط عنهم من التباغض والتماقت
وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما اراد وقيل الاوس
والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك ساداتهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي
يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب هذه ما آثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه
فانساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته يا ايها
النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان
عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع قال فحسبك والضحاك عضب مهند والمعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا
او يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في
اسلام عمر وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت يا ايها النبي حرض المؤمنين
على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا
يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم
الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ
حتى يشفي على الموت او ان تسميه حرضا وتقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر وممرضا فيه ليهيجه ويحرك منه وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة
حكاها الاخفش من الحرص [illegible] وحرضه وحرشه وحربه بمعنى وهذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا

قوله هذه عدة قال الاستاذ الفاضل العلامة فخر الملة والدين الجاربردي ادام الله ظله وفي ضمنه التكليف بصبر الواحد في مقابلة العشرة ولذا قال تعالى بعده الآن خفف الله عنكم الى آخره وهذا المعنى هو المنقول عن ابن جريج ه

... بخلاف البرذون وهو التركي ه

قوله فان ذا نشدت وكرت المكارم مرة في مجلس انتم به فتقنعوا ه قوله حسبكم اي محسبكم اي كافيكم [illegible] ه

[illegible] اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند [illegible] ه

غلبوا

غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده ثم قال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير
احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه بخلاف من يقاتل على بصيرة ومعه
ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم
بمقاومة الواحد للاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وقرئ ضعفا بالضم والفتح كالمكث والمكث
والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف وقرئ بالياء والتاء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة
والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف
وبعده قلت للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة
الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض
قرئ للنبي على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته
حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في
اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما
كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب
فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك
واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس
ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله
ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم
ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء
او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا
باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون
درهما وستة دنانير فلما اخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال
يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي
عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وكان ايضا
فيمن اشار بالاثخان تريدون عرض الدنيا حطامها سمي بذلك لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء والله يريد الآخرة يعني ما هو
سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف
وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها والله عزيز
يغلب اولياءه على اعدائه ويتمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون

فنسخ ه

الفعل المسند الى ه

قوله ٢ مرتين ظرف كرر اي كرر مرة قبل التخفيف وكرر مرة اخرى بعده ه

قوله ٣ لان الحال تتعلق بالدلالة ه

٤ اللام في لنسيب متعلق بمحذوف اي قاله لنسيبه

قوله ٥ فلنضرب مرتبط بقوله مكن ه

٦ العالة جمع عائل وهو الفقير والافلات الذهاب والفرار ه

قوله ٧ او ضرب عنق عطف على قوله [illegible] المعنى فكانه قيل لا بد لهم من بذل المال او بذل النفس وانما حملنا على هذا المعنى لان افلاتهم لا يحصل بضرب اعناقهم ه

قوله ٨ فاذا هو وابو بكر يبكيان اي فجاء عمر رضي الله عنه زمان النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه يبكيان واللام في لشجرة متعلق بمحذوف اي قاله صلى الله عليه وسلم لشجرة ه

٩ اي سمي حطام الدنيا بالعرض لانه شيء لا يحدث ويقل لبثه تشبيها بالعرض الذي لا يبقى زمانين والحطم الكسر والحطام بالكسر في اليبس ثم ان المصنف سمى متاع الدنيا حطاما لسرعة فنائه كالشيء اليابس الذي تكسر من اليبس كالنبات اليابس ه

[illegible] حطام الدنيا [illegible] ه

لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب احدا بخطائه وكان هذا خطاء في الاجتهاد
لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان
قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم واقل لشوكتهم لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقيل كتاب انه سيحل لهم الفدية
التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة
الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان قلت ما معنى الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف ومعناه قد ابحت
لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وحلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه
انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم يا ايها النبي قل لمن في
ايديكم في ملكتكم كأن ايديكم قابضة عليهم وقرئ من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم
خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الآخرة وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا
ويغفر لكم والله غفور رحيم وعن العباس رضي الله عنه انه كان يقول كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر وخرج بالذهب
لذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد
تركتني اتكفف قريشا فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني
في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي تعالى قال العباس
فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد
الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون
عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من
ربي وروي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس
ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما اخذ بالبناء
للفاعل وان يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل في
كفرهم ونقض ميثاق الله عليهم فامكن منهم كما رأيتم يوم بدر فتوقعوا مثله ان عادوا الى الخيانة وقيل المراد بالخيانة
منع ما ضمنوا من الفداء والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ولرسوله هم المهاجرون
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار اولئك
بعضهم اولياء بعض اي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك
بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وقرئ ولايتهم
بالكسر والفتح اي من توليهم في الميراث ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كأنه بتوليه صاحبه يزاول امرا و

يقال عهد اليه اذا اوصاه وعهد اليه تقدم اليه في شيء ٥

قوله في ملكتكم اي في ملككم لان هولاء الاسرى كانوا ملككم بسبب الاسر يقال في ملكه شيء وملكته شيء اي في ملكته شيء بالتحريك اي لا يملك شيئا وفلان حسن الملكة اذا كان حسن الصنيع الى مماليكه وقوله كان ايديكم قابضة عليهم وجه الشبه انه لم يعرف كيف ايديهم قبل في ايديكم والمراد في ملككم فيكون استعارة تصريحية وقرينة قوله من الاسرى ٥

٧ اي يسافر فيه ويتجر يقال ضرب في الارض اذا سافر وضرب الارض مشى الى الغائط قاله في شرح السنة ٥

٣ اي فامكن المؤمنين منهم يوم بدر حتى قتلوهم واسروهم وهذا تهديد لهم ان عادوا الى القتال ومعاداة المؤمنين يقال امكنه من الشيء ومكنه منه اقدره عليه ومنه الحديث ثم امكن يديه من ركبتيه اي مكنهما من اخذهما والقبض عليهما ٥

٢ الولاية بالفتح النصرة يقال هم على ولاية اي مجتمعون في النصرة وبالكسر السلطان وقيل هي بالفتح مصدر وبالكسر اسم كالامارة لانه اسم لما توليت به وقمت به ٥

عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدؤون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والله بما تعملون بصير والذين كفروا
بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة
الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه
اي ان لا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة
ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تكن فتنة في الارض وفساد كبير تحصل فتنة عظيمة ومفسدة
لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء والذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل
مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم
والشهادة لهم مع الوعد الكريم والاولى للامر بالتواصل لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا
معكم فاولئك منكم يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا واولوا الارحام واولوا القرابات بعضهم اولى ببعض
بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته ان الله بكل شيء عليم وقيل في اللوح وقيل في القرآن
وهو آية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال
وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته
يستغفرون له ايام حيوته في الدنيا

سورة التوبة مدنية وهي مائة وتسع وعشرون آية

لها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب
لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين اي تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها
وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب و
الله ما تركت احدا الا نالت منه فان قلت هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور قلت سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي
الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت عليه السورة او الآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين
وعن ابي بن كعب انما تركوا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي التوبة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان
فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب الى
اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي
الى الله فاجاب ومن دعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا
يقال لهم لا تفرق ولا تخف ومترس ولا باس هذا امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال

٧ تتقشقش بعينه براءة الاصمعي كان يقال لقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد المقشقشتان اي انهما تبرئان من النفاق وقال ابو عبيدة كما يتقشقش الهناء الجرب فيبريه وقال ابن السكيت يقال تقشقش المجدور اذا يبس وتقرف تقشقش جلده ٥

٨ تبعثرت الشيء استخرجته ٥

قوله ٢ تنكلهم اي تجعلهم نكالا لغيرهم يقال نكلتهم جعلتهم عبرة لغيرهم يعتبرون بهم يقال نكل به تنكيلا اذا جعله نكالا وعبرة لغيره والنكل الذي ينكل بالانسان يقال رماه الله بنكلة اي بما ينكله ٥

٥ يقال حفرت الارض حفرت النهر وتحفر عنها اي عن اسرار المنافقين وانما عداه بعن لانه ضمنه معنى الابعاد والازالة فكانه قال ازالت الغطاء والستر عن اسرار المنافقين ٥

تعد أن السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المايون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول
وقيل اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الأنفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت
بينهما فرجة لقول من قال انهما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدا محذوف اي هذه براءة
ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله
الى الذين عاهدتم من المشركين كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر
الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرأ اهل نجران من الله بكسر النون والوجه
الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم فان قلت لم علقت
البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد اذن الله في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم
فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم
به المشركين روي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذوا العهد
الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر
الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير
فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا راكبا العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت
بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا
رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على
الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال
يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلث عشرة آية ثم قال امرت
باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى
كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن
بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة
رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهود فازيحت علتهم بتولية ذلك عليا رضي الله عنه
فسيحوا في الأرض أربعة أشهر فان قلت الاشهر الاربعة ما هي قلت عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر
شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الآخر وكانت
حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من
ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة فان قلت ما
الطباق اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح قتال

يريد ان النسيء تاخير المحرم الى صفر في عدم القتال يقال انسأ شهرا اي اخره عن حرمة المحرم واحله لنا واجعل الحرمة في صفر لانهم كانوا يكرهون ان يتوالى عليهم ثلاثة اشهر لا يغيرون فيها لان معاشهم كان من الغارة فيحل لهم المحرم

المشركين

المشركين فيها واعلموا أنكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وأن الله مخزي الكافرين ومخزيكم اي مذلكم في
الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب وأذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من
قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والأذان بمعنى الايذان وهو الاعلام
كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية قلت تلك اخبار بثبوت
البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين
فان قلت لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الأذان بالناس قلت لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين
منهم واما الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الأكبر يوم عرفة و
قيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال
ما الحج الأكبر فقال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع
فقال هذا يوم الحج الأكبر ووصف الحج بالأكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الأكبر لانه معظم واجبا
لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الأكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الأكبر
لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر حذفت
الباء التي هي صلة الأذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الأذان في معنى القول ورسوله عطف على المنوي في بريء او على محل ان
المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك
ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر
عمر بتعلم العربية فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام والوفاء
فاعلموا أنكم غير معجزي الله غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه وبشر الذين كفروا بعذاب أليم الا
الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى
مدتهم فان قلت مما استثني قوله الا الذين عاهدتم قلت وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين
ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم
والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا
تجعلوا الوفي كالغادر إن الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك ثم لم ينقصوكم
شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم احدا عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله و
ظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله عليه السلام فانشده ۔ لاهم اني ناشد محمدا ۔ حلف ابينا و
ابيه الاتلدا ۔ ان قريشا اخلفوك الموعدا ۔ ونقضوا ذمامك المؤكدا ۔ هم بيتونا بالحطيم هجدا ۔ وقتلونا ركعا وسجدا ۔ فقال عليه السلام لا
نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم فادوه اليهم تاما كاملا ۔ قال ابن عباس بقي لحي من
كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم فإذا انسلخ انسلخ الشهر كقولك انجرد وسنة جرداء والأشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين

ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم وأسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر ومجاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المنار به وعن ابن عباس دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف منهم من الكفر والغدر وان احد من المشركين استجارك مرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا تدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فامنه فاجره حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك مامنه داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي فقال ان اراد الرجل منا ان يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله يقول وان احد من المشركين استجارك الآية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بانهم بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبر ال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجوار وله اليل اي انين يرفع به صوته ودعت الليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد واباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا استبدلوا بايات الله بالقرآن والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو

تتنادى الرجل فر كذا اذا تحاماه ٥

٨ الوغرة شدة توقد الحر ومنه في صدره علي وغر اي ضغن وعداوة وتوقد من الغيظ وقد وغر صدره علي بالكسر فهو واغر الصدر علي ووغره ٥

٦ بعد ما سبق لهم بالعهد الا بيان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولم يتقوا عليكم ٥

٧ السقب الذكر من ولد الناقة ولا يقال للانثى سقبة والرال ولد النعام يخاطب احدا ينكر قرابته من قريش يقول قرابتك من قريش كقرابة ولد الناقة وولد النعام وليس بينهما مناسبة ٥

قوله ٦ وله اليل اي اخره تقديره ويقال وله اليل وهذا البيان معنى الجوار والصوت في الاول ٥

ايكا شمايل التي توجد في بعض الكفرة ثم بين الشمايل بقوله اي الشمايل المرضية بقوله من التفادي اي الاخره فان بعض الكفرة قد يتفادى عن الكذب بخلاف هولاء ٥

سفيان واطعمهم انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدأ كقوله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تأمل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها على الاحكام وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم آمنوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون دين محمد ليس بشيء فهم ائمة الكفر وذووا الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة على ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ائمة قلت همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن بمقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة قوما نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدؤكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم من ان تقابلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا الا الله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديهم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشفي صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة وقال ابن عباس هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج

قوله ٢ وهذا يعني ان قوله ونفصل الآيات جملة معترضة ٥

يشير الى ان معنى قوله فقاتلوا وان نكثوا ايمانهم بعد ان تابوا واقاموا ٥

٤ قالوا وقالوا اشارة الى وجه آخر وهو ان المراد بالطعن والنكث ههنا طعن الكافر الاصلي لا المرتد فتامل فيه ٥

حتى لو اسلم بعد انعقاد اليمين وحنث فيه لا كفارة فيه عنده وعند الشافعي رضي الله عنه عليه الكفارة ٥

قوله ٤ فليس بقراءة خطأ لان اكثر القراء يقرؤون بهمزة بعدها ياء مكسورة وبعضهم بياء مكسورة ... [illegible]

[illegible]

قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك واتضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مسجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام واما القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو اكد لانه طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرا كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون وشاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي يوبخ العباس بقتال رسول الله وقطيعة الرحم واغلظ في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال او لكم محاسن قالوا نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم واذا هدم الكفر او الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم انما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد اي انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم ياتي في آخر الزمان ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة

بالنصب يؤدي مؤدى الجزم اي يفيد المعنى الذي يفيده الجزم ٥

ومعنى الهمزة مبتدا وفيها حال من الهمزة والتوبيخ خبر المبتدا

قوله منكم بيان للخلص او تبعيض وقوله من الذين متعلق بقوله تتخذوا ٥

قوله لقوله تعالى يعني ان قوله تعالى بعد ذلك اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام دل على ان المراد هنا بمساجد الله المسجد الحرام فتوجه القراءة على لفظ الواحد ظاهر ٥

قال في المغرب البقعة في الاصل القطعة من الارض يخالف لونها ما يليها ٥

قوله لانه طريقة الكناية ولم يقل مجاز كناية لان عدم الصلاحية لعمارة المسجد الحرام من لوازم عدم الصلاحية لعمارة المساجد فكان حقه ان يكون مجازا لكن جعل اللزوم مسا وبطريق الادعاء وجعل كناية لان الكناية لا تنافي ارادة الحقيقة والمجاز ينافيها وههنا الحقيقة ايضا مرادة فحمل على الكناية لذلك ٥ ابن ابي طالب

هدم الكبيرة مذهب المعتزلة دون اهل السنة والجماعة ٥

رممت الشيء ارمه رمة اذا اصلحته ... واسترم الحائط اذا حان له ان يرم وذلك اذا بعد عهده بالتطيين ٥

القم الكنس ومنه القمامة وهي الكناسة ٥

اعلم ان ما رواه المصنف من قوله ياتي في آخر الزمان وقوله الحديث في المسجد ياكل الحسنات الى آخره غير ثابتين عند ائمة الحديث بل هما في الزمان الاخير حادث ... وقد ثبت ان الصحابة كانوا يجلسون في المسجد ويتكلمون ويتحدثون في امور الجاهلية ويضحكون ويتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لان الجلوس في المسجد عبادة ولا يمنع منه الكلام الا ان يكون كلاما محرما او فيه تشويش او ما اشبه ذلك ٥

وفي الحديث

وفي الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه عليه السلام من الف المسجد الفه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة فان قلت هلا ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لما علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة فان قلت كيف قيل ولم يخش الا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والآخر حق نفسه ان يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها واملوا عاقبتها بان الذين آمنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون بانهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم اليهود انتم افضل وقيل ان عليا قال للعباس يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم قرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الوصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه

قوله لا يتمالك ان لا يخشاها اي لم يستطع ان لا يخشاها قال المطرزي في المغرب يقال فلان لا يتمالك ان يفعل ذلك وما تمالك اي لم يستطع ان يحبس نفسه ومنه هذا الحائط لا يتمالك ولا يتماسك ٥

قال ابو وجزة مشهور بالشعر فلذلك قال كان من القراء ٥

قوله وجعل يعني حيث قال تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين ٥

يعني قوله الذين آمنوا الى قوله تعالى اعظم ٥

فلا تقيت اليه ولا تبتر ولا تنفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض
في الله اقرب الناس اليه **قُل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم** اقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم
وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد
في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة او آجلة **والله لا يهدي القوم الفاسقين**
وهذه آية شديدة لا ترى اشد منها كانها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف
اورع الناس واتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والابناء
والاخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شيء منها لمصلحته فلا يدري
اي طرفيه اطول ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كانما وقع على انفه ذباب فطيره **لقد نصركم الله في مواطن**
كثيرة مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال وكم موطن لولاي طحت كما هوى
باجرامه من قلة النيق منهوي واشاعرها غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال انها ثمانون غزوة وغزوات بدر وقريظة
والنضير والحديبية وفتح مكة فان قلت كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه وموطن يوم حنين او في ايام
مواطن كثيرة **ويوم حنين** ويجوز ان يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر
وموجب ذلك ان قوله **إذ أعجبتكم** بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن و
لم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه
الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم الفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم اربعة الاف
فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول
الله وقيل قائلها رسول الله وقيل ابو بكر وذلك قوله **إذ أعجبتكم كثرتكم** فاقتتلوا قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة
وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه
الا عمه العباس آخذا بلجام دابته وابو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة
جاشه وما هي الا من آيات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا
ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض
على خيول بلق فنظر رسول الله الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا
ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكأني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته **فلم تغن عنكم شيئا**
وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ما مصدرية والبا بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور
في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها لم احلها تعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا
تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم **ثم وليتم مدبرين** ثم انهزمتم **ثم أنزل الله سكينته**

قال في الصحاح قال ابن الاعرابي فنوبهم لا يدري اي طرفيه اطول طرفاه ذكره ولسانه ه

النيق موضع في الجبل والجمع نياق ه

قوله وموطن يوم حنين كسر نون موطن وان كان يوم في القرآن بالفتح فان يوم ينتصب بتقدير في دون موطن ه

يعني لحقهم شوم الكلمة التي قالوا اعجابا بالكثرة ه

الفل اسم للمنهزم يقال جاء فل القوم اي منهزموهم يستوي فيه الواحد والجمع يقال رجل فل وقوم فل وربما قالوا فلول وفلال ه

لا يتحلحل لا يزول يقال تحلحل عن مكانه اذا زال ه

قال رضي الله عنه عنقا اي جماعة نحو قوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين على احد الاقوال الثلاثة اراد الروس الجماعات او ظلت تقابهم ه

الوطيس التنور يقال حمي الوطيس اي اشتد الحرب ه

رحمته التي سكنوا بها وثبتوا وامنوا **على رسوله وعلى المؤمنين** الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله حين وقع الهرب
وأنزل جنودا لم تروها يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر الفا **وعذب الذين كفروا**
بالاسر والقتل وسبي النساء والذراري **وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور**
رحيم اي يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي ان ناسا منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا يا رسول
انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم
ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل
بالاحساب شيئا فقام رسول الله فقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا
فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا
رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا
يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لان معهم الشرك
الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة
بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب
على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كانه قيل انما المشركون جنس نجس او
ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد **فلا يقربوا المسجد الحرام** فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا
يفعلون في الجاهلية **بعد عامهم هذا** بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة
واصحابه ويدل عليه قول علي حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر
المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء ان
المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم
منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك **وإن خفتم عيلة** اي فقرا بسبب منع
المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب **فسوف يغنيكم الله من فضله** من عطائه او من تفضله
بوجه آخر فارسل السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش
به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من اين تاكلون فامرهم
الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا عائلة ومعنى
قوله ان شاء ان اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم **إن الله عليم** باحوالكم **حكيم** لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة
وصواب **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق**
من الذين أوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى
مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة

اي ما كنا نسوي بالمكارم شيئا يعنون انهم يختارون الذراري والنساء دون الاموال فان في اختيارهم الشرف والفضيلة ويجتنب الفعال الخسيس فمن غنم الولد بانه ونسبه من فاته حسب نفعه لم ينتفع بحسب ابيه وقيل حسب الرجل ما ثره ابائه لانه يحتسب به من مناقب الفضايل من حسب الحال عده حسبا وحسابا ه

اعيانهم اي ذوات المشركين ه

قال الفرا اذا قالوه مع الرجس اتبعوه اياه وقالوا رجس نجس بالكسر ه

وعن ابي روق لا يعملون بما في التورية والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما
سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده حتى يعطوا الجزية سميت جزية لانها
طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان يراد
يد المعطي او الاخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد اي عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده
بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة
الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الاخذ واما على
ارادة يد الاخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم
نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون اي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم
والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام عند
ابي حنيفة ولا يسقط به خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابي وحربي
الا على مشركي العرب وحدهم روي الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب
وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية العجم وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي
العجم والماخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف
الضعف ثمانية واربعون درهما ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي يؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا
كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله مبتداء وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم
عجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا واما قول من قال بسقوط التنوين لالتقاء الساكنين
كقراءة من قرأ احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان
بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف
فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التورية ومحاها
عن قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبرئيل فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها عليهم
عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام الا انه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية تليت
عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب فان قلت كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم قلت فيه وجهان
احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم
لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد
بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه
ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد يضاهئون قول الذين كفروا
من قبل لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا

والمعنى

٧ الاعفاء الترك ومنه اعفاء اللحية وهو ترك قطعها وتوفيرها وقولهم اعفني من الخروج معك اي عفني عنه ٥

٨ زخ في قفاه زخا اي دفع في وهدة والزخ الدفع عن ابي عمرو الزخة الغيظ والحقد زخ نزخ

٩ اي كلمة لا اله الا الله ٥

١٠ الابن اذا وقع صفة بين علمين تسقط الالف في الخط واذا وقع خبرا اثبتت الالف نحو قولك زيد ابن عمرو وزيد بن عمرو ٥

١١ التمحل الطلب بحيلة وتكلف والمندوحة المكان الواسع والقول عنه مندوحة مبتدأ وخبر وقع صفة تمحل ٥

والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم
غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود
عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في انها لا تحيض
وهمزتها مزيدة كما في غرقئ قاتلهم الله اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله
ما اعجب فعلهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم اتخاذهم
اربابا انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما يطاع الارباب في اوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان
فيما يوسوس به عبادة له بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه و
سلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال أليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم
وعن الفضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه
للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك
ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة لا اله الا هو سبحانه عما يشركون
تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب
الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم يريدون ان يطفئوا نور الله
بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد عليه السلام بالتكذيب
بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة
ليطفيه بنفخه ويطمسه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان
كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين ولو كره المشركون فان قلت كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا
قلت قد اجري ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويأبى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا
ان يتم نوره يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون
عن سبيل الله معنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على
ان الاموال يؤكل بها فهي سبب الاكل ومنه قوله * ناكل كل ليلة اكافا * يريد علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل
انهم كانوا يأخذون الرشى في الاحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم
اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن
بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من يأخذ منه السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق
البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكوة آية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عني بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكوة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ما ادي زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر ان رجلا

قوله ٢ او يضاهي ظاهره انه عطف على قوله يضاهي قولهم والتحقيق انه عطف على قوله والمعنى الى اخره اذا المعنى الثاني انه يضاهي قول اليهود القايلين عزير ابن الله قول المشركين ٥

٣ الغرقئ قشر البيضة الاسفل وهو الذي تحت القيض ٥

٤ والصواب او همزتها مزيدة والا ففي كلامه تناقض ويمكن ان يكون مراد المصنف هو تعيين بيان ان الهمزة ليس بين الهمزة والياء القلب بل هي اصلية ونظيره كثير فيسقط الاعتراض فيتعسف في الضهيأ همزتها تشبه الرجال بها على ان تجعل الهمزة اصلية ٥

[illegible]

قوله ٥ ويجوز عطف على قوله امرتهم بذلك اي اشارة الى ان الضمير في للمتخذين يكون هنا اي انه يجوز ان يكون الضمير للمتخذين بفتح الخاء ٥

قوله ٦ الا ترى اعلم ان الاخذ والتناول بمعنى واحد فلما استعير الاخذ والتناول للاكل صح قولهم اخذ الطعام وتناوله استعير الاكل للاخذ والتناول في الاية ٥

٧ البراطيل جمع برطيل وهو حجر طويل شبه الرشوة به في تسمية به لان الراشي يلقمه فيسكته من قولهم القمه حجرا اذا اسكته وكانه جعل مستطيلا ليسد فاه اي يعطي حلقه ٥

قوله ٨ منهم اي من اليهود والنصارى وهو حال من الضمير في يأخذ ومن بيان او تبعيض الجنس علقه بيأخذ ٥

ثم لم يعن ارض لرباعها فقال الآخر مالك الذي احدث احفر لي تحت فراش امرأتك قال أليس بكنز قال اما ادي زكوته فليس بكنز
وعن ابن عمر رضي الله عنه كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكوته فهو الذي ذكر الله وان
كان على ظهر الارض فان قلت فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة
قالها ثلثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه السلام من ترك صفراء
او بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي رجل آخر فوجد في مئزره ديناران
فقال كيتان قلت كان هذا قبل ان تفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدي عنه ما اوجب
عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم
احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم
صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي رضي الله عنه اربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الافضل فان قلت لم قيل
ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان قلت ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير
ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب
كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب وقيار كذلك فان قلت لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال قلت لانهما قانون التمول
واثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس المال فكان ذكر كنزهما
دليلا على ما سواهما فان قلت ما معنى قوله يوم يحمى عليها في نار جهنم [illegible] وهلا قيل تحمى في نار جهنم من قولك حمي
الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد قلت معناه ان النار تحمى عليها اي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم
تحمى لم يعط هذا المعنى فان قلت فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت لانه مسند الى الجار والمجرور اصله يوم تحمى النار عليها
فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت
رفع الى الامير وعن ابن عامر انه قرأ يوم تحمى بالتاء فتكوى بها وقرأ ابو حيوة فيكوى بها بالياء جباههم وجنوبهم وظهورهم
فان قلت لم خصت هذه الاعضاء قلت لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة
عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن اكل طيبات يتضلعون
منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعم الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم
لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا و
اذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم
وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول وقوله لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت
حولها وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون بضم النون
اي وبال المال الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله فيما اثبته
واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ثلثة سرد ذو القعدة و

وذو الحجة

وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات
والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي هو بين جمادى وشعبان
والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج الى ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة
وكانت حجة ابي بكر قبلها في ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابراهيم واسمعيل
وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه
او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن في الحرم انفسكم اي لا تجعلوا
حرامها حلالا وعن عطاء والله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني
احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض
فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال وان كان ذلك محرما في سائر الشهور وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة حال
من الفاعل او المفعول واعلموا ان الله مع المتقين ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها انما النسيء زيادة في الكفر يضل
به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما النسيء تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا
جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا
يحرمون من شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد
خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال
عز وعلا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء اي اذا احلوا شهرا من
الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل روي انه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة
بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم
في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث معصية ازداد كفرا
فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول
ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على ان الفعل لله عز وجل وقرأ الزهري ليوطئوا بالتشديد والنسيء مصدر نسأه اذا اخره يقال
نسأه نسأ ونساء ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندي والنسي بوزن النهي وهما
تخفيف النسيء والنسء فان قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله قلت معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص
ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة
والله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء اعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل يا
ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض تثاقلتم وبه قرأ الاعمش اي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى
الميل والاخلاد فعدي بالي والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه وقيل
ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم وقرئ أاثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ فان قلت فما العامل في اذا وحرف

الاستفهام ما تقدمه ان يعمل فيه قلت ما دل عليه وفي ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمل في الحال اذا قلت ما لك
قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو
فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله في غزوة الا ورّى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة ارضيتم بالحيوة
الدنيا من الآخرة بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا قليل الا
تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير سخط
عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم
واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه لان الله وعده ان يعصمه
من الناس وان ينصره ووعده كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن وقيل ابناء فارس والظاهر مستغنى عن التخصيص
الا تنصروه فقد نصره الله فان قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان لا تنصروه فسينصره
من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت
والثاني انه اوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده اذ اخرجه الذين كفروا واسند الاخراج الى الكفار
كما اسنده اليهم في قوله من قريتك التي اخرجتك لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه ثاني اثنين احد
اثنين كقوله ثالث ثلثة وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه روي ان جبرئيل عليه السلام لما امره بالخروج قال من
يخرج معي قال ابو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون اذ هما بدل من اذ اخرجه في الغار والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل
في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان لصاحبه لا تحزن ان الله معنا قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق
ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما
قيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم
ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره
كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة فانزل الله سكينته عليه ما القي في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه
وايده بجنود لم تروها والجنود الملائكة يوم بدر ويوم الاحزاب ويوم حنين وجعل كلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر السفلى
وكلمة الله دعوته الى الاسلام وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع ابلغ هي العليا والله عزيز حكيم وهي فصل او مبتداء وفيها تاكيد
فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة به دون سائر الكلم انفروا خفافا وثقالا في النفور لنشاطكم وثقالا عنه لمشقته عليكم او
لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا
او صحاحا ومراضا وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي ان انفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن
ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه
من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبه فقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا
الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضرر فقال

استغفر الله

استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم تمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا باموالكم وانفسكم ايجاب للجهاد بهما ان
امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا العرض ما عرض لك من منافع
الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا
لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين
والشين ومنه قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد الا ما توارى الصفائح وسيحلفون بالله بالله متعلق بسيحلفون او هو
من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك متعذرين يقولون بالله لو استطعنا
لخرجنا معكم او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد
القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة او استطاعة الابدان كانهم
تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم اما ان يكون بدلا من يحلفون
او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله
لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه
مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولأفعلن فالغيبة على حكم الاخبار
والتكلم على الحكاية والله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك كناية عن الخطأ لان العفو رادف لها ومعناه اخطأت و
بئس ما فعلت لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا
لك بعللهم وهلا استأنيت بالاذن حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين من صدق في عذره ممن كذب فيه
وقيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله لا يستأذنك الذين
يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين
والانصار يقولون لا نستأذن النبي صلى الله عليه وسلم ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا في ان يجاهدوا او
كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما يستأذنك الذين
لا يؤمنون بالله واليوم الآخر يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلثين رجلا وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون عبارة عن التحير
لان المتردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة وقرئ عده بمعنى عدته
فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا من حذف تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ
عدة بكسر العين بغير اضافة وعده باضافة ولكن كره الله انبعاثهم فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله
ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن
تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء الي فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث
وقيل اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لانفسهم وقيل
هو اذن رسول الله لهم في القعود فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في قلوبهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح قلت

خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وكان ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فان قلت فلم خطأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت لان اذن رسول الله لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علم بها
الا بعد القفول باعلام الله ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا اليه فكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن
ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فباذنه
لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انهم اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت
عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم
لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فان قلت ما معنى قوله مع القاعدين قلت هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى
الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف
لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى
من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء
من اعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا والخبال
الفساد والشر ولاوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالضرب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع
واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرأ ابن الزبير ولارقصوا من
رقصت الناقة رقصا اذا اسرعت وارقصتها انا قال والراقصات الى منى فالغبغب وقرئ ولاوفضوا فان قلت كيف خط في
المصحف ولا اوضعوا بزيادة الالف قلت كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول
القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه اولا اذبحنه يبغونكم الفتنة منكم
يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم
فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب
الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج
وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك
الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تأييدك
ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني
في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك
مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني
اعينك بمال فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف
وفي مصحف ابي سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيامة او هي محيطة
بهم الآن لان اسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان تصبك

مصيبة

ولا تتجوز اي لا يتساهل يقال تجوز في الصلاة ترخص وتساهل ومنه تجوز اخذ الدراهم اذا رآه زيوفا ولم يردها

قوله النساء والصبيان والزمنى مراده بالقاعدين في قوله تعالى مع القاعدين وبالخالفين في قوله تعالى فاقعدوا مع الخالفين وبالخوالف في قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف

قوله ويبينه اي يبين انه ذم وتعجيز قوله تعالى

هذا مذهب بعض النحويين وقولهم الاستثناء المفرغ لا يكون الا متصلا

الرقص العجلة واوقص استوفض استعجل

قوله والراقصات قبل اوله الا والعاديات غداة جمع ... قال الفاضل العلامة فخر الملة والدين الجاربردي هذا غير مستقيم لان المصراع الاول يكون في الوافر والثاني من الكامل لو كان كما ذكروه

مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يفرحوا بما نالهم في الانحراف عنك يقولوا قد اخذنا امرنا اي امرنا
الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى
اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لن يصيبنا قرأ ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرأ
طلحة قل لن يصيبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب و
مصاوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب الا ترى الى قولهم صوب رايه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه
قوله اسهمي الصائبات والصيب واللام في قوله الا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله
باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله هو مولانا اي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين
امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم قل هل
تربصون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة
ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت
على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم
فلا بد من ان يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه قل انفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر طوعا او كرها نصب على الحال اي طائعين او مكرهين
فان قلت كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن ومعناه
لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله اسيئي بنا او احسني لا ملومة اي لن يغفر
الله لهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم ولا نلومك اسات الينا او احسنت فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام
عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له فان قلت لم فعل ذلك قلت لنكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول لعزة امتحني لطف
محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل تتفاوت حالي معك مسيئة كنت او محسنة وفي
معناه قول القائل اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك المعنى انفقوا وانظروا هل نتقبل
منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه فان قلت ما الغرض في نفي التقبل اهو
ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له
قلت يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون
فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق
لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم هذا مالي اعينك به فاتركني انكم كنتم قوما فاسقين تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو وما منعهم
ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله انهم فاعل منع وهم وان تقبل مفعولاه وقرئ ان تقبل بالياء والتاء
على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل لله ولا ياتون الصلاة
الا وهم كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسالى لانهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا

يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرات في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية وان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده المؤمن الى نفسه
فان قلت الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم ولا ينفقون الا وهم كارهون قلت
المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله او من رؤسائهم وما طوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون الاعجاب
بالشيء ان يسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك
فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالافات والمصائب وكلفهم الانفاق منه في
ابواب الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية اولادهم فان قلت ان صح
تعليق التعذيب بارادة الله فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما
كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة ويحلفون بالله انهم لمنكم من جملة المسلمين
وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية لو يجدون ملجأ مكانا
يلجؤون اليه متحصنين به من راس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات او غيرانا وقرئ بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل
هو تعدية غار الشيء واغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغاور
او مدخلا او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون
فيه انفسهم وقرا ابي بن كعب متدخلا لولوا اليه وقرئ لوالوا اليه لالتجأوا اليه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم
شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام وقرا انس يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد و
منهم من يلمزك في الصدقات يعيبك في قسم الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة
راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن
يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه السلام احذروا
هذا واصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك بالتثقيل والبناء على المفاعلة من لغة في اللمز فان اعطوا
منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجاة اي وان
لم يعطوا منها فاجأوا السخط ولو انهم رضوا ما اتيهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله و
رسوله انا الى الله راغبون جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا
ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا حسبنا الله كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا
ما قسم لنا سيؤتينا الله من فضله ورسوله سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر مما اتانا اليوم انا الى

الله

الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون انما الصدقات قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها
لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف
الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم
قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها
كان احب الي وعند الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف وعن عكرمة انها تفرق في الاصناف الثمانية للفقراء والمساكين
والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستالفهم
على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة وفي الرقاب المكاتبون وقيل الذين تحملوا الحمالات فتدينوا فيها
وغرموا والغارمين وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو
غني حيث ماله فريضة في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ
فريضة بالرفع على تلك فريضة من الله والله عليم حكيم فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة قلت للايذان بانهم
ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة
لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع
الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في
في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فان قلت كيف وقعت هذه الاية في تضاعيف
ذكر المنافقين ومكايدهم قلت دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما
لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها
ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين
امنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد
سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن قل اذن خير
لكم واذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير
والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا
يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين
والانصار وهو رحمة لمن امن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف
اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى الله من المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم الا
انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسره بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته
وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم
فانما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فاذا جئنا وحلفنا نبيه فيصدقنا فيعذرنا ايضا فقيل هو اذن خير لكم وقرئ اذن

خير لكم على ان اذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل
معاذيركم ولا يكافيكم على سوء دخلتكم وقرأ نافع بتخفيف الذال فان قلت لم عدي فعل الايمان بالباء الى الله والى المؤمنين باللام
قلت لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه و
يصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام الا ترى الى قوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما اناه عن الباء ونحوه
فما امن لموسى الا ذرية انؤمن لك واتبعك الارذلون امنتم له قبل ان اذن لكم فان قلت ما وجه قراءة ابن ابي عبلة ورحمة بالنصب
قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لان قوله اذن خير لكم يدل عليه يحلفون بالله لكم ليرضوكم
والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ويتخلفون عن الجهاد
ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق
من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي
واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله
المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فان له نار جهنم على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم وقيل معناه فله وان تكرير لان في
قوله انه توكيدا ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله
يهلك فان له نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة
تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون كانوا يستهزءون بالاسلام واهله وكانوا
يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق الله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة
وانه لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه ويجوز
ان تكون الضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبكم
كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر اي
ليحذر المنافقون فان قلت الحذر واقع على انزال السورة في قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما
تحذرون قلت معناه محصل مبرز انزال السورة او ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه اي تحذرون اظهاره من نفاقكم ولئن
سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون
بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال
احبسوا علي الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء
مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لم يعبأ باعتذارهم لانهم
كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ
به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم
بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم

باحداثهم

دخلة الرجل بالضم وداخلة الرجل ايضا باطن امره يقال هو عالم بدخلته وداخلة الازار احد طرفيه الذي يلي الجسد ه

من قومه ه

قوله اذن لكم اي يستمع يقال اذن له اذنا اي استمع قال صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بشر عندهم اذنوا له وقال صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء كاذنه لعبد يتغنى بالقرآن ه

المحادة المخالفة ومنع ما يجب عليك من الحد وهو المنع ه

اللام في قوله لان متعلق بتكرير وقوله توكيدا متعلق له ه

قوله مبرز في معنى مشكل فخرج ظاهره واما قوله مظهر فمعنى ظاهر حتى زمان ان الاخراج يستلزم الاظهار فيستعمل كل واحد منهما في معنى الاخر مجازا او كناية ه

باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه
او ان نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزءوا فلا نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستهزئين وقرأ مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التأنيث والوجه التذكير لان المسند
الى الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كأنه قيل ان ترحم طائفة فانث لذلك وهو
غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتانيث وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء
للفاعل وهو الله عز وجل المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله
انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين بقوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي
وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله نسوا
الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله ان المنافقين هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد
في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ
في ذمهم واذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم ان يقول كسلت لان المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق
وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء
ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين
بالشياطين الملاعين كما عظم اهل الجنة والحقهم بالملائكة المكرمين ولهم عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم
دائم كعذاب النار ويجوز ان يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الظاهر
المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم كالذين من قبلكم كانوا
اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من
قبلكم بخلاقهم الكاف محلها رفع على انتم مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو
انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا اذ قلت حتى اذا الكلاب قال لها بصف ثور
وحش وكليلا والمعنى فاستمتعتم بخلاقكم باضمار اي وقوله كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا تفسير لتشبيههم بهم
وتمثيل فعلهم بفعلهم فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم والخلاق النصيب وهو ما
خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اي اثبت وخضتم والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي
خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه فان قلت اي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين
من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا قلت فائدته ان يذم الاولين
بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الاخرة
وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة
فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف

على ما قبله مستنداً اليه مستغنٍ باسناده اليه عن تلك المقدمة اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة نقيض قوله وآتيناه اجره في
الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين واولئك هم الخاسرون الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود و
قوم ابراهيم واصحاب مدين والمؤتفكات واهل مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات مدائن قوم لوط وقيل قريات قوم لوط
وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم فما صح منه
ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولكن ظلموا انفسهم حيث كفروا به فاستحقوا
عقابه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله السين مفيدة وجود
الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك يوما يعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل
لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك سوف نؤتيهم اجورهم ان الله عزيز غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب
حكيم واضع كل امر موضعه على حسب الاستحقاق وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد في جنات عدن وعدن علم بدليل
قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده ويدل عليه ما روى ابو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها
عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في
الجنة وقيل نهر جناته على حافاته ورضوان من الله اكبر وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة
ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه
مما وراءه من النعم وانما تتهنأ له برضاه كما اذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت بعض اولي الهمة
البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى
رضاه عني وان احشر في زمرة المهديين المرضيين عنده ذلك اشارة الى ما وعد او الى الرضوان اي هو الفوز العظيم هو الفوز
العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد
اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني
فلا اسخط عليكم ابدا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم ومأويهم جهنم وبئس المصير
في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما
امكن منها عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه وان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة و
البغضاء والتبرء منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها اقام رسول الله في غزوة تبوك
شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن
كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفنا وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس
اجل والله ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قال فرفع عامر

يده

يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا
رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر و
كفروا بعد اسلامهم واظهروا كفرهم بعد ان اظهروا الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه
وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ
عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة
السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس
وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم
الله ورسوله من فضله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون
الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الفا فاستغنى
فان يتوبوا هي الآية التي تاب عندها الجلاس يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل
والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال
رسول الله يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين
كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما تنمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين
لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله الذي فيه الفرائض
فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا
عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها
وهلك في زمن عثمان وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال ابن عباس يريد الحج فاعقبهم
عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير
لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى يوم يلقونه الى ان يموتوا بما اخلفوا الله
ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق وبما
كانوا يكذبون وقرئ يكذبون بالتشديد الم تعلموا بالتاء ان الله يعلم سرهم ونجويهم وان الله علام الغيوب
عن علي رضي الله عنه ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية
الصدقة جزية وتدبير منعها الذين يلمزون محله النصب والرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم
ونجويهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين من المؤمنين في الصدقات المتطوعين المتبرعين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من التمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت **وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ** الا طاقتهم وقرئ بالفتح والضم **فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ** كقوله الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعاء الاترى الى قوله **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**

سال عبد الله بن عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه السلام ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي رضي الله عنه لاصبحن العاص وابن العاص سبعين الفا عاقدي النواصي فان قلت كيف خفي على رسول الله وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسازيد على السبعين قلت لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه كقول ابراهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي الرحمة والرأفة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ** الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان **بِمَقْعَدِهِمْ** بقعودهم عن الغزو **خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ** صلى الله عليه وسلم خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة ابي حيوة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على انه مفعول له او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له **وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ** تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان **فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ** استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم

مسرة احقاب تلقيت بعدها مساءة يوم اريها شبه الصاب فكيف بان تلقى مسرة ساعة ووراء تقضيها مساءة احقاب **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** معناه فيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع

رقأ الدمع يرقأ رقأ ورقوءا سكن ه

ولا يكتحلون

ولا يكتحلون بنوم وانما قال **فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ** لان منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف واعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المنافقين منهم **فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ** يعني الى غزوة بعد غزوة تبوك **فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ** واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله انه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المخلفين **فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ** قد مر تفسيره وقرأ مالك بن دينار مع الخلفين على قصر الخالفين فان قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات قلت اكثر اللغتين هند اكبر النساء وهي اكبرهن ثم ان قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه لكن هي اكبر امرأة واول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل **وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن ابي بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حبابا الى جنازته فسأله عن اسمه فقال انت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلوة عليه قال له عمر اتصلي على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل فان قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجد والقميص وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن لمحمد رسول الله ولكنا ناذن لك فقال لا ان لي في رسول الله اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك واجابه الى مسألته اياه فقد كان عليه السلام لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروءة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روي انه قال له اسألك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا تشمت به الاعداء وعلما بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون البسه اياه لطفا لغيره فقد روي انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني ارجو من الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما راوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا راوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف على من واطأ قلبه لسانه وراه حتما عليه فان قلت فكيف جازت الصلوة عليه قلت لم يتقدم نهي عن الصلوة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما ادري ما هذه الصلوة الا اني اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخادع **وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ** ماتو ابدا صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة انهم كفروا تعليل للنهي وقد اعيد قوله **وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** لان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل له وتاكيده وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية به لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشيء الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى

لقوته فيما يجب ان يحذر منه وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ يجوز ان يراد السورة بتمامها وان يراد
بعضها في قوله واذا انزلت سورة كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد
ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله هي ان المفسرة اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن ذووا الطول ذووا الفضل
والسعة من طال عليه طولا مَّعَ الْقَاعِدِينَ مع الذين لهم علة وعذر في التخلف رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك لَٰكِنِ الرَّسُولُ اي ان تخلف هؤلاء
فقد نهد الي الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فانا استنكروا الذين عبد
ربك وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات
حسان وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ المعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتواني ولم يجد وحقيقته ان
يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الي العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء
الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم تثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون اليكم وقرئ المعذرون
بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف
وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنيني الله
عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين و
الذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاء والصاد في المطوعين وازكى و
اصدق وقيل اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعتذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر وَقَعَدَ الَّذِينَ
كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا واظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان
وقرأ ابي كذّبوا بالتشديد سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ من الاعراب عَذَابٌ أَلِيمٌ في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار
لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ الضعفاء الهرمى والزمنى والذين وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ لا
يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ والنصح لله ولرسوله الايمان بهما وطاعتهما في
السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ على المعذورين الناصحين مِن
سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ
قُلْتَ قلت حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد
تولوا ولقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعة والذين عدموا الة الخروج والذين سالوا المعونة
فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا
وقيل البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من تفيض دمعها لان
العين جعلت كان كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل محل الجار والمجرور النصب على التمييز أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ

~~استغفر الله~~ لئلا يجدوا وعلى النصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ
أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ فان قلت رضوا ما موقعه قلت هو استيناف كانه قيل ما بالهم استاذنوك وهم اغنياء
فقيل رضوا بان يكونوا مع الخوالف بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ يعني
ان السبب في استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استينافا كانه قيل اذا ما اتوك
لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسيط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن
يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه
مكذب وجب عليه الاخلال به وقوله قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الي رسوله الاعلام
باخبارهم واحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ اتنيبون
ام تثبتون على كفركم ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر
وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فَأَعْرِضُوا
عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة
والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الي تطهيرهم وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ اي غرضهم في الحلف
بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا
كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم
قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي عليه السلام حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا
تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الْأَعْرَابُ اهل البدو أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم
وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ واحق
بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه السلام ان الجفاء والقسوة في الفدادين وَاللَّهُ عَلِيمٌ يعلم حال
كل احد من اهل الوبر والمدر حَكِيمٌ فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا غرامة
وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده وَيَتَرَبَّصُ
بِكُمُ الدَّوَائِرَ ودوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ معترض دعاء
دعي عليهم بنحو ما دعوا به كقوله تعالي وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة و
السوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها وَاللَّهُ سَمِيعٌ لما يقولون اذا
توجهت عليهم الصدقة عَلِيمٌ بما يضمرونه وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند
الله وصلوات الرسول لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى

وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها قربة لهم شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستيناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضاء الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل هم الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ومن اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القران وقرئ عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا على السابقون وعنه انه كان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو وصفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ائتوني بابي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة وآخرين منهم واوسط الحشر والذين جاؤا من بعدهم والذين امنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرأ بالواو فقال من اقرأك قال ابي فدعاه فقال اقرأنيه رسول الله وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وشئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم ومعناه رضي عنهم لاعمالهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمه الدينية والدنيوية وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من ومن حولكم من الاعراب منافقون يعني حول بلدتكم وهي المدينة منافقون وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتداء الذي هو ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق على انه مردوا صفة موصوف محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو ان يكون كلاما مبتدأ او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره تمهروا على النفاق فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ولذلك قال لا تعلمهم اي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشككك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به ولهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة خطيبا فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن اخذ الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلثة ابو لبابة بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم حين بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر

فراهم

ذو البجادين قائد رسول الله صلى الله عليه وسلم والبجاد كساء مخطط اخذت امه بجادا فشقته نصفين فقرنته باحدهما وازرته بالآخر وبعثته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥

المهاجرون احداهما من مكة الى الحبشة والثانية من الحبشة الى المدينة وبيعة الرضوان وقع بين الهجرتين لانه كان بالحديبية بعد الهجرة الى الحبشة وقبل الهجرة من الحبشة الى المدينة لان جعفرا هاجر من الحبشة الى المدينة وقت فتح خيبر ٥

القرظ ورق السلم يدبغ به … بقيع الغرقد وهو مقبرة بالمدينة ٥

اي انا ابن رجل جلا كشف الامور واوضحها ٥

ضري من الضراوة وهي الاعتياد ٥

قوله في تحامي اي في الاحتراز عما يشكك في امرهم ٥ …

قوله متذممين اي يذمون انفسهم … ٥

فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم صدقة خلطوا عملا صالحا خروجا الى الجهاد وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم فان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه فيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم فان قلت كيف قيل عسى الله ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم خذ من اموالهم صدقة تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرأ وتزكيهم بها الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب ولغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن الشافعي رضي الله عنه احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة آجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وجعله لك طهورا ان صلواتك وقرئ ان صلوتك على التوحيد سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم الم يعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتاكيد ان الله من شانه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص فيه ان ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا لهؤلاء التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني ان يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت فان قلت فما معنى قوله فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ويأخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل والمعنى انه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة وآخرون مرجون لامر الله قرئ مرجؤن ومرجاؤن من ارجيته وارجأته اذا اخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله والله غفور رحيم واما للعباد اي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة والذين اتخذوا في مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها

قوله ترغيبا مفعول له لعل فيه يراد ٥

واما يتوب عليهم اي يترحم عليهم قال رضي الله عنه اما للشك وهو لا يجوز على الله تعالى … ٥

اي للعباد … فلا يجوز على الله تعالى ٥

وفي سايرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على ساير قصصهم روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى
الله عليه وسلم الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت
هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا
واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية
ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك
سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد
الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين **مسجدا ضرارا**
مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قباء ومعازة **وكفرا** وتقوية للنفاق **وتفريقا بين المؤمنين** لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد
قباء فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم **وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل** واعدادا لاجل من حارب الله
ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى
ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا
فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني ضرارا او رياء او سمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا
وعن عطاء لما فتح الله الامصار على عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه فان
قلت والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن
وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة فان قلت بم يتصل قوله من قبل قلت باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف
وليحلفن ان اردنا ما اردنا ببناء هذا المسجد **الا** الخصلة **الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون** او الارادة الحسنى وهي الصلوة
وذكر الله تعالى والتوسعة على المصلين **لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى** قيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قباء
اوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري سألت رسول الله عن المسجد الذي اسس على التقوى
فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة **من اول يوم احق ان تقوم فيه** من اول يوم من ايام وجوده
فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قيل لما نزلت مشى رسول الله والمهاجرون معه حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا
الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون
بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا
معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة
ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات

قوله فيغتص اي يمتلئ المسجد بالمؤمنين ه

لان الجماعة كانوا قد صلوا فيه وتفرقوا فقيل له نلتمس الى مسجد بني فلان ونصلي فيه مع جماعتهم فانهم ما صلوا بعد ه

اي هو المقبول وهو ان المراد بمسجد اسس مسجد قباء اولى لان الموازنة بين مسجدين يكونان في قباء اوقع من الموازنة بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ومسجد بقباء وهو مسجد الضرار ه

اي من تأسيس اول يوم لان من لابتداء الغاية في المكان عند اصحاب البصريين وعند الكوفيين في الزمان والاول هو المعول عليه بهذا اوردوا فيه نظر لان تأسيس ليس بظرف مكان والصواب ان يقول مذهب البصريين ان من لابتداء غاية الزمان ليشمل المكان وغيره ويستقيم تقديره من اول يوم بقولهم من تأسيس اول يوم ه

كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا
بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم فان قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهي
له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه **افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان**
خير ام من اسس بنيانه قرئ اسس على البناء للفاعل والمفعول واسس بنيانه جمع اساس على الاضافة واساس بنيانه واس بنيانه بالفتح والكسر
جمع اس واساس بنيانه على افعال جمع اس ايضا والمعنى افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه
خير ام من اسس بنيانه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل **على شفا جرف هار** في
قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى فان قلت فما معنى قوله **فانهار به في**
نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين قلت لما جعل الجرف الهار مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل
في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كأنه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به
ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار
الهاير وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت
والقلب بالف فاعل انما هي عينه واصله هور وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه امره وقرئ جرف
بسكون الراء فان قلت فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين قلت قد جعل الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى فيمن نون
الحقها بجعفر وفي مصحف ابي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرئي الدخان يخرج منه وروي ان مجمع بن جارية
كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب في خلافته ان يأذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا
ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت
ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤون من القرآن شيئا فعذره وصدقه وامره بالصلوة بقومه **لا يزال**
بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال
عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى
قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره **الا**
ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة
فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقرئ
يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على ان الخطاب للرسول اي الا ان تقطع انت قلوبهم بقتلهم وقرأ
الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع
بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم **ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة** مثل الله اثابتهم بالجنة على
بذلهم انفسهم واموالهم في سبيله بالشرى وروي تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو
خلقها واموالا هو رزقها وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان

ان قرئ بكسر الهاء فالضمير في له يعود الى الشيء اي المستتر في المشتهي يعود الى اللام وان قرئ بفتح الهاء فالضمير المستتر في المشتهي يعود الى اللام والضمير في له الى المحب ه

قوله جمع اس متعلق بقوله بالكسر واما الاساس بالفتح فهو قال في الصحاح الاس اصل البناء وكذلك الاساس ه

طاح يطوح ويطيح هلك وسقط وكذلك اذا تاه في الارض وطوحه جره وذهب به هاهنا وهاهنا ه

جرفت الطين كسحته ومنه سمي الجرف ه

مجمع بفتح الجيم مشددة واما مجمع بالكسر فلقب قصي ابن كلاب واسمه زيد قال ابو قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر ه

النعمة مصدر سماعي بمعنى الانعام اي لا انعم عينك انعاما ه

قوله تصميما مفعول له ازدادوا ومن ذلك بيان لما وذلك اشارة الى الهدم ه

قوله وما هو عطف على حقيقة والضمير في منه عايد الى تقطيع ومنه حال من المستتر في كاين ويتعلق بكاين وكان زج كان التامة ه

[illegible]

تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح
البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر اعرابي وهو يقرأها فقال كلام من قال كلام الله تعالى قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج
الى الغزو واستشهد **يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون** فيه معنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وقرئ
فيقتلون ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس **وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقران** كما اثبته في
القران ثم قال **ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم
عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ **التائبون
العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر
المؤمنين** رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وابي رضي الله عنهما التائبين بالياء الى والحافظين نصبا
على المدح ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج ان يكون مبتدا خبره محذوف اي التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم
يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز ان يكون مبتداء وخبره العابدون وما بعده خبر بعد
خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق والعابدون الذين
عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل
هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه **ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا
اولي قربى** قيل قال لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فابى فقال لا ازال استغفر
لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سال اي ابويه احدث بهما عهدا فقيل امك آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال اني
استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فنزلت وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة
وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا وذوي قرابتنا وقد استغفر ابراهيم لابيه وهذا
محمد يستغفر لعمه فنزلت ما كان للنبي اي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته ~~ولو كانوا اولي قربى~~ **من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم** لانهم ماتوا على الشرك **وما كان استغفار ابراهيم لابيه** قراءة طلحة وما استغفر ابراهيم لابيه وعنه وما يستغفر ابراهيم على
حكاية الحال الماضية **الا عن موعدة وعدها اياه** اي وعدها ابراهيم اباه وهو قوله لاستغفرن لك وتدل عليه قراءة الحسن وحماد
الراوية وعدها اباه فان قلت كيف خفي على ابراهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده قلت يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان
جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله عليه السلام
لعمه لاستغفرن لك ما لم انه عنه وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لابائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت
وعن علي رضي الله عنه رايت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس قد استغفر ابراهيم فان قلت فما معنى قوله **فلما تبين له انه
عدو لله تبرا منه** قلت معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يؤمن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله
من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم **ان ابراهيم لاواه حليم** اواه فعال من اوه كلال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التاوه ومعناه انه
لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك **وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى**

يبين لهم ما يتقون يعني ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لا يواخذ به عباده الذين
هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب واما
قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يواخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المواخذة
بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الاية شديدة ما ينبغي ان يغفل عنها وهي ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات
الله داخل في حكم الاضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على
التوقيف **ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار** تاب الله على النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واستغفر لذنبك و
هو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار وابانة لفضل
التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب
الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك **الذين اتبعوه في ساعة العسرة** في وقتها والساعة مستعملة في معنى
الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم شعر غداة طفت علماء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل نحو تميم اذا جاء يوما
وارثي يبتغي الغنى والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا
التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء
وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة **من بعد
ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم** عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد
ضمير الشان وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين
من المؤمنين كابي لبابة وامثاله **ثم تاب عليهم** تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم **انه بهم رؤف
رحيم وعلى الثلثة الذين خلفوا** الثلثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي
لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرا جعفر الصادق خالفوا
وقرا الاعمش وعلى الثلثة المخلفين **حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت** برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم
لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه **وضاقت عليهم انفسهم** اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من
فرط الوحشة والغم **وظنوا** وعلموا **ان لا ملجا من الله** من سخط الله **الا اليه** الا الى استغفاره **ثم تاب عليهم ليتوبوا** ثم رجع
عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم **ان الله
هو التواب الرحيم** ان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين روي ان ناسا
من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة
الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني
ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال

فقال يا نفس ما خلقتني الا لاحب الحيوة لك والله لالحقن رسول الله حتى الحق برسول الله فتابط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله
المومن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله ماشيا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذلك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده
وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال
ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ
سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة
فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه
وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعدما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه
فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد
فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك
فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست
ثوبي وانطلقت الى رسول الله فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني وقال لتهنك
توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ
ولدتك امك ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت
وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** وقرئ من الصادقين وهم الذين
صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه وقيل هم الثلاثة اي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين
والانصار وافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله
عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من
رخصة **ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن**
نفسه امروا بان يصحبوه على البأساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد
ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس
ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا ان يربؤا بانفسهم
عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية
ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب مشايعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم **بانهم لا يصيبهم ظمأ** شيء
من عطش **ولا نصب** ولا تعب **ولا مخمصة** ولا مجاعة **في سبيل الله** في طريق الجهاد **ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار** ولا يدوسون مكانا
من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم **ولا ينالون من**

معنى الضح الشمس في الحديث لا يقعدن احدكم بين الضح والظل فانه مقعد الشيطان وفي الكشف الضح ما اطلع عليه الشمس وما هبت عليه الريح ومن بعضهم الضح بالبيان والبسامية ه

عدو نيلا ولا يرزؤنهم شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك **الا كتب لهم به عمل صالح** واستوجبوا الثواب و
نيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله
عليه السلام آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه
والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وينكبهم
ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر و
بهذه الآية استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمه الله ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم
مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق رضي الله
المهاجرين ابي امية وزياد بن ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعدما فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي رضي
الله عنه لا يشارك المدد الغانمين وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمي ظماءة وظماء **ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا**
ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط **ولا كبيرة** مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة **ولا يقطعون واديا** اي ارضا في ذهابهم
ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال واكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودي اذا سال ومنه الودي وقد شاع في
استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك **الا كتب لهم** الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز
ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله **ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون** متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء **وما كان المؤمنون**
لينفروا كافة اللام لتاكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم
يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة **فلولا نفر** فحين لم يمكن نفير الكافة و
لم يكن مصلحة فهلا نفر **من كل فرقة منهم** اي من كل جماعة كثيرة **طائفة** جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير **ليتفقهوا في الدين** ليتكلفوا
الفقاهة فيه وليتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها **ولينذروا قومهم** وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم و
ارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط
في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا
لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز
وجل لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا **اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون** ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه
آخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعدما انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق
المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد و
يبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف و
قوله ليتفقهوا الضمير للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا
اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه **يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم**
من الكفار يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك

الأقربين وقد حارب رسول الله قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم
لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم
ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل عمن يقاتل الديلم فقال عليك بالروم **وليجدوا فيكم غلظة** وقرئ غلظة بالحركات
الثلث الغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال
وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله **واعلموا ان الله مع المتقين** بنصره من اتقاه فلم يترأف
على عدوه **واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم
يستبشرون** فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة
العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت هذه
ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون لانها ازيد لليقين والثبات وابلغ للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة
في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل **واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم** كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما
جددوا بتجدد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم **وماتوا وهم كافرون** واستحكم ذلك فيهم حتى يموتوا عليه **اولا يرون انهم
يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون** يعني المنافقين وقرئ بالياء والتاء انهم يفتنون يبتلون بالمرض والقحط
وغيرهما من بلاء الله ثم لا يتوبون ولا ينتهون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون او لا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون امره وما ينزل الله عليه من نصرته وتاييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون **واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض** تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به
قائلين **هل يراكم من احد ثم انصرفوا** من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا
في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين **صرف الله قلوبهم** دعاء
عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح **بانهم** بسبب انهم **قوم لا يفقهون** لا يتدبرون حتى يفقهوا
لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم او من نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله **عزيز عليه
ما عنتم** اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب **حريص عليكم**
حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به **بالمؤمنين** منكم ومن غيركم **رؤف رحيم** وقرئ من انفسكم اي
من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة ولم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قوله رؤف رحيم **فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم** فان تولوا فان اعرضوا
عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن
ابن عباس العرش لا يقدر احد من الخلق قدره وعن ابي بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم عن رسول الله ما نزل علي القرآن
الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وعشر وآية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك

الر تلك آيات الكتاب الحكيم تعديد للحروف على طريق التحدي وتلك آيات الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات
والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها او نطقه بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلتها
فيقال من ذا قالها **اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم** الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا
خبره وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء والاجود ان يكون كان تامة
وان اوحينا بدلا من عجب فان قلت فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا قلت معناه انهم
جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه
ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا الى الناس الا
يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم
يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير
او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في
الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى
فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء **ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا** ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى
القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس **ان لهم** الباء معه محذوف **قدم
صدق عند ربهم** اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت لم سميت السابقة قدما قلت لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة
الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى الصدق دلالة
على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق **قال الكافرون ان هذا** ان هذا الكتاب وما جاء به محمد **لسحر مبين** ومن قرأ لساحر
فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر
يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا
الامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه
بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه
لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله **ما من شفيع الا من بعد اذنه** دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن **ذلكم** اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به **الله ربكم** هو
ربكم وهو الذي يستحق منكم العبادة **فاعبدوه** وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع **افلا
تذكرون** فانه ادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطاء فيما انتم عليه **اليه مرجعكم جميعا** اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه
وعد الله حقا مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله **انه يبدؤ الخلق ثم يعيده** استئناف معناه التعليل
لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدؤ الخلق بمعنى لانه او هو

منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدأ الخلق ثم إعادته والمعنى إعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله
على لفظ الفعل ويُبدئ من أبدأ ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدأ الخلق كقوله احقا عباد الله ان لست جائيا ولا
ذاهبا الا علي رقيب وقرئ حق انه يبدأ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط
والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون بالعدل وهو متعلق بيجزي
والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا لان الشرك ظلم قال الله تعالى إن
الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام انفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء الياء في ضياء منقلبة
عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق عقا والضياء اقوى من
النور والقمر نورا وقدره منازل وقدر القمر وقدر مسيره منازل او قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل لتعلموا عدد السنين والحساب
وحساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي ما خلق الله ذلك اشارة الى المذكور اي ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة
ولم يخلقه عبثا يفصل الآيات وقرئ يفصل بالياء لقوم يعلمون إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات
والارض لآيات لقوم يتقون خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر إن الذين لا يرجون
لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق او لا
يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة وآثروا القليل
الفاني على الكثير الباقي كقوله أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة واطمأنوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا وأملوا
بعيدا والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون إن الذين آمنوا وعملوا
الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري
من تحتهم الانهار في جنات النعيم بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم الى
طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله
في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك
فينطلق به حتى يدخله النار فان قلت فلقد دلت هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة
هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك
الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل الصالح كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم
اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام دعاؤهم
لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء
العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس
بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية

الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم وأن هي المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشأن كقوله أن
هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ أنّ الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير اصله ولو يعجل
الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كأن استعجالهم
بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي
اليهم اجلهم لأميتوا واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون فان قلت فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون وما
معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم اي فنمهلهم و
نفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما في موضع الحال بدليل عطف
الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فان قلت فما فائدة ذكر هذه الاحوال قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر
عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها ان كان منبطحا عاجز النهض متخاذل النوء او كان قاعدا لا يقدر على القيام او
كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو
اشدها لا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع
البلاء لان الانسان للجنس فلما كشفنا عنه ضره مر اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال
والتضرع لا يرجع اليه كأنه لا عهد له به واصل كأن لم يدعنا الى ضر مسه كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن قال وكأن ثدياه حقان
كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته او الله عز وجل بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن
الذكر واتباع الشهوات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا لما ظرف لأهلكنا والواو في وجاءتهم رسلهم بالبينات وجاءتهم
للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا يجوز ان يكون
عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تأكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم يصرون
على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة
ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم خلائف في الارض من بعدهم
اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكنا لننظر كيف تعملون لننظر اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف
في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة
قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات
قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين
فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها
فأمر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الآلهة

واما الاتيان بقران آخر فغير مقدور عليه للانسان قل ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل كقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله
من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير ان يامرني بذلك ربي ان اتبع الا ما يوحى الي الا آتي ولا اذر شيئا من نحو ذلك
الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان
عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم فان قلت اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت
بقرآن غير هذا قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول
ويزعمون انه قادر عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز فان قلت لعلهم ارادوا ائت
بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقرآن من جهته واراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله قلت يرده قوله
اني اخاف ان عصيت ربي فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال
قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد
منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله قل لو شاء الله
ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشية الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم
ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منظوم
ومنثور مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار ما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم
اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم
به ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني وقرأ الحسن ولا ادراتكم به على لغة من يقول اعطاته وارضاته في معنى اعطيته وارضيته ويعضده
قراءة ابن عباس ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادرأتكم به بالهمز وفيه وجهان احدهما ان يقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت
الميت وذلك لان الالف والهمزة من واد واحد لا ترى ان الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته
وادرأته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولأدراكم به بلام الابتداء لاثبات
الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة و
رآني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا من قبله وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم
تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من الله لا من
مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته
انه لا يفلح المجرمون يحتمل ان يكون افتراء المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جمادات لا تقدر على ضر ولا نفع وقيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها
لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى
ومناة وهبل واسافا ونائلة ويقولون وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة شفعت لي
اللات قل أتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط
العزيز

بجميع

قوله[٢] ان نسخت آية الى آخره بيان لقوله لا آتي الى آخره

اراد انه لو كان المراد التبديل الذي يقترح هو التبديل من جهة الوحي لم يترتب عليه العذاب

[٥] انكرهم بفتح الكاف والنصب الام من انكر قال صلى الله عليه وسلم ... رب الارب ... الارب الفطن

قوله[٣] واحداثه اشارة الى مذهبه وهو ان القرآن محدث وعند اهل السنة ... محدث واما الذي هو صفة الله تعالى فقديم ... يعني قوله امرا عجيبا بقوله وهو ان يخرج الى آخره ولا تعلق له بالقرآن

[٩] لان الابدار فيها مسند الى ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم كما كان الادراء كذلك في هذه القراءة بخلاف السورة فان الادراء فيها مسند الى ضمير الله عز وجل

بمثال تواصفوا الشيء من الوصف

[ع] اي افتراء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال قبل ذلك وتصحيحا لافترائه على الله

[٢] وسست الشيء في التراب خفيته فيه والتدسيس اخفاء المكر

[ع] نصب الاوثان لانه بيان لما بالضر هو مفعول يعبدون

بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه فان قلت كيف انباؤا الله بذلك قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه
من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي انبؤا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل
الرجل وقرئ اتنبئون بالتخفيف وقوله في السموات ولا في الارض تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم سبحانه وتعالى عما يشركون
قرئ بالياء والتاء وما موصولة او مصدرية اي عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء
متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين
ديارا فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون فيما اختلفوا
فيه وليتميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب ويقولون لولا
انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة
التي لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات
وجعلوا نزولها كلا نزول فكانه لم تنزل عليه آية قط حتى قالوا لولا انزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد
وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب المستاثر به لا علم لي ولا لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة
امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات سلط الله القحط
سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله ويكيدونه واذا اذقنا الناس
رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون واذا الاولى للشرط والآخرة جوابها وهي للمفاجاة والمكر
اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم فان قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف
صح قوله قل الله اسرع مكرا قلت بلى دلت على ذلك كلمة المفاجاة كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه
قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف
تعملون في اطفاء نور الاسلام ان رسلنا يكتبون اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالياء و
التاء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابي هريرة ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا
بنوء كذا هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها
ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له
الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا في الارض ثم اذا انتم بشر تنتشرون
فان قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر انما هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية
للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح
العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء فان قلت ما جواب اذا قلت جاءتها فان قلت فدعوا الله قلت بدل من
ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت المبالغة كانه يذكر
لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح فان قلت ما وجه قراءة ام الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب قلت قيل هما زائدتان

[٤] الضمير في ليعجبهم ومنهم يعود الى غيرهم اذ هم اولى بالكثرة

كما في الخارجي والاحرقي ويجوز ان يراد بها الكل والماء الغمر الذي لا يجري الفلك الا فيه والضمير في جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد في
فعل اخي فعل وفي قراءة ام الدرداء للفلكيا ايضا لان الفلكي يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك وجاءهم
الموج من كل مكان من جميع امكنة الموج وظنوا انهم احيط بهم جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين
من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن انجيتنا على ارادة القول او لان دعوا من جملة القول فلما انجيهم اذا هم يبغون
في الارض بغير الحق يفسدون فيها ويعيثون مترامين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد فان قلت ما
معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم
تعملون قرئ متاع بالنصب فان قلت ما الفرق بين القراءتين قلت اذا رفعت كان المتاع خبر المبتدا الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته
كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها واذا
نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة
الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا
تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة
وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين
البيتين في اخيه يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فاربع فخير فعال المرء اعدله فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله
وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها و
انقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط
به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت كلام فصيح
جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين
واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرأ عبد الله وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال الفعل كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت
بوزن ابياضت قادرون عليها ~~[illegible]~~ متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها وظن اهلها انهم
قادرون عليها وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد
من الزرع في قطعه واستئصاله كأن لم تغن كأن لم يغن زرعها اي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى
وقرأ الحسن كأن لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان انه قرأ على المنبر كأن لم تتغن بالامس من قول
الاعشى طويل الثواء طويل التغني والامس مثل في الوقت القريب كانه قيل كأن لم تغن آنفا بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم
يتفكرون والله يدعو الى دار السلام دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه
وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويهدي ويوفق من يشاء وهم

الذين علم ان اللطف يجدي عليهم لان مشيته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون
للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة
غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان
وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة
والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرفوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف
الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم منه ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة
ولا اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار اذكارا بما ينقذهم منه برحمته الا ترى الى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها فان قلت ما وجه قوله والذين كسبوا
السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم قلت لا يخلو اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا كانه قيل وللذين كسبوا
السيئات جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة
بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه من الاول لان في الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة
الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثمة باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وترهقهم ذلة وقرئ يرهقهم بالياء ما لهم من
الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قطعا جمع قطعة وهو طائفة من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعل مظلما
صفة له ويعضده قراءة ابي بن كعب كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم فان قلت اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت لا
يخلو اما ان يكون اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما ان يكون معنى
الفعل في من الليل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا
ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما
في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم
في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعره
خده وصعره وكالمته وكلمته وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا
فاطعتموهم فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة
التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل
نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه
حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم هنالك نبلو كل نفس بالنون اي نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها
حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد

نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر وقرئ تتلوا اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي
يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرا في صحيفتها ما قدمت من خير او شر وردوا الى الله مولهم الحق ربهم الصادق
ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالفتح
على تاكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون
وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة قل من يرزقكم من السماء والارض
اي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته امن يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما
وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحصنهما من الافات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان
يؤذيهما ادنى شيء بكلاءته وحفظه ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر اي ومن يلي تدبير امر العالم
كله جاء بالعموم بعد الخصوص فسيقولون الله فقل افلا تتقون افلا تتقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال
فذلكم ذلكم اشارة الى من هذه قدرته وافعاله الله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال
يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال فاني تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن
السعادة الى الشقاء كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن
الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم
انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك وحق عليهم كلمة الله انهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب
وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون فان قلت كيف قيل لهم قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة قلت
قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم
في انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون فامره بان
ينوب عنهم في الجواب يعني انهم لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل
الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم يقال هداه للحق
والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي وقرئ لا يهدي بفتح
الهاء وكسرها والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ
الا ان يهدى من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدى ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول
واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم
الذين جعلتم انداد الله احد من اشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال افمن يهدي الى الحق هذه الهداية
احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل
اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه كيف
تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد الله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير مستند الى برهان عندهم

قوله فيما انتم حال من الضمير في تتقون او تحذرون اي مستقرين كائنين فيما انتم ه

قوله الثابت ربوبيته فاشارة الى ان معنى الحق الثابت من حق يحق اذا ثبت واما قوله ثباتا لا ريب فيه فاشارة الى ان معنى الحق صفة مشبهة وهي تدل على الثبوت ه

او اراد بالكلمة على هذا علم الله بعدم ايمانهم او الايات الدالة عليه ح

قوله ان دفعه بالكسرة وان دفعه على الوجه الثاني فزال انهم ح الى اخره صفته ه

قوله معترفا بفتح الراء وليس فيه ضمير بل هو مسند الى صحته ه

قوله وقال لنبيه عطف على قوله وضعت لانه في معنى قوله وضع الله تعالى ه

ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها الهة وانها شفعاء عند الله الا الظن
والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم بما يفعلون وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الاباء وقرئ تفعلون بالتاء وما كان هذا القرآن
ان يفترى افتراء من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو
عيار عليها وشاهد بصحتها كقوله هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ وتصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق
وتفصيل ومعنى وما كان ان يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين ما
كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم فان قلت بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين قلت هو داخل في حيز الاستدراك
كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا
منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون
افتريه بل ايقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنى اتقارون بل قل ان كان الامر كما
تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم
وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا من استطعتم من دون الله وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه
للاستعانة على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر على ان ياتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا وحده ثم استعينوا
بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن و
فاجاوه في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف
دينهم وشرادهم عن مفارقة دين ابائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوء من الشمس
في ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد لانه
لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فان قلت ما معنى التوقع في قوله ولما ياتهم تاويله قلت معناه انهم كذبوا به على البديهة
قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للاباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع
ليؤذن انهم علموا بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا
كذلك اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يعني قبل النظر في معجزات
الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من عند انفسهم ولكن قلدوا الاباء وعاندوا وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون معنى
ولما ياتهم تاويله ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين
من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا
اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من لا يؤمن به
ومنهم من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين
وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون وان كذبوك وان تموا على تكذيبك و
يئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت كقوله فان عصوك فقل اني بريء وقيل هي منسوخة باية السيف ومنهم من يستمعون اليك

أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون
ومنهم من يستمعون إليك معناه ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس
ينظرون إليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال أتطمع أنك تقدر على إسماع الصم ولو انضم إلى صممهم
عدم عقولهم لأن الأصم العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع في صماخه دوي الصوت فإذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الأمر
أو تحسب أنك تقدر على هداية العمي ولو انضم إلى فقد البصر فقد البصيرة لأن الأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن وأما العمى
مع الحمق فجهد البلاء يعني أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا يقدر على رد الأصم والأعمى المسلوبي العقل
حتى يردي السمع والبصر ويحيي العقل إلا هو وحده إن الله لا يظلم الناس شيئا أي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل
وإنزال الكتب ولكن الناس أنفسهم يظلمون ولكنهم يظلمون أنفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز أن يكون وعيدا للمكذبين يعني أن ما
يلحقهم يوم القيمة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف ما كان سببا فيه
ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم
يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتعارفوا إلا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم فإن قلت كأن
لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت أما الأولى فحال منهم أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة وأما الثانية فإما أن يتعلق بالظرف
وإما أن يكون مبينة لقوله كأن لم يلبثوا إلا ساعة لأن التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
على إرادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك أو هي شهادة من الله على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الإيمان بالكفر
وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استيناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك
فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون فإلينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل
وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة فإن قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت
ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن أبي عبلة ثم بالفتح أي هنالك
ويجوز أن يراد أن الله مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيمة حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم ولكل أمة رسول
يبعث إليه لينبههم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق فإذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم أي بين النبي ومكذبيه
بالقسط بالعدل وهم لا يظلمون فأنجي الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا أو لكل أمة من الأمم يوم القيامة
رسول تنسب إليه وتدعى به فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق
ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له قل لا أملك لنفسي ضرا من مرض أو
فقر ولا نفعا من صحة أو غنى إلا ما شاء الله استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضرر وجلب
العذاب لكل أمة أجل يعني أن عذابكم له أجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون إذا جاء ذلك الوقت أنجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوه وقرأ ابن سيرين فإذا جاء آجالهم قل أرأيتم إن أتاكم عذابه
بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فإن قلت هلا قيل ليلا أو نهارا قلت لأنه أريد أن أتاكم

عذابه

عذابه وقت بيات فبيتكم وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم
وكذلك قوله نهارا معناه في وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون ماذا يستعجل منه
المجرمون الضمير في منه للعذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فأي شيء تستعجلون منه وليس شيء منه يوجب
الاستعجال ويجوز أن يكون معناه التعجب كأنه قيل أي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجوز أن يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير
في منه لله تعالى فإن قلت بم تعلق الاستفهام وأين جواب الشرط قلت تعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب
الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه فإن قلت فهلا قيل ماذا يستعجلون منه قلت أريدت الدلالة على موجب ترك
الاستعجال وهو الإجرام لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وإن أبطأ فضلا أن يستعجله ويجوز أن يكون
ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك إن أتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بأرأيتم وأن يكون أثم إذا ما وقع آمنتم به جواب
الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله
على الواو والفاء في قوله أفأمن أهل القرى أوأمن أهل القرى آلآن على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وقد كنتم
به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار وقرئ الآن بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء
حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون عطف على قيل المضمر قبل آلآن و
يستنبئونك ويستخبرونك فيقولون أحق هو وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء وقرأ الأعمش آلحق هو وهو أدخل في
الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو هو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب
الموعود قل إي وربي وإي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق إيو فيصلونه
بواو القسم ولا ينطقون به وحده إنه لحق وما أنتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ولو أن لكل نفس ظلمت
صفة لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة ما في الأرض أي ما في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به
لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه وأسروا الندامة لما رأوا العذاب لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه
ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار
الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل
أسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها إخلاصها
وإما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم وبإخطائهم وقت إخلاص الندامة وقيل أسروا الندامة أظهروها من قولهم أسر الشيء
وأشره إذا أظهره وليس هناك تجلد وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ألا إن لله ما في السموات والأرض ألا
إن وعد الله حق أي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله وأنه المثيب المعاقب
إن الأمر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت وإليه ترجعون
يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وشفاء لما في الصدور
هو شفاء أي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة وهدى ورحمة للمؤمنين ودعاء إلى الحق ورحمة لمن آمن به منكم قل بفضل الله وبرحمته

فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب
اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه
قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان
يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهي قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما روي وعنه لتاخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة ابي فافرحوا هو راجع الى ذلك خير مما يجمعون
وقرئ مما تجمعون بالياء والتاء وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام
وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه من الثواب قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق اخبروني وما في موضع النصب بانزل او برايتم في معنى
اخبروني فجعلتم منه حراما وحلالا اي انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله هذه انعام وحرث حجر
ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم متعلق بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني الله
اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام على الله تفترون ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون الهمزة للانكار
وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الاية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسال عنه من الاحكام وباعثة على
وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد في شيء جائز او غير جائز الا بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر
على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة يوم القيامة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني اي شيء ظن المفترين
في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ
الفعل ومعناه اي ظن ظنوا يوم القيمة وجيء به على لفظ الماضي لانه كائن فكان قد كان ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم
بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه وما تكون في شان
ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشان الامر واصله الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده
وما تتلوا منه من قران والضمير منه للشان لان تلاوة القران شان من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شانه او للتنزيل
كانه قيل وما تتلوا من التنزيل من قران لان كل جزء منه قران والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل ولا تعملون من عمل
اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه تخوضون من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما يعزب عن ربك
من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر الا في كتاب مبين القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما براسه وفي العطف
على محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شيء الا في كتاب مشكل
فان قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبا عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
قلت حق السماء ان تقدم ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم
الارض على السماء على ان العطف بالواو وحكمه حكم التثنية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة
ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين امنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فهو توليه اياهم وعن

وقرينة تقدير فليعتنوا تقديم الجار والمجرور لانه والسابق الاختصاص والاعتناء لان من اعتنى بشيء قدمه ه

٧ ان كان ما منصوبا بانزل فهو استفهام ويكون ارايتم معلقا وان كان منصوبا بارايتم فهو موصول والعايد محذوف والتقدير اخبروني الذي انزله الله تعالى ه

٨ التجوز التسامح والترخص يقال فلان يتجوز ولا يتجوز اي يطلب الجائز ولا يطلب الجيد والتجوز ضد الاحتياط ه

قوله يوم القيامة منصوب بالظن وفي جعل يوم القيامة ظرف الظن اشارة الى انهم لا يظنون ذلك الظن ولا يخطرونه ببالهم بل هم ساهون غافلون لاهون وفيه توبيخ عظيم وتهديد ه

فيكون حينئذ بمعنى الشئون التي يقصدونها واذا كان الضمير للشان يكون من للابتداء ويكون منه حالا من الضمير في تتلو اي مبتديا من شانك ه

قوله على نفي الجنس يعني يكون لا لنفي الجنس فينصب اسمه قوله ليكون كلاما مستقلا برهانيا فانك اذا نصبته على انه اسم لا لنفي الجنس كان قوله تعالى ولا اصغر الى اخره ابتداء الكلام وكذا اذا رفعته على الابتداء بخلاف ما اذا عطفته على مثقال الى اخر ما ذكره فانه لا يكون ابتداء الكلام وهو استشكاله والاشكال تداوي الوجه النصب على ان لا لنفي الجنس والرفع على الابتداء يعني الوجه اذا نصب ان يكون لنفي الجنس واذا رفع يكون على الابتداء ه

وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن
عباس رضي الله عنه الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله
عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا
نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا
خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الاية الذين امنوا نصب او رفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره
لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله تعالى به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة
يراها المسلم او ترى له وعن النبي عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر قلت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم
الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة
اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك
من البشارات لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي
وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من احزن قولهم تكذيبهم
تهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شانك ان العزة استيناف بمعنى التعليل كانه قيل
مالي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم
وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا والذين امنوا وقرأ ابو حيوة ان العزة بالفتح بمعنى لان العزة على
صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكر من القراءة به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم
ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من
دون الله شركاء يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفي ملكته فهم عبيد
كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا و
شريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى وما
يتبعون شركاء وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا الظن الا ظنهم انها
شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان يكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني و
اي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر
على احدهما ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وقرأ علي
بن ابي طالب تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين
يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام
من الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق هو الذي جعل لكم

فيه لف ونشر في الموضعين اعني ذكر النصب وجهين المدح والوصف والرفع ايضا وجهين الرفع والابتداء ه

٢ اراد بقوله تعالى لا تبديل لكلمات الله وقوله هو الفوز العظيم فان قلت لا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام الا ترى انك تقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج ثم تسكت كما تقول حدث شيء حادث والحوادث جمة ثم تسكت ه

٤ لان القراءة مقبولة على تقدير اللام يعني بتقدير اللام ه

٣ قوله حقيقة بالنصب اي الحقيقة او متابعة حقيقة اي ذات حقيقة ه

فعلى هذا يكون شركاء متعلقا بيدعون ويكون مفعولا ثانيا ه

الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها ان يوحدوه بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يعانون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مبصرا مضيئا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم ~~على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك~~ فيما تقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهل وليس بعلم قل ان الذين يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه لا يفلحون متاع في الدنيا اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ثم يلقون الشقاء المؤبد واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مدة طويلة الف سنة الا خمسين عاما او مقامي وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة فاجمعوا من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال هل اغدون يوما وامري مجمع والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع شركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم فان قلت كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فان قلت ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة قلت اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الي بالفاء بمعنى ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا به وابرزوه لي فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصيحتي فما سألتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني

لاجله

لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم ماخوذ به والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله عن مثله وتسلية له ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا فجاؤوهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا فان قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون قلت فيه اوجه ان يكون معنى قوله اتقولون للحق اتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ثم قال اسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان يكون جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ ويكون لكما الكبرياء بالياء وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ما موصولة واقعة مبتداء والسحر خبرا اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون و

قوله سحر من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم به اهو السحر وقرا عبد الله
ما جئتم به سحر وقرا أبي ما أتيتم به سحر والمعنى لا ما أتيت به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة
ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه
وقرئ بكلمته بامره ومشيئته ولو كره المجرمون فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم ان يفتنهم
الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون
واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته
فان قلت الام يرجع الضمير في قوله تعالى وملئهم قلت الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون له و
يجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى
انفسهم ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم و
الفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين
فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ
للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا
انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه
وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص ربنا لا تجعلنا فتنة
للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا او
فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا واوحينا الى موسى واخيه ان تبوّءا لقومكما بمصر بيوتا تبوّأ المكان
اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلوة
فيه واجعلوا بيوتكم قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين وكان موسى ومن معه يصلون
الى الكعبة وكانوا في اول امرهم مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم
كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة فان قلت كيف نوّع الخطاب فثني اولا ثم جمع ثم وحد آخرا قلت خوطب موسى
وهرون عليهما السلام ان يتبوّءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما
ولقومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلوات الله عليه بالبشارة التي هي الغرض تعظيما
لها وللمبشر بها وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك
ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
الزينة ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او اثاث وغير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لهم من فسطاط
مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فان قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو
دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا ورد د

عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين
ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة و
طول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه
عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك
انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستأهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون
فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما على منهم هم احق بذلك و
كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه و
معنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقد
حملت اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الاليم عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرا الفضل الرقاشي
أإنك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم قال قد اجيبت دعوتكما قرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز
ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة و
الزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون اي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا
كما قال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون
التثنية وبتخفيف التاء من تبع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر قرا الحسن وجوّزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوّزه وليس من جوّز الذي
في بيت الاعشى واذا تجوّزها حبال قبيلة لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوّزنا بني اسرائيل في البحر كما قال كما جوّز السكي في الباب
فيتق فاتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا وقرا الحسن وعدوّا حتى اذا ادركه الغرق
قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين قرئ انه بالفتح على حذف الباء التي
هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول
ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف
الآن وقد عصيت قبل الآن تؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه
الغرق يعني حين اوشك ان يغرق وقيل قاله بعد ان غرق في نفسه والذي يحكى انه حين قال آمنت اخذ جبرئيل من حال البحر فدسه في
فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشيت ان تدركه رحمة الله فمن زيادات
الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احديهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من
كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر وكنت من المفسدين من الضالين المضلين عن الايمان
كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروي ان جبرئيل اتاه بفتيا ما قول

الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن
مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه ان يغرق في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه فاليوم ننجيك ببدنك
ننجيك بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك
بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور ببدنك في موضع الحال اي في
الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او
بدرعك قال عمرو بن معديكرب * اعاذل شكتي بدني وسيفي * وكل مقلص سلس القياد * وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ
ابو حنيفة رحمه الله بابدانك وهو على وجهين اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعني ببدنك كله وافيا باجزائه او يريد بدروعك كانه كان مظاهرا
بينها لتكون لمن خلفك لمن وراءك من الناس اية علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق
وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه
وكان مطرحه كان على ممر بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه اية ان يظهر للناس
عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون
بعصيانه لما الظن بغيره او لتكون عبرة يعتبر بها الامم بعدك فلا يجترؤا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك على
الله وقرئ لمن خلقك بالقاف اي ولتكون لخالقك اية كسائر آياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك
من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظيم ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي
لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ولقد
بوانا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه
شعبا حتى جاءهم العلم الا من بعد ما قرؤا التورية وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف
فيه تفرق عنه وقيل هو العلم محمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام ليس
به بعد ما جاءهم العلم والبيان انه هو ولم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ان ربك
يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فان كنت في شك مما انزلنا اليك فان قلت كيف قال
لرسوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه
مريب باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى العرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك
مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل
وهم قرأة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التورية والانجيل وهم يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد علمهم بصحة القران وصحة نبوة رسول الله ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا
وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلماء المنبهين
على الحق فسل علماء اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسائلتهم فضلا

عن غيرك فالغرض وصف الاخبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال
لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من
الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب
بآيات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت
اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا اشك ولا اسأل بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك
طرفة عين ولا سأل احدا منهم وقيل خوطب رسول الله والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم
نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك فسأل يعني
لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم بمعاينة احياء الموتى وقرئ فسل الذين يقرؤن الكتب ان الذين
حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم حقت عليهم ثبت عليهم قول الله الذي
كتبه في اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا
كانت قرية فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة وقت
التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه آمنت فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ ابي و
عبد الله فهلا كانت الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم
الى حين الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز ان يكون
متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل
روي عن الجرمي والكسائي روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه
خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك
آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم
فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها
فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم
الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان ليقلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من
بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف
عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما
نحن اهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان
مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم
الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو
الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان

لنفس أن تؤمن يعني من النفوس التي علم انها تؤمن إلا بإذن الله اي بتسهيله وهو منح الألطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون
قابل الأذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون
وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاء وقرئ نجعل بالنون قل انظروا ماذا في السموات والأرض من الآيات
والعبر وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما
يغني بالياء وما نافية او استفهامية فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم وقايع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقايعها
قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي
المؤمنين ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا
على حكاية الأحوال الماضية والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا
اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا قل يا أيها الناس يا اهل مكة إن كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فلا أعبد الذين
تعبدون من دون الله فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو انى
لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق
بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وأمرت أن أكون من المؤمنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب فيّ من العقل وبما اوحى
اليّ في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني ومما انا عليه أثبت عليه ام اتركه وأوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في
امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلال على الهدى كقوله قل يا أيها الكافرون
لا اعبد ما تعبدون وأمرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو
حذف الحروف الجارة مع أن وأنّ وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فافعل ما أمرت به فاصدع بما تؤمر فان قلت عطف
قوله وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلو من ان تكون للعبارة او التي
تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا يصح ان تكون للعبارة وان كان الأمر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يأبى ذلك
والقول بكونها موصولة مثل الأولى لا يساعد عليه لفظ الأمر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد
سوغ سيبويه ان يوصل أن بالأمر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معه في
معنى المصدر والأمر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا
حال من الدين او من الوجه ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين
فان قلت معنا فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين
اذن جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك
لظلم عظيم وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله
اتبع النهي عن عبادة الأوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو
وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالأوثان

قوله وهو عائد الى هذا اي قوله فهذا ديني قول المصنف اشارة الى ان تمام تفسيره قوله هو اني الى آخره ٥

قوله وصحته وسداده من العطف الذي يكون تفسيرا اي ان كنتم في شك من صحة ديني وسداده وليس المراد منه الشك في حقيقة دينه انه ما هو والدليل عليه قوله لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك فانه ظاهر في ان المعنى لا مدخل في صحته وسداده للشك ٥
والسداد الصواب والقصد من القول والعمل ورجل سديد اذا كان يعمل بالسداد والقصد والسدد والمقوم السديد ورمحه وهو خلاف قوله عن ضده ٥

قوله بما تؤمر اي بما تؤمر به فحذف حرف الجر واوصل الفعل فصار بما تؤمره ثم حذف الضمير المنصوب والى هذا المعنى ذهب ذلك قيل ذلك بمن قال منهم من يحذف الجار والمجرور ومنهم من يحذف الجار ويوصل الفعل ثم يحذف المفعول ٥

فكأنه قيل ان يردك الله بضر يمسسك بضر وان يردك الله بخير يمسسك بخير فحذف يردك من الاول لدلالة يردك في الثاني عليه وحذف يمسسك من الثاني لدلالة يمسسك في الاول عليه فهو مثل قوله تعالى مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء اي اصلها ثابت في الارض وفرعها ثابت في السماء فحذف احد الثابتين والاولى ان يقول الاصل ان يردك ان يمسسك بضر وان يردك ان يمسسك بخير ٥

اثرة اي الاستيثار بالشيء استأثر فلان بالشيء استبد به والاسم الاثرة بالتحريك ٥

يقال سمته خسفا اي اوليته اياه واوردته عليه ٥

فهو الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات
رحمته فان قلت لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني قلت كانه اراد ان يذكر الأمرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من
الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الآخر
ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم والمراد بالمشيئة مشيئة
المصلحة قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه فمن اختار الهدى
واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى
النفع والضر وكل اليهم الأمر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما أنا عليكم
بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى إليك واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم و
اعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة وهو خير الحاكمين وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت
فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد
تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب
ابيك يوم بدر فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال معاوية فما ذا قال فاصبروا حتى
تلقوني قال فاصبر قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان ألا أبلغ معاوية بن حرب امير الظالمين نثا كلامي بانا صابرون فمنظروكم
الى يوم التغابن والخصام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس و
سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية كذب به وبعدد من غرق مع فرعون
بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب أحكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض
ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله آيات
الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير ابني حنيفة
احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل
التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او
فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وقرئ احكمت آياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم
فصلت اي فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى ثم قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن
الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف واحكمت صفة له وقوله
من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لأحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها
وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم
منه نذير وبشير ان لا تعبدوا مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او تكون ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل

قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان
يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم
نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله بمعنى الزموا ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب و
الضمير في منه لله عز وجل اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله او هي صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم و
ابشركم بثوابه ان آمنتم فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا
والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا متاعا حسنا بمنافع
حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله و
يعطي في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة
على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف
بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه
وقرئ فان تولوا من ولي الى الله مرجعكم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن
ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهو على كل شيء قدير يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين
على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه
فضرب فانفلق ومعنى الا انهم يثنون صدورهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام
الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور
يعني انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم
واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في
المنافقين وقرئ تثنوني صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وقرئ بالتاء والياء وعن ابن
عباس لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلاء يريد مطاوعة صدورهم للثني
كما يثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت
وقرئ تثنوي بوزن ترعوي وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها فان قلت كيف قال على الله
بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر
مكانه من الارض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل في كتاب مبين كل واحد من
الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا
مخلوقين قبل السموات والارض وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما

قوله ٢ ترك عبادة غير الله اصله اتركوا عبادة غير الله تركا ثم حذف الفعل واقيم المصدر مقامه وقدم مضافا الى المفعول ه

معنى السؤال ان الاستغفار بمعنى التوبة فما معنى الجمع بينهما ه

الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير صح

٣ اللام في لان متعلق بمحذوف اي انما عبر عن الازورار عن الحق بثني الصدور لان من اقبل ه

ليستخفوا منه يعني

٤ استغشى ثوبه اي تغطى به ه

الا حين يستغشون ثيابهم ويريدون صح

قوله ٥ من الاستخفاء بيان ما اي لا وجه يتوصل الى الاستخفاء الذي يريدونه لانه لا يمكنهم الاستخفاء ثم ان سبب النزول الذي ذكره دل على انه ليس المراد من ثني الصدور واستغشاء الثياب هو حقيقة المراد بها الاعراض والنفاق فالمراد بثني الصدور الاعراض عن الحق واستغشاء الثياب النفاق فكانه قيل لا يقبلون الحق بل يكرهون ثم انهم مع ذلك لا يظهرون الكفر بل ينافقون ويريدون ان يخفوا اعلام قبولهم ونفاقهم ونحن نعلم جميع ذلك اعلم ان هذه الحاشية صحيحة فليعتمد عليها ه

قوله ٦ من صلب بيان من حيث يعني المستودع حيث كان اي اجزاء فكانه قال المكان الذي هو الصلب او الرحم او البيضة ه

ازدادت الاجرام كانت احوج اليه والى امساكه ليبلوكم ايكم احسن عملا ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهو ان
يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى
عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان قلت كيف جاز تعليق فعل
البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان
النظر والاستماع من طرق العلم فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين هي التي تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين
والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم
بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت
ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين قرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم ائت
السوق انك تشتري لحما وانك تشتري بمعنى علك اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره
لقالوا ان هذا الا سحر مبين يابتين القول ببطلانه ويجوز ان يضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان السحر امر باطل وان
بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به او اشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره
وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل ولئن اخرنا عنهم العذاب العذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم
بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا
له على وجه التكذيب والاستهزاء الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم ويوم يأتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على
ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل
وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزءون العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزءون موضع يستعجلون لان
استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره ولئن اذقنا الانسان الانسان للجنس منا
رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة انه ليؤس شديد الياس من ان تعود اليه مثل تلك
النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب
في نعمة الله نساء له ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر
بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم
مغفرة واجر كبير الا الذين آمنوا فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا فلعلك تارك بعض ما
يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك كانوا يقترحون عليه آيات
تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به في رشادهم كافية ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء
معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات وكان يضيق صدر رسول الله ان يلقي اليهم ما لا
يقبلونه ويضحكون منه فحركه الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض

قوله ٢ كانه جواب لمحل في متعلق الكلام في كيف اي جاز تعليق فعل البلوى بما في الاختبار من معنى العلم مثل جواز قولك انظر ايهم احسن وجها لان النظر الى نحوه وقوله لان متعلق بجواز المقدر او بقوله تقول ه

ليس

٣ امر او بالاسترجاع انا لله وانا اليه راجعون او المراد طلب الرجوع وهو ان يطلب من الله تعالى ان يرجعها اليه بالدعاء والاستغفار ه

٤ المصائب واحدها مصيبة واصلها الواو كمعيشة ومعايش وكانهم شبهوا الاصلي بالزائد وجمع ايضا على مصايب ه

قوله ٥ تعنتا العنت المشقة واعنته وتعنته اوقعه في العنت وهو المشقة ومنه تعنته في السؤال اذا سأله على جهة التلبيس عليه ليوقعه في المشقة فقوله تعنتا نصب على المصدر في قوله يقترحون لان الاقتراح السؤال ويجوز ان يكون مفعولا له اي ان حاملهم على السؤال هو الايقاع في المشقة لا طلب الرشد ه

ما يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا
مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال
انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا
والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح
وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت لم عدل عن ضيق الى ضائق قلت ليدل على انه
ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود
الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراءات وقول السمهري العكلي
بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها ام يقولون افتريه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا
من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله
الا هو فهل انتم مسلمون ام منقطعة والضمير في افتريه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في
الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب انا فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله
ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم
على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق
من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف يكون ما ياتون به مثله وما ياتون
به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو
قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل قلت معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع آخر فان
لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه آخر وهو ان
يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم
بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب
لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد
هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات
قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف
اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من
الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال
فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما
عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله فاسهم لهم في الغنائم وقرئ
يوف بالياء على ان الفعل لله عز وجل وتوف اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان

قوله[2] مثله اي من امثاله او بمعنى مماثلة كل واحد من تلك العشر السور بعنوان واحد لانه افرد باعتبار كل من السور وهذا هو الصواب في تقرير مرجع الضميرين والتحقيق فيه ان كل واحدة من السور لما كانت مثله فالمجموع امثاله فيكون مثله بمعنى امثاله ٥

[3] يقال هب زيدا منطلقا بمعنى احسب يتعدى الى مفعولين ولا يستعمل في هذا المعنى فقوله هبوا اني يتعدى الى مفعولين تام [illegible] اي اختلقته يقال اختلق الافك واختلقه وتخلقه اي افتراه ٥

[4] وعلى الوجه الاول يكون الخطاب في لكم واعلموا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والضمير في يستجيبوا للمشركين ٥

قوله[5] وهذا وجه حسن مطرد اي الكلام معه ملتئم اخذ بعضه بحجزة بعض والنظام [illegible] للمخاطب واحد بخلاف ما اذا جعل الخطاب في قوله فان لم يستجيبوا لكم للمسلمين

قوله[6] مطرد وذلك لان الضمير في لكم وفي فاعلموا وانتم عائد الى شيء واحد وهم الكفار [illegible] على الوجه الثاني يحتاج في استقامة العود الى شيء واحد [illegible] الى تاويل وهو ان يكون اعلموا بمعنى اثبتوا على العلم الى آخر ما ذكره والى تاويل فهل انتم مسلمون بقوله مخلصون ٥

[7] القراء التنسك من قرا اذا تنسك وقوله يقال بيان لتوفية ثواب اعمالهم في الدنيا ٥

الشرط

الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها
وحبط في الاخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الاخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا
وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا
بالنصب وفيه وجهان ان يكون ما ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا اي باطل كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر على و
بطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة من ربه معناه امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة و
لا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من
ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد اي شاهد يشهد بصحته
وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التورية اي ويتلوا
ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن
حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة
عظيمة على المنزل اليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من
المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون وقرئ في مرية بالضم ومما الشك منه من القرآن او من الموعد ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون
على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة هم كافرون اولئك يعرضون على ربهم يحبسون
في الموقف وتعرض اعمالهم ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا لعنة
الله على الظالمين فواخزياه وافضيحتاه والاشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها
عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم بالاخرة هم كافرون وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالاخرة
واختصاصهم به لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من دون
الله من اولياء وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد
يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اراد انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم
له كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان
هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله ما كان لهم من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله
وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف
يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم
في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة

على الوجه الثاني يكون باطلا نصبا على المصدر بفعل محذوف [illegible] فاعل ذلك الفعل ٥

قوله[2] ايضا اي كما يتلوه القرآن فالمعنى على هذا يتلو ذلك البرهان التوراة والقرآن ٥

[3] وقد قرئ [illegible] من كان على بينة من آمن من اليهود ٥

المراد بعبد الله بن سلام [illegible] المراد بالكتاب التوراة المستشهد [illegible] عبد الله بن سلام ٥

قوله[4] وهي مستقيمة حال والجملة معترضة ٥

قوله[5] ولعل اي يحتمل ان اهل السنة والجماعة يحملون قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع على حقيقته من نفي الاستطاعة واما هم فيحملون على المجاز تمسكا بهذا الاستعمال ٥

قوله[7] اعتراض [illegible] ٥

وشفاعتها لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون لا ارى احدا ابين خسرانا منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون واخبتوا الى ربهم واطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع
من الخبت وهو الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيث قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث و
قيل التاء فيه بدل من الثاء مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا
تذكرون شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه
الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي
جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب هل يستويان
يعني الفريقين مثلا تشبيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين اي ارسلنا نوحا باني لكم نذير ومعناه ارسلناه
ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا
كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم ان لا تعبدوا بدل من اني
لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم وصف
اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب
ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده فقال الملأ الذين كفروا من قومه الملأ الاشراف من قولهم فلان مليء بكذا اذا كان
مطيقا له وقد ملؤ بالامر لانهم ملؤوا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم يتمالؤون اي يتظاهرون ويتساندون
او لانهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم
احق منه بالنبوة وان الله تعالى لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ وموازيهم في المنزلة
فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا والاراذل جمع الارذل كقوله اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا بادي الرأي بالهمز وغير الهمز يعني اتبعوك
اول الرأي او ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول رأيهم او وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك واقيم المضاف
اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتاخرهم في الاسباب
الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين
بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما
يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا عن ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتاهيل لها على ان الانبياء بعثوا مرغبين في طلب
الاخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله و
التشرف بما هو ضعة عند الله وما نرى لكم علينا من فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما
تدعونه قال يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت على بينة على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي واتاني رحمة
من عنده بايتاء البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فعميت عليكم

انلزمكموها

انلزمكموها وانتم لها كارهون فان قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا
قلت الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى اخفيت
وفي قراءة ابي فعماها عليكم فان قلت فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا
يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد فان قلت فما معنى
قراءة ابي قلت المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله انلزمكموها و
انتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين وقد جيء
بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك
اياهم وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل
وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر ويا قوم لا اسألكم عليه مالا ان
اجري الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم والضمير في قوله لا اسألكم عليه راجع الى قوله
اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله وقرئ وما انا بطارد الذين امنوا بالتنوين على الاصل فان قلت ما معنى قوله انهم ملاقوا
ربهم قلت معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما اعرف
غيره منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف
سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية او هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون
به عالمون انهم ملاقوه لا محالة ولكني اراكم قوما تجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد
علينا او تجهلون انهم خير منكم ويا قوم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم افلا تذكرون وكانوا يسألونه ان
يطردهم ليؤمنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سواء ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك
ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين اعلم الغيب
معطوف على عندي خزائن الله اي لا اقول عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن الله فادعي
فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء
وحتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضمائر قلوبهم ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا احكم على من استرذلتم
من المؤمنين لفقرهم ان الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والاخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم اني اذا لمن
الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه
قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطاب
فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله اي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من
كفرتم به وعصيتموه ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله
يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ان شاء يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرأ ابن عباس فاكثرت جدلنا فان قلت ما وجه ترادف

هذين الشرطين قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل
بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني فان قلت فما معنى قوله ان كان الله يريد ان
يغويكم قلت اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشانه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب و
يرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوي الفصيل غوي اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من
التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه فكيف ينفعكم نصحي **ام يقولون افتريه قل ان افتريته**
فعلي اجرامي واجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم واسرارهم ونحو جرم واجرام قفل واقفال وينصر الجمع ان فسره
الاولون باثامي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتالبوا علي يعني
ولم يثبت ذلك **وانا بريء مما تجرمون** وانا بريء منه ومعنى مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم
واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع **الا من قد امن** الا من وجد منه
ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها **فلا تبتئس بما كانوا يفعلون** فلا تحزن حزن بائس مستكين قال ما يقسم
الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت
الانتقام لك منهم **واصنع الفلك باعيننا** باعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله
اعينا تكلاه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه **ووحينا** وانا نوحي اليك ونلهمك
كيف تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر **ولا تخاطبني في الذين ظلموا**
ولا تدعني في شان قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك **انهم مغرقون** انهم محكوم عليهم بالاغراق قد وجب ذلك وقضي
به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود **ويصنع**
الفلك حكاية حال ماضية **وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه** ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية
يهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عزة الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت
نبيا **قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم** يعني في المستقبل **كما تسخرون** منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع
عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط
الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر
وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة
ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاول
الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد
وحمل معه جسد ادم عليه السلام وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان
الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من
ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا

هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكنني ظننت انها الساعة فمن ثم
شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة
للدواب والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا **فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه**
من ياتيه في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي ياتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق
ويحل عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه **عذاب مقيم** وهو عذاب الاخرة **حتى اذا جاء امرنا وفار**
التنور حتى هي التي يبتدا بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء فان قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك
اي وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد فان قلت فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع كانه
قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه فان قلت فما جواب كلما قلت سخروا منه وقال ان تسخروا منا
وقال استينافا على تقدير سوال سائل او يجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملا وقال جوابا **قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين**
واهلك الا من سبق عليه القول ومن امن وما امن معه الا قليل واهلك عطف على اثنين وكذلك
ومن امن يعني واحمل اهلك والمومنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا
للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامراته وما امن معه الا قليل
روي عن النبي عليه السلام انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة
وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم
نساء **وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها** يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله
باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت
واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء وحذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكان
الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان ان يكون بسم الله مجراها ومرساها
جملة من مبتدا وخبر مقتضبة اي بسم الله اجراؤها وارساؤها يروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان
ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ
مجراها ومرساها بفتح الميم من جري ورسي اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرا مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل
صفتين لله فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها
ومرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله وجاؤا اباهم عشاء يبكون فلا يكون
كلاما براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم
الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين **ان ربي لغفور رحيم** لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم **وهي تجري بهم في موج**
كالجبال فان قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا فيها باسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون باسم الله وهي
تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت الموج ما يرتفع

فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبّق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح
السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقيل ان تغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه ساوي الى جبل يعصمني من الماء
ونادى نوح ابنه قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرا علي ابنها والضمير لامراته وقرا محمد بن علي وعروة ابن الزبير ابنه بفتح الهاء
يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله قد حكى عنه
ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل
بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون لغير
رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرا السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي قال يا ابناه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان
عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح
اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة من قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدها
ساكنة قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما
الموج فكان من المغرقين الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من
رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم
معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من
رحمه الله كقولك ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من
علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز
على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز و
العقل من قوله ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام
منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل
مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير
ريث فكما يرد عليهم امره كان المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال
اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت
واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا للقوم الظالمين يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد
من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال
والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا
يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة
على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الاية ورقصوا لها رؤوسهم

قوله ٣ واستدل يعني استدل الحسن على انه ليس ابنه بانه قال من اهلي ولم يقل مني ... انه من زوجته ٥

قوله ٤ او لا عاصم الى آخره عطف على قوله الا الراحم ... ماصحا بمعنى الفاعل ... قوله ٥ وكان عطف على رحم ... العائد ... محذوف ٥

على الاول ... بمعنى الفاعل ... على الثاني ... المفعول ... بحذف المضاف ... الوجه الثاني ... من رحم اي مكان من رحم ... بمعنى المرحوم فتامل ٥

قوله ٧ على الفور متنازع فيه الامتثال والنزول ٥ قوله من غير ريث اي من غير ابطاء يقال راث علي خبرك يريث ريثا اي ابطا ... ٥

قوله ٨ من حيث الهلاك متعلق من حيث المعنى بقوله البعد البعيد يعني بعيد ... لا البعد مسافة ٥

لا يجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب
وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي
شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام صام
يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء
وعده في نجية اهله فان قلت فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف فقال رب على نادى بالفاء قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء
نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا
له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي
اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق
في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر قال يا نوح انه
ليس من اهلك انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان
نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك
وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل
الضمير لنداء نوح عليه السلام اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه
صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي وآذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان
هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا و
قرئ انه عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح وقرئ فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين
فلا تسألن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام
غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسئلة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمى نداءه سؤالا ولا سؤال
فيه قلت قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز
وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده ان ينجي اهله
وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز
عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا قلت ان الله عز وعلا قدم له الوعد بانجاء اهله مع
استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا ناجين
وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه
قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم اي من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بادبك و
اتعاظا بموعظتك والا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط وقرئ
يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات

الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك على التوحيد وعلى أمم ممن معك يحتمل ان يكون من للبيان فيراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة
لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الأمم تتشعب منهم وان يكون لابتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الأمم
الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر
محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى
امم مؤمنين ينشؤن ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء والخلق بعد
الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من
المتاع والعذاب كل كافر وعن ابي زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم
المتمتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك من انباء الغيب نوحيها اليك تلك اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع
على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك ما كنت تعلمها انت
ولا قومك من قبل هذا من قبل ايحائنا اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر على
تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر
والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه
ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره اخاهم هودا واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور
وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء يا قوم لا اسألكم
عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شانهم
النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها الا حسم المطامع ومادام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة
من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك ويا قوم استغفروا ربكم قيل استغفروا ربكم
آمنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة
الى قوتكم والمدرار الكثير الدر كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان
القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من
شدة القوة والبطش والباس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة على
النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن بن علي انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال
اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر
في يوم واحد سبع مائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل
فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه
فيه مجرمين مصرين على اجرامكم وآثامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله

عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كأنه
قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا امثالك فيما يدعوهم اليه اقناطا له
من الاجابة ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون
من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اعتراك مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك
بعض آلهتنا بسوء اي جنك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء
الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا
وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا والمنيب
الى ربه مخبلا ولم نجدهم مع علي عشر مما كانوا عليه في ايام جاهليته من الموادة وما ذاك الا لعرق من الالحاد ابى الا ان ينبض وضب
من الزندقة اراد ان يطلع راسه وقد دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت فلا
يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم
ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من اعظم الآيات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة
دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا
الي ولا تنظرون اكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد
فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على اني لا افعله فان قلت هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم
قلت لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون
بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل
لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم آلهة من دونه او مما تشركونه
من آلهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا انتم وآلهتكم اعجلوا ما
تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم
وما هي الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي اني توكلت
على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب
التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بناصيتها تمثيل لذلك
ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا فقد
ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا فان تولوا فان قلت الابلاغ كان قبل
التولي فكيف وقع جزاء للشرط قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم
فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستانف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم
واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف

بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى وان تتولوا يعذبني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروه الا انفسكم
ان ربي على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها
حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا
معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ والذين امنوا معه قيل كانوا اربعة آلاف فان قلت ما معنى تكرير التنجية
قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك
ان الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة
ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعم عليهم بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم
وآثارهم كأنه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف احوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا
رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وحده
واتبعوا امر كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم واتبعوا في هذه
الدنيا لعنة ويوم القيامة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود ولما كانوا تابعين لهم دون
الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله والا وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل
لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم
قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستأهلين له الا ترى الى قوله اخي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا وقوم هود عطف بيان
لعاد فان قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما وتجعل فيهم امرا
محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم والى ثمود اخاهم
صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه
ثم توبوا اليه هو انشأكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب واستعمركم
فيها وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس
الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه
انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معوية بن ابي سفيان انه اخذ في احياء ارض في آخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول
القائل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في الارض آثار وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من
العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها
منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكأنما اعمره
اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره ان ربي قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله قالوا يا
صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد وكنا نرجوك لننتفع بك وتكون
مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس رضي

الدعاة جمع الداعي كالقضاة جمع القاضي ه

قوله وتكرارها عطف على الالى فتوال التقرير ه

قوله امر اي لكل جبار ه

اي كانوا في حال حياتهم مستاهلين لان يقال لا تبعدوا اي قال مع استيهالهم لترك الدعاء قد بعدوا ه

يعني ان قوله هو انشأكم من التقديم للتقييد لحصر لا من الابتداء لمقيد للتاكيد ه

قوله واجب وهو القدر الذي يحتاج اليه والبرد والموضع في البناء واما في الزراعة فالقدر الذي تندفع به الحاجة الى الماكولات ه

والعمرى يقال اعمرته ارضا ودارا او نحوهما اذا اعطيته اياها وقلت هي لك عمري او عمرك فاذا مت رجعت الي والاسم العمري

قوله جعلكم معمرين اي اعمركم بمعنى ابقاكم وطول عمركم ه

عنه فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا حكاية
حال ماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب من اربته اذا اوقعته في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين او
من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه
رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني قيل ان كنت على بينة من ربي بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكأنه قال
قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله
اذن حينئذ غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم
الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها
بسوء فيأخذكم عذاب قريب آية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم قلت بآية حالا
منها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال عذاب قريب عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء
الا يسيرا وذلك ثلاثة ايام ثم يقع عليكم فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم
ايام في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب
الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت ذلك وعد غير مكذوب غير
مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه او على المجاز كأنه
قيل للوعد نفي بك فاذا اوفى به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة
بمعنى الصدق فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو
القوي العزيز ومن خزي يومئذ قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب فان قلت علام عطف
قلت على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذلة
ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب
الغليظ بعذاب الآخرة واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا
ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود وقرئ الا ان ثمودا ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او الا
الاكثر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة ولقد جاءت رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس جاء جبريل وملكان معه وقيل
جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر ابراهيم بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم
لوط والظاهر الولد قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما قال سلام امركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل
سلم وسلام كحرم وحرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما لبث
في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة اهل السراة وكان مال ابراهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف
في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين فلما رأى ايديهم
لا تصل اليه نكرهم يقال نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرتك ولكن منكر ومستنكر

ان عصيته فما تزيدونني

قوله اذن جواب وجزاء ومعناه قريب من معنى فاء السببية فلذا اورد قوله اذن واما حينئذ فمعناه على تقدير متابعتكم ومعصية ربي ه

قوله ثم يقع عطف على قوله لا يستأخر الى آخره فكأنه قيل يستأخر قليلا ه

يقال قعدوا حوله وحواله وحوليه وحواليه ولا تقل حواليه بكسر اللام ه

يريد انه لما وقف بديار التي كان يحل بها ويذكر ايام كان يهواها فيها بكى وعاوده وجده فعاتب نفسه على صبابتها عند الاطلال بكاء من خاطب نفسه فقال الا تعتبر يوبخ نفسه ويقول قد آن لك ان تصحو وتزول عنك الصبابة وقد كنت تهواه والمشيب وازع اي كاف عن امثال هذا الفعل الذي تفعل

قال ابو علي الفارسي واما انتصاب قوله سلاما فانه لم يحكه شيئا تكلموا به فيحكي كما يحكي الجمل ولكن هو معنى ما تكلمت به الرسل كما ان القائل اذا قال لا اله الا الله فقلت حقا او قلت اخلاصا اعملت القول في المصدرين لانك ذكرت معنى ما قال ولم تحك نفس الكلام الذي هو جملة تحكى وكذلك نصب سلاما لما كان معنى ما قيل ولم يكن نفس القول بعينه واما قوله قال سلام فهو مرفوع لانه في جملة المحكية والتقدير سلام فيه سلام عليكم فحذف الخبر ه

اكتل الغمام بالبرق اي لمع ه

يعني يجوز ان يكون في الكلام حذف اي فما لبث في ان جاء او يكون ان جاء فاعل لبث فلا حذف فيه ه

عطف على العصا وقيل المعنى والنصب وازع ه

الحنف المحاحة المحاة ه

انكرت وقال الاعشى وانكرتني وماكان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل كان ينزل في طرف من الا
مخافة ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا امس من يطرقهم طعامهم آمنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة و
نكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط
وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط فاوجس فاضمر وانما
قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم كانوا
لا ينزلون الا بعذاب وامرأته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وهي
عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم
وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت
سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء فبشرناها باسحق و
من وراء اسحق يعقوب يعقوب رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود او موجود اي من بعده وقيل الوراء ولد الولد
وعن الشعبي انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا له اسحق ومن وراء
اسحق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب قالت يا ويلتى أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا الالف
في يا ويلتا مبدلة من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل وشيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة
وقرئ شيخ على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي بدل من المبتدأ وشيخ خبر او يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها
ثمان وتسعون سنة ولابراهيم مائة وعشرون ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي
اجراها الله وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات
والامور الخارقة للعادة فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة وان
تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل
البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وامر
الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستأنف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه
الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم
انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص
لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط الروع
ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة فان
قلت اين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه وقوله يجادلنا كلام مستأنف دال على الجواب
وتقديره اجترأ على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل يجادلنا هو جواب لما
وانما جيء به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ

يجادلنا واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارأيتم لو كان فيها خمسون
رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها
رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله وكان في قوم لوط في مدائنهم
عن ابن عباس قال لو كان فيها خمسة يصلون دفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها
اربعة آلاف الف انسان ان ابراهيم لحليم غير عجول على كل من اساء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب منيب تائب راجع الى
الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع
عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت له
الملائكة اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه انه قد جاء امر ربك وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر
الا عن صواب وحكمة وانهم آتيهم عذاب غير مردود والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك
ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث
قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى
معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا
يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها وقال هذا يوم عصيب يقال
يوم عصيب وعصوصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يهرعون يسرعون كانما يدفعون
دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل
عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل
ذلك قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم هؤلاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم واراد هؤلاء
بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب
وابي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان هن اطهر لكم
بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن ابي عمرو بن العلاء من قرأ هن اطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك
ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا او ينتصب بهؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا
هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال
وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك هذا
اخي هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية
وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروة
اليس منكم رجل رشيد رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز
ان يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهارا للشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا

لرادا سمعوا ذلك فيتركوا الضيوف مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة وانك لتعلم ما نريد عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة قال لو ان لي بكم قوة جواب لو محذوف كقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اوي الى ركن شديد او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او اوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرئ الى ركن بضمتين وروي انه اغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنهم ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لن يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب قرئ فاسر بالقطع والوصل والا امراتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين فان قلت ما وجه قراءة من قرا الا امراتك بالنصب قلت استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرا بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل عليه السلام جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم وامطرنا عليها حجارة من سجيل من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا مسومة معلمة للعذاب وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به عند ربك وما هي من الظالمين وما هي من كل ظالم

ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم ببعيد بشيء بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن ال فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو فان قلت وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط فان قلت النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد ولا تبخسوا الناس اشياءهم البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا ياخذون من كل شيء يباع شيئا كما يفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك ولا تعثوا في الارض مفسدين والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض بقيت الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يريد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا واضاف البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد به الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلواتك تامرك السخرية والهزؤ والصلاة وان جاز ان تكون امرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلاة تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق

الظن وجعلوا الصلوة آمرة على سبيل التهكم بصلوته وارادوا ان مثل الذي تأمر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته و
ان مثله لا يدعو اليه داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان يأمرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلوتك التي تداوم
عليها في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى تأمرك ان
نترك تأمرك بتكليف ان نترك ما يعبد آباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ اصلوتك
بالتوحيد وقرأ ابن ابي عبلة وان تفعل في اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقناع
بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد و
نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف
بالحلم والرشد في قومك يعنون ان ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني
منه رزقا حسنا اي من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف فان قلت
اين جواب ارأيتم وما له لم يثبت كما اثبت في قصة نوح وصالح قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى
الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا آمركم بترك
عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يقال خالفني فلان الى
كذا اذا قصده وانت مولّ عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني
الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم
الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف
ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار
الذي استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك لا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعول له كقوله
ضعيف النكاية اعداءه اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله وما كوني موفقا
لاصابة الحق فيما آتي واذر ووقوعه موافقا لرضى الله الا بمعونته وتأييده والمعنى انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب
منه التأييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم فيه عليه توكلت واليه انيب ويا قوم لا
يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد
والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال: جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا • ومنه قوله تعالى ويا قوم
لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته
جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا و
اكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهور افصح
لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور وهم له اكثر استعمالا
وقرأ ابو حيوة وروي عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت • وما قوم لوط

منكم

منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك
فان قلت ما للبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على اللفظ او معناه قلت اما ان يراد وما اهلاكهم بشيء بعيد او وما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان
بعيد ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما
واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان
والاجمال قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم
اكنة ان يفقهوه او كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم
يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان
ألثغ وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا
وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنراك فينا اعمى لم يكن
كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا ولولا رهطك لرجمناك والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى
السبعة وانما قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة
وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا
لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه قيل وما انت علينا
بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب
فان قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون
بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا
ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة
الى الامس امسي ان ربي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها ويا قوم اعملوا على مكانتكم لا تخلو المكانة من ان تكون
بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي انتم
عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني سوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب يجوز ان تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون
اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب وان تكون موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي
هو كاذب فان قلت اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل
خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف
تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف
وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب
من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر

والمرتفع فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من
يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت
القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم ولما جاء امرنا نجينا
شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء
قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب
كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان
تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين الجاثم اللازم
لمكانه لا يريم كاللابد يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو فجأة كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا
في ديارهم احياء متصرفين مترددين الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا
ترى الى قوله كما بعدت ثمود وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البنائين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفرقة
بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمي جاءت
على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما
بعدت ثمود منها ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى
على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها الى فرعون وملئه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد تجهيل
لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر
بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا
على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم
ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم
عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك
يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله تعالى يقدم قومه
تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد مستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم
ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم
العين فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم
فيوردهم النار لا محالة وبئس الورد المورود والورد المورد والمورود الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء
وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده
واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة واتبعوا في هذه لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود
رفدهم اي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء

الرفد المعون يقال رفده اي اعانه فلعنتهم في الدنيا معين ومدد لعذاب الآخرة ولعنة الآخرة مدد ومعون بلعنة الدنيا

المعطى ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد ذلك مبتدأ من انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اي
ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على
ساقه والذي حصد فان قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم
بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم آلهتهم فما قدرت ان ترد عنهم بأس الله التي يدعون من دون الله من شيء يدعون
يعبدون وهي حكاية حال ماضية لما جاء امر ربك لما منصوب بما اغنت امر ربك عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب
تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اذا اوقعه في الخسران وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة محل الكاف الرفع تقديره
ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى ان
اخذه اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من
ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال ان في ذلك لآية
لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة
بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم في الآخرة فاذا رأى عظمه وشدته
اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك اشارة
الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فان قلت لاي
فائدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس
له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك
لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على
صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه
مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه
ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواحي الناس مشهود فان قلت ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون
ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان
جعلته مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع
بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم
الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا
لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر وما نؤخره
الا لاجل معدود الاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل
فاذا جاء اجلهم يراد آخر مدة التأجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف
المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء يوم يأتي قرئ يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها

بالكرة كثيرة في لغة هذيل فان قلت فاعل يأتي ما هو قلت الله عز وعلا كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله او يأتي ربك وجاء ربك

ويعضده قراءة من قرأ وما نؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى ان تأتيهم الساعة فان قلت بم

انتصب الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل

يأتي فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت المراد اتيان هوله وشدائده

لا تكلم نفس الا باذنه لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس

تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون

عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد

ارجلهم فمنهم الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس

شقي وسعيد الشقي الذي وجبت له النار لاساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها

زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين

سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ قراءة العامة بفتح

الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا والزفير اخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ بعيد مدى التطريب اول صوته

زفير ويتلوه شهيق محشرج ما دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما ان يراد سموات الآخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل

على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد

لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء والثاني ان يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع

كقول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد فان قلت فما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك

وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك

ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو

سخط الله تعالى عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال

وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر

ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله تعالى عطاء غير مجذوذ

ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع

له فتأمله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان

الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو

بن العاص رضي الله عنهما ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال

من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق

ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص رضي الله عنه فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير

حدوث اي بيتت وذلك لان الظرف اذا اضيف يكون المضاف اليه بياناً ٥

الناس في بان متعلق بقوله لان التقدير الضمير كاين او ثابت لاهل الموقف فالتفسير ٥

التطريب في الصوت مده وتحسينه وحشرج الرجل اي تنفس عند الاحتضار ٥

قال في الصحاح سعد الرجل بالكسر فهو سعيد مثل سلم فهو سليم وسعد فهو مسعود والسعودة خلاف النحوسة والسعادة اسعده الله فهو مسعود ولا يقال اسعد كما انهم استغنوا عنه بمسعود وقال في المغرب السعد مصدر سعيد خلاف نحس ٥

تعار بكسر التاء اسم جبل وثبير جبل بمكة ٥

صفقت الباب رددته وكذلك اصفقته ٥

فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا

الحديث فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء لما قص قصص

عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية اي فلا تشك بعد ما انزل عليك

من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم

ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل يريد ان حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد

بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان تكون مصدرية وموصولة اي

من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدونه من الاوثان ومثل ما يعبدونه منها وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم

انصباءهم غير منقوص حال من نصيبهم فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا

تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن

ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذه من جملة التسلية ايضا

وانهم لفي شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان

كلهم وان جميع المختلفين فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك

اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرأ ابي

وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن ارقم وان كلا

لما ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملمين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون

فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف

على المستتر في فاستقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن

الكفر وآمن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما

ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود و

الواقعة واخواتهما وروي ان اصحابه قالوا لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رأيت رسول الله في النوم فقلت له روي

عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت و

عن جعفر الصادق رضي الله عنه فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم ولا تركنوا الى الذين ظلموا قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف

وضمها مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم

ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا امالوا والنهي متناول للانحطاط

في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين

الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي الذين وجد منهم الظلم ولم

يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم

يعني حذف المضاف والمضاف اليه من قوله ما يعبدون ان المصدرية اي من سوء عاقبة عبادتهم وهذا المعنى ظاهر صحيح وقد ذكر المص بعد ذلك انه يجوز ان يكون ما موصولة وقال الاستاذ العلامة نحو العلم والدين مجاهد بن ابي ادم اسعده الله فلعل هذا يؤول المعنى الى قولك فلا تك في شك من سوء عاقبة الاصنام التي يعبدونها فيما ما يجوز ان اتاجال حذف المضاف والمضاف اليه مختص بما اذا كان ما مصدرية اما اذا كانت موصولة فالتقدير من حال او من صفة ما يعبدونها يعني انها لا تصلح للالهية ثم قال ما يعبدون الا مثل الذي يعبدها اباؤهم ٥

قال ابو علي في الحجة اللام في ان زيدا لما لينطلقن على قول سيبويه هي اللام التي تقتضيها ان واللام الاخرى هي اللام التي تتلقى القسم ودخلت ما لتفصل بين اللامين مع اتفاق اللفظين ٥ في قوله بموطئة للقسم نظر ٥

اعلم ان جعل لما هنا بمعنى الا اشكل او يعيد الكلام هكذا ما كل الا ليوفينهم اي الا والله ليوفينهم والصواب ان يقال اصل لما لمن ما قلبت النون ميما فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت الاولى تخفيفا ووجد في الكتاب ان يكون ليوفينهم صفة لموصوف اي ما كل الا جمع موصوف بهذه الصفة

وعن الحسن جعل الله الدين بين لائين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك
ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه
وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف
ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور
عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون
بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان
تكون ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ
عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام
وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة
الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال عليه الصلوة والسلام من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل
سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت فتمسكم النار وما لكم من دون الله حال
من قوله فتمسكم النار اي فتمسكم النار وانتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر
على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم فان قلت فما معنى ثم قلت معناه
الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل غدوة
وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلوة الغدوة الفجر و
صلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان
الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله واخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه طرفي
النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم وظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر و
الزلف بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار وقيل وزلفا من الليل وقربا
الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلوة اي اقم الصلوة طرفي النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب بها
الى الله تعالى في بعض الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغاير بالطاعات وفي الحديث ان الصلوة
الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكباير والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكن لطفا في تركها كقوله تعالى ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من
هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال انتظر
امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال اصليت العصر فقال نعم فقال اذهب فانها كفارة لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر
على نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال
بل للناس عامة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك

اشارة

اشارة الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير و
هذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على
امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم منه شيء الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة
الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان من القرون من قبلكم
فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القرآن فمعناها هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لولا
ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اولو بقية اولو فضل وخير وسمي الفضل
والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم
وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم ياتيني بقيتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية
بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولو بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا
راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولو مراقبة وخشية من انتقام الله
كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم الا قليلا استثناء منقطع معناه
ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة
انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله تعالى انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا فان قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا
وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد
الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن
وان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا كان استثناء متصلا
ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين
اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكر اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا
هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهنيء ورفضوا ما وراء ذلك
ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في
القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر
قلت علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا قلت ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا
منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا
القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم فان قلت فقوله وكانوا مجرمين قلت على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات
مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما
عليهم بانهم قوم مجرمون وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون كان بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفي وبظلم
حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك

وقيل الظلم

المصلحين من الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وكلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقصه عليك يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين اي في هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم ولله غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما تعملون وقرئ تعملون بالتاء اي انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله بالصواب

سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب المبين تلك اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف انا انزلناه انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا وسمي بعض القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته نحن نقص عليك احسن القصص القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر في معنى المنبأ به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القرآن اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله تعالى بما اوحينا اليك هذا القرآن

قوله [2] ف وآخر مثل قوم لوط في فعل الخبائث وقوم شعيب في نقص المكيال والميزان ه

قوله [3] اشارة الى مذهبه والمعنى على ما ذكره لو شاء ان يضطرهم لاضطرهم لكن ما اضطرهم بل مكنهم ه

[4] قوله ولذلك اشارة الى الاختلاف واريد به لزوم الاختلاف فيكون كناية ه

هذا الكلام كله خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ه

[7] قراءة هنا وآخر النمل في قوله تعالى عما تعملون بالتاء والياء ه

فعلى هذا المبين من ابان بمعنى بان اي الظاهر امره وعلى هذا ظهور اعجازه فقد حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهو الضمير المستتر في المبين كما اشار اليه ه

[6] التبكيت مثل التقريع والتعنيف وتبكيته بالحجة اي الزمه ه

عا يريد ان لعل هنا ليس معناه تحقيق وجود الترجي لانه على الله محال بل المراد به الارادة توهموا ان الافعال تابعة ه

قوله [7] ويجوز عطف على قوله كان نعني ان القصص اذا كان بمعنى المفعول فاما ان يكون في الاصل موضوعا لذلك المعنى واما ان يكون في الاصل مصدرا سمي به المفعول ثم اتسع وعطف على قوله على وجهين يعني يجوز ان يقال القصص يكون مصدرا ويكون اسم مفعول او يقال هو مصدر لا غير واستعمل بمعنى المفعول فهو من تسمية المفعول بالمصدر ه

عن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القرآن بنقص كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك والمراد بالاحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القرآن وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسن لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه فان قلت مم اشتقاق القصص قلت من قص اثره اذا تبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن اذا قرأه لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية وان كنت ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية من قبله والضمير في قبله راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وان الشأن والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك لمن الغافلين من الغافلين عنه اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه اذ قال يوسف لابيه اذ قال بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت يشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص او باضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف فان قلت فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبني للفاعل او المفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلث ولا يقال هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع من انس واونس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت قرئ بالحركات الثلث فان قلت ما هذه التاء قلت تاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل على انها تاء تانيث قلبها هاء في الوقف فان قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت فلم ساغ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة قلت لان التانيث والاضافة يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في آخره فان قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا ابي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قلت يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي لا يجوز يا ابت قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك فان قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك في يا ابت فالتاء المعوضة لغو ووجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابي فان قلت فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا ابي واما من ضم فقد رأى اسمها في آخره تاء تانيث فاجراها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابت كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم

لي ساجدين وقرئ إني رايت بتحريك الياء واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر
الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان ورايت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة
ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب ولما خفيت عليه وعلى الناس فان قلت ما اسماء تلك الكواكب قلت روي جابر ان يهوديا جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبرئيل عليه الصلوة والسلام
فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال عليه الصلوة والسلم جربان والطارق والذيال و
قابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال
اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف راى وهو ابن سبع سنين
ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف
ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له
لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون سنة فان قلت لم اخر الشمس و
القمر قلت اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبرئيل
وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر فان قلت ما معنى
تكرار رايت قلت ليس بتكرار انما هو كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب قال له عند قوله اني رايت احد عشر كوكبا
كيف رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رايتهم لي ساجدين فان قلت فلم اجريت مجرى العقلاء في رايتهم لي ساجدين قلت لانه لما وصفها
بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجري عليها حكمهم كانها عاقلة وهذا كثير شايع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه
فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان
للانسان عدو مبين عرف يعقوب دلالة الرؤيا على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين
كما فعل باآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث
كما قيل القربة والقربى وقرئ رويات بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي رياك ورياك بالادغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لان الواو
في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان
قصصتها عليهم كادوك فان قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل
الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون اكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر
العداوة لما فعل بآدم وحواء ولقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم
على مثله وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء
شان كذلك يجتبيك ربك لامور عظام ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب وقوله ويعلمك كلام مبتدا
غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك
وجبيت الماء في الحوض جمعته والاحاديث الرؤى لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف

اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب الله تعالى وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على
الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله تعالى
ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله تعالى فباي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهو
اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا
ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق وقيل اتمها على ابراهيم بالخلة والانجاء
من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف
يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا
ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه وقيل كان من اثر يعقوب زيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه
فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب
قال هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه
لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب
في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة وابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم
من يحق له الاجتباء حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات
ودلائل على قدرة الله تعالى وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سأل عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين
سألوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على النبي
صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما راى من بغي قومه عليه ليتاسى به وقيل اسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون
ويشجر ودينة ودان ونفتالي وجاد وآشر السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة
فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ليوسف
اللام لام الابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه هو بنيامين
وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه
بين المذكر والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني انه
يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة
المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة
العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي
رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما العامري عمته اي يتعهد
عمته اقتلوا يوسف من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون
وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين او اطرحوه ارضا ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها

الوصف ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل عليه بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال تعالى ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم من شغله بيوسف وتكونوا من بعده من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب ويرجع الى المصدر اقتلوا او اطرحوه قوما صالحين تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما مجزوم عطفا على يخل لكم واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله تعالى وتكتموا الحق قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر واظلم من اسفله قال المنخل اذا انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدري غيبة والجب البئر لم تطو لان الارض تجب جبا لا غير يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق من الدم ومنه ذهبت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الراي قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ما لك لا تأمنا قرئ باظهار النونين وبالادغام وباشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وارادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رايه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يأمنهم عليه ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون نرتع نتسع في اكل الفواكه وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء فان قلت كيف استجاز لهم يعقوب اللعب قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله تعالى انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله تعالى ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة اعتذر اليهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذئب بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون القسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا لئن كان ما خافه من خطفة الذئب اخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي هالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما دون الآخر قلت هو

الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعاروه آذانا صما ولم يعبأوا به فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك اجمع الامر واجمع عليه فأجمعوا امركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى وقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاءه جبريل فاخرجه والبسه اياه واوحينا اليه قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحي اليه ليؤنس في الظلمة والوحشة ويبشره بما يؤول اليه امره ومعناه لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابت الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا اليه على انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وجاءوا اباهم عشاء يبكون وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا واصيلا واصيلانا ورواه ابن جني عشى بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروي ان امرأة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية وروي انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير ننتضل وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وجاءوا على قميصه بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود وانتم به بخل وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين ويجوز ان يكون مفعولا له وقرأت عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري وقال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كأنه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فأخذه والقاه على وجهه

وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف
ثلث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر فان قلت على قميصه ما محله قلت
محله النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال فان قلت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة قلت لا لان
حال المجرور لا يتقدم عليه قال بل سولت لكم انفسكم امرا سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما
ان تكبتره من يوسف وهونته في اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحي اليه بانهم قصدوه فصبر
جميل خبر او مبتداء لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع
انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله تعالى انما اشكوا بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم على كابة الوجه
بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى
الله اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان على ما تصفون اي مستعينه على احتمال ما تصفون من هلاك
يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت سيارة رفقة يسيرون من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطاء
والطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا
واردهم فارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم فادلى دلوه قال
يا بشرى هذا غلام يا بشرى نادى البشرى كانه يقول تعالى فهذا من اوانك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن
وغيره يا بشري بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعنا اهل السروات
يقولون في دعائهم يا سيدي وموليّ وعن نافع يا بشرايْ بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف
به فقيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب
به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه بضاعة الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له
في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا
غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه وبضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع
من المال للتجارة اي تقطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما يعمل اخوة
يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه باعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصا ظاهرا او زيف ناقص العيار
دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها
وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة تمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين
وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه
ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى شروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته
وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه ابق فخافوا ان يخطروا بما لهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق و
فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا ترى انك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في

اي شيء زهدوا فيه فقال زهدوا فيه وقال الذي اشتراه من مصر قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان
بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حيوة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه
العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو
ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم
يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف قيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين
وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ لامرأته اكرمي مثويه
اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقده بالاحسان وتعهده بحسن الملكة حتى
تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك لمن ينزل به من رجل او امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل
يراعي حق نزولك به واللام في لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به
على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتخذه ولدا او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس
فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمراة التي اتت
موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وروي انه سأله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك مكنا ليوسف
في الارض وكذلك اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف
مكنا له اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل
الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تجر عاقبته من علم وعمل والله غالب على امره اي على امر نفسه لا يمنع عما يشاء
ولا ينازع ما يريد ويقضي او على امر يوسف يدبره لا يكله الى غيره فقد اراد اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلث و
ثلثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون حكما حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك
نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن
عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء
وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه و
ياخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل كانت سبعة وقالت هيت لك قرئ هيت بفتح الهاء
وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كجير وهئت كحيث وهيت بمعنى تهيات يقال هاء يهيئ كجاء يجيء اذا
تهيا وهئت لك واللام من صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك قال معاذ الله اعوذ
بالله معاذا انه ان الشان والحديث ربي احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله بسوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح
الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون وقيل ان ذا الله تعالى لانه مسبب الاسباب ولقد همت
به وهم بها هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قولك لا افعل ذلك

ولا كيدا ولا اسما اي ولا اكاد انا فعله كيدا ولا اهم بفعله همّا حكاه سيبويه ومنه التهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه
وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها **لولا ان راى برهان ربه** جوابه محذوف تقديره لولا ان راى
برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا اني خفت الله لقتلته فان قلت
كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها قلت المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه
ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان
الله الماخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى همّا لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع
لان استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عبادنا المخلصين ويجوز
ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كانه شرع فيه فان قلت قوله
وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه قلت الامران جائزان ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله
كلاما براسه ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا ان راى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين فان قلت
لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه وهم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط و
للشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان
قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من
تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا بين اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء
بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان اعقاب القاءه له ان يجاب بان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد
بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان راى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من
الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه حل
تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم
يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله و
قيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن
كالطاير كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما
كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
فلم ينجع فيه فقال الله تعالى لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب
في ديوان الانبياء وقيل راى تمثال العزيز وقيل قامت المراة الى صنم كان هناك فسترته وقالت استحيي ان يرانا فقال يوسف استحييت
ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي من السميع البصير العليم بذوات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله
وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته
واستغفاره كيف وقد اثنى عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرا في

كما نعيت على آدم عليه السلام زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف صح

دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها
ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل
ابراهيم وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار فاخزى الله اولئك في ايرادهم ما
يؤدي الى ان يكون انزل الله السورة التي هي احسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدى بنبي من انبياء الله في القعود بين
شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ
العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه
حتى يتداركه الله بجبريل وباجباره ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واحلمهم حدقا واجلحهم وجها لقي بادنى ما لقي به مما ذكروا لما
بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه **كذلك** الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت
ثبتناه او مرفوعه اي الامر مثل ذلك **لنصرف عنه السوء والفحشاء** من خيانة السيد ومن الزنا **انه من عبادنا المخلصين** الذين
اخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة
ونحو ذلك وقرئ من عباد الله معناه بعض عباد الله اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابراهيم الذين قال فيهم انا
اخلصناهم بخالصة **واستبقا الباب** وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه او على تضمين
استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج فان قلت كيف وحد الباب وقد
جمعه في قوله وغلقت الابواب قلت اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص وقد روي كعب انه لما هرب يوسف جعل
فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب **وقدت قميصه من دبر** اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها
الى الباب وتبعته تمنعه **والفيا سيدها** وصادفا بعلها وهو قطفير **لدى الباب** تقول المراة لبعلها سيدي وقيل انما لم
يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة قيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم المراة **قالت
ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم** لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغاضبة على يوسف
اذ لم يواتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة
منها ومن مكرها وكرها لما آيست من مواتاته طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن
ويجوز ان يكون استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف
وانه اراد بها سوءا قلت قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدت من تخويف يوسف
وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط **قال هي راودتني عن نفسي** لما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع
عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها **وشهد شاهد من اهلها** قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على
لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى
الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر
فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة

وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى فان قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فان قلت الجملة الشرطية كيف جاز حكايتها بعد فعل الشهادة قلت لانها قول من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتبذت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها قلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ~~المعنى من قبل القميص~~ ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحق انه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئا بسكون العين فان قلت كيف جاز بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان قلت لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي امتن عليك فلما رأى يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قميصه قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف من كيدكن الخطاب لها ولامثالها ان كيدكن عظيم وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري انت لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة وقال نسوة وقال جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امرأة العزيز يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب تراود فتاها عن نفسه غلامها يقال فتاي و فتاتي اي غلامي وجاريتي قد شغفها حبا شغفها خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة وقد حال هم دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه الاصابع و قرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران كما شعف المهنوءة الرجل الطالي وحبا نصب على التمييز انا لنراها في ضلال مبين في خطإ وبعد عن طريق الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي مكره الماكر وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق

قصدت

قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد ان تقصد الجمع بين المكر به وبهن فتضع الخناجر في ايديهن ليقطعن ايديهن فتبكتهن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي ان يأكل الرجل متكئا وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن واتتهن السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بغير همزة وعن الحسن متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد فاهدت متكة لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه اذا قطعه وقرأ الاعرج متكأ مفعلا من تكئ يتكأ اذا اتكأ فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكأن ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها وقلن حاش لله حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد قال حاشا ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود على اضافة حاشا الى الله اضافة البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كانه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة ابي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة ابي عمرو حاش لله بحذف الالف الاخيرة وقراءة الاعمش حشا لله بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على ان الفتحة اتبعت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الاله فان قلت فلم جاز في حاشا لله ان لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة لله قلت مراعاة لاصله الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله واما قوله حاش لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما و

ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر من الشيطان ولا اجمع للخير من الملائكة الا ما عليه الفئة الحشوية المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله تعالى ما هن امهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي في قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو بعبيد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم تقول هذا بشرى اي حاصل بشرى بمعنى مشترى وتقول هذا لك بشرى ام بكرا والقراءة هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به وربا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على انه بريء مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان فان قلت الضمير فيما آمره محذوف الجار كما في قوله امرتك الخير ويجوز ان تجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه قرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة قلت كانت احب اليه وآثر عنده نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا في مشتهى النفس ومكروهها والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله تعالى وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزموا عليه ووطنوا عليه انفسهم من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه اصب اليهن امل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة واكن من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف انه هو السميع لدعوات الملتجين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما رأوا الآيات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها وجميلا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها ليسجننه وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال من اقرأك قال ابن مسعود

فكتب اليه ان الله انزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف اني اراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا ان كانت لك يد في تأويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق وسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رأيناك فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق رأسي سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتأويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحوه كانه قيل نبئنا بتأويل ذلك قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتأويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما مما علمني ربي اشارة لهما الى التأويل اي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله يجوز ان يكون كلاما مبتدأ وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى به الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة ابراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان

يكون فيه تعريض بما مُنِيَ به من جهتهم حين اودعوه السجن بعد ما رأوا الايات الشاهدة على براءته وان ذلك مما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرّفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا يتنبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لساير الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار يريد يا صاحبيّ في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروق فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف ونحوه قولك لصاحبك يا صاحبي الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله تعالى اصحاب النار واصحاب الجنة أأرباب متفرقون يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول أن يكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا وهذا يستعبدكما هذا خير لكما ام يكون لكما رب واحد قهار لا يغالَب ولا يشارَك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه الله لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها سميتموها انتم وآباؤكم ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان من حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم اي الثابت الذي دلت عليه البراهين ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده خمرا وقرأ عكرمة فيُسقى ربه اي يُسقى ما يروى به على البناء للمفعول واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه روي انه قال للاول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل قضي الامر قطع وتم الذي فيه تستفتيان ما تستفتيان فيه من امركما وشأنكما فان قلت ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله وظنا ان ما رأياه في معنى ما نزل بهما فكأنهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما أعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأينا شيئا على ما روي انهما تحالما لنخبراه فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان هو يوسف ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف يقدر الشيطان على الانساء قلت يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب عنه

وينزل

ويزيل عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها فان قلت ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه في قولك فانساه الشيطان ذكره لربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف عليه السلام الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه وقال من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قرأها ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر ريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فان قلت هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام واربعة غلاظ فان قلت ذلك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دابهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل في الآية دليل على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الآخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر فان قلت هل يجوز ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي ان تدخل في حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الآخر يقتضي ان يكون غير السبع بيانه انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام

واخرين قعود تدافع فسد يا ايها الملأ كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون اللام في قوله
للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله تعالى وكانوا فيه من الزاهدين واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل
فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا
خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر او حالا وان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى
باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ
آخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم
ينكرون عبّرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب رأيت رؤيا ثم عبرتها و
كنت للاحلام عبارا قالوا اضغاث احلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث
ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث
احلام فان قلت ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا
فرسا واحدا وماله الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون
قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤى غيرها وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا
ليس لها عندنا تأويل فان التأويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تأويل الاحلام بنحارير
وقال الذي نجا منهما وادكر قرئ وادكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال اي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل
يوسف وما شاهد منه بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملأ تأويلها تذكر الناجي يوسف
وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلي بعد امة اي بعد نعمة قال عدي ثم بعد الفلاح
والملك والامة وارتهم هناك القبور اي بعدما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه اي بعد نسيان يقال امه يأمه امها اذا نسي ومن قرأ بسكون
الميم فقد خطئ انا انبئكم بتأويله انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن انا آتيكم بتأويله فارسلون فابعثوني اليه لاسأله
ومروني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق افتنا في سبع
بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس ايها الصديق
ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول ولذلك كلمه كلام
محترز فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم
يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك قال تزرعون سبع سنين خبر في معنى الامر
كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المأمور به فيجعل كانه يوجد فهو
يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله دأبا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال من المأمورين
اي دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي دأب فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يتسوس الا قليلا مما
تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا ويأكلن من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا

اليهن مما تحصنون تحرزون وتخبؤون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس من الغوث او من الغيث
يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا وفيه يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون
والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبني
للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت
السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل
الفعل تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل
الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي عن قتادة زاده الله علم سنة فان قلت معلوم
ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحي قلت ذلك
معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي وقال الملك
ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تأنى وتثبت في اجابة الملك وقدم
سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه
ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم
واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره
والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول
فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا
اناة وانما قال فاسأل الملك عن شأن النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شأنهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد
ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل وقرئ النسوة
بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان
ربي ان الله تعالى بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه وانه بريء مما قرف
به او اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه قال ما خطبكن ما شأنكن اذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا
اليكن قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء تعجب من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امرأة العزيز
الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين حصحص ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص
البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال حصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن
على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت
المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان ندق في فروة من ثبتت نزاهته ذلك ليعلم اي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم
العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني

عن غيبي ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي
كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامراته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات
على حبسه ويجوز ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون
لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله انا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق
الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا يخلو اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا
من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء
اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة
ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون
استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه
لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امراة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح
والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن
واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربي
غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فان قلت كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى
دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال
فماذا تامرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القران وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله
فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا ان يوسف حين قال اني لم اخنه بالغيب قال
له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امراة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله وقال
الملك ائتوني به استخلصه لنفسي يقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما
لم يحتسب قال ايها الصديق انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه فقال
اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات
وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا
جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال
ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب ان
اسمع رؤياي منك قال رايت بقرات فوصفهن ووصف الوانهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك
لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فياتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد
قبلك قال اجعلني على خزائن الارض ولني على خزائن ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف
نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل

التمكن مما لاجله تبعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز
ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته قلت روي عن مجاهد انه كان قد اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان
عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم
الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه في كل ما راى فكان في حكم التابع
له والمطيع وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في الارض في ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين يتبوا
منها حيث يشاء قرئ بالياء والنون اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه(؟) وملكه
روي ان الملك توجه بتاجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال له اما السرير فاشد به
ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال فقد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير
ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها
عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع
من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع
والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بي فيما
خولني فما ترى قال الراي رايك قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع
احدا من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين نصيب
برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين
ان اجرهم في الدنيا ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ولاجر الآخرة خير لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن
يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية وجاء اخوة يوسف
فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن
اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم
معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف
وقيل راوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما راوه الا من
بعيد بينه وبينهم مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال وراى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان
همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتامل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم و
هي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من
ابيكم لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسالة روي انه لما راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم
فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله

نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال فكم انتم ههنا
قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق
قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وايتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم
فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم الا ترون اني اوفي
الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما
عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه
سنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا
نتوانى وقال لفتيانه وقرئ لفتيته وهما جمع فتى كاخوان واخوة في اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين اجعلوا بضاعتهم في
رحالهم لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون
لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون
به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل
معنى لعلهم يردونها فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل يريدون قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي لانهم اذا
انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه
وقرئ يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فانه امتنع بسببه قال هل امنكم عليه الا كما
امنتكم على اخيه من قبل يريد انكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير
حافظا فتوكل على الله ودفعه اليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان يكون حالا وقرئ حفظا وقرا الاعمش فالله خير
حافظ وقرا ابو هريرة خير الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجو ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت
اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا وقرئ ردت الينا بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما قيل
قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد ما نبغي للنفي اي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك
واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا من
الاحسان او على الاستفهام بمعنى اي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه اي شيء تطلب وراء هذا
من الاحسان او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي
والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فما يصيبه
شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب اخينا كيل بعير وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا
ونوسع ذات ايدينا واتماما لقوله ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط فان قلت هذا اذا فسرت البغي بالطلب فاما
اذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قولهم فما تصنع بالجمل
البواقي قلت اعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغي ان نمير اهلنا

كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما
نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رايهم وانهم مصيبون فيه
وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون ذلك
اشارة الى كيل بعير اي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وانه
حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله تعالى ذلك ليعلم قال لن ارسله معكم مناف لحالي وقد رايت منكم ما رايت حتى تؤتون
موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود
وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه لتاتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتاتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا
الاتيان به او الا ان تهلكوا فان قلت اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتاتنني
به في تاويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء
من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تاويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتاول بمعنى النفي قولهم
اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل على ما نقول من طلب الموثق واعطائه فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل
رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وانما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء
وشارة حسنة وقد اشتهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود
وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم و
فضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوؤهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق
في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس فان قلت هل للاصابة بالعين وجه تصح عليه قلت يجوز ان يحدث الله تعالى عند النظر الى
الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق
هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين كما قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعوذ الحسن
والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة وما اغني عنكم من الله من شيء يعني ان اراد الله بكم
سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون
ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم راي يعقوب ودخولهم متفرقين من الله من شيء شيئا قط حيث
اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا
حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به وانه لذو علم لما
علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وانه لذو علم يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان الحذر لا يغني عن القدر ولما دخلوا على يوسف آوى
اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم
واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه
معه على مائدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح و

عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له احب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك
ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون
بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس رضى الله عنهما تعرف اليه وعن وهب لم يقل انا اخوك
بدل اخيك المفقود ولا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي
فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك
بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال فعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه السقاية مشربة يسقى بها
وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه
المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر
ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون ثم نادى مناد يقال آذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه
روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير
اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وغيد والمراد
اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل
اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا
قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صواع وصاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة ولمن جاء به حمل بعير
وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به واراد به وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله قالوا تالله لقد علمتم ما
جئنا لنفسد في الارض تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل علمهم دينهم
وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم
التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا قالوا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته
ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق
في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق
زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه او فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على
اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد
الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف
اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم
متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم كذلك نجزي الظالمين فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه
قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال
ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه وقرأ الحسن وعاء اخيه بضم الواو وهي لغة

وقرأ سعيد بن جبير اعاء اخيه بقلب الواو همزة فان قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت قالوا رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع
لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا كذلك
كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له
لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله اي ما كان يأخذه
الا بمشيئة الله واذنه فيه نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل
ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله تعالى فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان يكون
حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين
قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك
القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح
لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي
يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله تعالى لايوب وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابراهيم هي اختي لتسلم من
يد الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها
سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل ارادوا يوسف
روي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا
يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع
هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان اخذ في صباه صنما لجده ابي امه
فكسره والقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان في المنزل عناق او دجاجة
فاعطاها السائل وقيل كانت لابراهيم منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة
امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة
اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها
يوسف في نفسه ولم يبدها لهم فاسرها اضمار على شريطة التفسير تفسيره قال انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر
مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا
لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة ابن مسعود فاسره على التذكير يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم
شر منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وليس الامر
كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا استعطفوه باذكارهم اياه حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر
وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستأنس باخيه فخذ احدنا مكانه فخذه
بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها

قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون معاذ الله هو كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم
أخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني
واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي
ومعنى معاذ الله ان نأخذ نعوذ بالله معاذا من ان نأخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من واذن جواب لهم وجزاء لان المعنى
ان اخذنا بدله ظلمنا فلما استيأسوا منه يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم خلصوا نجيا والنجي على معنيين
يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى
بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال اذا ما القوم كانوا انجية ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا
عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا
لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون
وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور قال كبيرهم في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم
وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والرأي وهو يهوذا ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف
فيه وجوه ان تكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على
الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ~~بمعناه ووقع من قبله~~ ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول ألم تعلموا
وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي
قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن أبرح الأرض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي
أبي في الانصراف اليه أو يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو
خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وقرئ سُرِّق اي نسب الى السرقة
وما شهدنا عليه بالسرقة إلا بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شيء ابين من هذا ~~وما كنا للغيب حافظين~~
وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرأ سُرِّق فمعناه وما شهدنا الا بقدر
ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين أسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم يشعر واسأل القرية التي كنا فيها هي مصر
اي ارسل الى اهلها واسألهم عن كنه القصة والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب
وقيل من اهل صنعاء معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم ~~[illegible]~~ قال بل سولت لكم
أنفسكم أمرا اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا بيوسف واخيه وروبيل او غيره إنه هو
العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به وقال
يا أسفى على يوسف اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف
مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه ويحسبون انهم يحسنون من سبا بنبأ وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم

يسترجع وانما قال يا أسفى فان قلت كيف تأسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا
قلت هو دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا
ولم تنسه المصيبات بعده ولأن الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف
عليه اسفا على من لحق به وابيضت عيناه من الحزن اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر وقيل قد عمي
بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرئ من الحَزَن ومن الحُزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه
حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال
اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت الانسان مجبول على
لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع
من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود
بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت
عند الترح وعن الحسن انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ
على اولاده ولا يظهر ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج
النفس يقال اخذ باكظامه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف تفتأ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه
لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه
جعل الفتوء والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع حتى تكون حرضا
او تكون من الهالكين حرضا مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة
حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرأ الحسن حُرُضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب
قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه باثه امره وابثه
اياه ومعنى انما اشكو اني لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم
اي فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه قيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال
هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي قال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفر لي فغفر له
فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحي الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم
مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع
ولدها فبكت حتى عميت وأعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه يأتيني بالفرج من حيث لا احتسب
وروي انه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقرأ الحسن وحَزَني بفتحتين وحُزُني بضمتين

فادة يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا اخبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وتما تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلما احس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا للمشاعر الانسان الحواس والجواس ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة بالضم اي من رحمته التي يحيي بها العباد فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر الهزال من الشدة والجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله تعالى ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله تعالى ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله تعالى لا يتصدق انما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطأها واسجحها ولله حصى عقولهم ما ارزنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم والرزانة وروي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب عليه الصلوة والسلم من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا فان قلت ما فعلهم باخيه قلت تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن اخيه لامه وابيه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم له بانواع الاذى قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا قرئ ائنك على الاستفهام وانك على الايجاب وفي قراءة ابي او انت يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة

الثاني

الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات فان قلت كيف عرفوه قلت رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم لا عن بعض اعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فان قلت قد سألوه عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن اخيه قلت لانه كان معلوما لهم ولكن كان في ذكر اخيه بيان لما سألوه عنه انه من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجر المحسنين اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وان كنا لخاطئين وان شأننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لاجرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك قال لا تثريب عليكم اليوم لا تأنيب عليكم ولا عتب واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض ويذهب بماء الوجوه فان قلت بم تعلق اليوم قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت رسول الله فاتل عليه لا تثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف عليه الصلوة والسلام ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي هذا قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبريل ان يرسله فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يصير بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا او يأت الي وهو بصير وينصره قوله وأتوني باهلكم اجمعين اي يأتني ويأتيني جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس فلما انفصل العير قال ابوهم قال لولده ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف اوجده الله تعالى ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمان لولا ان تفندون والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني قالوا تالله انك لفي

ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك لقاءه وكان عندهم انه قد مات
فلما ان جاء البشير القاه طرح البشير القميص على وجهه على وجه يعقوب او القاه يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال رده
فارتد وارتده اذا ارتجعه قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون يعني قولي اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تيأسوا من
روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك ان توقعه عليه وتريد قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون
وروي انه سأل البشير كيف يوسف فقال انه ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم سوف استغفر
لكم قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة واخلاصها وقيل
اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة في وقت السحر
فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى اليه ان الله قد غفر لك
ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد علتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا
فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها
الهلكة نزل جبريل عليه الصلوة والسلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف في
استنبائهم فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة الاف
من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون
مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابت بكيت علي حتى
ذهب بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر
وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية و
الهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف آوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن ابي نجيح كانت امه تحيى وقيل ابوه
وخالته ماتت امه وذكر ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين فان قلت ما معنى دخولهم عليه قبل
دخولهم مصر قلت كانه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت ثم فدخلوا عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله امنين
ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على
السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا ويجوز ان يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فامر ان يرفع
اليه ابواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فان قلت بم تعلقت المشية قلت
بالدخول المكيف بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن في دخولهم فكانه قيل لهم اسلموا وامنوا في دخولكم ان شاء الله ونظيره قولك للغازي
ارجع سالما غانما ان شاء الله فلا تعلق المشية بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر
امنين ان شاء الله دخلتم امنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير
ان قوله تعالى ان شاء الله من باب التقديم والتاخير وان موضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما ادري ما اقول

فيه وفي نظايره فان قلت كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة
وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه و
خرورهم سجدا يأباه وقيل معناه وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا ايضا فيه نبوة وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي
من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن يقال احسن اليه وبه وكذلك اساء اليه وبه وقال اسيء
بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اهل عمد واصحاب مواش ينتقلون في المياه
والمناجع من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي نزغ افسد بيننا واغرى واصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه
اذا نخسه ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم لطيف لما يشاء لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب وروي
ان يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير
ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال اوما تسئله
قال انت ابسط اليه مني فسله فقال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام
معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا
وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا
بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفنه في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي ان عملوا
له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرائيم و
منشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت ايديهم
على بقايا دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله تعالى موسى عليه الصلوة والسلام رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تاويل
الاحاديث من في من الملك ومن تاويل الاحاديث للتبعيض لانه لم يؤت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض التاويل
فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة انت وليي انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك
الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب الوفاة على حال الاسلام ولان يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن
الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون تمنيا للموت على ما قيل والحقني بالصالحين من ابائي او على العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان
ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا احييت سننا وامت بدعا وفي حياتك
خير وراحة للمسلمين فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما اقر الله عينه وجمع له امره قال توفني مسلما والحقني بالصالحين فان قلت
علام انتصب فاطر السموات قلت على انه وصف لقوله رب كقولك اخاك زيد حسن الوجه او على النداء ذلك من انباء الغيب نوحيه
اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم ذلك اشارة الى ما سبق من نبا يوسف والخطاب لرسول الله وهو محله الابتداء وقوله
من انباء الغيب نوحيه اليك خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن انباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى ان هذا النبأ
غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اجمعوا امرهم وهو القاؤهم اخاهم في البئر كقوله تعالى واجمعوا ان
يجعلوه في غيابت الجب وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على احد من المكذبين انه لم يكن من حملة هذا الحديث وقصه هذا القصص
فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقصه صح

العجيب الذي اعجز حملته ودواته لم تقع شبهة في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكة
انه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وهم يمكرون بيوسف
ويحتالون عليهم ويبغون له الغوائل وما اكثر الناس يريد العموم كقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اراد اهل مكة ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم على ما تحدثهم اي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم على
الكفر وعنادهم وما تسألهم عليه من اجر وما تسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم ان ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة
الاحاديث والاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله وكاين
من آية من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها ويشاهدونها وهم عنها معرضون
اي وهم معرضون لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء ويمرون خبره وقرئ السدي والارض بالنصب على ويطوون
الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع الارض والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر
وما يؤمن اكثرهم بالله في اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهم مشركون الا وهو مشرك بعبادة الوثن و
عن الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الذين يشبهون الله بخلقه افامنوا ان تاتيهم
غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق لا يشعرون
قل هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله
ادعوا الى الله على بصيرة اي ادعو الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني عطف عليه
اليها انا ويدعو اليها من اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبار ابتداء بانه ومن
اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين
وانزهه من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس يريد
ليست فيهم امراة وقيل في سجاح المتنبئة ولم تكن انبياء الله ذكرانا نوحي اليهم وقرئ نوحي اليهم بالنون من اهل القرى لانهم
اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة
ولدار الساعة او الحال الآخرة خير للذين اتقوا للذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه افلا تعقلون وقرئ افلا تعقلون
بالياء والتاء حتى اذا استياس الرسل حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى
نصرهم حتى اذا استيأسوا عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاؤهم لقولهم
رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتاميله قد تطاولت
عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا فجاءهم من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا
حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول و
الذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة
وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجح احد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال الرسل

الذين

الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد ومنزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا
او وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد
اي وظن الرسل انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرئ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل
اي وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على تاويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا الموعد قد كذبوا او
لو قرئ مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم كذبوهم في موعدهم فنجي من نشاء قرئ فننجي بالتخفيف والتشديد من انجاه
ونجاه ونجي على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون لانهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم وقد
بين ذلك بقوله ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب الضمير في قصصهم للرسل
وتنصره قراءة من قرا في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته فان قلت فالام يرجع الضمير في ما كان حديثا
يفترى فمن قرا بالكسر قلت الى القرآن اي ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه اي قبله من الكتب
السماوية وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يستند اليه السنة و
الاجماع والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق
الذي بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون
الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مكية وهي ثلاث واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك آيات الكتاب تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب
السورة اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل اليك من ربك من القرآن كله الحق هو
الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها
تريد الكملة ولكن اكثر الناس لا يؤمنون الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر
الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الله مبتدا والذي خبره بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله
يدبر الامر يفصل الآيات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات رفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستانف استشهاد
برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد وتعضده قراءة ابي ترونه وقرئ عمد بضمتين يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته يفصل
الآيات يفصل آياته في كتبه المنزلة لعلكم بلقاء ربكم توقنون لعلكم توقنون بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من
الرجوع اليه وقرا الحسن نفصل بالنون وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها
زوجين اثنين خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل اراد بالزوجين الا
والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير
اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الارض قطع
متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة مثلا صقعة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة و صلبة

الي رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الي اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع
لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى بماء
واحد وتراها متغايرة الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات
على وجعل وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين وبالجر على كل الثمرات وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات
والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلهما واحد وقرئ بالضم فالكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس تسقى بالتاء
والياء ونفضل بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا في الاكل بالضم الكاف وسكونها وإن تعجب فعجب قولهم
اي ان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك
من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب أئذا كنا
ترابا الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله أئنا
لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم وأولئك الأغلال في أعناقهم
وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وصف بالاصرار كقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا او تحوه لهم عن الرشد اغلالا او قياد
او هو من جملة الوعيد ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين
فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة ... لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة
وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع
الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين
والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال يعني
ظالمين لانفسهم وفيه اوجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال
وإن ربك لشديد العقاب وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش
ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام من انقلاب العصا حية واحياء الموتى
فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنت منذر انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك
من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية آية كانت والآيات كلها سواء في
حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح و
تقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وباية خصه بها ولم يجعل الانبياء
شرعا واحدا في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك
ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على

هدايتهم

هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما اردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاءه
كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة
لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق
يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم ما تحمل كل أنثى يحتمل ان يكون كلاما مستانفا وان يكون المعنى هو الله
تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد اما موصولة
واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح
وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الأرحام ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا
ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداد وما تزداده اي تاخذه زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا
تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما ينقصه الرحم ويزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلثة و
اربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل
من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين
وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى
ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند
الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيوضة ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد
ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الجنين الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام وكل شيء عنده بمقدار
بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر عالم الغيب والشهادة الكبير العظيم الشان الذي كل شيء
دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سواء منكم من أسر القول ومن جهر به
ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار سارب ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سواء عنده
من استخفى اي طلب الخفاء في مختباء بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد فان قلت كان حق
العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد
تناول واحدا هو مستخف وسارب قلت فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه
عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله تكن مثل من يا ذيب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل
وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه والضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب
معقبات جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون يعني
المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب
بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من أمر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له
معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر

بن محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله او يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب
كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر
الله اي من قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب ومعقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير
ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي واذا اراد الله بقوم سوءا فلا
مرد له وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا لا يصح ان يكون مفعولا لهما لانهما
ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين
على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع انه وقوع
الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها ويخشى
الصواعق وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع
اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيى به وينشئ السحاب الثقال السحاب اسم الجنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة
لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعوا
الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح
الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك
ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال
ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة
الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله و
يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته
ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا الرسول فانكروا آياته يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة
على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيى العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلون بعض الاجسام
المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب
بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر
بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتله اخبرني
عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد وهو شديد المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف
استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى
فرع نبع يهتش في غصن المجد غزير الندى شديد المحال والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث
لا يحتسبون وقرأ الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذئب اي اشد حيلة و
يجوز ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان الحبل

اذا اشتد محاله كان منقوصا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار
عمود الظهر وقوامه له دعوة الحق فيها وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة
اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى
فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في
دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني ان يضاف الى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة
المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن رحمه الله الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين
وهو شديد المحال وله دعوة الحق بما قبله قلت اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث
لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على
الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دعا
عليهم فيهم والذين يدعون من دونه والالهة الذين يدعوهم من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط
كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه الا كاسط كفيه الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء من
بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ
فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا باحتياجهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى
دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه
وقرئ تدعون بالتاء وكباسط كفيه بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا
الله لم يجبهم وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها اي ينقادون لاحداث
ما اراده فيهم من افعاله شاؤا او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وتنقاد له وظلالهم بالغدو والآصال ايضا حيث تتصرف
على مشيته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال وقرئ بالغدو والايصال من آصلوا اذا دخلوا في الاصيل قل من رب السموات
والارض قل الله حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله
كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي
قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان تكون تلقينا
اي ان كعوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقونه ولا يقدرون ان ينكروه قل افاتخذتم من دونه اولياء ابعد ان علمتموه رب
السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك لا يملكون
لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم
على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا
لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ام جعلوا بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار وخلقوا صفة لشركاء يعني
انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق

كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فيتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء
عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلاً ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق
غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار لا
يغالب وما عداه مربوب ومقهور انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما
يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء
واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور
مثلاً لهما فمثل الحق واهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذي
ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والآلات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به
وان ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون والبئار والحبوب والثمار التي
تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه
عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمى به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب فان قلت لم نكرت الاودية قلت لان المطر
لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فتسيل بعض اودية الارض دون بعض فان قلت فما معنى قوله بقدرها قلت بمقدارها
الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلاً للحق فوجب ان
يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف فان قلت فما فائدة قوله ابتغاء حلية
او متاع قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع الناس لان المعنى واما
ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما توقدون عليه في النار ابتغاء
حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو ما جاء في
ذكر الآجر اوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية اي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا
منتفخا مرتفعا على وجه السيل فاما الزبد فيذهب جفاء يجفاه السيل اي يرمي به وجفأت القدر بزبدها واجفأ السيل
واجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابي حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان يأكل الفار وقرئ يوقدون بالياء اي يوقد
الناس كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به
للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا
اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدأ في ذكر ما اعد
لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين
استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم
جهنم وبئس المهاد وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء دخلت همزة الانكار
على الفاء في قوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال

من

من علم ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء
والخبث والابريز انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون
بعهد الله مبتدأ واولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله تعالى والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة ويجوز ان يكون صفة
لاولي الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته وقبلوه من الايمان بالله وغيره
من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الارحام والقرابات
ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم
على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام
عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب
حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله و
كونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم
اي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا مطلق فيما يصبر
عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكليف ابتغاء وجه ربهم ابتغاء وجه الله لا ليقال ما اصبره واحمله
للنوازل واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله وتجلدي للشامتين ولا لانه
لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله وما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا وكل عمل له وجوه يعمل عليها
فعلى المؤمن ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل واقاموا الصلوة وانفقوا مما
رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل
والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام
ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا
وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا
ومرجع اهلها جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وجنات عدن بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فمن كسر فلنقل
كسرة العين اليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرئ ابن ابي عبلة ومن صلح بضم اللام
والفتح افصح اعلم ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال الصالحة وآباؤهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم
وامهاتهم سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم او مسلمين فان قلت بم تعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف
تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى
لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله بما قد اري فيها او انس بدنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قبور

الشهداء على راس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق بسلام اي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم
والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه من بعدما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى
الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره
دون غيره وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع
وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا
نعيم الاخرة وخفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الاخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات
او شربة سويق او نحو ذلك فان قلت كيف طابق قولهم ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله
يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب لولا انزل عليه اية من ربه قوله ان الله يضل من يشاء قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من
قولهم وذلك ان الايات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقران وحده اية وراء كل اية
فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كان اية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكانه قيل لهم ما اعظم
عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا
سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل اية ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم اناب اقبل الى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير
الذين امنوا بدل من من اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقران لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت
اليقين فيها الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ماب الذين امنوا
مبتداء وطوبى لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف اي تطمئن القلوب قلوب الذين امنوا وطوبى
مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما
لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن ماب بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام في لك للبيان مثلها في سقيا لك والواو
في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرا مكوزة الاعرابي طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة
كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة
قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي اخر الامم وانت خاتم الانبياء لتتلو عليهم
الذي اوحينا اليك لتقرا عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن وحال هؤلاء انهم يكفرون
بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال مثل هذا القران
المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء لا اله الا هو عليه توكلت في نصرتي عليكم
واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرانا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتترك
الجواب والمعنى ولو ان قرانا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت به الارض حتى تتصدع

وتتزايل

وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القران لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال
لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا بعض ما فرط به قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك
من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله من القران وقيل معناه ولو ان قرانا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى و
تنبيههم لما امنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم سير بقرانك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست
باهون على الله من داود وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت
لسليمان او ابعث لنا به رجلين او ثلثة ممن مات من ابائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير
ومجاوزتها وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد
من السداد وقيل قطعت به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا بل لله الامر جميعا على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شيء
وهو قادر على الايات التي اقترحوها الا انه علم ان اظهارها مفسدة يصرفهم والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء
لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله يعني مشية الالجاء والقسر لهدى الناس
جميعا ومعنى افلم ييأس افلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء عالم
بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي اقول لهم بالشعب
اذ ييسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم ويدل عليه ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا افلم يتبين وهو
تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله
المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء هذه والله فرية ما فيها
مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء بامنوا على اولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين امنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة او تحل قريبا من دارهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل
الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير
اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها حتى ياتي وعد الله وهو موتهم او القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول
الله من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم
او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى ياتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك ان الله لا
يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب الاملاء الامهال
وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الايات على رسول الله استهزاء
به وتسلية له افمن هو قائم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما
كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز ان تقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه وجعلوا لله

شركاء وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحّدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركاء قل سمّوهم
أي جعلتم له شركاء فسمّوهم له من هم ونبّئوه بأسمائهم ثم قال أم تنبّئونه بما لا يعلم في الأرض على أم المنقطعة كقولك للرجل قل لي من
زيد أم هو أقل من أن يعرف ومعناه بل أتنبّئونه بشركاء لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات والأرض فإذا لم يعلمهم علم
أنهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي أن يكون له شركاء ونحوه قل أتنبّئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض أم بظاهر
من القول بل أتسمّونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن تكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون من دونه إلا
أسماء سمّيتموها وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق أنه ليس من كلام البشر لمن عرف
وأنصف من نفسه فتبارك الله أحسن الخالقين وقرئ أتنبئونه بالتخفيف بل زيّن للذين كفروا مكرهم كيدهم للإسلام
بشركهم وصدّوا عن السبيل قرئ بالحركات الثلاث وقرأ ابن أبي إسحق وصدٌّ بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه أنه لا
يهتدي فما له من هاد فما له من أحد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والأسر وسائر المحن ولا
يلحقهم إلا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سمّاه عذابا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من عذابه أو ما لهم
من جهة واق من رحمته مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف
على مذهب سيبويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الأنهار كما تقول صفة زيد أسمر وقال الزجاج
معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرأ علي رضي الله عنه أمثال الجنة
على الجمع أي صفاتها أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها
دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والذين آتيناهم الكتاب يريد من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من
النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران واثنان وثلثون بأرض الحبشة هؤلاء يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب يعني ومن
أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزّبوا على رسول الله بالعداوة نحو كعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما
من ينكر بعضه لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرّف وكانوا
ينكرون ما هو نعت الإسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرّفوه وبدّلوه من الشرائع قل إنما أمرت أن
أعبد الله ولا أشرك به فإن قلت كيف اتصل قوله قل إنما أمرت أن أعبد الله بما قبله قلت هو جواب للمنكرين معناه قل إنما
أمرت فيما أنزل إليّ بأن أعبد الله ولا أشرك به فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب
عبادة الله وأن لا يشرك به قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا وقرأ نافع في رواية
أبي خليد ولا أشرك به بالرفع على الاستئناف كأنه قال وأنا لا أشرك به ويجوز أن يكون في موضع الحال على معنى أمرت أن أعبد الله غير
مشرك به إليه أدعو خصوصا لا أدعو إلى غيره وإليه مآب وإليه لا إلى غيره مرجعي أنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكاركم
وكذلك أنزلناه ومثل ذلك الإنزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار بدار الجزاء حكما
عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي
ولا واق كانوا يدعون رسول الله إلى أمور يوافقهم عليها منها أن يصلي إلى قبلتهم بعد ما حوّله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين ما هو

الاهواء

إلا أهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر وأهلكك فلا يقيك منه واق
وهذا من باب الإلهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلّب فيه وأن لا يزل زالّ عند الشبهة بعد
استمساكه بالحجة وإلا فكان رسول الله من شدة الشكيمة بمكان ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية
كانوا يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وكانوا يقترحون عليه الآيات
وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي أزواج وذرية وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح
عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد أي يفرض عليهم على ما يقتضيه
استصلاحهم وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه
ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته أو يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لأنهم مأمورون بكتبة
كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت إيمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت
بعضا من الأناسي وسائر الحيوان والنبات والأشجار وصفاتها وأحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده أم الكتاب أصل
كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت وإما نرينك بعض الذي نعدهم وكيف ما دارت الحال
أريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ فما يجب عليك إلا
تبليغ الرسالة فحسب وعلينا الحساب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم فلا يهمنك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم
أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أرض الكفر ننقصها من أطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب
ونزيد في دار الإسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون
سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا
يضجرك تأخره فإن ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيّب نفسه ونفّس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقّصها
بالتشديد والله يحكم لا معقب لحكمه لا رادّ لحكمه والمعقب الذي يكرّ على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقّبه أي يقفّيه بالرد والإبطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقّب لأنه يقفّي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى أنه حكم للإسلام
بالغلبة والإقبال وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا فإن
قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على
رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره فقال فلله المكر جميعا
ثم فسّر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار لأن من علم ما تكسب كل نفس وأعدّ لها جزاءها
فهو المكر كله لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر أي أهله والمراد
بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من أعلمه أي سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا لما أظهر
من الأدلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن وما ألّف عليه من النظم المعجز الفائت
لقوى البشر وقيل هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح

المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيداً بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب فان قلت بم ارتفع علم الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله ۞

سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك كتاب هو كتاب يعني السورة لتخرج الناس من الظلمات الى النور وقرئ ليخرج الناس والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض وقرئ الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله وويل للكافرين من عذاب شديد والويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا الذين يستحبون مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر وقرأ الحسن ويُصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا واصده قال أناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير التعدي الى التعدي واما اصده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقعوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته فان قلت لم يبعث رسول

الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب عن ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله انزل التورية من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان يكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه في تأويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول

فاينة او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت في سورة البقرة
يذبحون وفي الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب و
بيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس آخر فان قلت كيف كان فعل آل فرعون
بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم
والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير وابلاهما خير البلاء الذي يبلو
وَاِذْ تَاَذَّنَ رَبُّكُمْ من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم اذن ربكم ونظير تأذن واذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد في تفعل من زيادة
معنى ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى واذ تأذن ربكم فقال لَئِنْ شَكَرْتُمْ
او اجرى تأذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربك لئن شكرتم اي لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة
الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لَاَزِيدَنَّكُمْ نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ وغمطتم ما انعمت
به عليكم اِنَّ عَذَابِيْ لَشَدِيْدٌ لمن كفر نعمتي وَقَالَ مُوْسٰى لقومه اِنْ تَكْفُرُوْا اَنْتُمْ يا بني اسرائيل وَمَنْ فِي الْاَرْضِ جَمِيْعًا والناس كلهم فانما ضررتم
انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج فَاِنَّ اللّٰهَ لَغَنِيٌّ والله غني عن شكركم حَمِيْدٌ مستوجب للحمد بكثرة انعمه
وايادية وان لم يحمده الحامدون اَلَمْ يَاْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوْحٍ وَّعَادٍ وَّثَمُوْدَ وَالَّذِيْنَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ اِلَّا اللّٰهُ
والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدا وخبر وقعت اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى
انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ
هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ فَرَدُّوْا
اَيْدِيَهُمْ فِيْ اَفْوَاهِهِمْ فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه
الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا
غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم وَقَالُوْا اِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ اُرْسِلْتُمْ بِهٖ وهذا قول قوي او وضعوها
على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم واسكتوا او ردوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها على
افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي ردوا نعم الانبياء التي هي اجل النعم
من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع والايات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم
ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل وَاِنَّا لَفِيْ شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُوْنَنَآ من الايمان بالله وقرئ تدعونا بادغام النون مُرِيْبٍ موقع
في الريبة او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر قَالَتْ رُسُلُهُمْ اَفِي اللّٰهِ شَكٌّ ادخلت همزة
الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ
وَالْاَرْضِ يَدْعُوْكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوْبِكُمْ اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته
لياكل معي وقال دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا

الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب
المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين
ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها
وَيُؤَخِّرَكُمْ اِلٰى اَجَلٍ مُّسَمًّى الى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت قَالُوْا اِنْ اَنْتُمْ
ما انتم اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس
افضل منهم وهم الملائكة تُرِيْدُوْنَ اَنْ تَصُدُّوْنَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ اٰبَآؤُنَا فَاْتُوْنَا بِسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات
والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين اية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ اِنْ نَّحْنُ اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ تسليم لقولهم وانهم بشر
مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على
قولهم وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَمُنُّ عَلٰى مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖ بالنبوة لانه قد علم انهم لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصائص
فيهم قد استأثروا بها على ابناء جنسهم وَمَا كَانَ لَنَآ اَنْ نَّاْتِيَكُمْ بِسُلْطٰنٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ ارادوا ان الاتيان بالاية التي اقترحتموها ليس
الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشيئة الله وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَ امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم
قصدا اوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى
قوله وَمَا لَنَآ اَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّٰهِ ومعناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وَقَدْ هَدٰىنَا سُبُلَنَا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو
التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل قلت الاول لاستحداث التوكل
وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم وَلَنَصْبِرَنَّ عَلٰى مَآ اٰذَيْتُمُوْنَا
وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُوْنَ وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ اَرْضِنَآ اَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِيْ مِلَّتِنَا ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك
فان قلت كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا
تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عرفت اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا
في الخطاب الجماعة على الواحد فَاَوْحٰٓى اِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظّٰلِمِيْنَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْاَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي
اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه
لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي عليه الصلوة والسلام من اذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا
في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء
خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويامرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا
شكرا لله ذٰلِكَ اشارة الى ما قضى به الله من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق لِمَنْ خَافَ
مَقَامِيْ موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيمة او على اقامة المقام وقيل خاف قيامي عليه و
حفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين وَخَافَ وَعِيْدِ وَاسْتَفْتَحُوْا واستنصروا الله على اعدائهم ان

فقد جاءكم الفتح اذ استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف
على اوحى اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار
عنيد معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق
والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد من وراءه من بين يديه قال
عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد بجهنم فكانها بين يديه وهو
على شفيرها او وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف فان قلت علام عطف ويسقى قلت على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى
فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فان قلت ما وجه
قوله من ماء صديد قلت صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار
يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي
لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان كأن اسباب الموت واصنافها كلها قد تألبت عليه واحاطت
به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة وما هو بميت
ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس
وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول
الله فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد اهل النار
واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل واممهم مثل الذين كفروا بربهم هو مبتدأ محذوف
الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة
مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم او هذه الجملة
خبر للمبتدأ اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين
كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر اشتدت به الريح في يوم عاصف وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم
وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة
المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير
ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد
طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر
من الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب الم تر ان
الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض
ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف
شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنس ضده وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر بل هو

قوله ٢ وقيل واستفتح الكفار اي الضمير في قوله واستفتحوا يكون عائدا الى الكفار لئلا يحتاج الى تقدير معطوف عليه محذوف في قوله وخاب بل يكون معطوفا على استفتحوا وعلى الاول كان الضمير في استفتحوا للرسل فاحتيج الى الاضمار المذكور

شعر اسبعت على لفظ الخطاب لان الشاعر يبشر رجلا بحزونا بالفرج وزوال الحزن وقرب الكشف

قوله ٣ تفظيعا مفعول له عامله محذوف اي قال ذلك القول تفظيعا

قوله ٥ على تقدير يعني ان قوله اعمالهم بدل اشتمال من مثل والمضاف محذوف من البدل والتقدير مثل الذين كفروا مثل اعمالهم فان قدر اعمال في الاول فهو بدل الكل والا فهو بدل الاشتمال

قوله ٦ ويجوز اي على تقدير حذف الخبر اي فيما يقص عليكم مثل اعمال الذين كفروا وهذا ايضا على مذهب سيبويه

٧ سكرت الريح تسكر سكورا سكنت بعد الهبوب وليلة ساكرة اي ساكنة

هين

[illegible]

هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف
كتحريكك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترضك دونه صارف وهذه الآية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم خطائهم في الكفر بالله
لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء
وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء
وبرزوا لله ويبرزون يوم القيامة وانما جيء به بلفظ الماضي لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب
الجنة ونادى اصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند
ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية
او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فان قلت لم كتب الضعفاء بواو قبل الهمزة قلت كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة
فيميلها الى الواو ونظيره علماء بني اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام والذين استكبروا ساداتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم
وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم انا كنا لكم تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب او ذوي تبع
والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فان قلت اي فرق بين من في عذاب الله وبينه من في شيء قلت الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه
قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض
عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله قالوا لو هدانا الله لهديناكم فان قلت فما معنى قولهم لو هدانا الله لهديناكم قلت الذي قال
لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون
على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم
واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الآخرة كما
كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ويجوز
ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب
لهديناكم اي لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا
الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم وروي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام
فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا فان قلت كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله قلت اتصاله
به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب
الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والامر من ذلك اطم اولما
قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم واجبناكم اتبعوه الاقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص اي منجا ومهرب جزعنا ام
صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كأنه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص يكون
مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد وقال الشيطان لما قضي الامر لما قطع
الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الآخر النار وروي ان الشيطان يقوم عند ذلك

قوله كتحريكك اصبعك هذا التشبيه بعيد عن الصواب فكانه اشارة الى مذهبه وهو ان العبد قادر وان افعال العباد مخلوقة لهم

٦ يجوز ان يقال ونظائره عطف على قوله ونادى او ونحوه ونادى وامثاله ويجوز ان يقال ونظائره مبتدأ خبره له

فيما ذكره المصنف نظر لانه يلزم على الوجهين تقديم الحال على المجرور لان قوله شيء حال ... ان يقول من الثانية زائدة والاولى للتبعيض او التبيين واذا كان الجار زائدا لا يمتنع تقديم الحال على المجرور او الزائد لا اعتداد به كما يمنع من عملها بعده فيما قبله

اي ان المتبوعين للتابعين

وركه اذا نسبه اليه

اي على انهم يقولون في الآخرة كما يقولون في الدنيا

نظيره في تجويز ان يكون من كلام يوسف ومن كلام امرأة العزيز

خطيبا في الأشقياء من الجن والإنس فيقول ذلك إن الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم
ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فأقسركم على الكفر والمعاصي وألجئكم إليها إلا أن دعوتكم
إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم إلا الضرب فاستجبتم لي فلا
تلوموني ولوموا أنفسكم حيث اغتررتم بي وأطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم وهذا دليل على أن الإنسان يختار الشقاوة
أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكين ولا من الشيطان إلا التزيين ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا
أنفسكم فإن الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه فإن قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين
الله بطلانه وأظهر إنكاره على أنه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام ألا ترى إلى قوله إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم
فأخلفتكم كيف أتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان
إلا من اتبعك من الغاوين ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والإصراخ الإغاثة و
قرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول: قال لها هل لك يا تا في ... قالت له ما أنت بالمرضي. فكأنه قدر
ياء الإضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لأن ياء الإضافة لا تكون إلا
مفتوحة حيث قبلها ألف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء فإن قلت جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لأجل الإدغام فكأنها ياء وقعت
ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الأصل قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل
إليه القياسات ما في بما أشركتمون مصدرية ومن قبل متعلق بأشركتموني يعني كفرت اليوم بإشراككم إياي من قبل هذا اليوم
أي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره بإشراكهم إياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون
الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول
شركت زيدا فإذا نقلت بالهمزة قلت أشركنيه فلان أي جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى إشراكهم الشيطان
بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان وغيرها وهذا آخر قول إبليس وقوله إن الظالمين لهم عذاب أليم قول الله عز وجل
ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس وإنما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد
لما لا بد لهم من الوصول إليه وأن يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم
وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم
بمعنى وأدخل أنا وهذا دليل على أنه من قول الله لا من قول إبليس بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام بإذن ربهم متعلق بأدخل أي أدخلتهم
الملائكة الجنة بإذن الله وأمره فإن قلت فبم يتعلق في القراءة الأخرى وقولك وأدخلهم أنا بإذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه
القراءة أن يتعلق قوله بإذن ربهم بما بعده أي تحيتهم فيها سلام بإذن ربهم يعني أن الملائكة يحيونهم بإذن ربهم ألم تر كيف ضرب الله
مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة وقرئ ألم تر ساكنة الراء كما قرئ من يتق وفيه ضعف كيف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة
نصب بمضمر أي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الأمير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ونحوه

ان

أن ينتصب مثلا وكلمة بضرب أي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هي كشجرة
طيبة أصلها ثابت يعني في الأرض ضارب بعروقه فيها وفرعها وأعلاها ورأسها في السماء ويجوز أن يريد وفروعها على الاكتفاء
بلفظ الجنس وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها فإن قلت أي فرق بين القراءتين قلت قراءة الجماعة أقوى معنى لأن في قراءة أنس
أجريت الصفة على الشجرة وإذا قلت مررت برجل أبوه قائم فهو أقوى معنى من قولك مررت برجل قائم أبوه لأن المخبر عنه إنما هو الأب لا رجل
والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة أن لا إله
إلا الله وأما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم إن الله ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي
أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم ويروى فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت
قلتها لكانت أحب إلي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إنها النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه
في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي أكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت
وقته الله تعالى لإثمارها بإذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام
وتذكير وتصوير للمعاني ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة أي صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة
طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة وأما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك
وقوله اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار وقيل اجتثت من فوق الأرض في مقابلة قوله أصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت
وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها ما لها من قرار أي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد
بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى إنما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة أنه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة
خبيثة فقال ما أعلم لها في الأرض مستقرا ولا في السماء مصعدا إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها يوم القيامة يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت إليه نفسه
وتثبيتهم به في الدنيا أنهم إذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم
بأمشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الآخرة أنهم إذا سئلوا عند تواقف الأشهاد عن معتقدهم ودينهم
لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك
فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وإنما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا
إنا وجدنا آباءنا على أمة فإضلالهم في الدنيا أنهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شيء وهم في الآخرة أضل وأذل ويفعل
الله ما يشاء أي ما توجبه الحكمة لأن مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن إضلال
الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند زللهم ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا أي شكر نعمة الله كفرا لأن

شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم
تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها
فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لابلائهم الرحلتين
فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر فقد ذهبت عنهم النعمة وبقي
الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية
فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك
جهنم يصلونها وبئس القرار وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله وقرئ ليضلوا بفتح
الياء وضمها فان قلت الضلال او الاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت لما كان الضلال او الاضلال
نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب
قل تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مامورون به قد امرهم امر مطاع لا يسعهم
ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم
الى النار ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار قل لعبادي الذين امنوا يقيموا
الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه
وتقديره قل لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وجوزوا ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا
ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء
بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف
اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب
والخلال المخالة فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون
اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا لياخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها او
خيرا منها واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون المخلصون
فبعثهم عليه لياخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات
والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع الله الذي خلق السموات والارض وانزل
من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم الله مبتداء والذي خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا
هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول ونصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق وسخر
لكم الفلك لتجري في البحر بامره بقوله كن وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدابان في سيرهما وانارتهما
ودرءهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم

وسبابكم واتيكم من كل ما سالتموه من للتبعيض اي اتاكم بعض جميع ما سالتموه نظرا في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما
سالتموه نفي ومحله النصب على الحال اي اتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز ان يكون ما موصولة على واتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم
تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سالتموه او طلبتموه بلسان الحال وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تحصروها
ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله ان الانسان
لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع و
الانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد يعني البلد الحرام
امنا ذا امن فان قلت اي فرق بين قوله اجعل
هذا بلدا امنا وبين قوله اجعل هذا البلد امنا قلت قد سال في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يامن اهلها ولا يخافون وفي الثاني
ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام و
قرئ واجنبني وفيه ثلث لغات جنبه الشر وجنبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني
والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبني اراد بنيه من صلبه سئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد
من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا
حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت رب
انهن اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن
اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني
اي هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم
واوصافهم ومن عصاني فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصيانه اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني
فيما دون الشرك ربنا اني اسكنت من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون
فيه شيء من زرع قط كقوله قرانا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير وقيل للبيت المحرم لان الله
حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب او
لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه عند بيتك المحرم
ربنا ليقيموا الصلوة اللام متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة
عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع
مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة
التي اثرت بها سكان حرمك فاجعل افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال
افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليها حتى الروم والترك والهند ويجوز ان يكون للابتداء كقولك
القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الاية نكرة ليتناول بعض الافئدة

وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم أدر في أدؤر والثاني ان يكون اسم فاعل من أفدت الرحلة
اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ أفدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه
ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون من أفد تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله • يهوي مخارمها هوي الاجدل
وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه وأهواه غيره وتهوى اليهم من هوي يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي تعديته
وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات
حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوته فجعله حرما آمنا تجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا
من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى
الأعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد
وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم ورزقنا طرفا من سلامة
ذلك القلب السليم ربنا النداء المكرر دليل التضرع واللجاء الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت
فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا
ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا
لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم
رفع حاجته الى كريم فابطأ عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائل ولكن ذا الحاجة
لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق
وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت
اذا لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلام كقوله
وكذلك يفعلون او من كلام ابراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق كأنه قيل وما يخفى عليه
شيء ما الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله اني على ما ترين من كبري • اعلم من حيث
توكل الكتف وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو
ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير انه لم يولد لابراهيم الا بعد مائة و
سبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب
الياس من اجل النعم واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابراهيم ان ربي لسميع الدعاء كان
قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من اجابته فان قلت ما هذه الاضافة اضافة السميع الى
الدعاء قلت اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا
ضروب زيدا وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا
على الاسناد المجازي والمراد سماع الله رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه

قوله هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما أذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن فان قلت

علم

علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين ربنا وتقبل دعاء اي عبادتي واعتزلكم وما تدعون
من دون الله ربنا اغفر لي ولوالدي وفي قراءة ابي ولابوي وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد يعني اباه وقرأ الحسن بن علي ولولدي
يعني اسمعيل واسحق وقرئ ولولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد في اسد وفي بعض المصاحف ولذريتي
فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد
بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا
لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابراهيم وللمؤمنين يوم يقوم الحساب اي يثبت وهو مستعار
من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوءها كانها قامت
على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسأل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد
احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه وعن
ابن عباس انه قال كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابراهيم ربنا اني اسكنت من ذريتي الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها
رزقا للحرم فان قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون قلت ان كان خطابا لرسول الله ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين
ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه
عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد
ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن
يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال لهذا فغضب وقال انما قاله
من علمه انما يؤخرهم وقرئ نؤخرهم بالنون والياء ليوم تشخص فيه الابصار اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى
مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف مقنعي رؤسهم رافعيها
لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان
او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء الهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء
اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جراءة ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير • من الظلمان جؤجؤه هواء • لان النعام مثل في
الجبن والحمق وقال حسان • فانت مجوف نخب هواء • وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف
لا عقول لهم وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل
يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب
نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات
ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق اولم تكونوا اقسمتم
من قبل على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوا بلسان الحال

حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا او ﴿ما لكم من زوال﴾ وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل
ما لنا والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا
بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا﴾ يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم
في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وغني فيها واقام فيها ولكنه لما
نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون سكن من السكون اي قروا فيها واطمأنوا طيبي
النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا
﴿وتبين لكم﴾ بالاخبار والمشاهدة ﴿كيف فعلنا بهم﴾ كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون ﴿وضربنا لكم
الامثال﴾ اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم ﴿وقد مكروا مكرهم﴾ اي مكرهم العظيم الذي
استفرغوا فيه جهدهم ﴿وعند الله مكرهم﴾ لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو
مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه
يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون ﴿وان كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال
الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اي وان كان مكرهم مسوّى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها
كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال
الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث
تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما وان كاد مكرهم ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ يعني قوله
انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم
الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من
شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعيف
كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم ﴿ان الله عزيز﴾ غالب لا يماكر ﴿ذو انتقام﴾ لاوليائه من اعدائه ﴿يوم تبدل الارض غير الارض والسموات﴾
انتصابه على البدل من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة
وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم
بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها و
تفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد: وما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التي كنت تعلم. وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل
تخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل
ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون ﴿وبرزوا لله﴾

﴿الواحد القهار﴾ فان قلت كيف قال الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب
لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين﴾
قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله ﴿في الاصفاد﴾ اما ان يتعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد
واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن جندل: وزيد الخيل
قد لاقى صفادا ... يعض بساعد وبعظم ساق. القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع
سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب والجلد بحره وحدته وقد تبلغ حرارته
الجوف ومن شأنه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود
طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص ليجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن
الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله او اوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من
جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من
عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره ﴿سرابيلهم من قطران﴾ كقوله افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على
الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ ﴿ليجزي الله﴾ اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل
نفس ما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم ﴿ليجزي الله﴾
﴿كل نفس ما كسبت﴾ كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب
﴿ولينذروا﴾ معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا ﴿به﴾ بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد
له ﴿وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب﴾ لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى
يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ تلك اشارة الى ما
تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه
كتابا واي قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾
قرئ ربما وربتما وربما بالتشديد وبالضم والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على
الماضي قلت لان المترقب في اخبار الله عز وجل بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود فان قلت متى تكون ودادتهم
قلت عند الموت او يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة
فان قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل
ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل

هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية
لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يبادروا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما
جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا
وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل ذرهم
يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم
ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا ويلههم الامل سوء صنيعهم والغرض
الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ
ولا سبيل الى اتعاظهم فلذلك امر رسوله بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا
يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول
الامل وهذه هجيرى اكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين فسوف يعلمون وما
اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله وما اهلكنا من قرية الا لها
منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم
مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الازلي الى قوله ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون في موضع كتابها وانث
الامة اولا ثم ذكرها اخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال يستأخرون بحذف عنه لانه معلوم وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك
لمجنون قرأ الاعمش يا ايها الذي القي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء
في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين
حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره
ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما
عوري والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او
تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتي الامم المكذبة برسلها ما ننزل الملائكة وقرئ تنزل
بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا
حكمة في ان تأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي عليه السلام لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله عز وجل
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب او الموت وما كانوا اذا منظرين واذن جواب وجزاء
لانه جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والثبات وانه
هو الذي بعث به جبريل الى محمد وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة و نقصان

وتحريف

وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا
فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه فان قلت فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به
قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة و
النقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك ولقد ارسلنا من قبلك في شيع
الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا
فيما بينهم وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون وما يأتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال
ولا على ماض الا وهو قريب من الحال كذلك نسلكه يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه
والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول
كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام يعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل
قوله لا يؤمنون به النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله نسلكه وقد خلت سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله
في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه
يعرجون قرئ يعرجون بالضم والكسر لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون وسكرت حيرت او حبست
من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر اي
حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون
فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم
الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل
على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها
من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين من استرق في محل النصب على الاستثناء والاستثناء منقطع
اي ولكن من استرق السمع وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد منعوا
من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون وزن
بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب
والفضة والنحاس والحديد وغيرها وجعلنا لكم فيها معايش معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فان تصريح
الياء فيها خطاء والصواب الهمزة او اخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف
على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين
واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقكم واياهم ويدخل
فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على
الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور وان من شيء الا عندنا خزائنه ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع

به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما ننزله الا بقدر معلوم وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة
له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور وارسلنا الرياح لواقح لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير
من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح
يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له
بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على
خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهار العجزهم وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون
اي الباقون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم في دعائه واجعله الوارث منا ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين ولقد علمنا من استقدم ولادة
وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين ومن خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم الى الاسلام وسبق الى الطاعة
ومن تاخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستاخرين وروي ان امراة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستاخر ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم اي
هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم
يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون
الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت
فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحما الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب
المفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به
فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حما صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حما وحق مسنون بمعنى مصور
ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر
آخر والجان خلقناه من قبل والجان للجن كادم للناس وقيل هو ابليس وقرا الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله والجان بالهمز
من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها
الجان واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون واذ قال ربك واذكر وقت قوله فاذا سويته
عدلت خلقته واكملتها وهياتها لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه من روحي واحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ
وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين
واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رايتهم
الا هندا وابى ان يكون مع الساجدين استيناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه
ولكن ابليس ابى قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في ان لا تكون مع
الساجدين بمعنى اي غرض لك في ابائك السجود واي داع لك اليه قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون

اللام

اللام في لا سجد لتاكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر قال فاخرج منها فانك رجيم رجيم
شيطان من الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد
من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة او السماء او الى جملة الملائكة وان عليك اللعنة الى يوم الدين
وضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التابيد
واما ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم
عذبت بما ينسى اللعن معه قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة
وقيل انما سال الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك اليوم
وانظر الى آخر ايام التكليف قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم ومعنى اغوائه اياه
تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لادم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع
والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله
بما اغويتني لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق
الفقهاء بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو
ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم بما يكون سبب هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار
الغرور كقوله تعالى ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لادم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو
في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها
اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الاخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه
يخرج في عراقيبها نصلي ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا
يقبلون منه قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين
اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو
الشرف والفضل وان جهنم لموعدهم اجمعين الضمير للغاوين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وقيل ابواب
النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود
والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرا الزهري جز بالتشديد كانه حذف
الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجري الوقف مجرى الوصل ان
المتقين في جنات وعيون المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه اتقوا الكفر

والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها بسلام آمنين على ارادة القول وقرأ الحسن أدخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم و عن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحارث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاءه ابن طلحة فقال له علي رضي الله عنه مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له رجل كلا الله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحاب واخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد يدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم تقريرا لما ذكر و تمكينا له في النفوس وعن ابن عباس رضي الله عنه غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب ونبئهم عن ضيف إبراهيم وعطف على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما قال إنا منكم وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فادوا انك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل قال أبشرتموني على أن مسني الكبر يعني ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي اعجوبة تبشروني او اراد انكم تبشروني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشروني يعني لا تبشروني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا تكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني تباي طريقة تبشروني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة وقوله قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين بشرناك يحتمل ان يكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونن وتبشروني بادغام نون الجمع في نون العماد قال ومن يقنط من رحمة ربه ... يقنط بالحركات الثلث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله فان قلت قوله تعالى قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته

قدرنا

قدرنا إنها لمن الغابرين فان قلت قوله تعالى الا آل لوط استثناء منقطع ام متصل قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثنائين قلت نعم وذلك لان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمى في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم اجمعين بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا امرأته مما استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت لم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وإنا لصادقون منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم وقرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير والقطع في آخر الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم

سرهم ويفوت به ونهوا عن الالتفات ليلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا انفسهم على المهاجرة ويطيبوا بها
عن مساكنهم وامضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال الشاعر
تلفت نحو الحي حتى وجدتني ٭ وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا ٭ او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك
التواني والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة وامضوا حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدي وامضوا الى حيث
وتؤمرون لتعديتهما الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين
وعدي قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع
وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرأ الاعمش ان بالكسر على الاستيناف كأن قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان
دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد وجاء اهل
المدينة يستبشرون اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون اي لا
تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء الى ضيفه او جاره فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم واتقوا الله ولا تخزون لا
تذلون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او لا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم
احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهي عن المنكر والحجز
بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان
يضيف احدا قط قال هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء
بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون
وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم لعمرك على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك
انهم لفي سكرتهم يعمهون اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير
به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وانه اقسم بحيوته وما اقسم بحيوة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الخفة
فيه وذلك لان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله
وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل عليه الصلوة والسلام مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس
فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند
ربك اي معلمة بكتاب ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى
يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط وانها وان هذه القرى
يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون
عليهم مصبحين ان في ذلك لآية للمؤمنين وان كان اصحاب الايكة اصحاب الايكة قوم شعيب عليه الصلوة والسلام لظالمين فانتقمنا
منهم وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة

دل

دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح لانه
يكتب فيه لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر يعني ثمود الحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم
صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذب الجميع او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه
وعن جابر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا
ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها وآتيناهم آياتنا فكانوا
عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين لوثاقة
البيوت واستحكامها من ان تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر او آمنين من عذاب الله
يحسبون ان الجبال تحميهم منه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال و
ان الساعة لآتية وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض
وما بينهما الا لذلك فاصفح الصفح الجميل فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ
بآية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق العليم الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك و
حالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح
الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع
الثياب وقطع الثوب والثياب ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطول واختلف في السابعة
فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي آل حم او سبع صحائف وهي
الاسباع من المثاني والقرآن العظيم والمثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلوة وغيرها او من الثناء
لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة او مثنية صفة للآية واما السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ
والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كانها تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان او للتبعيض اذا
اردت بالسبع الفاتحة او الطول وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها
من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها فان قلت كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشيء على نفسه
قلت اذا عني بالسبع الفاتحة او الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله
بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني
والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية والعظم لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك
طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت النعمة
العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا
ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل

بما أوتي فقد صغّر عظيما وعظّم صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البزّ والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوّينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا لقد اعطيتكم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم يعني ولا تتمنّ اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوّى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان انّ عذاب الله نازل بكم فان قلت بم تعلق قوله كما انزلنا قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضّوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرّت ببعض التورية وكذّبت ببعض والنصارى اقرّت ببعض الانجيل وكذّبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بأنّ غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضّين الذين يجزّؤن القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفّروا الناس عن الايمان برسول الله يقول بعضهم لا تغترّوا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذّاب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيّتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت اذا علّقت قوله كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسّط لا تمدّنّ الى آخره بينهما قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسّف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة وليس دين الله بالمعضّى وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهتّه وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال تقريع وعن ابي العالية يسأل العباد عن خلّتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرّح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان يكون ما مصدرية اي بامرك مصدر من المبني للمفعول واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان

وشرف

وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمرّ بنبّال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظّما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عيني الاسود بن عبد المطلب فعمي واشار الى انف الحارث بن قيس فامتخط قيحا فمات واشار الى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين فسبّح وافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغمّ واعبد ربك ودم على عبادة ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت اي ما دمت حيا فلا تخلّ بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد عليه الصلوة والسلام

سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اي هو بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه روي انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا وقرئ تستعجلوه بالياء والتاء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجلّ عن ان يكون له شريك وان تكون آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالياء والتاء ينزل الملائكة قرئ بالتشديد والتخفيف وقرئ تنزل الملائكة اي تتنزل بالروح من امره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا اي بان الشان اقول لكم انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا الناس بان الامر كذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجرّ اثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره وقرئ يشركون بالياء والتاء خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جمادا لا حسّ به ولا حركة

قوله دلالة منصوب على انه مفعول له من قوله اخرجنا فاذا هو فكانه قال يعني بمفاجأة هو منطيق دلالة على قدرته وكذا قوله وصفا فكانه قال يعني فاذا هو خصيم وصفا او كل منهما مفعول مطلق اي دل دلالة ووصف وصفا ويجوز ان يكون مفعول له ...

دلالة على قدرته والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم والانعام خلقها الانعام الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بفعل يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع هي نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت تقديم الظرف في قوله ومنها تاكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تاكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون من الله بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت بارائحها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء انست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يواري سواتكم وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرا عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله يوما لا تجزي والد وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وقرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت فكيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه قلت طابقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة ان ربكم لرءوف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام فان قلت لم انتصب وزينة قلت لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها فان قلت فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزاين وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا من ها اي خلقها لتركبوها وهي

زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوي عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب الكلام في قوله ومنها جائر قلت ليعلم بما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرا عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر جائر عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون لكم متعلق بانزل او بشراب خبر له والشراب ما يشرب شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ فيه تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات قرئ ننبت بالياء والنون فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات لا يكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرا ابي بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب قال ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون فجمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون وما ذرا لكم معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى قلت مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار عليه ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وتستخرجوا منه حلية

تلبسونها حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها لاجلهم فكانها
زينتهم ولباسهم وترى الفلك مواخر فيه المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح و
لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وابتغاء الفضل التجارة والقى في الارض رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميد
بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على
ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وانهارا وجعل
فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وعلامات هي معالم الطرق
وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك وبالنجم هم يهتدون والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في
ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون و
هو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا فان قلت قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج
عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه
اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار
الزم لهم فخصصوا افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون فان قلت من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو
لاولي العلم قلت فيه اوجه احدها انهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله على اثره
والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث ان يكون المعنى
ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله الهم ارجل يمشون بها يعني ان الالهة حالهم منحطة
عن حال من لهم ارجل وايد واذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف تصح لهم العبادة لا انها لو صحت لهم
هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا فان قلت هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق
مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة
له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر
اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءها ما لا ينحصر ولا ينعد ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء
شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اعمالكم
وهو وعيد والذين يدعون من دون الله والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء
للمفعول لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون نفى عنهم خصائص الالهية
بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم
جاهلون بالغيب ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليها الموت
كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم

بالمشركين

بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه
من لوازم التكليف ووجه آخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز
من عبدتهم اموات جمادات لا حياة فيها غير احياء يعني ان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله
حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حياة وذلك اعرق في موتها وما
يشعرون ايان يبعثون اي وما يعلم هؤلاء الالهة متى تبعث الاحياء تهكما بها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور
ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم
اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء غير باق حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ ايان بكسر الهمزة الهكم اله
واحد يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان تكون الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها فالذين لا يؤمنون بالاخرة
قلوبهم منكرة فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم
مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون لا جرم حقا ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم
وهو وعيد انه لا يحب المستكبرين يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت
عمومه واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ماذا منصوب بانزل اي اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء
بمعنى اي شيء انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير الاولين ما يدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير
الاولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع فان قلت هو كلام متناقض لانه لا يكون منزل ربهم واساطير الاولين قلت هو
على السخرية كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة
ينفرون عن رسول الله اذا سألهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله قالوا احاديث الاولين واباطيلهم ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون ليحملوا اوزارهم اي قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا
عن رسول الله فحملوا اوزار ضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان
هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا نحو قولك خرجت من البلد
مخافة الشر بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه
وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من
القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون القواعد اساطين البناء التي تعمده وقيل الاساس
وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا
وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا
وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة الاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر
عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتيان الله اتيان امره من القواعد من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون
ولا يتوقعون وقرئ فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا انك

من تدخل النار فقد اخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الاخرة ويقول اين شركائي شركائي على الاضافة الى نفسه
حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في
شانهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم
هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك
شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين
تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قرئ تتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء في التاء فالقوا السلم
فسالموا واخبتوا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر
والعدوان فرد عليهم اولوا العلم بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا
ابواب جهنم فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا
خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين خيرا انزل خيرا فان قلت لم نصب هذا
ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا
مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من
الانزال في شيء وروي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون
وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد وان اراه
فيلقى اصحاب رسول الله فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا
حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدا عدة للقائلين
ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم ولهم في الاخرة ما هو خير منها كقوله فاتاهم الله
ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره جنات عدن يدخلونها
تجري من تحتها الانهار وجنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي
الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون
سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك الموت
فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرا عليك السلام وبشره بالجنة هل ينظرون الا ان تاتيهم بالياء والتاء يعني ان
تاتيهم لقبض الارواح الملائكة او ياتي امر ربك العذاب المستاصل او القيامة كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك
والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير
فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله وجزاء سيئة
سيئة مثلها وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء
هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم ومعصيتهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث

٢ ومعنى تشاقون يكونون في جانب والمسلمون في جانب لا يكونون معهم يدا واحدة ه

اي من امم الكافرين ه

٧ اي القول محذوف تقديره فالقوا السلم قائلين ما كنا وقوله بلى استيناف والقول معه مقدر فكانه قيل ماذا قال الذين اوتوا العلم حين جحد الكافرون فقيل قالوا بلى ه

ص تلعثم الرجل في الامر اذا تمكث فيه وتانى ه

٣ المقتسمون هم الذين يقتسمون طرق مكة ويقعد كل واحد منهم على طريق يمنعون الوافدين على الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الاسلام بالطعن فيه ه اللام في الوافد للعهد والمراد به من ياتيهم ه

ك اي يكون قوله احسنوا وما بعده كلاما مبتدا من الله تعالى وعدا للقائلين خيرا والمراد بقوله تعالى احسنوا على هذا الوجه هو هذا القول الخير ه

واستعجاله

واستعجاله والاستهزاء بهم وتكذيبهم وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل الله
من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم
اي اشركوا وحرموا حلالا كما فعلوا فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا ان
يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال
العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه
ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ابطال قدر الشر ومشيئة الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم
رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف
به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر
لا ياتي منه خير فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فسيروا فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة
في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم
من ناصرين ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا يهدي من
يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يهدي اي لا
يقدر احد على هدايته وقد خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي هو نقيض
النصرة ويجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة ابي فان الله لا هادي لمن اضل ولمن ضل
وهي معاضدة لمن قرا لا يهدى على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله يهدي بادغام تاء يهتدي وهي معاضدة للاولى وقرئ
يضل بالفتح وقرا النخعي ان تحرص بفتح الراء وهي لغة واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت واقسموا بالله معطوف على وقال
الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توريكهم ذنوبهم على مشيئة الله وانكارهم البعث
مقسمين عليه بلى وعدا عليه حقا وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان بلى ايجاب لما بعد النفي اي بلى يبعثهم ووعد بذلك وعدا وحقا صفة
من الله وبين ان الوفاء بهذا الوعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله
لانهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم الذي يختلفون فيه ليبين لهم متعلق
بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين
كفروا انهم كانوا كاذبين كذبوا في قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق
بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب انما
قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون قولنا مبتدا وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى
الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان
مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المامور به عند امر الامر المطاع اذا ورد على المامور المطيع الممتثل
ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله عز وجل بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات وقرئ

قوله لان الشرك والمعاصي بمذهبه فالمصنف خلط الحق بالباطل في تفسيره معنا ه

قوله لانه مريد علة اللطف والخذلان على مذهبه ه

عـ هذا التفسير بناه على مذهبه ولا تدل عليه الاية لكن المصنف جعل قوله حيث افعل وجه ما ذكره يعني لو كنت قدرته او شئته لما فعلت بهم ذلك ه

٥ قال رضي الله عنه القسم بالكسر الحظ والنصيب والمقسوم وبالفتح الفعل وهو المصدر والقسم بالفتح مصدر قسم المقتسم المال بين الشركاء والقسم بالكسر النصيب مثل الطحن والطحن بالكسر الدقيق

٣ قوله لانه عبث وقوله لانه من قبيل القبائح

فيكون عطفا على يتوكل والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون والذين هاجروا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بمكة بعد هجرة رسول الله وكلما خرجوا اتبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف وقد خافه في حقه الله ولوجه حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة و في قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الاخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهولاء المستضعفين في ايديهم الدنيا والاخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون اي هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رأسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا لا نوحي اليهم على السنة الملائكة فاسئلوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا فان قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحي اي يوحي اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فاسئلوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم يعني ما نزل الله اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فينتبهوا ويتاملوا افأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم او يأخذهم في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته اذا تنقصته قال زهير • تخوف الرحل منها تامكا قردا • كما تخوف عود النبعة السفن • اي يأخذهم على ان يتنقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك في

اشعارها

اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم فان ربكم لرءوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون قرئ اولم يروا وتتفيؤ بالتاء والياء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤ ظلاله واليمين بمعنى الايمان وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء اولان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم فان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد فان قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم غالبا لهم قاهرا كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي فارهبون نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله فاياه فارهبوه ومن ان يجيء ما قبله على لفظ المتكلم وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك

تكليفا او ولد الجزاء دايما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب وما بكم من نعمة فمن الله واي شيء حل بكم او اتصل
بكم من نعمة فهو من الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة
قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم ثم اذا كشف
الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى
من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم
من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم
انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم
في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز
ان يكون ليكفروا فيمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم لما لا
يعلمون اي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها
جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذن جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا
في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم تالله لتسألن وعيد عما كنتم تفترون من انها في زعمكم
آلهة وانها اهل للتقرب اليها ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من
نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا
على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ظل بمعنى صار كما يستعمل بات
واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجيء ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس
وهو كظيم مملوء حنقا على المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من اجل سوء المبشر به ومن اجل
تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسك ما بشر به ايمسكه على هون على هوان وذل ام يدسه في التراب ام يئده وقرئ ايمسكها
على هون ام يدسها على التانيث وقرئ على هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون
لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد
الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين
والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم وهو الجواد الكريم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك
عليها اي على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا
يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره
بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وعن ابن عباس رضي الله عنه من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون
لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون بها لا تهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم

اكرمها وتصف السنتهم الكذب مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله تعالى ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه
قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة اذا قال الله هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب و
انواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحيي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية
وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم
ان لهم النار وانهم مفرطون قرئ بفتح الراء وكسرها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من
افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف
من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان
اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم
فيها او فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال
الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير
الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم
لانهم منهم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام
على التبيين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل والذي اختلفوا فيه البعث
لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشياء من التحريم والتحليل والانكار والاقرار والله انزل من السماء ماء
فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع وان
لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات
النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون ذكر سيبويه الانعام في باب
ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة
المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كالاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا
لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه
في معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم لبنا خالصا اي
يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا
رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه
دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع وتبقى الفرث في الكرش فسبحان
الله ما اعظم قدرته وما الطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث
ودم سائغا للشاربين سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين

فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا و
الثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدي فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض
ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين فرث ودم الا ترى انه لو تأخر فقيل لبنا من بين فرث
ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك
البول بهذه الاية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا فان قلت بم
تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف
لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا ورزقا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او تعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف
للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله. بكفي كان من ارمي البشر. تقديره ومن
ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان قلت فالام
يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفا مكررا قلت الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى او هم قائلون الى الاهل
المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال. وجاؤنا بهم سكر علينا. فاجلى اليوم
والسكران صاحي. وفيه وجهان احدهما ان تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني ان يجمع بين العتاب والمنة
وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد
السكر ويحتج بهذه الاية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي
قدس الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد
صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فتسخ في المروءة وقيل السكر الطعم وانشد. جعلت اعراض الكرام سكرا. اي تنقلت باعراضهم
وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك في اعراض الناس فكأنه تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان
يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن واوحى ربك الى النحل الايحاء الى النحل الهامها والقذف
في قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير امرها واصابتها فيما
يصلحها دلائل بينة شاهدة على ان الله اودعها علما بذلك وفطنها كما اولى اولي العقول عقولهم وقرأ يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين
وهو مذكر كالنحل وتأنيثه على المعنى ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون هي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول
بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت
من الاماكن التي تتعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فان قلت ما معنى من في قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون
وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت اريد معنى البعضية وان لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها ثم
كلي من كل الثمرات احاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد اكلها اي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهيها فاذا اكلتها
فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي الهمك وافهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل
فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ مآكلك او اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك

تجرسها اي تاكلها والجرس اكل النحل ثمارها تصوت عند الاكل وسميت النحل جوارس ٥

اي تحيل الله تعالى اي تغير ٥

اسلك يدك في جيبك اي ادخل ٥

راجعة

راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في
طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل
لان الله ذللها لها ووطأها وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت
به غير ممتنعة يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون شراب يريد
العسل لانه مما يشرب مختلف الوانه منه ابيض واصفر واحمر واسود فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة
النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم
الشفاء الذي فيه او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه
العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ
كانما انشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن
والعسل ومن بدع تأويلات الرافضة ان المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من
بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة
من اضاحيكهم والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله
عنه وتسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير ليصير الى حالة
شبيهة بحال الطفولة في النسيان وان يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا
وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما
ملكت ايمانهم فهم فيه سواء اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي
ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون بعد ذلك فما رئي عبده الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره
من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون
بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي
لي شركاء وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا يحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم
شيئا من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم وقرئ تجحدون بالياء والتاء والله جعل لكم من انفسكم من جنسكم
ازواجا وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع
في الطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال. حفد الولائد بينهن واسلمت. باكفهن ازمة الاجمال. واختلف
فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي
خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم لقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم
منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اي جامعون بين الامرين ورزقكم من الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة و

طيبات الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو
الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن وبنعمت الله هم يكفرون و
نعمة الله تعالى المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا
يتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم ويعبدون من دون
الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان
اردت المصدر نصبت به شيئا كقولك او اطعام يتيما على لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه
بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تاكيدا للا يملك اي لا يملك شيئا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا
بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى
الالهة بعدما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولوا الالباب
من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شيء واحد قلت ليس
في لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم موات الا ان يقدر الراجع
ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم
فلا تضربوا لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة ان الله يعلم
كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذاك
هو الذي جركم اليه وجرأكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب
الامثال وانتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه
سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان كمثل من سوى بين
عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء فان قلت لم قال مملوكا لا
يقدر على شيء وكل عبد مملوك غير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا
لانهما من عباد الله واما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد
هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي قلت الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا
رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة فان قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوي الاحرار والعبيد وضرب
الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل
وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لا يأت بخير لم ينفع ولم يأت
بنجح هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل اي هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس
بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده و
يشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه

قوله ٢ لم يتوصلوا اليه بيان كونه باطلا وذلك القول في الدين من غير دليل يكون باطلا ه

قوله ٣ كانه شيء متعلق من حيث المعنى بقوله الا به لانه في معنى يؤمنون به شبيها بالمعلوم المستيقن عندهم ه

٤ اي لا يملك ملكا شيئا فيكون صفة مصدر محذوف للتاكيد ه

٦ وعلى هذا الوجه الواو حال اي والحال انهم لا يستطيعون شيئا من ذلك في كون الواو حالا نظر والصواب ان يقال انه جملة معترضة لتاكيد نفي الاستطاعة عن الالهة ه

قوله ٤ بعد ما ظرف لقوله لما اي الضمير حصل او استقر لما بعد قوله لا يملك فكانه اعتبر معنى ما في لا يستطيعون بعد ما اعتبر لفظه في قوله لا يملك فقوله بعد في مقابلة لما وقوله على اللفظ في مقابلة لانه الى اخره فكانه قال الضمير في لا يستطيعون يعود الى ما باعتبار معنى ما وفي لا يملك يعود الى ما باعتبار لفظه ه

٥ اي ضمير مفعول وانما عبر عنه بقوله راجع لانه لو كان ضمير مفعول لكان راجعا الى الرزق ه

قوله ١ كنهه اي كنه ما تفعلون كنه عقاب ما تفعلون اي العقاب الذي تستحقون على ما تفعلون ه

قوله ٢ فهو اي ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ه

قوله ٣ ويجوز ان يراد وعلى هذا المراد بضرب المثل بيان الشبه والصفة العجيبة الشأن كما في قوله ضرب الله مثلا ثانية تنظر ه

قوله ٩ ثم علمهم اي علمهم جواب كيف يضرب الامثال ه

من

من قولهم ايتما اوجه الق سعدا وقرأ ابن مسعود اينما يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما
غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع
عليه احد منهم وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح
البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف
سنة مما تعدون اي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين
والآخرين تكون في اقرب وقت واوحاه ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات
ثم دل على قدرته بما بعده والله اخرجكم من بطون امهاتكم قرئ امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امات كما زيدت في اراق فقيل اهراق
وشذت زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم
الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون
معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته
والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة
اذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى الم يروا الى الطير قرئ بالياء والتاء مسخرات مذللات
للطيران بما خلق الله لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك في جو السماء والجو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو
والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
والله جعل لكم من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها سكنا والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه
وينقطع اليه من بيت او الف وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها ترونها
خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون
في مكان لم يثقل عليكم ضربها او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت ومن اصوافها واوبارها
واشعارها اثاثا ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون
والله جعل لكم مما خلق ظلالا من الشجر وسائر المستظلات وجعل لكم من الجبال اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت
المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف وجعل لكم سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم
الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقل ما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر
على البرد وسرابيل تقيكم بأسكم يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على كل ما كان من حديد وغيره كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم
تسلمون اي تنظرون في نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب
او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فلم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فقد تمهد
عذرك بعدما اديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمت الله التي عددها
حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم

ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر ويوم نبعث من كل امة شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل ترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن رحمه الله ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا رأى الذين ظلموا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون ان ارادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاءنا آلهتنا التي دعوناها شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعوا بمعنى نعبد فان قلت لم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا او كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله من الشرك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتموني من قبل والقوا الى الله يومئذ السلم يعني الذين ظلموا والقوا السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احديهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين تبيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن فان قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء قلت المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله لامته اتباع اصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده

فجعل

فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت افلح الرجل ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضوان الله عليه اقيمت هذه الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم عهد الله هي البيعة لرسول الله على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ولا تكونوا في نقض الايمان كالمرأة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم تتخذون حال ودخلا احد مفعولي اتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ان تكون امة اي بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون وليبين لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسألن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسألون عنه ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بما صددتم بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله عز وجل بقوله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا

بما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد ما عندكم من اعراض الدنيا
ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقرئ ولنجزين بالنون
والياء الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن
طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة فان قلت من متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما من عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مؤمن قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى
على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا فلنحيينه حيوة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون
وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا
كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله
واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنأ بعيشه وعن
ابن عباس الحيوة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق
في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ايذانا بان الاستعاذة
من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا
وجوهكم وايديكم وكقولك اذا اكلت فسم الله فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل قلت لان الفعل يوجد عند القصد
والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبرئيل
عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون له سلطان اي تسلط وولاية على اوليائه
يعني انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على الذين يتولونه على من يتولاه ويطيعه والذين هم
به مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان بسببه واذا بدلنا آية مكان آية تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى
ينسخ الشرائع بالشرائع لانها اما تعبدات ويجوز له ان يتعبد عباده كل وقت بما اراد واما مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان
يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله
اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ
وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق
بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة فان قلت هل في ذكر
تبديل الآية بالآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس قلت فيه ان قرآنا ينسخ بمثله وليس
فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن فنسخه بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها
فلا يصح نسخ القرآن بها وفي ينزل وتنزل وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب اقتضاء الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل
من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة قل نزله روح القدس من ربك وروح القدس

جبريل

جبرئيل صلوات الله عليه اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد
الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق
ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب
على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى للمسلمين وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت
والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم
انهم يقولون انما يعلمه بشر ارادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عائش او يعيش وكان
صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التورية
والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل
هو سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي واللسان اللغة ويقال الحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن
الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها
لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين
ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف
اللسان فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها لانها مستانفة جواب لقولهم ومثله قوله
الله اعلم حيث يجعل رسالته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله
اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب
في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب
بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين
لا يؤمنون اي اولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب او اولئك هم الذين
عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بالله من
بعد ايمانه من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري
الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال و
لكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ويجوز ان يكون بدلا
من المبتدا الذي هو اولئك على ومن كفر بالله بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذي هو الكاذبون على واولئك هم من كفر بالله من بعد
ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر
بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم
فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب
وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما

اول فتيلين في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ
ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك
ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا فان قلت اي الامرين
افضل افعل عمار ام فعل ابويه قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين
فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول فيّ قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال
ما تقول فيّ قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما
الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له **ذلك بأنهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين**
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم
الخاسرون ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله
بكفرهم واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها
ثم ان ربك للذين هاجروا دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى
انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور **من بعد ما فتنوا** بالعذاب
والاكراه على الكفر **ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم** وقرئ فتنوا على البناء للفاعل اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي
واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر **يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون**
يوم تأتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت فما معنى النفس المضافة الى النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره
والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره
كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك **وضرب الله مثلا قرية كانت**
آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وضرب الله مثلا
قرية اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان تراد
قرية مقدرة على هذه الصفة وان يكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا
يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء
كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان
قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما
الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر
واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس
ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما
ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن

احدها

احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال
استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال
لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن
بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار
في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا **ولقد جاءهم**
رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ
بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
اصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع **فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون**
لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء في قوله فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية و
مذاهبهم الفاسدة الباطلة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه تعبدون
يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاؤكم عنده **انما حرم عليكم الميتة والدم و**
لحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب
هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل
ولهم عذاب اليم ثم عدد عليهم محرمات الله تعالى ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على
لسان انبيائه ~~ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب~~ ومحرم على ازواجنا وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب
لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك
الوصف الى وحي من الله او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام
بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام
ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام
لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج
ودعوى فارغة فان قلت ما معنى وصف السنتهم الكذب قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كان عين الكذب ومحضه
فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب
بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل و
الحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك
كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا على الله الكذب من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدا محذوف
اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم **وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما**
ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام **ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة**

ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير
عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد التوبة إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا
ولم يك من المشركين كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله وليس من الله بمستنكر ان
يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس ليأخذوا
منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس
اماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت له غلطت انما هو ابراهيم
عليه الصلوة والسلام فقال الامة الذي يعلم الناس الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه
انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة
امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله
لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلمو الخير والقانت القائم بما امره الله والحنيف المائل الى
الاسلام غير الزائل عنه ولم يك من المشركين نفي عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم شاكرا لأنعمه روي انه كان لا يتغدى
الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم
جذاما فقال الان وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه إلى صراط مستقيم
الى ملة الاسلام وآتيناه في الدنيا حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال
والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم وإنه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم أوحينا إليك أن اتبع
ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان
بان اشرف ما اوتي خليل الله ابراهيم عليه السلام من الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول الله ملته من قبل انها دلت على
تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله عليه بها إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك
ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما
جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب
عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في
ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة
طاعته فان قلت فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين
تارة ومحرمين اخرى ووجه آخر وهو ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فأبوا
عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم
في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع امر الله
الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله قردة دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة

فيجازي

فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت
على البناء للفاعل وقرأ عبد الله انا انزلنا السبت ادع إلى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي
الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا تخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز
ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي أحسن بالطريقة التي هي احسن طرق
المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ان ربك
هو اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكأنك تضرب منه في حديد
بارد وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل ونحوه
فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روي ان المشركين
مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به فوقف رسول الله على حمزة وقد مثل به وروي
فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف
عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع
الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن
المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كأنه قيل والصبر خير للصابرين ونحوه قوله
عز وعلا فمن عفا واصلح فأجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله عليه السلام واصبر انت فعزم عليه بالصبر
وما صبرك إلا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك ولا تحزن عليهم اي على الكافرين كقوله تعالى فلا
تأس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق مما يمكرون وقرئ ولا تكن في ضيق اي
ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين
كالقيل والقول إن الله مع الذين اتقوا اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي والذين هم محسنون وولي الذين
هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم
سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم
تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة واحدى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى
سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل
فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف
فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسرى به
في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة

عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرئيل بالبراق وقيل اسري به من دار ام هاني بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروي انه كان نائما في بيت ام هاني بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هاني وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هاني بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وفيهم من سافر اليه فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما رأى في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف في انه كان في اليقظة ام في المنام فعن عايشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد محمد ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رآها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة لنريه من آياتنا وقرأ الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغايب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا اي لا تتخذوا وقرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروي عنه انه فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة في انجاء آبائهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظمأني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو

ولوشاء

ولو شاء حبسه وروي انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التوراة ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا اولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم عليهما السلام فاذا جاء وعد اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وعلا اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمهم فجاسوا خلال الديار واسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند اليهم وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلل الديار فان قلت ما معنى وعد اوليهما قلت معناه وعد عقاب اوليهما وكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين اي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراءهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاها فاذا جاء وعد الآخرة اي وعد المرة الآخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن وليسوءن وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة واللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جاء وليتبروا ما علوا تتبيرا ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه

وعلى آنفهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من
العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيمة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا
كما يبسط الحصير المرمول ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة وايتما
قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرئ ويبشر بالتخفيف فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار
والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك شقي وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين
بعد ذلك فان قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون قلت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين ببشارتين
اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين لا يؤمنون بالآخرة معذبون وان الذين لا يؤمنون بالآخرة
اعتدنا لهم عذابا اليما ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير اي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله
كما يدعو لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه
ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل
فقالت له ما لك تئن فشكا الم القد فارخت له من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه
وسلم دعا به فاعلم بشأنه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اني سألت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب
البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا
مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضي الله عنه هو
النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فاجيب له فضربت عنقه صبرا وجعلنا الليل والنهار
آيتين فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة
العدد الى المعدود اي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل
والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما
لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا آية النهار مبصرة اي تبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا آية الليل التي هي القمر
حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها
كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف
الجديدين عدد السنين والحساب وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات و
لتعطلت الامور وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم
وما تركنا لكم حجة علينا وكل انسان الزمناه طائره في عنقه عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من
قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا يفك عنه

ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن رحمه الله يا ابن آدم بسطت
لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون ونخرج له يوم القيمة كتابا وقرئ
ويخرج بالياء ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر اي يخرج الطائر
كتابا وانتصاب كتابا على الحال يلقاه منشورا وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه ومنشورا صفتان للكتاب او
يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرأ كتابك على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا
كفى بنفسك فاعل كفى اليوم عليك حسيبا وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما
سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي
المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال
فكأنه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتأول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة انفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن آدم انصفك
والله من جعلك حسيب نفسك من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى
اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا اي وما صح منا صحة تدعو
اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لان معهم
ادلة العقل التي بها يعرف الله تعالى وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم
لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسل من جملة التنبيه
على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعث الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل واذا اردنا
ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان
امهالهم الا قليل امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا
وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم
مأمورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم
اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو
كلمة العذاب فدمرهم فان قلت هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز
فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المأمور به انما حذف لان ففسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال
امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المأمور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك
علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض
الامر مأمورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا
منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مأمورا به فكأنه يقول كان مني امر فلم يكن منه طاعة كما ان من يقول
فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقصد

والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيا و
انت تدعي اضمار خلافه فكان صرفا لامر الى المجاز هو الوجه ونظيره امر شاء فان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما
بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف
ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشية انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق
به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشية لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر من باب فعلته ففعل
كثرته فكثر وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اني اري امرك هذا حقيرا فقال عليه السلام انه سيامر اي سيكثر وسيكبر وقرئ آمرنا من امر وآمره غيره و
امرنا بمعنى آمرنا او من امر امارة وامره الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم وكم اهلكنا كم مفعول اهلكنا من القرون من
بعد نوح ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب
عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غيرها وانه عالم بها ومعاقب عليها من كان يريد العاجلة عجلنا
له فيها ما نشاء من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد
الامر تقييدين احدهما تقييد المعجل بمشيته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون
ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الاخرة واما المؤمن التقي
فقد اختار مراده وهو غنى الاخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا او لم يوت فان اوتي فيها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون
على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله
عز وجل ولا فرق اذن بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدنيا
يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الاخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلام
فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ثم
جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم
مشكورا سعيها حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة اشترط ثلث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بان يعقد
بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلث
لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الاية وشكر الله الثواب على الطاعة كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء
ربك وكلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه نمدهم نزيدهم من عطائنا ونجعل الانف منه مددا للسالف
لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله محظورا اي ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين
في التفضل وفي الاخرة التفاوت اكبر لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروي ان قوما من الاشراف فمن دونهم
اجتمعوا بباب عمر فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اوتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا

يعني

يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الاخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة
اكثر وقرئ واكثر تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الاخرة
وهي اكبر وافضل لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة بمعنى
صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الاهلك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا
له وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا الا اياه ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا و
احسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ واوصى وعن ابن عباس ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل
وقضاء ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته اما يبلغن عندك الكبر
اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها
لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه احدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرا يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى
الوالدين او كلاهما عطف على احدهما فاعلا وبدلا فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت
انه بدل قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله فان قلت ما ضرك
لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما
قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول فلا تقل لهما اف اف صوت يدل على تضجر و
قرئ اف بالحركات الثلث منونا وغير منون الكسر على اصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع
كمنذ فان قلت ما معنى عندك قلت هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك
اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولية فهو مامور بان يستعمل معهما وطاءة الخلق
ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد
بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر
في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان
معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف
والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروة وقيل هو ان يقول يا ابتاه يا اماه كما قال ابراهيم لابيه
يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب وعادة الدعار قالوا ولا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة
رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا واخفض لهما جناح الذل وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر فان قلت ما معنى قوله جناح الذل
قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل او الذل
كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول والثاني ان تجعل لذله او لذله لهما جناحا خفيضا كما
جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما و
افتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما

وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا

رحمته الباقية واجعله لك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فان قلت الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين
قلت واذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء
للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو
كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه الوصية بالوالدين في كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في
رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء ان يفعل فلن
يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر
اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل
ذلك وانت تريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا هو شيخ يتوكأ على عصا
فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا
فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت
ومالك لابيك انت ومالك لابيك وشكا اليه آخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها
سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت
نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة واحدة • وعن ابن عمر انه رأى رجلا في
الطواف يحمل امه ويقول ان لها مطية لا تذعر • اذا الركاب نفرت لا تنفر • ما حملت وارضعتني اكثر • الله ربي ذو
الجلال الاكبر • تظنني جزيتها يا ابن عمر • قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه الصلوة والسلام اياكم وعقوق الوالدين
فان الجنة توجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء
لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه اذا
شربها وعن ابي يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد وعن حنظلة انه استاذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه يله غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما
عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن • وان
تترحم عليهما ما عاشا • وتدعو لهما اذا ماتا • وتقوم بخدمة اوداءهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان
يصل الرجل اهل ود ابيه ~~وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا~~ ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين
فانه كان للاوابين غفورا بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ان تكونوا
صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام
هنة تؤدي الى اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور للاوابين التوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون
من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الاواب الرجل الذي كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون
هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى

حقه

حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء
عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة والشافعي لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب
وان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء
والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكوة وهذا دليل على المراد بما يؤتى ذوي القرابة
من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذوي القربى اقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تبذر تبذيرا التبذير تفريق المال
فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر
ذلك في اشعارها فامر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد
لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير و
عن عبد الله بن عمر مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال أو في الوضوء سرف
قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اي امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان
او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه
كفورا فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرأ الحسن اخوان الشيطان واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى
والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سألوك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل
شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم
قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم
واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع
الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع
السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه
كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه ترجوها فقل لهم قولا ميسورا يقال يسر الامر وعسر مثل سعد
الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا
ذا ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه يسر ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء
المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي
عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت
فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسئلة وعن جابر بينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالس اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت
له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج
للصلوة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وانشأ يقول • اتجعل نهبي ونهب

النهب الغنيمة والجمع نهاب ٥

العبيد • بين عيينة والاقرع • وماكان حصن ولا حابس • يفوقان جدي في مجمع • وماكنت دون امرئ منهما • ومن تضع اليوم لا يرفع • فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والصلحة ويجوز ان يريد ان البسط والقبض انما هما من امر الله الذي الخزائن في يده فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وعلا يبسط لعباده او يقبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم فنهاهم عن قتل اولادهم مخافة الفاقة وهي الاملاق كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء ان قتلهم كان خطأ كبيرا وقرئ خطأ وهو الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من اخطأ وقيل هو الخطأ كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالمد والفتح وخطا بالفتح والسكون وعن الحسن خطا بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن ابي رجاء بكسر الخاء غير مهموز ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة فعلة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان تغصب على غيرك امرأته او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلث الايمان تكفر او تقتل مؤمنا عمدا او تزني بعد احصان ومن قتل مظلوما غير راكب واحدة منهن فقد جعلنا لوليه للذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على الاقتصاص من القاتل منه او حجة يثبت بها عليه فلا يسرف في القتل الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كانوا اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب • وقال كل قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل آل مرة • وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابي فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا انه كان منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا اي مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم قرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها ذلك خير واحسن تأويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه ولا تقف ما ليس لك به علم اي ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة فريجي ولا تكن في اتباعك ما لا علم

لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم او يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورايته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وانشد • ومثل الدمى شم العرانين ساكن • بهن الحياء لا يشعن التقافيا • اي التقاذف وقال الكميت • ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفوا الحواصن ان قفينا • وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله • والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤلا وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها كان مسؤلا عنه فمسؤل مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح ولا تمش في الارض مرحا مرحا حال اي ذا مرح او وصف بالمصدر اي تمرح مرحا وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التاكيد انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئتك وقرئ لن تخرق بضم الراء ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها قرئ سيئة وسيئه على اضافة سيئ الى ضمير كل وسيئا في بعض المصاحف وسيئات وفي قراءة ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان شانه فان قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها قلت السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة ومن قرأ سيئا الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر او مؤنث فان قلت فما ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة فما وجه من قرأ سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الثماني عشرة آية كانت في الواح موسى اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التورية ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكماء والعلماء • وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم افاصفيكم ربكم بالبنين واتخذ من الملئكة اناثا افاصفيكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعني اخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ ادونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها من الشوب ويكون اردأها وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما باضافتكم اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة وهم اعلى خلق الله

واشر فيهم اذون خلق الله وهم الاناث ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات
لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز
ان يشير بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا
بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ مشددا او مخففا اي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم الا
نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه وعن سفيان كان اذا قراها قال زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا قل لو كان
معه آلهة كما يقولون قرئ كما يقولون بالتاء والياء اذا دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين
وجزاء للو ومعنى لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض
كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه و
تعالى عما يقولون علوا كبيرا علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصفه العلو بالكبر المبالغة في معنى
البراءة والبعد مما وصفوه به تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم المراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكانها تنطق بذلك وكانها تنزه الله مما
لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها فان قلت فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم قلت الخطاب
للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا ولم يقروا
لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذن لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فان
قلت من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه قلت التسبيح المجازي حاصل
في الجميع فوجب الحمل عليه والا لكانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم
بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا
يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد انه حجاب
من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره كانه يستتر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كانه قال واذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة
وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ان يفقهوه كراهة
ان يفقهوه او لان قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع من الفقه فكانه قيل ومنعناهم ان يفقهوه ولوا على ادبارهم يقال
وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر
ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده نفورا والنفور مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون
ان تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا نحن اعلم بما يستمعون به بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن ومن
اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار
وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء اي هازئين اذ يستمعون اليك واذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم

قوله نفورا على الاول نصب على انه مصدر وعلى الثاني انه حال ه

اي نحن اعلم بالحال والطريق الذي يستمعون القرآن به ...

بما به

بما به يستمعون واذ هم نجوى وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فجن وقيل
قيل هو من السحر وهو الرئة اي هو بشر مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا فلا
يستطيعون سبيلا فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع
وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا لما قالوا ائذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا فرد
قوله كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما ورفاتا فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان
يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة والى رطوبة الحي وغضاضته بعدما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي
بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحياة
ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها الجساوة والصلابة لكان
قادرا على ان يردكم الى حال الحياة قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم يعني او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم
في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وقيل السموات والارض فسيقولون من يعيدنا قل الذي
فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فسينغضون فسيحركونها نحوك
تعجبا واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون يوم يدعوكم
فتستجيبون بحمده وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بركوب ما يشق عليه فيتابى
ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن
جبير ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون
مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة رضي الله عنه تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الآخرة وقل
لعبادي يقولوا التي هي احسن وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن والين ولا تخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي احسن
وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من
اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا
مبينا ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم
على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم
عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية
السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يرحمكم الله ويهديكم الله وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان
نحو يعرشون ويعرشون وربك اعلم بمن في السموات والارض رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم ان يكون
يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك في بعض اكابرهم
وصناديدهم يعني وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم ومقاديرهم وبما يستاهل كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا

بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله
وهو انه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وامته فان قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت
يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمي ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمي بعض القرآن قرآنا قل ادعوا الذين زعمتم
من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا هم الملائكة وقيل عيسى بن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من
العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا
ان يحولوه من واحد الى آخر او يبدلوه واولئك مبتدأ والذين يدعون صفته يبتغون الى ربهم الوسيلة ويبتغون خبره
يعني ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله عز وجل ايهم اقرب وايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة
اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون
فكأنه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون رحمته ويخافون عذابه
ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد
من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة نحن مهلكوها بالموت والاستئصال
او معذبوها عذابا شديدا او معذبوها بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل
وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة
بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا كان ذلك في الكتاب مسطورا
في الكتاب في اللوح المحفوظ وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون استعير المنع لترك ارسال الآيات من اجل صارف
الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات
التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب
اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستئصال فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب بها الذين
هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها
واستوجبوا العذاب المستأصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيامة وآتينا ثمود الناقة ثم ذكر من تلك الآيات
التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من
حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالآيات الا
تخويفا ان اراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة فان لم
يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن

واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر
قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كأن قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف
الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني اسألك عهدك
ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد
كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأني انظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع
فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله من امر بدر وما اري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون و
يستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة
ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فهذا
وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منها مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما
لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمر كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم اقرب من ذلك انه
خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء
قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا
وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا
كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلق من يقول كان الاسراء
في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا لعلها رؤيا رأيتها
وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم اين شركائي ذق انك
انت العزيز الكريم وقيل هي رؤياه انه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة
فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى
تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل
الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب
الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث التي تلتوي بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة
بالرفع على انها مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا حال اما من الموصول والعامل فيه اسجد على ااسجد له وهو طين اي اصله طين او من الراجع
من الصلة على ااسجد لمن كان في وقت خلقه طينا قال ارأيتك الكاف للخطاب هذا الذي كرمت علي وهذا مفعول به والمعنى
اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن اخرتن الى
يوم القيامة واللام موطئة للقسم المحذوف لاحتنكن ذريته الا قليلا لاستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض
اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك الشاتين اي آكلهما فان قلت من اين علم ان ذلك يتسهل

لا وهو من الغيب قلت اما ان يتمعه من الملائكة صلوات الله عليهم وقد اخبرهم الله به من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها او
الية فتوسم في مخايله انه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما علمت وسوسته في آدم والظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم من الشجرة قال اذهب
ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وانما معناه امض لشانك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره
في قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم كما قال موسى صلى الله عليه وسلم للسامري فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس فان
قلت اما كان من حق الضمير في الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع على من تبعك قلت بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك
ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما في فان
جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او باضمار تجازون او على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك
عرضه فرة واستفزز من استطعت منهم بصوتك استفزه استخفه والفز الخفيف واجلب عليهم واجلب من الجلبة وهي
الصياح بخيلك والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد
والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل
وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك
فان قلت ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه
على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خياله
ورجالته حتى استاصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من اهل العيث وقيل يجوز ان يكون لابليس
خيل ورجال واما المشاركة في الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة
والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى
وعبد الحارث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا
وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الالهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها
والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على الآجل ان عبادي يريد
الصالحين ليس لك عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه
قوله الا عبادك منهم المخلصين فان قلت كيف جاز ان يامر الله تعالى ابليس بان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر
صادا عن الخير قلت هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم ربكم الذي يزجي لكم
الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما يجري ويسير واذا مسكم الضر في البحر والضر خوف الغرق ضل من تدعون
الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم وخواطركم
كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا
تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم او لم يهتد لانقاذكم احد غيره من سائر المدعوين ويجوز ان يراد ضل من تدعون من
الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع افامنتم ان يخسف بكم الهمزة للانكار

والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان قلت بم انتصب جانب البر قلت بيخسف
مفعولا به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان يخسف جانب البر اي يقلبه وانتم عليه فان قلت فما معنى ذكر الجانب
قلت معناه ان الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس
جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب
كما ان الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه
من الله في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني او ان لم يصبكم بالهلاك
من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر ثم
لا تجدوا لكم وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم ام امنتم ان يقوي دواعيكم
ويوفر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا من الريح وهي الريح التي
لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء الا قصفته فيغرقكم بما كفرتم ثم لا
تجدوا لكم علينا به تبيعا فيغرقكم وقرئ بالتاء اي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم قرئت بالياء وبالنون
التبيع المطالب من قوله تعالى فاتباع بالمعروف اي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان على فلان تبيع
بحقه اي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجدوا احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا او
دركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم ولقد كرمنا بني آدم و
حملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة
والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شيء ياكل بفيه الا ابن آدم
وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس في تفسير قوله تعالى ولقد
كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بني آدم تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم
والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك
وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم وكيف نزل لهم من انبيائه منزلة
انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا
ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطنا في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له
كن فكان ورووا عن ابي هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع
في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم على جميع ممن
خلقنا اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات البعيدة في عداوة الملأ
الاعلى كان جبريل غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم يوم ندعوا كل اناس قرئ يدعوا

والتنوين ويدعى كل اناس على البناء للمفعول وقرا الحسن يدعو كل اناس على قلب الالف واوا فى لغة من يقول افعوا والظرف نصب
باضمار اذكر ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما فى واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر فيه كما فى يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة
بها لانها غير ضمير ليست الا علامة بامامهم بمن ائتموا به من نبى او مقتدم فى الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل
دين كذا او كتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وفى قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع
التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيمة بامهاتهم وان الحكمة فى الدعاء بالامهات دون الاباء رعاية حق عيسى
واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنى وليت شعرى ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته فمن اوتى من هؤلاء
المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم قيل اولئك لان من اوتى فى معنى الجمع فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة
كتابهم كان اصحاب الشمال لا يقرؤن كتابهم قلت بلى ولكن اذا اطلعوا على كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب بالنداء على جناياته
والاعتراف بمساويه امام التنكيل والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف
الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرؤن
كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقولوا للقارئ لاهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه ولا يظلمون فتيلا
ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شئ كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى
واضل سبيلا معناه ومن كان فى الدنيا اعمى فهو فى الاخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات
لفساد حاسته لمن لا يهتدى الى طريق النجاة اما فى الدنيا فلفقد النظر واما فى الاخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا
ان يكون الثانى بمعنى التفضيل ومن ثم قرا ابو عمرو الاول ممالا والثانى مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم
الواقعة فى وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاول فلم يتعلق به شئ فكانت الفه واقعة فى الطرف معرضة للامالة روى ان ثقيفا
قالت للنبى صلى الله عليه وسلم لا ندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا وكل ربا لنا
فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول وان تمنع من قصد وادينا وج
فعضد شجره فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم
هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله ثم قالوا للكاتب اكتب ولا
يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا
فقالوا لسنا نكلم اياك انما نكلم محمدا فنزلت وروى ان قريشا قالوا اجعل اية رحمة اية عذاب واية عذاب اية رحمة حتى نؤمن
بك فنزلت وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان
يفتنونك اى يخدعوك فاتنين عن الذى اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفترى علينا غيره لتقول
علينا ما لم نقل يعنى ما ارادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان يضيف الى الله ما لم ينزل
عليه واذا لاتخذوك خليلا اى ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتى ولولا ان ثبتناك
ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له

ونفضل

تتعتع الرجل فى كلامه ارتبك فيه وتتعتع الصيد فى الحبالة تردد فيها ٥

الضمير فى بهاء ضمير مبهم فسره بقوله اصحة اى اجزه والبهاء الحسن ٥

اى بلى يقرا اصحاب الشمال كتابهم ولكن اذا اطلعوا على كتابهم باخذهم الخجل والحياء فكان قراتهم كلا قراءة ٥

قوله كذلك نصب لانه مصدر اى عمى مثل العمى الذى فى الدنيا واشار بذلك الى قوله اعمى ثانيا صفة مشبهة مثل الاول لا اسم التفضيل ثم ذكر ان الاعمى فى الموضعين استعارة لان معنى الاعمى هو الذى لا يدرك المبصرات لفساد حاسته فاستعير فى الاول لمن لا يهتدى الى طريق النجاة فى الاخرة لانه لا ينفعه الاهتداء فى الاخرة لانها ليست دار الكسب ٥

لا نجبى اى لا ننحنى ارادوا الركوع ٥ التجبية ان يقوم الانسان قيام الراكع وفى حديث ابن مسعود وفى ذكر القيامة حين ينفخ فى الصور قال فيقومون فيجبون تجبية رجل واحد قياما لرب العالمين وقال ابو عبيد التجبية تكون فى حالين احدهما ان يضع يديه على ركبتيه وهو قائم والوجه الاخر ان ينكب على وجهه باركا وهو السجود ٥

عضدت الشجر اعضده بالكسر اى قطعته بالعضد ٥

ونفضل تثبيت وفى ذلك لطف للمؤمنين اذا لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك
علينا نصيرا اى لاذقناك عذاب الاخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب
الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب فى الممات وهو عذاب القبر وعذاب فى حيوة الاخرة وهو عذاب النار والضعف
يوصف به نحو قوله تعالى فاتهم عذابا ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا فى الحيوة وعذابا ضعفا
فى الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة
وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات
ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة فى الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت
وفى ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف فى الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه
بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة القبائح الى الله
تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى
المؤمن اذا تلا هذه الاية ان يجثو عندها ويتدبرها فهى جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب فى
دين الله وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك
ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض ليخرجوك منها من ارض مكة واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا
قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم
يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك ان رسول الله لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم
فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهى بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم فلو خرجت الى الشام لامنا
بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم على اميال من المدينة وقيل بذى الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام حرصا على دخول الناس
فى دين الله فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفى قراءة ابى لا يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما الشائعة فقد
عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل فى خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابى ففيها الجملة برأسها التى هى اذن
لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك وقرئ خلافك قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن
حصيرا اى بعدهم سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا يعنى ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم
فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اى سن الله ذلك سنة اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل
دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم اتانى جبرئيل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بى الظهر
واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالاية جامعة للصلوات الخمس و
ان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقران الفجر صلوة الفجر سميت قرانا
وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهى حجة على ابن علية والاصم فى زعمهما ان القراءة ليست بركن ان قران

الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلاة قراءة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحوه التأثم والتحرج ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس ووضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق اي ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا سلطانا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلوة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه اني رأيت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لقبائل العرب اصنام يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله فقال اي رب حتى

متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت اني ساحدث لك توبة جديدة فاملأك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم القها فجعل يأتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول وقل جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا اسحر من محمد وشكاية البيت والوحي اليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل وذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك ان الباطل كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين من القرآن من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض اي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزيد الظالمين الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله تعالى كانه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل كان يؤسا شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأي ويجوز ان يكون من ناء بمعنى نهض قل كل احد يعمل على شاكلته اي على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد مذهبا وطريقة ويسئلونك عن الروح الاكثر على انه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما استأثر بعلمه وعن ابي هريرة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل وقيل القرآن قل الروح من امر ربي ومن امر ربي اي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية فندموا على سؤالهم وما اوتيتم من العلم الا قليلا الخطاب عام وروي ان رسول الله لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التورية وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك

به علينا وكيلا ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من تتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك ان فضله
كان عليك كبيرا الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء
المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة
في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره
ومنته عليه في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة و
ليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه
في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما
في القلوب قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم
لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة
ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز
حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل
لها فيه كالثاني للقديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال
الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان رأس ما لهم المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن رددنا و
كررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود فان قلت كيف جاز فأبى اكثر الناس الا كفورا
ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان أبى متأول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ... ولما تبين اعجاز
القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت
المحجوج المتحير في امره فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر تفجر وقرئ بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة
من شأنها ان تنبع بالماء لا تنقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشأ نخسف
بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء قرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحها او تأتي بالله والملائكة قبيلا
كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا ومن اجل
الطوي رماني وقوله فاني وقيار بها لغريب او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او
جماعة حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب او ترقى في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال
رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك ولن نؤمن ... لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه من السماء فيه
تصديقك عن ابن عباس رضي الله عنه قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى
تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات

الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الى آخره ولو فتحنا عليهم بابا
من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تبصيرهم سبيل
قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي اي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه هل كنت الا بشرا رسولا اي هل
كنت الا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات الي
انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا
ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي اي وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة في أبعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو
المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه عليهم مطمئنين
ساكنين في الارض لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل
الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال
من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له اجوب قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم و
عاندتم انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا بصيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز او حال ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف
ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء من دونه اولياء انصارا ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على
وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على
وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم
في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى
فهو في الآخرة اعمى ويجوز ان يحشروا مؤفى الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر في موضع آخر انهم يقرؤون ويتكلمون
كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا
أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها
فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم
تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام
من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله انا لمبعوثون خلقا جديدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون الا
كفورا فان قلت علام عطف قوله وجعل لهم اجلا لا ريب فيه قلت على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر
على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال أانتم اشد خلقا ام السماء
وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيامة فأبوا مع وضوح الدليل الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا

لأمسكتم خشية الإنفاق لو حقها ان تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون
تملكون فأضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ
فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب فأما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون
فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير
أخوالي أرادوا نقيصتي جعلت لهم فوق العرانين ميسما وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر برز الكلام في
صورة المبتدأ والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو
لأهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والأنهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لبخلوا بها وكان الإنسان قتورا
ضيقا بخيلا فإن قلت هل يقدر لأمسكتم مفعول قلت لا لأن معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك ولقد آتينا موسى
تسع آيات بينات عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه
الله على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سأل
محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فأخرجه فنفضه فإذا
بيض مكسور نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال أوحى الله الى موسى عليه السلام ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا
تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا
محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فسأل بني اسرائيل فقلنا له سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون
وقل له أرسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك وتدل عليه قراءة
رسول الله فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام
واصحابه عن الآيات لتزداد يقينا وطمانينة قلب لأن الأدلة اذا تظاهرت كان ذلك أقوى واثبت كقول ابراهيم ولكن ليطمئن
قلبي اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا فإن قلت بم تعلق اذ جاءهم قلت أما على الوجه الأول فبالقول المحذوف
اي فقلنا له سلهم حين جاءهم او بسال في القراءة الثانية وأما على الأخير فبآتينا او باضمار اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاءهم
اذ جاء آباءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فخولط عقلك قال لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الا
رب السموات والأرض بصائر الا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الأمر وان هذه
الآيات منزلها رب السموات والأرض واني لاظنك يا فرعون مثبورا ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا
فأنا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك لأن له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله
بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لأن قولك مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا
مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقرأ ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون

لمشوا على ان المخففة واللام الفارقة فأراد ان يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا فأراد فرعون ان يستخف
موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بأن استفزه الله بإغراقه
مع قبطه وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الأرض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها فإذا جاء وعد الآخرة يعني قيام الساعة جئنا
بكم لفيفا جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى
وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية
الى كل خير او وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما
ارسلناك الا مبشرا ونذيرا الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرآنا
منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرأ ابي فرقناه بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرأه مشددا وقال لم ينزل
في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب لتقرأه على الناس على مكث
بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا امره بالاعراض عنهم واحتقارهم
والازدراء بشأنهم وان لا يكترث بهم وبإيمانهم وامتناعهم عنه وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم
اهل جاهلية وشرك فإن خيرا منهم وافضل ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون
سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا وهم العلماء الذين قرأوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه
وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم واذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لأمره ولإنجازه ما وعد في الكتب
المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم
خشوعا اي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فإن قلت ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز ان يكون تعليلا
لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله وتطييب نفسه كأنه قيل تسل عن ايمان الجهلة
بإيمان العلماء وعلى الأول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم فإن قلت ما معنى الخرور للذقن قلت السقوط على الوجه وانما
ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لأن الساجد اول ما يلقى به الأرض من وجهه الذقن فإن قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت
خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به
لأن اللام للاختصاص ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فإن قلت لم كرر يخرون للأذقان قلت لاختلاف الحالين وهما
خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى
عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل
الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو
يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى واو
للتخيير فمعنى ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في أيا عوض من المضاف اليه
وما صلة للإبهام المؤكد لما في أي اي ايا هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الأسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين

المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء
الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعانى التمجيد و
التقديس والتعظيم ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها بصلوتك بقراءة صلوتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر
والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلوة افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا
سمعها المشركون لغوا وسبّوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين
ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلا سبيلا وسطا وروى ان ابا بكر كان يخفي صوته بالقراءة في صلوته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي
وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر
بصلوتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل وتخافت بصلوة النهار وقيل بصلوتك بدعائك
وذهب قوم الى ان الاية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل للانتحاء الوجه الوسط في القراءة وقل الحمد لله
الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ولي من الذل ناصر من الذل ومانع له منه
لاعتزازه به اولم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته فان قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لان
من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب
علمه هذه الاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف

سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية

اوقية ومائتا اوقية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب لقن الله عباده وفقههم كيف
يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب
نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف و
التناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بم انتصب قيما قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا
من الكتاب لان قوله لم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة
وتقديره ولم يجعل له عوجا بل جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج
واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى عن الاخر قلت فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى
عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من
الشرائع وقرئ قيما لينذر بأسا شديدا انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله
لينذر الذين كفروا بأسا شديدا والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة من لدنه صادرا
من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا
حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ويبشر بالتخفيف والتشديد فان قلت لم اقتصر على احد
مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين

قوله ٢ وروى عطف على قوله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا وجه اخر لسبب النزول ه

٧ الانتحاء الميل ه

فيكون الولي على الوجه الاول بمعنى الناصر فكان الذل شبه بعدو يقصده ويريد اصابته بمكروه ثم قيل ليس له ناصر يمنع من الذل لانه لا يكون الذل حول جنابه فكيف ... قوله تعالى ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا وعلى الوجه الثاني يكون الولي من الموالاة بمعنى المودة مع واحد او قوم ليتقوى بهم وهو عظم شانه لا يحتاج ذلك لانه محتاج اليه الذليل وهو القوي العزيز ه

٨ افصح الرجل تكلم بالعربية وفصح العجمي والاعجم جادت لغته حتى لا يلحن ه

٣ والصواب ان تقول المراد بالنعمة الكتاب المنزل واضافه الى الاسلام او به يتبين الاسلام وعطف عليه بطريق البيان قوله وما انزل ه

قوله ٤ لانه اذا نفى بيان جواب لحذف وحسنه لان قوله لم يجعل له عوجا يدل على جعله قيما فحذف لدلالته عليه ه

قوله ٥ وقيل عطف على قوله وفائدته التوكيد فالجواب اولا بهذا وثانيا بان معناهما مختلفان وثالثا كذلك ه

٥ يريد باشمام الضمة اخفاء الحركة ه

٦ المعنى من لدنه انه لا يعلم كنهه الا الله ... فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فانه يصيبهم من حيث لا يعلمون ... ما لم يكونوا يحتسبون ه

قالوا اتخذ الله ولدا استعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره والاجر
الحسن الجنة ما لهم به من علم ولا لابائهم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للاباء
وقد استملته اباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به
من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق
العلم به قرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة
تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من
افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم
بل يكظمون عليه تشوّرا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت الام يرجع الضمير
في كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا شبههم
واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقته احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على
اثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال
فيمن قرأ ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقران اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان
يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف انا جعلنا ما على الارض زينة لها ما على الارض
يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد
فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء
لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات
والاشجار ونحو ذلك ذكر من الايات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن
ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل
والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همّد وقيل هو لوح من رصاص
رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم
وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا من اياتنا عجبا كانوا اية عجبا من اياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب اذ اوى
الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة اي رحمة من خزاين رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ
لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت منك
اسدا فضربنا على اذانهم في الكهف اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى
المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة
سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار و
قال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين يتضمن معنى الاستفهام

فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه
مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين المختلفين
من غيرهم واحصى فعل ماض اي ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فان قلت لما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه
السديد وذلك لان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ
في غير القرآن ممتنع فكيف به لما لبثوا امدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل وافعل
لا يعمل واما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله • واضرب منا
بالسيوف القوانسا • على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا
الى تقديره واضماره فان قلت كيف جعل الله العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم قلت الله عز وجل لم يزل عالما بذلك
وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره انهم فتية آمنوا
بربهم وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض
الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم
على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا
قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط في السوم وغيره هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة
هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان واتخذوا خبره وهو اخبار في معنى الانكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف
المضاف بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد
في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض
حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم الا الله يجوز ان
يكون استثناء متصلا على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض
اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم
من امركم مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اي ينتفع انما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم
عليه ونصوع يقينهم واما ان يخبرهم به نبي في عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم
اصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي او حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور
وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين و
اذا غربت تقرضهم ذات الشمال تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم • قال ذو الرمة • الى ظعن يقرضن اقواز
مشرف شمالا • وعن ايمانهن الفوارس وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس
في طلوعها ولا في غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل في متفسح من غارهم

لينالهم

ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من آيات الله اي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها
طالعة وغاربة آية من آياته يعني ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي
مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله من يهد الله فهو المهتد
ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل
تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى
الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد ايقاظا
وهم رقود والايقاظ جمع يقظ كانكاد في نكد قيل عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم
وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال و
الضمير لله عز وجل وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم
وكلبهم وقرأ جعفر الصادق وكالبهم يعني وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا
كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية بالوصيد والوصيد الفناء
وقيل العتبة وقيل الباب وانشد بارض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر لو اطلعت عليهم لوليت منهم
وقرئ لملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء فرارا ولملئت منهم رعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف
الذي يرعب الصدر اي يملؤه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم
وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك
قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث
ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو وكذلك
بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الاماتة
والبعث جميعا ليسال بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا
ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول
بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم وان الله اعلم بمدة
لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله وروي انهم
دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك فان
قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذاكر حديث المدة قلت كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما
يهمكم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة
اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو
مفتوحة او مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم

وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على
ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات
ومنه قول عايشة رضي الله عنها لمن سالها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه
كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله ويقول منذ ذلك فكانت مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج اتوه فبذلوا له
ان يحج ابه والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل
على الرحمن فلينظر ايها اي اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله وسئل القرية ازكى طعاما احل واطيب واكثر وارخص فليأتكم
برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا
يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمي ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والضمير في
انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها ان يظهروا عليكم يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم
او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل
كذا يريدون ابتداء الفعل ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك
من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها وهو البعث لان حالهم
في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث اذ يتنازعون بينهم امرهم واذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم
حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث
الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا
حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها
كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا
اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن عليهم على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون
امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الاية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم
حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم
الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه
على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه
الله تعالى فقال ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا
الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على اذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف
اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى
الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج
الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه

اي محرم ثوب الاحرام ه

يقال تحاماه جميع اي يتحامونه وقوله تعولم ماض مبني للمفعول والكلمة تقوم مقام فاعله اشارة الى كونه شديد الحنين ه

التلطف في العمل الرفق فيه ه

قوله وكانت عادتهم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وجه قوله يرجموكم اي كانت عادتهم تلك القتلة ه

الضمير في ليعلم عايد الى المفعول المحذوف لاعثرنا اي اعثرنا الناس عليهم ليعلم الذين اعثرناه ه

الضماير الثلاثة في يتنازعون بينهم امرهم تعود الى ما يعود اليه ضمير ليعلموا ه

ضننت بالشيء بالكسر ويقال ايضا بالفتح ضننت بالشيء اي بخلت به وهذا علق مضنة ومضنة بكسر الضاد وفتحها اي نفيس مما يضن به ه

المراد بالحظيرة بناء الذي بني على روضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحظر وهو المنع والحجر ومنه الحظيرة تعمل للابل من شجر لتقيها الحر والبرد ه

والضمير في امرهم لاصحاب الكهف بخلاف ضمير يتنازعون وبينهم على ما مر ه

يقال اراده على كذا اي اكرهه عليه ه

اي فتبعهم الراعي ه

يسمى عبد الرحمن وكان على دين عيسى عليه السلام ه

وابصروهم وحمدوا الله على الاية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم
رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين
للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام
في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم
من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله من اهل الكتاب سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم
ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب
والمؤمنين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم
في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس انا من اولئك القليل وقيل ان السيد والعاقب و
اصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم
كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين
وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل عليه السلام وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا
ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشيرهم
الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير فان قلت
لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الاخرين قلت فيه وجهان ان يدخل الاخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم تريد
معنى التوقع في الفعلين جميعا وان تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل
ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي ياتون
به او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين
العبارتين الا ترى الى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون وقرئ ثلاثة بادغام الثاء في تاء التانيث وثلثة خبر
مبتدا محذوف اي هم ثلثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلثة وكذلك سادسهم كلبهم و
ثامنهم كلبهم فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة
الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه اخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه
قوله عز وعلا وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه
بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا
بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله سبحانه اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا
قليل وقال ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة
وثامنهم كلبهم على القطع والبتات وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول
اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب

الكهف الا مراء ظاهرا الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحي الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل
لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تستفت ولا تسأل منهم احدا
عن قصتهم سؤال متعنت لرحتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا
سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحي اليك قصتهم ولا تقولن لشيء ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك
الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا
الا ان يشاء الله كان معناه الا ان تعترض مشية الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما
ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان يأذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشيته وهو
في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشية الله قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تابيدا كانه
قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه قوله وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاء الله وهذا نهي تاديب من الله
لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ
عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك اذا نسيت اي مشية ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت
كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او
او سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء انه
لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه
فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن
كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام
بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة المنسية
عند ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا وهذا اشارة الى نبأ اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني
من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبأ اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث اتاه
الله من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر
ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء اخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان
خيرة كقوله او ننسها نات بخير منها ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم
هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا
فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله و
قالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثمائة وقرئ ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا
وفي قراءة ابي ثلثمائة سنة تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه له غيب السموات والارض ابصر به واسمع
بما غاب في السموات والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من ادراكه المسموعات

والمبصرات كما يدرك الظواهر ما لهم من دونه الضمير لاهل السموات والارض من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه
في قضائه احدا منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي كانوا يقولون له ائت بقران غير هذا او بدله فقيل له واتل ما
اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته من القران ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك
اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا اية مكان اية ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ
تعدل اليه ان هممت بذلك قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم
ريح الضان وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون
فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذؤيب فصبرت عارفة لذلك حرة
ترسو اذا نفس الجبان تطلع بالغداة والعشي يريدون وجهه داءبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلوة الفجر والعصر
وقرئ بالغدوة وبالغداة اجود لان غدوة علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام على تأويل التنكير كما قال والزيد زيد
المعارك ونحوه قليل في كلامهم ولا تعد عيناك عنهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاءني القوم عدا زيد
وعدي بعن لتضمن عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به فان قلت اي غرض في هذا
التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من
اعطاء معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى
اموالكم اي ولا تضموها اليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو
ومنه قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزدري بفقراء المؤمنين
وان تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال ولا تطع من
اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته
وافحمته وابخلته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان
وقد ابطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته
اذا وجدته غافلا وكان امره فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل وقل
الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم
لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء
فكانه مخير مأمور بان يتخير ما شاء من النجدين انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق
وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط
من نار يطيف بهم وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل
دردي الزيت يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته وعن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب
اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا

فالانفاق لاهل النار ولا اتجاه الا ان يكون من تم المرافق ارقت فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها
من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا
اولئك خبران وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستانفا بيانا للاجر
المبهم فان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير الراجع منه الى المبتدا قلت من احسن عملا والذين امنوا وعملوا الصالحات
ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم من الاولى
للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق
وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين اي
ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والاخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما
المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى
الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم
بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال اللهم اني جعلت
الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته
حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو
ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد جعلنا لاحدهما جنتين
من اعناب بستانين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة
بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا
ثانيا كقولك غشيته وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة
متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص
ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر كلتا الجنتين اتت
اكلها وقرئ بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص منه شيئا ولم تنقص وانت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه مفرد ولو قيل اتتا على
المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف وقرا عبد الله كل الجنتين اتى اكله رد الضمير على كل وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر اي انواع
من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة وغيرهما كان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف
شاء فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون
معه دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسالتهم فما احار كلمة يعني قطروس اخذ بيد المسلم يطوف به في
الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه ودخل جنته فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه
ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين

ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم
قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول امله واستيلاء
الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا
بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها اقسام منه على ان
رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الاخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء
لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله
ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب
تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب
ثم من نطفة خلقك اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له ثم سواك رجلا عدلك
وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا
هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان
فكان الادغام ونحوه قول القائل • وترميني بالطرف اي انت مذنب • وتقلينني لكن اياك لا اقلي • اي لكن انا لا
اقليك • وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وقراءة ابن عامر باثبات الف انا في الوصل
والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف
بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرا ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن انا
لا اله الا هو ربي فان قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد
غائب لكن عمرا حاضر ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله يجوز ان تكون ما موصولة مرفوعة
المحل على انها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان
ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها
الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشية الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها
وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك
يده الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الاية حتى يخرج
ان ترن انا اقل منك مالا من قرا اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا واقل خبره والجملة مفعولا
ثانيا لترني وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله
ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بساتينك
فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء والحسبان مصدر كالغفران والبطلان
بمعنى الحساب اي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما

كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع
له طلبا صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر واحيط بثمره فاصبح
يقلب كفيه واحيط به عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل
في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا لهم
وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط
في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي انفق في عمارتها وهي خاوية
على عروشها يعني ان كرومها المعروشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله عليها
نارا فاكلتها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا يا ليتني تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم
يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان وقرئ
ولم تكن له فئة بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم
فان قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته
لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن
انتقام الله هنالك الولاية لله الحق الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى
هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم
تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة
يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من
شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم
لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق به قوله عسى ربي ان يؤتين خيرا من
جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك
اشارة الى الاخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم لله وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله
وقرا عمرو بن عبيد رحمة الله عليه بالنصب على التاكيد كقولهم هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان
عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم ~~هو خير ثوابا وخير عقبا~~ وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها
بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا و
كان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه
فاصبح هشيما والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة تذروه الرياح وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه
الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر وارفا

الاحاطة مع العلم كالادراك مع الرؤية عند اهل التحقيق ٥

قوله ظهرا لبطن كفيه اي يقلب ظهر كفيه الى جانب بطنه وانما اتى باللام ليفيد معنى الاختصاص اي يخصص ظهره بموضع بطنه ٥

قوله ويجوز عطف من حيث المعنى على قوله حتى لا يهلك فقال اولا تمنيه كان لاجل بستانه فلا يكون هذا توبة من الشرك ثم قال ويجوز ٥

قوله تقريرا متعلق بمحذوف اي قاله تقريرا له

قوله يعني هذا على التفسير الاخير ٥
اراد بانتقام الله ما كان احاطته بثمره جزاء على كفره ٥

ورف النبت اي اهتز نضرة وارف اي ناضر زعاف شديد الخضرة ٥

ثم تهيج

ثم تهيج فتطيره الرياح كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا والباقيات الصالحات الباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان ويبقى عنه كل ما تطمح
اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل
ما اريد به وجه الله خير عند ربك ثوابا وخير املا اي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان
صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الاخرة ويوم نسير الجبال قرئ تسير من سيرت ونسير من سيرنا
وتسير من سارت اي تسير في الجو او يذهب بها بان تجعل هباء منثورا منبثا وقرئ وترى الارض على البناء للمفعول
وترى الارض بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف وقرئ فلم نغادر منهم احدا
بالنون والياء يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل وعرضوا على ربك
وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب
احد احدا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا لقد جئتمونا اي قلنا لهم
لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشاناكم اول
مرة وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير و
ترى قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظائم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك
~~بل زعمتم ان لن نجعل لكم~~ موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور ووضع الكتاب فترى المجرمين
مشفقين مما فيه الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات
مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا يترك شيئا من
المعاصي الا احصاه اي احصاها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز ان
يريد وما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة
التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان اذا قراها قال ضجوا والله
من الصغائر قبل الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك
احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما زعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب
ابائهم واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد
استثناء ابليس من الساجدين كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفاء للتسبيب ايضا
جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لادم لم يفسق عن امر ربه لان الملائكة معصومون البتة لا
يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله عز وعلا
لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم انه كان ملكا ورئيسا
على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى ففسق عن امر ربه خرج عما امره ربه به من السجود قال فواسقا عن

قصدها جائرا او صار فاسقا بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ
لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء
من دوني وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ
أَنفُسِهِمْ وقرئ ما اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في
الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا
اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا بمعنى وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع
المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت
بالفتح الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقرا علي رضي الله
عنه متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرا الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون
العين وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه وَيَوْمَ
يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا نقول بالياء والنون واضافة
الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه
غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب
الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا
ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ويجوز ان يريد الملائكة و
عزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم
وهم في اعلى الجنان وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا فايقنوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا مخالطوها واقعون فيها وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا معدلا
قال ازهير هل عن شيبة من مصرف وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا
اكثر الاشياء التي يتاتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على
التميز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ
وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما
منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تاتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك أَوْ انتظار ان يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ
يعني عذاب الاخرة قُبُلًا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ اي ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم
وهو ازلاقها عن موطئها وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا يجوز ان تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما
انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ هزؤا بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء ... وجدالهم
قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ اي بالقران

قوله ولا اشهدت بعضهم انما قدر كذلك لانه لا يمكن اشهادهم خلق انفسهم حتى يكون اشهادهم بعضهم خلق بعض ثم شبهه بقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فان المراد بالنهي عن قتل انفسهم هو النهي عن قتل بعضهم بعضا ٥

قوله مشتركا اصله مشترك فيه فحذف فيه والتحقيق انه حذف حرف الجر فصار الضمير المجرور مرفوعا قائما مقام الفاعل فاستتر ولا يجوز ان يروى مشتركا بكسر الراء لان المشترك هو الذي يشترك مع غيره في شيء ٥

اي يهلك فيه السير يقال بلد يهلك فيه الشواط الرياح اذا كانت بعيدة بحيث لا تبلغ غايته ٥

ترخيم زهيرة وهي اسم امراة ٥

ولذلك

ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فَأَعْرَضَ عَنْهَا فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر وَنَسِيَ عاقبة مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ
وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه وَإِن تَدْعُهُمْ
إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا فلا يكون منهم اهتداء البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا مدة التكليف كلها إِذًا أَبَدًا
جواب وجزاء فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا
في انتفائه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا
وَرَبُّكَ الْغَفُورُ البليغ المغفرة ذُو الرَّحْمَةِ الموصوف بالرحمة لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ثم استشهد على ذلك بترك
مواخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ وهو يوم بدر لَّن
يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا منجا ولا ملجا يقال وال اذا نجا وال اليه اذا لجا اليه وَتِلْكَ الْقُرَىٰ يريد قرى الاولين من ثمود
وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس و
أَهْلَكْنَاهُمْ خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم
لَمَّا ظَلَمُوا مثل ظلم اهل مكة وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر
والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة ومكسورة اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت
او مصدر وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو
يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من براح
المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال و
الكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ غاية مضروبة
تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو ان يكون المعنى لا يبرح مسيري
حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب
الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه
حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر وهو ملتقى بحري فارس والروم
مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع
بكسر الميم وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمغرب والمطلع من يفعل أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة
روي انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا
فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله
فاوحى الله اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي
القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال

فأي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه
عسى ان يصيب كلمة تدل على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك
الخضر قال اين اطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو
هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما
جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى
فقال واني بارضنا السلام فعرفه موسى نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله
لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله
مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر **فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما** اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل
امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل
ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحيوة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء
وبرده عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء
فاتخذ سبيله في البحر سربا فامسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى
او للخضر **فلما جاوزا قال لفتيه آتنا غداءنا** فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان
منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما راى من حيوته ووقوعه في البحر وقيل ساروا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر
والقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله **لقد لقينا من
سفرنا هذا نصبا** اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة فان قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على
الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حيوة السمكة المملوحة الماكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة
وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة
الى الظهر من الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت قلت قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان
وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة امثاله عند موسى من العجائب واستانس باخواته فاعان الالف على قلة الاهتمام
قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت ارايت بمعنى اخبرني فان قلت ما وجه التيام هذا الكلام فان
كل واحد من ارايت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما راى منه وما
اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش فطفق يسال موسى عن سبب ذلك كانه قال ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة
فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت **وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره** بدل من
الهاء في انسانيه اي وما انساني ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله ان اذكركه **واتخذ سبيله في البحر عجبا** وعجبا
ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب او قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في
رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف

اي الصخرة التي عندها الحياة عند الحجر

المكتل شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعا

السرب او لم يكن فيه منفذ والا فهو نفق

اي بعض السمكة الواحدة كالنصف او الثلث مثلا

وهو قوله آتنا غداءنا اي ما يوكل بالغداة

ما استفهامية اي اي شيء دهاني اي اصابني يقال دهاك اي اصابك

سمي بنهر الزيت لكثرة اشجار الزيت على شاطئه

والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذلك **قال ذلك ما كنا نبغ** ذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اما
كنا نبغي اي ذلك الذي كنا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها احسن
وهي قراءة ابي عمرو واما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف **فارتدا** فرجعا في اداراجهما **على آثارهما قصصا**
يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين **فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا**
هي الوحي والنبوة **وعلمناه من لدنا علما** اي مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب **قال له موسى هل اتبعك على
ان تعلمن مما علمت رشدا** رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون اي علما ذا رشد ارشد به في ديني فان قلت اما دلت حاجته الى التعلم من
آخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في
ابواب الدين قلت لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه ان ياخذ ممن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال
لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله
قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى
امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا راى ذلك ويأخذ
في الانكار **وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا** تمييز اي لم يحط به خبرك او لانه لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر
قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا ولا اعصي في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا
وغير عاص او لا في محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح
الخضر عليه السلام عن حقيقة الامر فوعده الصبر معلقا بمشية الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تاخذ المصلح
عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس العلم منه
بريء من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم **قال فان اتبعتني
فلا تسئلني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا** قرئ فلا تسألني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي
انك اذا رايت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال
ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من آداب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع **فانطلقا حتى اذا ركبا
في السفينة خرقها** فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج
فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة
بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول **قال اخرقتها لتغرق اهلها** وقرئ ليغرق
بالتشديد وليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع **لقد جئت شيئا امرا** اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم
قال داهية دهياء اد امرا **قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت** بالذي نسيته او بشيء نسيته
او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه
قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي ينتفى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابراهيم عليه السلام

من المعاريض وهو ضد التصريح والفرق بينه وبين الكناية ان التعريض تضمين الكلام دلالة ليس لها فيه ذكر كقولك ما اقبح البخل تعريض بانه بخيل والكناية ذكر الرديف وارادة المردوف كقولك فلان طويل النجاد يعني طويل القامة

هذه اختي واني سقيم اواراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني من امري عسرا
يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها
علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان قتله بفتل عنقه
وقيل ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء
وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت
فان قلت فلم خولف بينهما قلت لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام قال اقتلت نفسا
زكية وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة
لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل لقد
جئت شيئا نكرا وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل
السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه قال الم اقل
لك انك لن تستطيع معي صبرا فان قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب على
رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية بعدها بعد هذه الكرة او المسالة فلا تصاحبني فلا تقاربني وان طلبت
صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرئ فلا تصحبني اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك
قد بلغت من لدني عذرا قد اعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد
عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها هي انطاكية
وقيل الايلة وهي ابعد ارض الله من السماء فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته
مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض
استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي في مهمه قلقت بها هاماتها قلق الفؤوس
اذا اردن نصولا وقال يريد الرمح صدر ابي براء ويرغب عن دماء بني عقيل وقال حسان ان دهرا يلف شملي بجمل
لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفا وطلب ان يطفا واذا كان القول والنطق والشكاية
والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما
بال الارادة قال اذا قالت الانساع للبطن الحقي لا ينطق اللهو حتى ينطق العود وتشكو
الى عبرة وتحمحم ان يك ظني صادقا وهو صادقي ... عن موسى الغضب تمرد مارد وعز الابلق ولبعضهم
يابى على اجفانه اغفاءة هم اذا انقاد الهموم تمردا ... لبعضها ... من الطول ... ظهرها

قالتا اتينا طائعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل
وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز
كان ادخل في الاعجاز يريد ان ينقض وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل
من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة
منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده
فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار
وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسالة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما
راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش به ونستدفع
الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء قال هذا فراق
بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت قد
تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله
مبتدا واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السؤال الثالث اي هذا
الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرا به ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى
المفعول به اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة
يعملون في البحر وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا امامهم كقوله ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان
طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندي فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب
عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التاخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب
ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وفي قراءة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة و
اما الغلام فكان ابواه مؤمنين قرا الجحدري فكان ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا ان يرهقهما طغيانا
وكفرا فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او
يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا
ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله عز وعلا اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه بقتله كاخترامه
لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون
قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما
وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف وروي انه ولدت لهما جارية
تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما و
اما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما قيل اسما الغلامين اصرم وصريم والغلام

المقتول اسمه الحسين واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف
يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت
لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه
انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا اراد قوله تعالى والذين يكنزون الذهب
الآية وكان ابوهما صالحا اعتدادا بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الذي
حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين
قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال قد انبانا الله انكم قوم خصمون فاراد ربك ان يبلغا اشدهما و
يستخرجا كنزهما رحمة من ربك رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما الله وما فعلته وما فعلت
ما رايت عن امري ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا عن امري عن اجتهادي ورايي انما فعلته بامر الله ويسئلونك
عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو
القرنين وسليمان وكافران نمروذ وبخت نصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض و
اعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا
وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء
حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال
احب الله فاحبه وسأله ابن الكواء ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب
على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل
كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها
شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم وفارس و
روي الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين ويجوز
ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود
سألوه على جهة الامتحان وقيل سأله ابو جهل واشياعه والخطاب في عليكم لاحد الفريقين انا مكنا له في الارض واتيناه
من كل شيء اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل
به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين
حمئة ووجد عندها قوما فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع
سببا وقرئ فاتبع وقرئ حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحماة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر رضي الله عنه
كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فراى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت
الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عامر والحسن وقرأ ابن عباس حمئة

وكان

وكان ابن عباس عند معوية فقرأ معوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ
امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية وروي في ثاط فوافق
قول ابن عباس وكان ثم رجل فانشد قول تبع فرأى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثاط حرمد اي في عين ماء ذي
طين وحما اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان يكون العين جامعة للوصفين جميعا قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب
واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا كانوا كفرة فخيره الله
بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما من دعوته فابى الا
البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذلك هو المعذب في الدارين واما من آمن وعمل صالحا ما يقتضيه الايمان
فله جزاء الحسنى وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله ان يجازى المثوبة الحسنى
او فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى اي فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر
في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه وسنقول له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا اي لا نامره بالصعب
الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكوة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين حتى اذا
بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وقرئ مطلع الشمس بفتح اللام وهو مصدر و
المعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كأن مجر الرامسات ذيولها يريد كأن آثار مجر الرامسات ذيولها وجدها تطلع على
قوم قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها واذا ارتفع
النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم
وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا ننظر كيف تطلع
الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على
الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه
في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض
كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه من الجنود والالات واسباب الملك
خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان
من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي
تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم ثم اتبع سببا
حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو
مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر
حدث تحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع
في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق

وجد من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما
يفهم البكم وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة قالوا يا ذا القرنين ان
ياجوج وماجوج ياجوج وماجوج هما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين اجوج وماجوج وهما من ولد يافث
وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون
ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين
طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قرئ خرجا وخراجا اي
جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني
فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي اليه كما قال سليمان صلوات الله عليه فما اتاني الله
خير مما اتاكم قرئ بالادغام وبفكه فاعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالالات اجعل بينكم وبينهم
ردما اتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا ردما حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر
من السد من قولهم ثوب مردم اي رقاع فوق رقاع قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب
والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت كالنار
صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ
وقرئ سوى وسووى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء
وطريقة حمراء قال قد رايته والصدفين بفتحتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين
والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لانه يقطر قال اتوني افرغ عليه قطرا وقطرا منصوب
بافرغ وتقديره اتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ايتوني اي جيئوني فما اسطاعوا بحذف
التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرا بادغام التاء في الطاء فملاق
بين الساكنين على غير الحد ان يظهروه اي يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته و
ثخانته وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده
او هذا الاقدار والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء يعني فاذا دنا مجيء يوم القيمة وشارف ان ياتي جعل
السد دكا اي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام و
قرئ دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا اخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق
يومئذ يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير لياجوج وماجوج وانهم يموجون
حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا
به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في اقفائهم فيدخل

اذانهم

اذانهم فيموتون ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين وعرضنا
جهنم وبرزناها لهم فراوها وشاهدوها كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او
عن القران وتامل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان
الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع افحسب الذين كفروا ان
يتخذوا عبادي من دوني اولياء هم الملائكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكي عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم
وقرأ ابن مسعود افظن الذين كفروا وقراءة علي رضي الله عنه افحسب الذين كفروا اي افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء
على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان
والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا
النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في
الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان وعن علي رضي الله عنه كقوله
عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه ان ابن الكواء ساله عنهم فقال منهم اهل حروراء وعن
ابي سعيد الخدري ياتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا اولئك الذين كفروا
بايات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا
وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم
بالياء فان قلت الذين ضل سعيهم في اي محل هو قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن
السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا
جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين
فيها لا يبغون عنها حولا الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عاد في حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى
تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم واما نيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف
الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان
تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد
مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل ان تنفد الكلمات ولو
جئنا بمثل البحر مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن
عباس ولو جئنا بمثله مدادا وقرأ الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء
وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت
يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن
كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يامل حسن لقاء ربه وان يلقاه

لِقَآءَ رِضًا وقبولٍ وقد فسّرنا اللقاءَ اومن كان يخاف سُوءَ لقائِهِ والمراد بالنهي عن الاشراكِ بالعبادة ان لا يرائي بعمله
وأن لا يبتغي به الا وجهَ ربه خالصًا لا يخلِطُ به غيرَه وقيل نزلت في جُندب بن زُهير قال لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم
إني أعملُ العملَ لله فاذا أُطلِعَ عليه سرّني فقال ان الله لا يقبلُ ما شُورِكَ فيه وروي انه قال له لك اجرانِ اجرُ السِّرِّ و
اجرُ العلانية وذلك اذا قصد ان يُقتدى به وعنه عليه الصلوة والسلام اتقوا الشِركَ الاصغرَ قالوا وما الشركُ الاصغر
قال الرّياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورًا من قرنه الى قدمِه ومن قرأها كلها
كانت له نورًا من الارض الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قُل إنما انا بشرٌ مثلكم الى آخرها كان له في مضجعه
نورًا يتلألأ الى مكة حشوُ ذلك النورِ ملائكةٌ يصلون عليه حتى يقومَ وان كان مضجعه بمكة كان له نورًا يتلألأ من مضجعه الى
البيت المعمور حشوُ ذلك النورِ ملائكةٌ يصلون عليه حتى يستيقظ ٥

والله اعلم ٥

من الكتب التي

ع
يعني بنكه ... نعمت وبكه ... عليه
ويحمدونك ويجدونك ويحبونك ويطيعون امرك
يكونوا ... شركا غير مقبول ... نعمت ...
سه تعالى ... الشكر ... ثواب الدارين كا
ورد عليه الروايات الاخرى ٥